

تأليف

الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي

الشهير بالجمل

المتوفى ١٢٠٤هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

إبراهيم شمس الدين

الجزء الثامن

المحتوى

من أول سورة الجمعة - إلى آخر سورة الناس
وسورة الفاتحة



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة

Title : AL-FUTŪḤĀT AL-'ILĀHIYYA BITAWḌĪḤ TAFSĪR AL-JALĀLAYN LIL-DAQĀ'IQ AL-ḪAFIYYA

(AN EXPLANATION OF AL-JALALAYN'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN)

التصنيف: تفسير القرآن

Classification: Science of Exegesis of the Qur'an

المؤلف الإمام سليمان بن عمر العجيلي "الجمل" (ت ١٢٠٤ هـ)

Author : Al-Imam Sulayman ben Omar Al-Ojayli "Al-Jamal" (D 1204 H.)

المحقق إبراهيم شمس الدين

Editor : Ibrahim Shamseddin

الناشر دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (8Vols/8Parts) 3983 عدد الصفحات (٨أجزاء/٨مجلدات)

Size 17×24 cm قياس الصفحات

Year 2018 A.D - 1439 H. سنة الطباعة

Printed in Lebanon بلد الطباعة لبنان

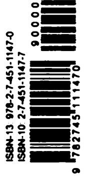
Edition 5th الطبعة الخامسة

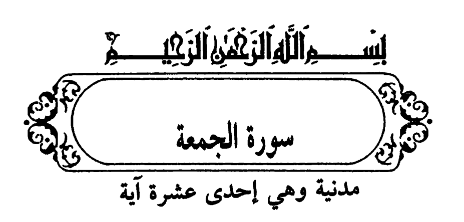
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon, Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ١٢/١١/٨١٠ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠


ISBN-13 978-2-7451-1147-0
ISBN-10 2-7451-1147-7



مدنية وهي إحدى عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ينزهه، فاللام زائدة ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في ذكر ما تغليب للأكثر ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾ المنزه عمّا لا يليق به ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ في ملكه وصنعه ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ العرب، والأميُّ من لا يكتب ولا يقرأ كتاباً ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وإنهم ﴿كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿لَفِى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مدنية) أي: بالإجماع، وقوله: إحدى عشرة آية أي بلا خلاف. قوله: (تغليب للأكثر) وهو ما لا يعقل.

قوله: ﴿في الأميين﴾ أي: إليهم، وكذا قوله: وآخرين منهم أي: وإلى آخرين من الأميين، فهذا على حد: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] والاقتصار هنا في المبعوث إليهم على الأميين لا ينافي أنه مرسل إلى غيرهم، لأن ذلك مستفاد من دليل آخر كقوله: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ [سبأ: ٢٨] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رسولاً منهم﴾ أي: من جملتهم ومن نسبهم، فما من حي من العرب إلا وله فيهم قرابة وقد ولدوه. قال ابن إسحاق. إلا بني تغلب، فإن الله طهره منهم فلم يجعل لهم عليه ولادة لنصرانيتهم اهـ خطيب.

وفي الخازن: رسولاً منهم أي: أمياً مثلهم، وإنما كان أمياً لأن نعته في كتب الأنبياء النبي الأمي، وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي والحكمة، وتكون حاله مشاكلة لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب إلى صدقه اهـ.

قوله: ﴿يتلو عليهم آياته﴾ حال، أو نعت. قوله: (يطهرهم) أي: يحملهم على ما يصيرون به أذكياء من حيث العقائد اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإن كانوا﴾ حال، وقوله: مخففة من الثقيلة والدال على كونها مخففة وقوع اللام في

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ بيِّن ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على الأميين أي الموجودين ﴿مِنْهُمْ﴾ والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾ لم ﴿يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ في السابقة والفضل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ في ملكه وصنعه وهم التابعون، والاقتصار عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة، لأن كل قرن خير

حيزها، فإنها مختصة بالمخففة اهـ كرخي.

قوله: (عطف على الأميين) عبارة السمين: قوله: وآخرين منهم فيه وجهان، أحدهما: أنه مجرور عطفاً على الأميين أي: وبعثه في آخرين من الأميين، ولما يلحقوا بهم صفة لآخرين. والثاني: أنه منصوب عطفاً على الضمير المنصوب في يعلمهم أي: ويعلم آخرين لم يلحقوا بهم، وكل من يعلم شريعة محمد ﷺ إلى آخر الزمان، فرسول الله معلمه بالقوة لأنه أصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم اهـ.

قوله: (أي الموجودين) ﴿منهم﴾ تفسير للأميين المعطوف عليه أي: فالمراد بالأميين من كان من العرب موجوداً في زمنه ﷺ، وقوله: منهم حال أي: حال كون الموجودين في زمنه من مطلق الأميين، وقوله: والآتين تفسير لآخرين، وفي نسخة وآتين وهي مشاكلة لآخرين في عدم التعريف، وقوله: منهم حال من آخرين أي: حال كون الآخرين من مطلق الأميين، وقوله: بعدهم متعلق بالآتين أي: الآتين بعد الموجودين في زمنه، وفسر الآخرين بقوله: وهم التابعون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لما يلحقوا بهم﴾ (في السابقة) أي: في السبق إلى الإسلام والفضل أي: الشرف والدرجة، وهذا النفي مستمر دائماً لأن الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في شأنهم أحد من التابعين ولا ممن بعدهم، فالمنفي هنا غير متوقع الحصول، ولذلك لما ورد عليه أن لما تنفي ما هو متوقع الحصول والمنفي هنا ليس كذلك، فسرها بلم التي منفيها أعم من أن يكون متوقع الحصول أولاً. فلما هنا ليست على بابها اهـ شيخنا.

قوله: (والاقتصار عليهم) أي: على التابعين في تفسير الآخرين الذي جرى عليه عكرمة ومقاتل كاف الخ. وهذا من الشارح اعتذار عن العدول عن تفسير غيره لهم بمطلق المسلمين إلى يوم القيامة، ومحصل الاعتذار أنه إذا أشير بالآية إلى تفضيل الصحابة على التابعين لزم منه تفضيلهم على سائر الناس إلى يوم القيامة بواسطة ما ثبت أن كل قرن خير ممن يليه، فإذا ثبت فضلهم على التابعين ومن بعد التابعين أدون منهم ثبت فضلهم على من بعد التابعين بالطريق الأولى. هذا هو مراد الشارح فيما يظهر لكن يرد عليه أنه ليس السياق في بيان فضل الصحابة كما لا يخفى، بل في بيان من بعث إليهم النبي، فلو قال: والاقتصار عليهم كاف في بيان كون رسالته عامة لجميع من بعدهم إلى يوم القيامة لأنه إذا بعث للأشراف الأفضل فغيره أولى لكان أظهر اهـ شيخنا.

قوله: (ممن بعث إليهم) بيان لقوله من عداهم، وقوله: من جميع الخ بيان للبيان، وقوله: إلى يوم القيامة عام في الجميع أي: ويستمر هذا العموم في الأشخاص والأزمان والأوقات أيضاً إلى يوم القيامة، وقوله: لأن كل قرن الخ تعليل لقوله كاف أو للاستمرار المفاد بالغاية أي: وإنما استمر هذا

ممن يليه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ النبي ومن ذكر معه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ كلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ، فلم يؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ أي كتباً في عدم انتفاعه بها ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾

الحكم وانسحب إلى يوم القيامة لأن كل قرن الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي: الأمر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين بعد أن كان العرب أتباعاً لا وزن لهم عند غيرهم من الطوائف اهـ خطيب.

قوله: (النبي) تفسير لمن يشاء، وقوله: ومن ذكر معه وهم الأميون والآخرون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ الخ لما ترك اليهود العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ضرب الله لهم مثلاً فقال: مثل الذين الخ اهـ خطيب.

وفي الخازن: وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين أعرضوا عن العمل بالتوراة والإيمان بمحمد ﷺ شبه اليهود حيث لم ينتفعوا بما في التوراة الدالة على الإيمان بمحمد ﷺ بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، فكذلك اليهود الذين يقرأون التوراة ولا ينتفعون بها، لأنهم خالفوا ما فيها، وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه، ولهذا قال ميمون بن مهران: يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم اهـ.

قوله: ﴿حملوا التوراة﴾ هذه قراءة العامة، وقرأ زيد بن علي، ويحيى بن يعمر: حملوا مخففاً مبنياً للفاعل اهـ سمين.

قوله: (كلفوا العمل بها) عبارة الخازن: حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وليس هو من الحمل على الظهر، وإنما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل اهـ.

وفي المختار: بدين ودية من باب ضرب حمالة بفتح الحاء أي: كفل، وحمله الرسالة تحميلاً كلفه حملها وتحمل الحمالة حملها اهـ.

قوله: (فلم يؤمنوا منه) أي: النعت. قوله: ﴿كمثل الحمار﴾ أي: الذي هو أبلد الحيوان، فخص بالذكر لأنه في غاية الغباوة، فقوله: يحمل أسفاراً حال أو صفة اهـ شيخنا.

وهذه قراءة العامة، وقرأ عبد الله: كمثل حمار منكراً وهي في قوة قراءة الباقين، لأن المراد بالحمار الجنس، ولهذا وصف بالجملة بعده كما سيأتي، وقرأ المأمون بن هارون الرشيد يحمل مشدداً مبنياً للمفعول. والجملة من يحمل أو يحمل فيها وجهان، أحدهما: وهو المشهور أنها في موضع الحال من الحمار. والثاني: أنها في موضع الصفة للحمار لجريانه مجرى النكرة إذ المراد به الجنس. قال الزمخشري: أو الجر على الوصف، وقد تقدم تحرير هذا وأن منه عند بعضهم: ﴿وآية لهم الليل نسلخ﴾ [يسٓ: ٣٧] وأن نسلخ نعت الليل، والجمهور يجعلونه حالاً للتعريف اللفظي. وأما على قراءة عبد الله، فالجملة وصف فقط ولا يمتنع أن تكون حالاً عند سيبويه اهـ سمين.

قوله: (أي كتباً) أي: كتباً كباراً من كتب العلم جمع سفر وهو الكتاب الكبير لأنه سفر، ويكشف

المصدقة للنبي محمد ﷺ، والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ الكافرين ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد في الثاني، أي إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله، والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من

إذا قرىء عما فيه من المعاني اهـ خطيب.

وقوله: في عدم انتفاعه بها بيان لوجه الشبه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مثل القوم﴾ فاعل بئس، وقوله: الذين كذبوا الخ صفة للقوم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بآيات الله﴾ أي: دلائل الملك الأعظم على صدق رسله لاسيما محمد اهـ خطيب.

قوله: (الكافرين) أي: الذين سبق في علمه أنهم لا يؤمنون وإلاَّ فقد هدى كثيراً من الكفار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ أي تدينوا باليهودية وهي ملة موسى، ونزل هذا لما ادعت اليهود الفضيلة، وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وادعوا أن الدار الآخرة لهم خاصة وادعوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً، فأمر النبي ﷺ بأن يظهر كذبهم بأن يقول لهم إن زعمتم أنكم أولياء الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أنكم أولياء﴾ ساد مسد المفعولين أو المفعول على الخلاف، ولله متعلق بأولياء أو بمحذوف نعتاً لأولياء ومن دون الناس كذلك، وقوله: فتمنوا الموت جواب للشرط والعامة بضم الواو وهو الأصل في واو الضمير، وابن السميقع، وابن يعمر، وابن أبي إسحاق بكسرها وهو أصل التقاء الساكنين؛ وابن السميقع أيضاً بفتحها وهو طلب للتخفيف اهـ سمين.

قوله: (تعلق بتمنوا الخ) معناه أنه رتب عليهما، وقوله: (الشرطان) وهما إن زعتم إن كنتم صادقين، وقوله: (على أن الأول قيد في الثاني) أي شرط في الثاني، وهذا يقتضي أن الشرط في الحقيقة هو الثاني، وأن الأول شرط فيه هذا عكس القاعدة المشهورة، وهي أنه إذا علق جزاء بشرطين كان الأول هو الشرط بالحقيقة، والثاني شرط له، وأشار إليها ابن الوردي في البهجة بقوله:

وطالق إن دخلت إن أولا بعد أخير فعلت

فقوله: إن أولاً الخ يشير إلى أن الأول مشروط بالثاني، والشرط يتقدم على المشروط، فالشرط في الحقيقة هو الأول، والثاني شرط فيه اهـ شيخنا.

وقوله: وهذا عكس القاعدة الخ غير وارد، لأن القاعدة التي ذكرها مفروضة فيما إذا تقدم الجزاء على الشرطين أو تأخر عنهما، وأما إذا توسط بينهما كما في الآية فالقاعدة كما قال الشارح من أن الأول شرط في الثاني. وقد أوضح شيخ الإسلام ذلك في شرح منهجه عن قول المتن، أو قال: إن وطئتك فعبدي حر عن ظهاري إن ظاهرت تأمل. قوله: (ومبدؤها) أي: طريقها الموت.

قوله: ﴿ولا يتمنونه﴾ قال في البقرة: ولن يتمنوه. قال الزمخشري: لا فرق بين ولا ولن في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيداً وتشديداً ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد في ولن

كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ الكافرين ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ﴾ الفاء زائدة ﴿مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ فيجازيكم به ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن﴾ بمعنى في ﴿يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟﴾

يتمنوه ومرة بغير لفظه وفي ولا يتمنونه. قال الشيخ: هذا رجوع منه عن مذهبه، وهو أن لن تقتضي النفي على التأبيد إلى مذهب الجماعة وهو أنها تقتضيه. قلت: ليس فيه رجوع غاية ما فيه أنه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى آخر اهـ سمين.

وهذا إخبار بما سيكون منهم في المستقبل والباء في بما سببية متعلقة لنفي، وما عبارة عن كفرهم ومعاصيهم الموجبة لدخول النار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذي تفرون منه﴾ أي: تخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم اهـ بيضاوي.

قوله: (الفاء زائدة) عبارة السمين: في الفاء وجهان، أحدهما: أنها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول في ذلك. والثاني: أنها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور. وقرأ زيد بن علي أنه بدون فاء، وفيها أيضاً أوجه، أحدها: أنه مستأنف وحينئذ يكون الخبر نفس الموصول، كأنه قيل: إن الموت هو الشيء الذي تفرون منه قاله الزمخشري. الثاني: أن الخبر الجملة من إنه ملاقيكم، وحينئذ يكون الموصول نعتاً للموت. الثالث: أن يكون إنه تأكيداً لأن الموت لما طال الكلام أكد الحرف توكيداً لفظياً، وقد عرفت أنه لا يؤكد كذلك إلا بإعادة ما دخل عليه أو بإعادة ضميره، فأكد بإعادة ضمير ما دخلت عليه إن، وحينئذ يكون الموصول نعتاً للموت وملاقيكم خبره كأنه قيل: إن الموت إنه ملاقيكم اهـ.

قوله: ﴿ثم تردون﴾ الخ لما كان المقام في البرزخ أمراً مهولاً لا بد منه نبه عليه وعلى طوله بأداة التراخي فقال: ثم تردون الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿إذا نودي للصلاة﴾ المراد بهذا النداء الأذان عند قعود الخطيب على المنبر لأنه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداء سواه، فكان له مؤذن واحد إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد، فإذا نزل أقام الصلاة، ثم كان أبو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان، وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذاناً آخر فأمر بالتأذين أولاً على داره التي تسمى الزوراء، فإذا سمعوا أقبلوا حتى إذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانياً ولم يخالفه أحد في ذلك القول لقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» اهـ خطيب.

قوله: ﴿من يوم الجمعة﴾ من هذه بيان لإذا نودي وتفسير لها قاله الزمخشري، وقال أبو البقاء: إنها بمعنى في أي في يوم الجمعة وقرأ العامة: الجمعة بضمتين، وقرأ ابن الزبير وزيد بن علي، وأبو حيوة، وأبو عمر، وفي رواية بسكون الميم فقيل: هي لغة في الأولى وسكنت تخفيفاً وهي لغة تميم، وقيل: هو مصدر بمعنى الاجتماع، وقيل: لما كان بمعنى الفعل صار كرجل هزأة أي: يهزأ به، فلما كان في الجمعة معنى التجمع سكن لأنه مفعول به المعنى: أو يشبهه، فصار كهزأة للذي يهزأ أي: يهزأ

فامضوا ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي الصلاة ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أي اتركوا عقده ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

به قاله مكي، وكذا قال أبو البقاء هو بمعنى المجتمع فيه مثل رجل ضحكة أي: يضحك منه، وقال مكي: يجوز إسكان الميم تخفيفاً، وقيل: هي لغة قلت: قد تقدم أنها قراءة وأنها لغة تميم، وقال الشيخ: ولغة فتحها لم يقرأ بها. قلت: قد نقلها قراءة أبو البقاء فقال: ويقرأ بفتح الميم بمعنى الفاعل أي: يوم المكان الجامع مثل رجل ضحكة أي: كثير الضحك. وقال مكي: قريباً منه، فإنه قال: وفيه لغة ثالثة بفتح الميم على نسبة الفعل إليها كأنها تجمع الناس كما يقال: رجل لحنة إذا كان يلحن الناس، وقرأة إذا كان يقرىء الناس، ونقلها قراءة أيضاً الزمخشري إلا أنه جعل الجمعة بالسكون على الأصل والمضموم مخففاً منه اهـ سمين.

وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة، وقيل: سماه كعب ابن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه، وأول جمعة جمعها رسول الله ﷺ أنه لما قدم المدينة نزل بقباء وأقام بها إلى الجمعة، ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف اهـ بيضاوي.

فائدة:

قال الشيخ الرحماني في حاشيته على التحرير: والحاصل أن أفضل الليالي ليلة المولد، ثم ليلة القدر، ثم ليلة الإسراء، فعرفة، فالجمعة، فنصف شعبان، فالعيد، وأفضل الأيام يوم عرفة، ثم يوم نصف شعبان، ثم الجمعة، والليل أفضل من النهار اهـ.

قوله: (بمعنى في) أي كقوله: أروني ماذا خلقوا من الأرض، وتبع في هذا أبا البقاء وقال في الكشاف: بيان لإذا وتفسير لها، وجمع الكواشي بينهما اهـ كرخي.

قوله: (فامضوا) أشار به إلى أنه ليس المراد من السعي الإسراع في المشي، بل المراد القصد كقوله: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩] وقول الداعي: وإليك نسعى ونحفد اهـ كرخي.

وفي القرطبي: واختلف في معنى السعي هنا على ثلاثة أقوال، أولها: القصد قال الحسن: والله ما هو سعي على الأقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية. والثاني: أنه العمل كقوله تعالى: ﴿من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن﴾ [الإسراء: ١٩] وقوله: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ [الليل: ٤] وقوله: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩] الثالث: المراد به السعي على الأقدام وذلك فضيلة وليس بشرط اهـ.

قوله: (أي اتركوا عقده) أي: فالمراد بالبيع العقد بتمامه، فالآية خطاب لكل من البائع والمشتري اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي: المذكور من السعي وترك الاشتغال بالدنيا خير لكم أي: من البيع والتكسب في ذلك الوقت اهـ شيخنا.

وتمسك بهذا الشافعية في أن البيع وقت الأذان والخطبة إلى انقضاء الصلاة صحيح مع الحرمة.

تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ أنه خير فافعلوه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أمر إباحة ﴿وَٱبۡتَغُواْ﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ ذكراً ﴿كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ تفوزون، كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير، وضرب لقدومها الطبل على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزل ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ أي التجارة، لأنها مطلوبهم دون اللهو

قال في الكشاف: عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب الفساد لأن البيع لم يحرم لعينه، بل لما فيه من التشاغل عن الصلاة فهو كالصلاة في الأرض المغصوبة، وقال مالك: ما وقع في الوقت المذكور يفسخ وكذا سائر العقود اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي: أديت وفرغ منها بيضاوي، وقوله: فانتشروا في الأرض أي: للتجارة والتصرف في حوائجكم اهـ خطيب.

وقوله: أمر إباحة أخره الخطيب عن قوله: وابتغوا: من فضل الله وهو ظاهر. اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ أي: فلا تقصروا ذكره على حالة الصلاة اهـ خطيب.

قوله: (كان ﷺ الخ) شروع في بيان سبب نزول قوله: ﴿وإذا رأوا تجارة﴾ اهـ شيخنا.

وقوله: يخطب يوم الجمعة أي: بعد الصلاة كالعيدين اهـ.

قوله: (فقدمت عير) أي: من الشام قدم بها دحية بن خليفة الكلبي، وكان الوقت وقت غلاء في المدينة، وكان في تلك القافلة جميع ما يحتاج إليه الناس من بر ودقيق وزيت وغيرها، فنزل بها عند أحجار الزيت موضع بسوق المدينة، وضرب الطبل ليعلم الناس بقدومه فيبتاعوا منه، وقوله: فخرج لها الناس أي: مسرعين خوفاً أن يسبقوا إلى الشراء فيفوتهم تحصيل القوت والوقت كان صعباً، وقال قتادة: بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام ويوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة، وقيل: ضربه أهل المدينة على العادة في أنهم كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق أو ضربه أهل القادم بها أقوال ثلاث حكاها الخطيب اهـ.

قوله: (غير اثني عشر رجلاً) وفي رواية: إن الذين بقوا معه أربعون رجلاً، وفي أخرى أنهم ثمانية، وفي أخرى أنهم إحدى عشر، وفي أخرى أنهم ثلاثة عشر، وفي أخرى أنهم أربعة عشر، فهذا منشأ الخلاف بين الأئمة في العدد الذي تنعقد به الجمعة اهـ من القرطبي.

وعند ذلك قال ﷺ: «لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً» اهـ خطيب.

(فنزل) ﴿وإذا رأوا﴾ أي: علموا ومفعوله الثاني محذوف أي: قدمت وحصلت. قوله: ﴿انفضوا إليها﴾ والذي سوغ لهم الخروج وترك رسول الله ﷺ يخطب أنهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة، لأنه كان أول الإسلام يصلي الجمعة قبل الخطبة كالعيدين، فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخرَّ الصلاة اهـ خطيب.

قوله: (لأنها مطلوبهم) أي: بالذات واللهو تابع. قوله: ﴿وتركوك قائماً﴾ جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مقدرة عند بعضهم وقوله: ما عند الله ما موصولة مبتدأ وخير خبرها اهـ سمين.

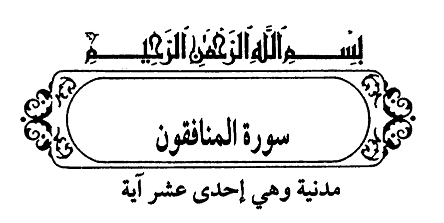
﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَآئِمًاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ﴾ للذين آمنوا ﴿مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته، أي من رزق الله تعالى.

قوله: ﴿قل ما عند الله﴾ أي: قل لهم تأديباً وزجراً لهم عن العود لمثل هذا الفعل اهـ سمين.

وقوله: من الثواب أي: على الثبات مع رسول الله ﷺ، وقوله: خير أي من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم اهـ خطيب.

وإنما كان خيراً لأنه محقق مخلد بخلاف ما يتوهمونه من نفع التجارة واللهو، ونفع اللهو ليس بمحقق، ونفع التجارة ليس بمخلد، ومنه يعلم وجه تقديم اللهو فإن الأعدام تقدم على الملكات اهـ كرخي.

قوله: (يقال كل إنسان الخ) إشارة إلى تصحيح صيغة التفضيل أي: أن الرازقين متعددون والله خيرهم من حيث إنه لا يقطع الرزق عمن عصاه وعاداه وغيره يقطعه وتعددهم إنما هو على سبيل المجاز من حيث إنه يقال كل إنسان الخ. وإلا فالرزاق بالحقيقة هو الله وحده والعائلة العيال، وقوله: أي من رزق الله تصحيح لهذا القول المذكور. أي: فليس المراد به أن كل إنسان يرزق عائلته بالاستقلال ولا بحوله وقوته اهـ شيخنا.



مدنية وهي إحدى عشر آية

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟﴾ بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وفي بعض نسخ الشارح سورة المنافقين بالياء. **قوله**: (مدنية) أي: بالإجماع، وقوله: إحدى عشرة آية أي: بلا خلاف.

قوله: **﴿إذا جاءك﴾** أي: حضر مجلسك المنافقون، كعبد الله بن أبي وأصحابه وهذا شرط، وجوابه: قالوا، وقيل: جوابه محذوف، وقالوا: حال أي: إذا جاؤوك حال كونهم قائلين كيت وكيت فلا تقبل منهم، وقيل: الجواب اتخذوا أيمانهم جنة وهو بعيد، وقالوا أيضاً: حال اهـ سمين.

قال ابن إسحاق وغيره من أصحاب السير: إن رسول الله ﷺ لما غزا بني المصطلق وازدحم الناس على الماء اقتتل رجلان، أحدهما: من المهاجرين جهجاه بن أسيد وكان أجيراً لعمر يقود له فرسه، والثاني: من الأنصار اسمه سنان الجهني كان حليفاً لعبد الله بن أبي، فلما اقتتلا صاح جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار، فأعان جهجاهاً رجل من فقراء المهاجرين ولطم سناناً، فقال عبد الله بن أبي: ما صحبنا محمداً إلا لتلطم وجوهنا والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم قد أنزلتموهم بلادكم وقاسمتوهم في أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لتحولوا من عندكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد. فسمع ذلك زيد بن أرقم رضي الله عنه فبلغه لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعبد الله: «أنت صاحب الكلام الذي بلغني عنك» فحلف أنه ما قال شيئاً وأنكر فهو قوله: **﴿اتخذوا أيمانهم جنة)** الخ فأنزل الله قوله: **﴿إذا جاءك المنافقون﴾** الخ اهـ خطيب.

وفي القرطبي: روى زيد بن أرقم قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي، فذكر ذلك عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسولاً إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي، فأنزل الله عز وجل: **﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾** إلى قوله: **﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا**

إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ فيما أضمروه مخالفاً لما قالوه ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ سترة على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّواْ﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الجهاد فيهم ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بالقلب، أي استمروا على كفرهم به ﴿فَطُبِعَ﴾ ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾

على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾ إلى قوله: ﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ فأرسل إلي رسول الله ﷺ ثم قال: إن الله قد صدقك. خرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح اهـ.

قوله: ﴿نشهد إنك لرسول الله﴾ جرى مجرى القسم كفعل العلم واليقين، ولذلك تلقي بما يتلقى به القسم في قوله: إنك لرسول الله. وفي القرطبي: قالوا نشهد إنك لرسول الله. قيل: معنى نشهد نحلف فعبر عن الحلف بالشهادة لأن كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر معين، ويحتمل أن يكون ذلك محمولاً على ظاهره نفياً للنفاق عن أنفسهم وهو الأشبه اهـ.

قوله: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ جملة معترضة بين قولهم: نشهد إنك لرسول الله، وبين قوله: والله يشهد الخ المكذب لقولهم، وفائدة الاعتراض أنه لو اتصل التكذيب بقولهم لربما توهم أن قولهم في حد ذاته كذب، فاتبع بالاعتراض لدفع هذا الإيهام اهـ خطيب.

قوله: ﴿لكاذبون﴾ (فيما أضمروه) أي: من أنك غير رسول الله، وفي الخازن: لكاذبون يعني في قولهم نشهد إنك لرسول الله لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا، وذلك لأن حقيقة الإيمان أن يواطىء اللسان القلب، فمن أخبر عن شيء واعتقده خلافه أي: أضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب. ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد إنك لرسول الله وسماه كذباً لأن قولهم خالف اعتقادهم اهـ.

قوله: ﴿اتخذ أيمانهم﴾ أي: كلها من شهادتهم هذه وكل يمين سواها اهـ خطيب.

وتقدم أنه يجوز أن يكون هذا جواباً للشرط، ويجوز أن يكون مستأنفاً جيء به لبيان كذبهم وحلفه عليه أي: أن الحامل لهم على الإيمان اتقاؤهم بها على أنفسهم، والعامة على فتح الهمزة جمع يمين والحسن بكسرها مصدراً، وقد تقدم مثله في المجادلة، والجنة الترس ونحوه وكل ما يقيك سوءاً، ومن كلام الفصحاء جبة البرد جنة البرد اهـ سمين.

قوله: ﴿ساء ما كانوا يعملون﴾ ساء هذه هي الجارية مجرى بئس في إفادة الذم مع ذلك ففيها معنى التعجيب وتعظيم أمرهم عند السامعين اهـ من أبي السعود.

قوله: ﴿بأنهم آمنوا﴾ (باللسان الخ) جواب عما يقال المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم، فما معنى قوله: آمنوا ثم كفروا؟ وإيضاحه: أن معناه أنهم آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم، فثم للترتيب الإخباري لا الإيجادي اهـ كرخي.

قوله: ﴿فهم لا يفقهون﴾ (الإيمان) عبارة البيضاوي: فهم لا يفقهون حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحته اهـ.

الإيمان ﴿۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم في ترك التفهم ﴿خُشُبٌ﴾ بسكون الشين وضمها ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ ممالة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تصاح كنداء في العسكر وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب أن

قوله: (لجمالها) قال ابن عباس: كان ابن أبي جسيماً صحيحاً فصيحاً ذلق اللسان، وكان قوم من المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس النبي ﷺ ويستندون فيه إلى الجدار، وكان النبي ومن حضر يعجبون بهياكلهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿وإن يقولوا﴾ أي: يتكلموا في مجلسك تسمع أي: تستمع اهـ خطيب.

وضمن تسمع معنى تصغي وتميل، فلذلك عدي باللام اهـ سمين.

قوله: ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ في هذه الجملة ثلاثة أوجه. أحدها: أنها مستأنفة. والثاني: أنها خبر مبتدأ مضمر أي هم كأنهم، قالهما الزمخشري. والثالث: أنها في محل نصب على الحال وصاحب الحال الضمير في قولهم قاله أبو البقاء اهـ سمين.

قوله: (من عظم أجسامهم الخ) أي: من أجل عظم الخ، وهذا بيان لوجه الشبه، وفي البيضاوي: مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن العلم والنظر اهـ.

قوله: (بسكون الشين وضمها) سبعيتان. وفي المصباح: الخشب معروف الواحدة خشبة والخشب بضمتين وإسكان الثاني تخفيف مثله، وقيل: المضموم جمع المفتوح كالأسد بضمتين جمع أسد بفتحتين اهـ.

قوله: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ يعني أنهم لا يسمعون صوتاً في العسكر من نداء كل مناد في إنشاد ضالة أو انفلات دابة إلا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك، وظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب، وقيل: إنهم على خوف ووجل من أن ينزل فيهم أمر يهتك أستارهم ويبيح دماءهم اهـ خازن.

قوله: ﴿كل صيحة﴾ عليهم مفعول أول، وقوله: مفعول ثان أي: كائنة عليهم اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: يحسبون كل صيحة عليهم فيه وجهان، أظهرهما: أن عليهم هو المفعول للحسبان أي: واقعة كائنة عليهم، ويكون قوله هم العدو جملة مستأنفة أخبر تعالى بذلك. والثاني: أن يكون عليهم متعلقاً بصيحة وهم العدو جملة في موضع المفعول الثاني للحسبان. قال الزمخشري: ويجوز أن يكون هم العدو هو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير اهـ.

وتعقبه أبو السعود بقوله: والجملة مستأنفة وجعلها مفعولاً ثانياً للحسبان بما لا يساعده النظم الكريم أصلاً، فإن الفاء في قوله: فاحذرهم لترتيب الأمر بالحذر على كونهم أعدى الأعداء اهـ.

قوله: (لما في قلوبهم من الرعب) متعلق بيحسبون أي: سبب هذا الحسبان الرعب القائم بقلوبهم، وقوله: أن ينزل فيهم متعلق بالرعب على تقدير الجار، أي: لما في قلوبهم من الرعب أي: الخوف من أن ينزل فيهم ما يبيح أي: قرآن يبيح دماءهم فيقاتلون أي: يقاتلهم المسلمون اهـ.

ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ فإنهم يفشون سرك للكفار ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾ معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ﴾ بالتشديد والتخفيف عطفوا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة

قوله: ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يلعنهم أو تعليم المؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك اهـ بيضاوي.

وقوله: أن يلعنهم إشارة إلى أن قاتل بمعنى لعن وطرد وعلى هذا فلا طلب، وإنما المراد أن وقوع اللعن بهم مقرر لا بد منه اهـ شهاب.

وفي الكرخي: قوله: قاتلهم الله أهلكهم. إيضاحه: أن معناه أحلهم الله محل من قاتله عدو قاهر يهلكه، لأن الله تعالى قاهر لكل معاند فإذا قاتلهم أهلكهم، وهذا ما جرى عليه أبو عيسى، وجاء عن ابن عباس: أن معناه طلب من ذاته تعالى أن يلعنهم، فالمعنى لعنهم الله ولا طلب هناك حقيقة، بل عبارة الطلب للدلالة على أن اللعن عليهم مما لا بد منه. قال القرطبي: يعني أنه من أسلوب التجريد كقراءة ابن عباس في قوله تعالى: ومن كفر فأمتعه على الأمر أي: أمتعه يا قادر اهـ.

قوله: (بعد قيام البرهان) أي: على حقيقة الإيمان.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر﴾ قد تنازعا في رسول الله، فالأول يطلبه مفعولاً، والثاني يطلبه فاعلاً، فأعمل الثاني لقربه وأضمر في الأول أي: تعالوا إليه، ويستغفر مجزوم في جواب الأمر، وقوله: لووا رؤوسهم جواب إذا اهـ شيخنا.

وفي السمين: وهذه المسألة عدها النحاة من الإعمال، وذلك أن تعالوا يطلب رسول الله مجروراً بإلى أي تعالوا إلى رسول الله ويستغفر يطلبه فاعلاً فأعمل الثاني، ولذلك رفعه وحذف الأول إذ التقدير تعالوا إليه، ولو أعلم الأول لقيل إلى رسول الله فيضمر في يستغفر فاعل، ويمكن أن يقال ليست هذه من الأعمال في شيء لأن قوله: تعالوا أمر بالإقبال من حيث هو لا بالنظر إلى مقبل عليه اهـ.

روى أنه لما نزل القرآن بفضيحتهم وكذبهم كقوله: ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون: ١] إلخ أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا: ويحكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم، فأتوا رسول الله ﷺ وتوبوا إليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم، فلووا رؤوسهم أي حركوها إعراضاً وإباءة قاله ابن عباس، وروي أن ابن أبي لوى رأسه وقال لهم قد أشرتم عليَّ بالإيمان فآمنت، وبإعطاء زكاة مالي ففعلت، ولم يبق إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد، فنزل: وإذا قيل لهم تعالوا الخ. فلم يلبث ابن أبي إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات منافقاً اهـ خطيب.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان. قوله: ﴿ورأيتهم يصدون﴾ رأى بصرية. قوله: يصدون حال من الهاء، وقوله: يعرضون عن ذلك أي: عما دعوا إليه من الاعتذار واستغفار الرسول لهم، وقوله: وهم مستكبرون حال من الواو في يصدون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سواء عليهم﴾ الخ تيئيس له من إيمانهم، لأنه ربما يحب صلاحهم وأن يستغفر لهم،

الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

وربما ندبه إلى ذلك بعض أقاربهم فقال تعالى منبهاً له على أنهم ليسوا بأهل للاستغفار، لأنهم لا يؤمنون بقوله: سواء عليهم الخ اهـ خطيب.

قوله: (استغنى) أي: في التوصل للنطق بالساكن، وقوله: بهمزة الاستفهام أي: بحسب الأصل، وإلاّ فهي هنا للتسوية لوقوعها بعد سواء اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: استغنى بهمزة الاستفهام الخ أشار به إلى قراءة السبعة استغفرت بهمزة قطع مفتوحة من غير مد وهي همزة التسوية التي أصلها الاستفهام وهمزة الوصل محذوف، قال أبو البقاء: وقد وصلها قوم على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه، وقرىء شاذاً استغفرت بهمزة ثم ألف، وخرجها الزمخشري على أن المد إشباع لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفاً كما في السحر والله اهـ.

قوله: ﴿الذين يقولون﴾ الخ استئناف جار مجرى التعليل اهـ أبو السعود.

ولعدم هداية الله لهم اهـ شيخنا.

قوله: (من الأنصار) أي: المخلصين في الإيمان وصحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على من عند رسول الله﴾ الظاهر أنه حكاية ما قالوه بعينه لأنهم منافقون مقرون برسالته ظاهراً، ولا حاجة إلى أنهم قالوه تهكماً أو لغلبته عليه حتى صار كالعلم كما قيل، ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله إجلالاً لنبيه ﷺ اهـ شهاب.

قوله: ﴿حتى ينفضوا﴾ حتى تعليلية أي: لأجل أن ينفضوا، وقوله: يتفرقوا عنه أي: بأن يذهب كل واحد منهم إلى أهله وشغله الذي كان له قبل ذلك اهـ خطيب.

قوله: ﴿ولله خزائن السموات﴾ الخ الجملة حالية أي قالوا: ما ذكر، والحال أن الرزق بيده تعالى لا بأيديهم اهـ شيخنا.

وهذا ردّ وإبطال لما زعموا من أن عدم إنفاقهم يؤدي إلى انفضاض الفقراء من حوله ببيان أن خزائن الأرزاق بيده تعالى اهـ أبو السعود.

فهو يعطي من يشاء منها حتى بواسطة أيديهم لا يقدر أحد على منع شيء من ذلك لا مما في يده ولا مما في يد غيره، على أنهم لو فعلوا ذلك لهيأ الله تعالى غيرهم للإنفاق، أو أمر رسوله فدعا في الشيء اليسير فصار كثيراً، أو كان لا ينفد اهـ خطيب.

قوله: (بالرزق) متعلق بخزائن على أنها بمعنى المخزونات أي المملوءات بالرزق اهـ شيخنا.

﴿لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ أي من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ عنوا به أنفسهم ﴿مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ عنوا به المؤمنين ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾ تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن

قوله: ﴿يقولون لئن رجعنا﴾ الخ هذا في المعنى معطوف على يقولون قبله، لأن المقالتين سببهما واحد. وهو ما تقدم ذكره الذي حاصله أنه اقتتل بعض المهاجرين وبعض الأنصار، فبلغ ذلك عبد الله ابن أبي فقال المقالتين المذكورتين اهـ.

قوله: (من غزوة بني المصطلق) وكانت في السنة الرابعة، وقيل: في السادسة، وسببها أن رسول الله ﷺ، بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم الحرث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فوقع القتال فهزم الله بني المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم فأفاءها عليهم اهـ خازن.

وكان سبيهم سبعمائة، فلما أخذ النبي جويرية من السبي لنفسه أعتقها وتزوجها، فقال المسلمون: صار بنو المصطلق أصهار رسول الله، فأطلقوا ما بأيديهم من السبي إكراماً لرسول الله، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: وما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية، ولقد أعتق بتزوج الله لها مائة أهل بيت من بني المصطلق اهـ.

قوله: ﴿ولله العزة﴾ الخ الجملة حالية أي قالوا: ما ذكر، والحال أن كل من له نوع بصيرة يعلم أن العزة لله الخ اهـ شيخنا.

وعزة الله قهره وغلبته لأعدائه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم اهـ خازن.

قوله: ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ ختم هذه الآية بلا يعلمون، وما قبلها بلا يفقهون، لأن الأول متصل بقوله: ولله خزائن السموات والأرض لأن معرفتها غموضاً يحتاج إلى فطنة وفقه فناسب نفي الفقه عنهم، والثاني متصل بقوله: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي معرفتها غموض زائد يحتاج إلى علم فناسب نفي العلم عنهم، فالمعنى لا يعلمون أن الله معز أوليائه ومذل أعدائه. والحاصل أنه لما أثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة أثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون اهـ كرخي.

وفي شرح جمع الجوامع: ومن قوادح العلة القول بالموجب بفتح الجيم، وهو تسليم الدليل مع بقاء النزاع بأن يظهر المعترض عدم استلزام الدليل لمحل النزاع وشاهده ولله العزة ولرسوله في جواب ليخرجن الأعز منها الأذل اهـ.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ نهي لهم عن التشبه بالمنافقين في الاغترار بالأموال والأولاد اهـ خطيب.

﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الصلوات الخمس ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿وَأَنفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ بمعنى هلا، أو لا زائدة ولو للتمني ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ بإدغام التام، في الأصل في الصاد أتصدق بالزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ بأن أحج، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما قصر أحد في الزكاة والحج، إلاّ

قوله: ﴿أموالكم﴾ أي: تدبيرها والاهتمام بها. قوله: (الصلوات الخمس) هذا قول الضحاك، وقال الحسن: عن جميع الفرائض، وقيل: عن الحج والزكاة، وقيل: عن قراءة القرآن، وقيل: عن إدامة الذكر اهـ خطيب.

قوله: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: الاشتغال بها عما ذكر اهـ شيخنا.

وقوله: فأولئك هم الخاسرون أي: لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني اهـ بيضاوي.

قال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم» أخرجه الترمذي عن أبي هريرة اهـ كرخي.

قوله: ﴿بما رزقناكم﴾ من تبعيضية، وفي التبعيض بإسناد الرزق منه تعالى إلى نفسه زيادة ترغيب في الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة، ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ أي: علاماته ودلائله اهـ بيضاوي.

يعني أن فيه مضافاً مقدراً، والمراد بدلائله أماراته ومقدماته، فالتقدير من قبل أن يأتي أحدكم مقدمات الموت، ولا بد من هذا التقدير ليصح تفريع قوله: فيقول الخ عليه وأما حمله على ظاهره من غير تقدير، وجعل قوله لولا أخرتني الخ سؤالاً للرجعة فبعيد متكلف اهـ شهاب.

قوله: ﴿فيقول رب﴾ معطوف على أن يأتي مسبب عنه اهـ شيخنا.

قوله: (بمعنى هلا) أي: التي معناها للتحضيض وتختص بما لفظه ماض وهو في تأويل المضارع كما هنا فإنه ماض بمعنى المضارع، إذ لا معنى لطلب التأخير في الزمن الماضي، والأصل: هلا تؤخرني إلى أجل قريب، وقوله: ولو للتمني، والتقدير حينئذ ليتكَ أخرتني إلى أجل قريب، كقوله:

ليت الشباب يعود يوماً

وقضية كلام الكشاف أن لولا بمعنى هل الاستفهامية اهـ.

قوله: ﴿أخرتني﴾ أي: أخرت موتي إلى أجل أي: زمن قريب أي: قليل بقدر ما أستدرك فيه ما فاتني. قوله: ﴿وأكن من الصالحين﴾ يرسم بدون واو كما في خط المصحف الإمام، وأما في اللفظ ففيه قراءتان سبعيتان أكون بإثبات الواو والنصب ونصبه بالعطف على فأصدق المنصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية في جواب الطلب أي: التحضيض أو التمني، أوما الجزم فالبعطف على محل فأصدق، فكأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن اهـ شيخنا.

قوله: (قال ابن عباس الخ) أشار به إلى ما رواه الترمذي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل إلا سأل الله الرجعة عند

سأل الرجعة عند الموت ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ بالتاء والياء.

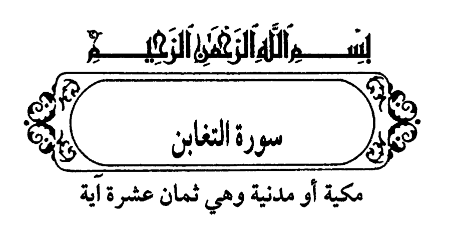
الموت. ورواه الحسن بن أبي الحسن في كتاب منهاج الدين، عن ابن عباس مرفوعاً اهـ كرخي.

قوله: (عند الموت) أي: عند رؤية اماراته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولن يؤخر الله نفساً﴾ الخ معطوف على مقدر فلا يؤخر الله هذا الأحد المتمني، لأنه لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها أية كانت، فلا يؤخر نفس هذا القائل لأنها من جملة النفوس التي شملها النفي اهـ خطيب بتصرف.

واستنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبي ﷺ، لأن السورة رأس ثلاث وستين سورة، وعقبت بالتغابن إشارة لظهور التغابن بوفاته ﷺ اهـ كرخي.

قوله: ﴿إذا جاء أجلها﴾ أي: آخر عمرها. **قوله: (بالتاء)** أي: مناسبة لقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ [المنافقون: ٩] وقوله: والياء أي: مناسبة لقوله: ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ اهـ شيخنا.



سورة التغابن

مكية أو مدنية وهي ثمان عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي ينزهه، فاللام زائدة، وأتى بما دون من تغليباً للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: إلا قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم﴾ [التغابن: ١٤] إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكا إلى النبي ﷺ جفاء أهله وولده، وكان إذا أراد الغزو بكوا له ورققوه، وقالوا: إلى من تدعنا فيرق فيقعد عن الجهاد، فنزلت هذه الآيات إلى آخر السورة بالمدينة كما سيأتي اهـ خطيب.

وهذا قول ابن عباس وغيره، وقوله: أو مدنية قاله عكرمة وهو قول الأكثرين اهـ كرخي.

قوله: (ثماني عشرة آية) أي: بالاتفاق اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما في الأرض﴾ كررت ما هنا، وفي قوله: وما تعلنون تأكيداً وتعميماً وللاختلاف، لأن تسبيح ما في السموات مخالف لتسبيح ما في الأرض كثرة وقلة وإسرارنا مخالفة لعلانيتنا ولم تكرر في قوله: ﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ [التغابن: ٤] لعدم اختلاف علمه تعالى إذ علمه بما تحت الأرض كعلمه بما فوقها، وعلمه بما كان كعلمه بما يكون اهـ كرخي.

قوله: ﴿له الملك وله الحمد﴾ قدم الخبر فيهما للدلالة على اختصاص الأمرين به تعالى من حيث الحقيقة لأنه مبدىء كل شيء ومبدعه، فكان الملك له حقيقة دون غيره، ولأن أصول النعم وفروعها منه تعالى فالحمد له بالحقيقة وحمد غيره إنما يقع من حيث ظاهر الحال وجريان النعم على يديه اهـ كرخي.

والملك هو الاستيلاء والتمكن من التصرف في كل شيء على حسب ما أراد في الأذل قال الرازي: الملك تمام القدرة واستحكامها يقال: ملك بين الملك بالضم ومالك بين الملك بالكسر اهـ.

قوله: ﴿هو الذي خلقكم﴾ أي: قدر خلقكم في الأزل، وكذا قوله: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ أي: مقضي بكفره وإيمانه أزلاً، وأشار لهذا التفسير بقوله: في أصل الخلقة وهو المناسب لقوله: ثم يميتهم الخ، فإن الموت إنما يكون على ما سبق في الأزل على ما وقع في الخارج لأنه يتبدل

أصل الخلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَؤُاْ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ عقوبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ﴾ في الأخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٥﴾ مؤلم ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي عذاب الدنيا ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَت

كثيراً، ومقتضى ظاهر الحال أن يقول: ثم يميتكم ويعيدكم لكنه راعى لفظ الخبر، وهو ما رواه ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً ويعيدهم في القيامة مؤمناً وكافراً» رواه الخطيب وغيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ ظاهر تقديرهم أنه معطوف على الصلة ولا يضره عدم العائد لأن المعطوف بالفاء يكفيه وجود العائد في إحدى الجملتين، أو نقول هي معطوفة على جملة هو الذي الخ اهـ شهاب.

وفي الخطيب: وقيل: إنه خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا والتقدير: هو الذي خلقكم ثم وصفكم. فقال: فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه﴾ [النور: ٤٥] الآية. قالوا: فإنه خلقهم والمشي فعلهم، وهذا اختيار الحسين بن الفضيل قال: لو خلقهم مؤمنين، وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله تعالى: فمنكم كافر ومنكم مؤمن، واحتجوا بقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» اهـ.

قوله: ﴿بالحق﴾ الباء للملابسة أي: خلقنا ملتبساً بالحق أي: الحكمة البالغة اهـ شيخنا.

قوله: (إذا جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال) بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن يكون على صورة من سائر الصور غير صورة البشر، ومن حسن صورته أن خلقه منتصباً غير منقلب على وجهه، فإن قيل: قد يوجد كثير من الناس مشوه الخلقة مسمج الصورة؟ أجيب: بأن صورة البشر من حيث هي أحسن سائر الصور، والسماجة والتشوه إنما هو بالنسبة لصورة أخرى منها، فلو قابلت بين الصورة المشوهة وبين صورة الفرس أو غيرها من الحيوانات لرأيت صورة البشر المشوهة أحسن اهـ من الخطيب.

قوله: ﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ وقوله: ﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ وقوله: ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ كل واحدة من هذه الثلاث أخص مما قبلها وجمع بينها إشارة إلى أن علمه تعالى محيط بالجزئيات والكليات لا يعزب عنه شيء من الأشياء اهـ خطيب.

قوله: ﴿ألم يأتكم﴾ استفهام توبيخ أو تقرير، وقوله: ﴿نبأ الذين كفروا من قبل﴾ أي: من قبلكم، وقوله: ﴿فذاقوا﴾ معطوف على كفروا عطف المسبب على السبب وعبّر عن العقوبة بالوبال إشارة إلى أنها كالشيء الثقيل المحسوس، وذلك لأن الوبال في الأصل الثقل، ومنه الوبيل للطعام الذي يثقل على المعدة، والوابل للمطر الثقيل القطر اهـ شيخنا.

قوله: (أي عذاب الدنيا) أي: وعذاب الآخرة أيضاً كما في البيضاوي.

تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ﴾ أريد به الجنس ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ﴾ عن الإيمان ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ محمود في أفعاله ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي أنهم ﴿لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ اذكر

قوله: ﴿فقالوا أبشر﴾ معطوف على كانت أي: قال كل فريق من المذكورين في حق رسولهم الذي أتاهم أبشر يهدينا، كما قالت ثمود: أبشراً منا واحداً نتبعه، وقد أجمل في الحكاية فأسند القول إلى جميع الأقوام كما أجمل الخطاب والأمر في قوله: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾ [المؤمنون: ٥١] اهـ أبو السعود.

والاستفهام للإنكار ومن غباوتهم أنهم أنكروا أن يكون الرسول بشراً وسلموا واعتقدوا أن الإله يكون حجراً، وبشر مرفوع على الفاعلية بفعل مضمر يفسره المذكور، فالمسألة من باب الاشتغال وهو الأرجح، ويجوز أن يكون مبتدأ وما بعده خبره، وقوله: أريد به الجنس أي: فلذا صح الجمع في قوله: يهدوننا ولم يقل يهدينا الذي هو مقتضى الظاهر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكفروا﴾ الفاء للسببية أي: فكفروا بسبب هذا القول لا للتعقيب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واستغنى الله﴾ مقتضى عطف هذا على ما قبله أن يكون غناه تعالى متأخراً أو مسبباً عن مجيء الرسل إليهم مع أن غناه تعالى أزلي، والجواب عن هذا أن يسلك التأويل في المعطوف، فيقال: واستغنى الله أي: أظهر غناه عن إيمانهم حيث لم يلجئهم ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك اهـ خطيب.

واستغنى بمعنى المجرد، وقال الزمخشري: أي ظهر غناه فالسين ليست للطلب اهـ سمين.

قوله: ﴿زعم الذين كفروا﴾ الخ الزعم ادعاء العلم وهو يتعدى إلى مفعولين، وقوله: ﴿أن لن يبعثوا﴾ ساد مسدهما، والمراد بهم أهل مكة كما قاله أبو حيان وهو الملائم للخطاب وفي قوله: قل بلى الخ، ولا يناسب حمله على الذين كفروا من قبل كما قاله بعض حواشي البيضاوي، لأنه لا يلائم الخطاب كما علمت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن﴾ (مخففة) أي: لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله اهـ سمين.

قوله: ﴿قل بلى﴾ من المعلوم أن بلى تنقض النفي وتثبت المنفي، فالمعنى هنا قل بلى تبعثون فقوله: لتبعثن هو المفاد بها، وإنما أعيد توصلاً لتوكيده بالقسم ولعطف ما بعده عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وذلك﴾ أي: المذكور من البعث والحساب على الله يسير. قوله: ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ خطاب لكفار مكة، والفاء في جواب شرط مقدر أي: إذا كان الأمر كذلك فآمنوا الخ قاله أبو السعود، ولم يقل وباليوم الآخر على ما هو المناسب لقوله: زعم الذين كفروا الخ اكتفاء بقوله: والنور الذي أنزلناه فإنه مشتمل على البعث والحساب اهـ شيخنا.

قوله: (القرآن) أي: فإنه بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه اهـ بيضاوي.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة بالنون في

قوله: ﴿ليوم الجمع﴾ أي: لأجل ما فيه من الحساب والجزاء اهـ.

سمي بذلك لأنه لله تعالى يجمع فيه بين الأولين والآخرين من الإنس والجن وجميع أهل السماء وأهل الأرض، وبين كل عبد وعمله وبين الظالم والمظلوم وبين كل نبي وأمته وبين ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعصية اهـ خطيب.

قوله: (يغبن المؤمنون الخ) أشار بهذا إلى أن التفاعل ليس على بابه، فإنه عكس هذه الصورة وهو كون الكافر يأخذ منزلة المؤمن من النار لو مات على الكفر ليس بغبن للمؤمن بل هو سرور له، وغبن من باب ضرب اهـ شيخنا.

قوله: (لو آمنوا) بيان لإضافة في قوله منازلهم وأهليهم أي: أن الكفار لهم في الجنة منازل وأهل الحور العين لو آمنوا اهـ شيخنا.

وعبار الكرخي: قوله، بأخذ منازلهم ومنازل أهليهم في الجنة لو آمنوا. إيضاحه: أن التغابن تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد بالمغبون من غبن عن منازله ومنازل أهله في الجنة، فيظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان، والتغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما في حديث رواه البخاري عن أبي هريرة في صحيحه، وأورده الصاغاني في مشارق الأنوار: «ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة، ولو أحسن ليزداد حسرة». والحاصل: أن التفاعل ليس من اثنين فالمبايعة بين الشخص نفسه وكذا المغابنة على سبيل التجريد، ومنه ما روينا عن الإمام أحمد بن حنبل، عن جابر أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها» اهـ.

وفي زاده: والتغابن تفاعل من الغبن وهو أخذ الشيء من صاحبه بأقل من قيمته، وهو لا يكون إلا في عقد المعاوضة ولا معاوضة في الآخرة، فإطلاق التغابن على ما يكون فيها إنما هو بطريق الاستعارة، وذلك لأن كلاً من الفريقين جعله الله قادراً على اختيار ما يؤدي إلى سعادة الآخرة، فاختار كل فريق ما يشتهيه مما كان قادراً عليه بدل ما اختاره الآخر، فهذا الاختيار منهما مشبه بالمبادلة والتجارة وشبه ما يتفرغ عليه من نزول كل واحد منهما منزل الآخر بالتغابن اهـ ملخصاً.

قوله: ﴿ومن يؤمن بالله﴾ إلى قوله: ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ وقوله: ﴿والذين كفروا﴾ إلى قوله: ﴿وبئس المصير﴾ قال القاضي: كأن هاتين الآيتين بيان للتغابن وتفصيل له اهـ.

أي: لاحتوائهما على بيان منازل السعداء والأشقياء وهو ما وقع فيه التغابن اهـ شهاب.

وإنما قال كأن لأن الواو تمنع من الحمل على ذلك، إذ لو كان كما قال لقال من يؤمن بالله أو فمن يؤمن بالله الخ اهـ من الكرخي.

الفعلين ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠﴾ هي ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ بقضائه ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ للصبر عليها ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ

قوله: ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ ذكر هذا هنا وأسقطه في الطلاق فقال: ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات﴾ [الطلاق: ١١] الخ. وذلك لأن ما هنا قد تقدمه: أبشر يهدوننا الخ. المشتمل على سيئات للكفار وتحتاج إلى تكفير، فناسب ذكر يكفر عنه سيئاته بخلاف ما في الطلاق لم يتقدمه شيء من ذلك اهـ كرخي.

قوله: (بالنون الفعلين) أي: نكفر وندخل، وعلى هذه القراءة ففي الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ فيه مراعاة معنى من، وقوله: ذلك أي: المذكور من الأمرين تكفير السيئات وإدخال الجنات، ولذلك جعله فوزاً عظيماً، والعظيم: أعلى حالاً من الكبير الذي ذكره في سورة البروج، لأن ما فيها قد ترتب على إدخال الجنات فقط، وما هنا قد ترتب على الأمرين المذكورين فهو جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع اهـ كرخي.

قوله: ﴿ما أصاب﴾ مفعوله محذوف أي: أحداً، وقوله: من مصيبة فاعل بزيادة من على حد: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] اهـ شيخنا.

وسبب نزول هذه الآية أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حق لصانهم الله من المصائب في الدنيا اهـ خطيب.

قوله: (في قوله) أي: في قول من أي: في قول القائل: إن المصيبة بقضاء الله أي: من يكن قلبه مطمئناً ومصدقاً بهذا القول الذي يقوله لسانه يهد قلبه للصبر عليها، وأما من قال بلسانه فقط فلا يعطى فضيلة الصبر عليها اهـ كرخي.

قوله: ﴿يهد قلبه﴾ أي: للثبات والاسترجاع عند حلولها اهـ بيضاوي.

وإنما فسر الهداية بالثبات والاسترجاع لأن المؤمن مهتد فلو أبقي على ظاهره، لم يفسد اهـ شهاب.

قوله: ﴿وأطيعوا الله﴾ أي: في جميع الأوقات ولا تشغلكم المصائب عن الاشتغال بطاعة الله تعالى والعمل بكتابه، ولما ورد أن يقال كيف يستمر المرء على الطاعة حالة المصيبة وهي تغلب على المرء دفعه بأن الإيمان بالوحدانية، وبأن الكل من عند الله يقتضي التوكل عليه في دفع المضار وغيرها اهـ زاده.

قوله: ﴿فإن توليتم﴾ جواب الشرط محذوف تقديره: فلا ضرر ولا بأس على رسولنا في توليكم، فإنه ليس عليه إلا البلاغ، وقد فعل اهـ شيخنا.

﴿ٱلْمُبِينُ﴾ البيِّن ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ﴾ أن تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَعْفُوا۟﴾ عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك

قوله: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ الجملة مبتدأ وخبر. قوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ هذا حث للرسول على التوكل على الله والتقوي به حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه اهـ خطيب.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ الخ يدخل في الأزواج الذكر والأنثى، فكما أن الرجل تكون زوجته عدواً له، كذلك المرأة يكون زوجها عدواً لها بهذا المعنى اهـ خطيب.

قوله: ﴿عدواً لكم﴾ أي: يشغلكم عن طاعة الله أو يخاصمكم في أمر الدين أو الدنيا اهـ بيضاوي.

قوله: (أن تطيعوهم) أشار به إلى تقدير مضاف أي: فاحذروا إطاعتهم اهـ.

قوله: (فإن سبب نزول الآية الخ) عن ابن عباس: أن رجالاً أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يهاجروا إلى النبي ﷺ، فمنعهم أزواجهم وأولادهم، وقالوا لهم: صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة، وقال عطاء بن يسار: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد، فأراد أن يغزو فبكوا إليه ورققوه، وقالوا به: إلى من تدعنا؟ فرق عليهم وأقام عن الغزو اهـ خازن.

وهذا معنى قول الشارح كالجهاد والهجرة اهـ.

قوله: ﴿وإن تعفوا﴾ أي: تتركوا عقابهم بترك الإنفاق عليهم وذلك أن من تخلف عن الهجرة والجهاد بسبب منع أهله وأولاده قد تنبه بعد ذلك، فرأى غيره من الصحابة قد سبقه للخير فندم وعزم على عقاب أهله وأولاده بترك الإنفاق عليهم، فأنزل الله: وإن تعفوا الخ اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وإن تعفوا أي: عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالإعراض وترك التثريب عليها وتغفروا بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها، فإن الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم اهـ.

قوله: (في تثبيطهم) في المختار: ثبطه عن الأمر تثبيطاً شغله عنه اهـ.

قوله: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أي ابتلاء واختبار وشغل عن الآخرة، وقد يقع الإنسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك اهـ خازن.

وفي القرطبي: إنما أموالكم وأولادكم فتنة أي: اختبار من الله تعالى لكم وهو أعلم بما في نفوسكم منكم، لكن ليظهر في عالم الشهادة من يشغله ذلك عن الحق فيكون عليه نقمة ممن لا يشغله فيكون عليه نعمة، فربما رام الإنسان صلاح ماله وولده، فبالغ فأفسد نفسه ثم لا يصلح ذلك ماله وولده. روى أبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري عنه أنه قال: يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته. وعن بعض السلف: العيال سوس الطاعات، ويكفي في فتنة المال قصة ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ [التوبة: ٧٥] الآية. وقال ابن مسعود: لا يقولن أحد اللهم اعصمني من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وولد إلا وهو مشتمل على

معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لكم شاغلة عن أمور الآخرة ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ فلا تفوتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما أمرتم به سماع قبول ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ خبر يكن مقدرة جواب الأمر

فتنة، ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن، وفي حكمة عيسى عليه السلام: من اتخذ أهلاً ومالاً وولداً كان في الدنيا عبداً، وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم﴾ أدخل من للتبعيض لأنهم كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر من قوله: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ لأنهما لا يخلون من الفتنة واشتغال القلب بهما، وقدم الأموال على الأولاد لأن فتنة المال أكثر وترك ذكر الأزواج في الفتنة قال البقاعي: لأن منهم من يكون صلاحاً وعوناً على الآخرة اهـ.

قوله: ﴿أجر عظيم﴾ وهو الجنة.

قوله: (اتقوا الله حق تقاته) معناه أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر، ولذلك لما نزلت الآية قال الصحابة: من يعرف قدر الله فيتقيه حق تقواه، وضايق بعضهم نفسهُ في العبادة حتى قام فتورمت قدماه من طول القيام فخفف الله عنهم، وأنزل: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ اهـ شيخنا.

وقال ابن عباس: هي محكمة ولا نسخ فيها، ولكن حق تقاته أن يجاهدوا فيه حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم، فإن قيل: إذا كانت الآية غير منسوخة فكيف الجمع بين الآيتين، وما وجه الأمر باتقائه حق تقاته مطلقاً من غير تخصيص ولا اشتراط شرط، والأمر باتقائه بشرط الاستطاعة؟ أجيب: بأن قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ معناه: فاتقوا الله أيها الناس أي: راقبوه فيما جعله فتنة لكم من أموالكم وأولادكم أن تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من أرض الكفار إلى أرض الإسلام فتتركوا الهجرة وأنتم مستطيعون، وذلك أن الله تعالى قد عذر من لم يقدر على الهجرة فتركها بقوله تعالى: ﴿أن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ [النساء: ٩٧] إلى قوله: ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾ [النساء: ٩٩] فأخبر تعالى أنه قد عفا عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً بالإقامة في دار الشرك فكذلك معنى قوله تعالى: ﴿ما استطعتم﴾ أي: في الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام أن تتركوها من أجل فتنة أموالكم وأولادكم، ويدل على صحة هذا أن قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أعقب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ ولا خلاف بين علماء التأويل في أن هذه الآية نزلت بسبب قوم مؤمنين تأخروا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام بتثبيط أولادهم إياهم عن ذلك كما تقدم وهذا هو اختيار الطبري اهـ من القرطبي.

قوله: (خبر يكن) أولى من هذا قول سيبويه أن النصب بفعل مقدر مثل انتهوا خيراً لكم وما سلكه الشيخ المصنف تبع فيه أبا عبيد وهو قليل، لأن حذف كان واسمها مع بقاء الخبر إنما يكون بعد إن ولو، وقوله: جواب الأمر وهو أنفقوا اهـ شيخنا.

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الفائزون ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ بأن تتصدقوا عن طيب قلب ﴿ يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ ﴾ وفي قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشراً إلى سبعمائة وأكثر ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ ﴾ ما يشاء ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ ﴾ مجاز على الطاعة ﴿ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ في العقاب على المعصية ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ السر ﴿ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ العلانية ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ في صنعه.

وفي السمين: قوله: خيراً لأنفسكم فيه أوجه، أحدها: وهو قول سيبويه أنه مفعول بفعل مقدر أي وأتوا خيراً لأنفسكم كقوله انتهوا خيراً لكم. الثاني: تقديره يكن الإنفاق خيراً فهو خبر يكن المضمرة وهو قول أبي عبيد. الثالث: أنه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسائي والفراء أي إنفاقاً خيراً. الرابع: أنه حال وهو قول الكوفيين. الخامس: أنه مفعول بقوله أنفقوا أي أنفقوا مالاً خيراً اهـ.

قوله: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أي: يكف أي: يكفه الله شح نفسه فيفعل في ماله جميع ما أمر به موقناً به مطمئناً إليه حتى ترتفع عن قلبه الأخطار. والشح: خلق باطني هو الداء العضال، والبخل: فعل ظاهر ينشأ عن الشح والنفس تارة تشح بترك المعاصي بأن تفعلها، وتارة تشح بالطاعات فتتركها وتارة تشح بإعطاء المال، ومن فعل ما فرض عليه خرج من الشح اهـ خطيب.

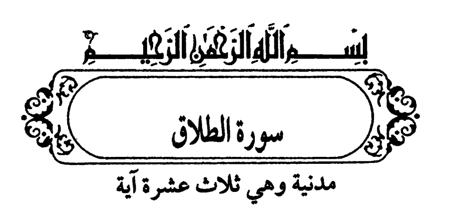
قوله: ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ سماه قرضاً من حيث التزام الله المجازاة عليه، وفي تسميته قرضاً أيضاً مزيد ترغيب في الصدقة حيث جعلها قرضاً لله مع أن العبد إنما يقرض نفسه لأن النفع عائد عليه اهـ شيخنا.

قال القشيري: ويتوجه الخطاب بهذا على الأغنياء في بذل أموالهم، وعلى الفقراء في عدم إخلاء أوقاتهم عن مراد الحق ومراقبته على مراد أنفسهم، فالغني يقال له آثر حكمي على مرادك في مالك وغيره، والفقير يقال له آثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك اهـ خطيب.

قوله: ﴿وفي قراءة يضعفه) أي: سبعية. قوله: (عن طيب نفس) في نسخه عن طيب قلب. قوله: (مجاز على الطاعة) أي: ويعطي الجزيل بالقليل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿حليم﴾ (في العقاب على المعصية) أي: فلا يعجل به، بل يمهل طويلاً ليتذكر العبد الإحسان مع العصيان فيتوب ولا يهمل ولا يغتر بحلمه تعالى، فإن غضب الحليم لا يطاق اهـ خطيب.

قوله: (السر) شامل لما في القلوب مما تؤثره الجبلة، ولا علم لصاحب القلب به فضلاً عن غيره اهـ خطيب، والله أعلم.



مدنية وهي ثلاث عشرة آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ المراد وأمَّته بقرينة ما بعده أو قل لهم ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي أردتم الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (ثلاث عشرة آية) وقيل: اثنتا عشرة وقيل: إحدى عشرة اهـ بيضاوي.

قوله: (المراد أمته) أي: المراد بالنبي أمته أي: لفظ النبي أطلق وأريد به أمته، فكأنه قيل: يا أيها الأمة إذا طلقتم الخ. وهذا الأسلوب سلكه الكازروني، وفي نسخة: المراد وأمته أي: المراد من السياق وهذا المحذوف أي: أن في الكلام اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر، فعلى هذا لفظ النبي لا تجوز فيه بل هو منادى مع أمته فكأنه قيل: يا أيها النبي والأمة إذا طلقتم الخ، وهذا الوجه قرره السمين، وقوله: بقرينة ما بعده وهو إذا طلقتم النساء الخ، وقوله: أو قل لهم الخ محصل هذا القيل أن لفظ النبي مستعمل في معناه، وليس في الكلام حذف المعطوف، بل المخاطب بيا أيها النبي هو النبي وحده، وإن في الكلام حذف أمر مقدر أي قل لهم إذا طلقتم الخ، فظهر التغاير بين هذا القيل وما قبله على كلتا النسختين اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم﴾ في هذا الخطاب أوجه، أحدها: أنه خطاب لرسول الله ﷺ بلفظ الجمع تعظيماً كقوله:

فإن شئت حرمت النساء سواكم

والثاني: أنه خطاب لهُ ولأمته، والتقدير: يا أيها النبي وأمته إذ طلقتم فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه. الثالث: أنه خطاب لأمته فقط بعد ندائه عليه السلام وهو من تلوين الخطاب خاطب أمته بعد أن خاطبه. الرابع: أنه على إضمار قول: يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم. الخامس: قال الزمخشري خص النبي ﷺ بالنداء وعم بالخطاب، لأن النبي إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتباراً بتقدمه وإظهاراً لترؤسه بكلام حسن، وهذا هو معنى القول الثالث الذي قدمته اهـ.

وفي القرطبي: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم﴾ الخطاب للنبي ﷺ خوطب بلفظ الجمع تعظيماً وتفخيماً، وفي سنن ابن ماجة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. وروى قتادة، عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة رضي الله عنها،

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ لأولها، بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره ﷺ بذلك، رواه

فأتت أهلها فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾، وقيل له: راجعها فإنها صوَّامة قوامة وهي من أزواجك في الجنة، ذكرهُ الماوردي والثعلبي. زاد القشيري: ونزل في خروجها إلى أهلها قوله تعالى: ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ اهـ.

ثم قال: وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: «إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق» وعن علي عن النبي ﷺ قال: «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش». وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات». وعن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: «ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق» أسند جميعه الثعلبي رحمه الله في كتابه اهـ.

قوله: (أي أردتم الطلاق) وإنما احتيج لهذا التجوز ليصح قوله: فطلقوهن لعدتهن لأن الشيء لا يترتب على نفسه ولا يؤمر أحد بتحصيل الحاصل اهـ كرخي.

والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الأقراء أو غير المدخول بهن فلا عدة عليهن بالكلية، وأما ذوات الأشهر فسيأتين في قوله: ﴿واللائي يئسن﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لعدتهن﴾ اللام للتوقيت أي: مستقبلين بطلاقهن العدة أي: الوقت الذي يشرعن فيه فيها اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿لعدتهن﴾ أي: في وقتها وهو الطهر، فإن اللام في الأزمان وما يشبهها للتأقيت، ومن عدَّ العدة بالحيض وهو أبو حنيفة علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات، وظاهره يدل على العدة بالأطهار، وأن طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي أن يكون في الطهر، وأنه يحرم في الحيض من حيث إن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، ولا يدل على عدم وقوعه إذ النهي إذا كان لأمر خارج لا يستلزم الفساد اهـ.

وقوله: علق اللام بمحذوف أي: لأنه لا يمكنه جعل اللام للتأقيت للإجماع على أن الطلاق في حال الحيض منهي عنه، بل يعلقها بمحذوف دل عليه معنى الكلام أي: فطلقوهن مستقبلات لعدتهن أي: متوجهات إليها، وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم على القرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها، والمراد أن يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يتركن حتى تنقضي عدتهن، وأيد هذا بقراءة «فطلقوهن من قبل عدتهن» اهـ زاده.

قوله: (لم تمس فيه) أي: لم توطأ وهذا قيد لدفع حرمة الطلاق لا لحسبان بقية الطهر من العدة فهي تحسب قرءاً، سواء وطىء في ذلك الطهر أم لا، لكن إن لم يطأ كان الطلاق حلالاً، وإن وطىء كان حراماً لأنه يدعي اهـ.

قوله: (رواه الشيخان) فقد رويا عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: «مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يا أيها النبي

الشيخان ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ احفظوها لتراجعوا قبل فراغها ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها حتى تنقضي عدتهن ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ زنا ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الياء وكسرها، أي بينت، أو هي بينة، فيخرجن لإقامة الحد عليهن ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الطلاق

إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾» اهـ خازن.

قوله: (احفظوها) أي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق اهـ قرطبي.

وقوله: (لتراجعوا قبل فراغها) أي ولتعرفوا زمن النفقة والسكنى وحل النكاح لأخت المطلقة مثلاً ونحو ذلك من الفوائد اهـ خطيب.

وظاهر النظم أن المأمور بالإحصاء الأزواج وهو ظاهر، لأن الضمائر كلها من طلقتهم وأحصوا ولا تخرجوهن عن نظام واحد في الرجوع إلى الأزواج، ولكن الزوجات داخلات في هذا الخطاب بالإلحاق بالأزواج، لأن الزوج يحصي ليراجع، وينفق أو يقطع، ويسكن أو يخرج، ويلحق نسبه أو يقطع، وهذه كلها أمور مشتركة بينه وبين المرأة اهـ كرخي.

قوله: ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ الخ إنما جمع بين النهيين إشارة إلى أن الزوج لو أذن لها في الخروج لا يجوز لها الخروج لأن في العدة حقاً لله تعالى فلا تسقط بتراضيهما، والمراد ببيوتهن المساكن التي وقع الفراق فيها وهي مساكنهم التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الأزواج وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى ولتأكيد النهي ببيان أن كمال استحقاقهن لسكناها صيّرها كأنه أملاكهن اهـ خطيب وأبو السعود.

وهذا كله عند عدم العذر، أما إذا كان لعذر كشراء من ليس لها على المفارق نفقة فيجوز لها الخروج نهاراً اهـ خطيب.

وإذا خرجت من غير عذر فإنها تعصي ولا تنتقض عدتها اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة﴾ حال من فاعل لا يخرجن ومن مفعول لا تخرجوهن أي: لا يخرجن ولا تخرجوهن في حال من الحالات إلا في حال كونهن اتيان بفاحشة مبينة، وأن مع الفعل في تأويل مصدر أي: إلا إتياناً بمعنى آتيات أو ذوات إتيان بفاحشة اهـ زاده.

وفي الخطيب: وقوله تعالى: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الأول والمعنى إلا أن تبدو على الزوج فإنه كالنشوز في إسقاط حقها، وقال ابن عباس: الفاحشة المبينة أن تبذو على أهل زوجها فيحل إخراجها لسوء خلقها، وقال ابن مسعود: أراد بالفاحشة المبينة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها وقال قتادة: الفاحشة: النشوز وذلك أن يطلقها على النشوز فتحول عن بيته، ويجوز أن يكون مستثنى من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن خروجها فاحشة اهـ.

قوله: (بفتح الياء) وكسرها سبعيتان. قوله: ﴿وتلك﴾ (المذكورات) أي: من قوله فطلقوهن لعدتهن الخ، والحدود هي الأمور المانعة من المجاوزة شبهت أحكام الله بها فأطلق عليها اسم الحدود اهـ زاده.

قوله: ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أي: بأن عرضها للعقاب اهـ بيضاوي.

﴿أَمْرًا ①﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضارُّوهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الرجعة أو الفراق

وعبارة أبي السعود: فقد ظلم نفسه أي: أضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله: لا تدري لعل الله الخ، فإنه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية، وقد قالوا إن الأمر الذي يحدثه الله بأن يقلب قلبه عما فعله بالتعدي إلى خلافه، فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكنه تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والأخروي، ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وقوله: لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي كما توهم، فالمعنى: ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ فقد أضر بنفسه لا تدري أيها المتعدي عاقبة الأمر، لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي أمراً يقتضي خلاف ما فعلت فيبدل ببعضها محبة وبالإعراض عنها إقبالاً اهـ.

قوله: ﴿لا تدري﴾ أي: يا أيها المطلق ولعلّ معلقة لتدري عن العمل في اللفظ فجملتها في محل نصب سادة مسد المفعولين اهـ شيخنا.

والمقصود من الكلام التحريض على طلاق الواحدة أو الثنتين والنهي عن الثلاث اهـ خطيب.

وقيل: إن جملة لعل الله مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها لأن الجمهور لم يعدوا لعل من المعلقات اهـ سمين.

قوله: ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ أجمع المفسرون على أن المراد بالأمر ههنا الرغبة في الرجعة والندامة على الطلاق والميل إلى إمساكها بالمعروف، والآية تعليل للمحافظة على الأحكام المذكورة من تطليقهن لعدتهن وإحصاء العدة والتجانب عن الخروج والإخراج، فإن التطليق على الوجه المذكور لما لم يقطع على الزوج سبيل الرجعة صح تعليله بقوله على الله الخ، فإن العدة إذا لم تكن مضبوطة المرأة من منزل زوجها أشكل أمر الرجعة اهـ زاده.

قوله: (مراجعة) بأن يقلب قلبه من بغضها إلى حبها، ومن الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه اهـ خطيب.

قوله: (قاربن انقضاء عدتهن) أي: فالكلام من مجاز المشارفة، بقرينة ما بعده لا يؤمر بالإمساك بعد انقضاء العدة اهـ شهاب.

قوله: ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ أي: بحسن عشرة وإنفاق مناسب اهـ بيضاوي.

قوله: (ولا تضاروهن بالمراجعة) تقرير للمعروف في الشق الأول، فمن المعروف في الإمساك أن يراجعها لقصد بقاء الزوجية لا لقصد أن يردها إلى عصمته ويضارها، ولا لقصد أن يمسكها لأجل أن يطلقها مرة أخرى فيطول عليها المدة، ولم يفرع على المعروف بالنسبة للشق الثاني. وعبارة الخطيب: فأمسكوهن بمعروف أي: حسن عشرة لا لقصد المضارة بطلاق آخر لأجل إيجاب عدة أخرى أو غير

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهود عليه أو له ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ من كرب الدنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ

ذلك، أو فارقوهن بعدم المراجعة لتتم فتملك نفسها بمعروف أي: بإيفاء الحق مع حسن الكلام، أو كل أمر حسنه الشرع فلا يقصد أذاها بتفريقها من ولدها مثلاً أو منه إن كانت عاشقة له لقصد الأذى فقط من غير مصلحة، وكذا ما أشبه ذلك من أنواع الضرر بالفعل والقول، فقد ضمنت الآية بإفصاحها بالحث على فعل الخيرات وبأفهامها اجتناب المنكرات اهـ.

قوله: ﴿وأشهدوا﴾ أمر ندب ﴿ذوي عدل﴾ أي: صاحبي عدل أي عدالة، فإن العدل ضد الجور وهو يرجع لمعنى العدالة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أي: لوجه الله لا للمشهود عليه أوله حتى يكون رياء، والخطاب في وأشهدوا للأزواج، وفي وأقيموا للشهود أي: أقيموا يا أيها الشهود أي: أدوا الشهادة التي تحملتموها، وإنما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود لأنه ربما يؤدي إلى أن يترك الشاهد مهماته ولما فيه عسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده، وربما بعد مكانه وكان للشاهد عوائق اهـ خطيب.

قوله: (أو الفراق) أي: الطلاق فيسن الإشهاد عليه كما يسن على الرجعة، وعبارة الخازن: وأشهدوا ذوي عدل منكم أي: على الرجعة والفراق أمر بالإشهاد على الرجعة، وعلى الطلاق. وعن عمران بن حصين أنه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال: طلقت لغير سنة وراجعت بغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد أخرجه أبو داود، وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كما في قوله: وأشهدوا إذا تبايعتم، وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة، وفائدة هذا الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها وأن لا يموت أحد الزوجين فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث اهـ.

وقوله: واجب في الرجعة على هذا قول ضعيف في مذهب الشافعي ومعتمده أن الإشهاد على الرجعة سنة

قوله: ﴿ذلك﴾ أي: المذكور من أول السورة إلى هنا يوعظ به أي: بلين وبرفق من كان يؤمن بالله الخ، وأما من لم يكن متصفاً بذلك فهو لقساوة قلبه لا يوعظ لأنه لم ينتفع به اهـ خطيب.

قوله: ﴿ومن يتق الله يجعل لهُ مخرجاً﴾ الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحاً أو ضمناً من الطلاق في الحيض والإضرار بالمعتدة وإخراجها من المسكن، وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة، وتوقع جعل على إقامتها بأن يجعل الله له مخرجاً مما في شأن الأزواج من المضائق والغموم ويرزقه فرجاً وخلفاً من وجه لم يخطر بباله، أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون، أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين، وعنه ﷺ: «إني لأعلم أية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿ومن يتق الله يجعله له مخرجاً﴾ فما زال يقرؤها ويعيدها» اهـ بيضاوي.

وفي الخطيب: قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون

عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ كافيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ مراده، وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ

ابناً له يسمى سالماً فأتى عوف إلى رسول الله ﷺ يشتكي إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت الأمر فما تأمرني؟ فقال رسول الله ﷺ: «اتق الله واصبر وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله» فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله ﷺ أمرني وإياكِ أن نكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقالت: نعم ما أمرنا به، فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها إلى المدينة وهي أربعة آلاف شاة فنزلت الآية، وجعل النبي ﷺ تلك الأغنام له. وروي أنه جاء وقد أصاب إبلاً من العدو وكان فقيراً، فقال الكلبي: إنه أصاب خمسين بعيراً، وفي رواية فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم فمرّ بسرح لهم فاستاقه، وقال مقاتل أصاب غنماً ومتاعاً فقال أبوه للنبي ﷺ: أيحل لي أن آكل مما أتى به ابني؟ فقال: نعم ونزل **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** وروى الحسن، عن عمران بن الحصين قال، قال رسول الله ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها» وقال الزجاج: أي إذا اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله فتح الله عليه إن كان ذا ضيق ورزقه من حيث لا يحتسب، وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» اهـ.

والتوكل على الله لا ينافي تعاطي الأسباب فترك تعاطيها اتكالاً على الله خسة همة وعدم مروءة لأن فيه إبطال الحكمة التي احكمها الله في الدنيا من ترتيب المسببات على الأسباب اهـ خطيب.

فإن قيل: نرى كثيراً من الأتقياء مضيقاً عليه في الرزق. أجيب: بأنه لا يخلو عن رزق، والآية لم تدل على أن المتقي يوسع له في الرزق، بل دلت على أنه يرزق من حيث لا يحتسب وهذا أمر مطرد في الأتقياء اهـ من الكرخي.

قوله: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾** أي: من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه، وقيل: أي من اتقى الله وجانب المعاصي ومن توكل عليه فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا، لأن المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل اهـ قرطبي.

قوله: **﴿إن الله بالغ أمره﴾** أي: فلا بد من كونه ينفذه سواء حصل توكل أو لا، فهو قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل، لكن من توكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً اهـ خطيب.

قوله: **(وفي قراءة بالإضافة)** أي: سبعية. قوله: **﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾** أي: تقديراً لا يتعداه في مقداره وزمانه وأحواله وإن اجتهد جميع الخلائق في أن يتعداه، فمن توكل استفاد الأجر وخف عنه الألم وقذف في قلبه السكينة، ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد ألمه وطال غمه بشدة سعيه وخيبة أسبابه التي يعتقد أنها هي المنجية، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط. جف القلم بما أنت لاق فلا يزاد في المقادير شيء ولا ينقص منها شيء اهـ خطيب.

قوله: **﴿واللائي يئسن﴾** الخ قال مقاتل: لما ذكر قوله تعالى: **﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن**

جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا ۝﴾ ميقاتاً ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء في الموضعين ﴿يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألتان في غير المتوفى عنهن

ثلاثة قروء﴾ [البقرة: ٢٢٨] قال خلاد بن النعمان: يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت. وقيل: إن معاذ بن جبل سأل عن عدة الكبيرة متى يئست فنزلت اهـ خطيب.

واللائي: اسم موصول مبتدأ، ويئسن صلته، وجملة الشرط والجواب خبره اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: قالوا: إن اللائي مبتدأ خبره جملة فعدتهن الخ، وإن ارتبتم جوابه محذوف تقديره: فأعلموا أنها ثلاثة أشهر، والشرط وجوابه المقدر جملة معترضة، ويجوز أن يكون قوله فعدتهن الخ جواب الشرط باعتبار الإخبار والإعلام، والجملة الشرطية خبر من غير حذف اهـ.

قوله: (شككتم في عدتهن) أي: في قدرها والمراد بالشك الجهل وقيد به لموافقة الواقع فلا مفهوم له بل عدتها ما ذكر سواء أعلموا أو جهلوا، لكن الواقع في نفس الأمر أن السائلين عن عدة الآيسة كانوا جاهلين بقدرها فالآية مخرجة على سبب اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (شككتم في عدتهن) صفة كاشفة لأن عدتهن ذلك سواء وجد شك أم لا، والمراد بالشك الجهل بمقدار عدة الآيسة والصغيرة، وإنما علقه بالشك لأنه لما نزل بيان عدة ذوات الإقراء في سورة البقرة قال بعض الصحابة: قد بقي الكبار والصغار لا يدري كم عدتهن فنزلت هذه الآية على هذا السبب فلذلك جاءت مقيدة بالشك اهـ.

قوله: ﴿واللائي لم يحضن﴾ مبتدأ خبره محذوف كما قدره الشارح، وفي السمين: قوله: واللائي لم يحضن مبتدأ خبره محذوف فقدروه جملة كالأول أي: فعدتهن ثلاثة أشهر أيضاً والأولى أن يقدر مفرداً أي: فكذلك أو مثلهن، ولو قيل: إنه معطوف على اللائي يئسن عطف المفردات وأخبر عن الجميع بقوله: فعدتهن لكان وجهاً حسناً، وأكثر ما فيه توسد الخبر بين المبتدأ وما عطف عليه، وهذا ظاهر قول الشيخ: واللائي لم يحضن معطوف على قوله: واللائي يئسن فإعرابه مبتدأ كإعراب الأول اهـ.

قوله: (لصغرهن) أو لأنهن لا حيض لهن أصلاً وإن كن بالغات اهـ خطيب.

قوله: (والمسألتان) أي: مسألة الآيسة ومسألة الصغيرة، وقوله: في غير المتوفى عنهن الخ أي: فما هنا مخصوص بآية البقرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأولات الأحمال﴾ مبتدأ، وأجلهن مبتدأ ثان، وأن يضعن خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول اهـ شيخنا.

والأحمال جمع حمل بفتح الحاء كصحب وأصحاب وفي المختار: الحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة، والحمل بالكسر ما كان على ظهر أو رأس اهـ.

أزواجهن، أما هنَّ فعدتهن ما في آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴿وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ أي المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي بعض مساكنكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي سعتكم، عطف بيان أو بدل مما قبله بإعادة الجار، وتقدير مضاف أي أمكنة

قوله: (أو متوفى عنهن أزواجهن) أشار بهذا إلى بقاء عموم﴿وأولات الأحمال﴾ فهو مخصص لآية ﴿يتربصن بأنفسهن﴾ [البقرة: ٢٢٨] أي: ما لم يكن حوامل، وإنما لم يعكس لأن المحافظة على عموم هذا أولى من المحافظة على عموم ذاك، لأن أزواجاً في آية البقرة عمومه بدلي لا يصلح لجميع الأفراد في حال واحد لأنه جمع منكر في سياق الإثبات، وأما أولات الأحمال فعمومه شمولي لأن الموصول من صيغ العموم، وأيضاً الحكم هنا معلل بوصف الحملية بخلاف ما هناك، وأيضاً هذه الأية متأخرة في النزول عن آية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك فيما لو عمل بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم فهو نسخ والتخصيص أولى منه اهـ خطيب.

قوله: (المذكور في العدة) أي: من تفاصيلها اهـ.

قوله: (أنزله) أي: بيَّنه ووضحه اهـ.

قوله: ﴿أسكنوهن﴾ قال الرازي: أسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله تعالى: قوله: ﴿ومن يتق الله﴾ كأنه قيل: كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات؟ فقيل: أسكنوهن اهـ خطيب.

قوله: (أي المطلقات) هذا التقيد إنما هو من السياق، وإلا فكل مفارقة تجب لها السكنى سواء كان فراقها بطلاق أو غيره كالفراق بالموت، فالمتوفى، يجب لها السكنى ولا تجب لها النفقة ولو كانت حاملاً تأمل. قوله: ﴿من حيث سكنتم﴾ فيه وجهان، أحدهما من للتبعيض. قال الزمخشري: بعضها محذوف معناه مكاناً من حيث سكنتم أي: بعض مكان سكناكم كقوله تعالى: ﴿يغضوا من أبصارهم﴾ [النور: ٣٠] أي: بعض أبصارهم قال قتادة: إن لم يكن إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه، وقال الرازي، والكسائي: من صلة والمعنى أسكنوهن حيث سكنتم. والثاني: أنها لابتداء الغاية قاله الحوفي وأبو البقاء، والمعنى تسببوا إلى اسكانهن من الوجه الذي تسكنون أنفسكم، ودلّ عليه قوله: من وجدكم أي: من وسعكم أي: مما تطيقونه اهـ خطيب.

قوله: ﴿من وجدكم﴾ بضم الواو باتفاق القراء اهـ شيخنا.

وفي المختار: ووجد في المال وجداً بضم الواو وفتحها وكسرها وجدة أيضاً بالكسر أي: استغنى اهـ.

قوله: (بإعادة الجار) راجع للوجهين وتبع فيه الزمخشري، وتعقبه أبو حيان بأن تكرير العامل لم يعهد في عطف البيان فالأولى رجوعه للبدلية اهـ شيخنا.

سعتكم، لا ما دونها ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾ وبينهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميل في حق الأولاد بالتوافق على أجر معلوم

قوله: (لا ما دونها) لا المساكن التي دونها أي: دون أمكنة سعتكم، والمراد دونها في الطاقة بأن يكون تحصيلها مشقاً لارتفاع سعرها ونفاستها فهي دون ما في وسع الإنسان من الطاقة أي: طاقتهُ لها أقل من طاقته لما في وسعه اهـ شيخنا.

وكما لا يكلف ما فوق طاقته من المساكن لا يكفيه ما دون اللائق بها، بل لا بد أن يكون المسكن لائقاً بها قوله: (أو النفقة) عطف على المسكن، وقوله: فيفتدين فيه أنه فرض الكلام في المطلقات، والافتداء انما يكون في الزوجة اهـ شيخنا.

ويمكن حمله على الرجعية فإنها تجب نفقتها فلا يضيق عليها لأجل أن تفتدي نفسها منه اهـ.

قوله: ﴿وإن كن أولات حمل﴾ أي: وإن كن أي: المطلقات الرجعيات أو البائنات، وأما الحوامل المتوفى عنهن فلا تجب لهن النفقة تأمل. قوله أيضاً: ﴿إن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن﴾ هذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث تؤيده اهـ بيضاوي.

وهو مذهب الشافعي ومالك، وأما عند الحنفية فلكل مطلقة حق النفقة والسكنى، ودليله أن عمر قال: سمعت النبي ﷺ يقول «لها النفقة والسكنى» وأنه جزاء الاحتباس وهو مشترك بينها وبين غيرها، ولو كان جزاء للحمل لوجب في ماله إذا كان له مال ولم يقولوا به، والدليل المذكور مبني على مفهوم الشرط ونحن لانقول به، مع أن فائدة الشرط هنا أن الحامل قد يتوهم أنها لا نفقة لها لطول مدة الحمل، فأثبت لها النفقة ليعلم غيرها بطريق الأولى كما في الكشاف فهو من مفهوم الموافقة اهـ شهاب.

قوله: ﴿فإن أرضعن لكم﴾ الخ هذا الحكم مفروض في المطلقات على صنيعه ومثلهن الزوجات اهـ شيخنا.

﴿وائتمروا﴾ أي: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف يقال: ائتمر القوم وتآمروا أي: أمر بعضهم بعضاً، وقال الكسائي: ائتمروا تشاوروا، وتلا قوله تعالى: ﴿إن الملأ يأتمرون بك﴾ [القصص: ٢٠] اهـ سمين

قوله: (بالتوافق على أجر) أي: أجرة معلومة. قوله: ﴿وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾ فيه معاتبة للأم على المعاسرة اهـ بيضاوي.

وقوله: فيه معاتبة للأم الخ لأنه كقولك لمن تستقضيه حاجة فتعتذر منه سيقضيها غيرك أي: ستقضي وأنت ملوم. كذا بيّنه في الكشاف وفي الانتصاف، لأن المبذول من جهتها لبن غير متمول ولا يضن به لا سيما على الولد بخلاف ما يبذل من الأب، فإنه مال يضن به عادة، فإن قلت: المذكور المعاسرة وهي فعل الأب والأم فكيف تخص الأم بالذكر في الجزاء؟ قلت: هما مذكوران فيه، لكن الأم مصرح بها والأب مرموز إليه لأن معنى فسترضع له أخرى فليطلب له الأب مرضعة أخرى لئلا يلزم الكذب في كلام الله فظهر الارتباط بين الجزاء والشرط، وكون المعاتبة للأم كما حققه بعض شراح الكشاف اهـ شهاب.

على الإرضاع ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾ للأب ﴿أُخْرَىٰ ۝٦﴾ ولا تكره الأم على إرضاعه ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المطلقات والمرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾ أعطاه ﴿ٱللَّهُ﴾ على قدره ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ وقد جعله بالفتوح ﴿وَكَأَيِّن﴾ هي كاف

قوله: (تضايقتم في الإرضاع الخ) عبارة الخازن: وإن تعاسرتم أي: في حق الولد وأجرة الرضاع فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرة رضاعها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه، بل يستأجر الأب للصبي مرضعاً غير أمه، وذلك معنى قوله: فسترضع له أخرى. قوله: ﴿فسترضع له أخرى﴾ قيل: هوخبر بمعنى الضمير في له للأب لقوله: فإن أرضعن لكم، والمفعول محذوف للعلم به أي: فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى، والظاهر أنه خبر على بابه اهـ سمين.

قوله: ﴿لينفق﴾ (على المطلقات) أي: اللاتي لم يرضعن وقوله: (والمرضعات) أي: المطلقات كما هو فرض سياق كلامه، وإن كان حكم الزوجات كذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من سعته﴾ الكلام على حذف مضاف، ومن بمعنى على أي على قدر سعته كما يدل عليه قول الشارح على قدره. وفي الخطيب: لينفق ذو سعة من سعته أي لينفق الزوج على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه فيوسع إذا كان موسعاً عليه، ومن قدّر أي ضيق عليه رزقه فعلى قدر ذلك فيقدر القاضي النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة. قال تعالى: ﴿على المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٣٣] لكن نفقة الزوجة مقدرة عند الشافعي محدودة فلا اجتهاد للحاكم ولا للمفتي فيها، وتقديرها: هو بحسب حال الزوج وحده من عسره ويسره ولا اعتبار بحالها، فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارث، فيلزم: الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾ فجعل الاعتبار بالزوج في العسر واليسر، ولأن الاعتبار بحالها يؤدي إلى الخصوصية لأن الزوج يدعي أنها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم أنها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعاً للخصومة اهـ.

والتقدير المذكور مسلم في نفقة الزوجة ونفقة المطلقة إذا كانت رجعية مطلقاً أو بائناً حاملاً، وعبارة المنهج، ومؤنة عدة كمؤنة زوجة، وأما المرضعة فالواجب لها الأجرة المشروطة بحسب ما وقع عليه الشرط لا بحسب حال الزوج، فقول الشارح: والمرضعات مشكل إلا أن يحمل على المرضعات اللاتي استؤجرن بالنفقة لا بقدر معين من الإجرة اهـ.

قوله: (وقد جعله بالفتوح) أي: قد صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين عند نزول الآية فتح عليهم جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى صاروا أغنى الناس، وصدق الآية دائم غير أنه في الصحابة أتم لأن إيمانهم أقوى من غيرهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿وكأين﴾ مبتدأ، ومن قرية تمييز لها، وقوله: عتت خبر، قوله: (هي كاف الجر) هي مبتدأ وكاف الجر خبر وقوله: (بمعنى كم) خبر ثان، والمعنى فصار المجموع بمعنى كم اهـ شيخنا.

الجر، دخلت على أي بمعنى كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكثير من القرى ﴿عَتَتْ﴾ عصت يعني أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ في الآخرة وإن لم تجىء لتحقق وقوعها ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝﴾ بسكون الكاف وضمها فظيعاً وهو عذاب النار ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝﴾ خساراً وهلاكاً ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نعت للمنادى أو بيان له ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝﴾ هو القرآن

قوله: (عصت) وعلى هذا التفسير لا تظهر التعدية بعن، وعبارة غيره: أعرضت أو خرجت اهـ.

قوله: (يعني أهلها) أي: يعني بلفظ القرية أهلها أي: فهو مستعمل في أهلها مجازاً مرسلاً من إطلاق المحل وإرادة الحال، فالضمير في قوله: أعد الله لهم راجع للقرية لما علمت من أن المراد بها أهلها اهـ شيخنا.

قوله: (لتحقق وقوعها) أشار به إلى أنه جيء بحاسبناها وعذبناها بلفظ الماضي، وإن لم تجىء تحقيقاً له كقوله ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ [الأعراف: ٤٤] ونحو ذلك لأن المنتظر من وعده ووعيده لا بد من وقوعه فكأنه وقع، ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل، وعلى هذا مجيء حاسبنا وعذبنا ماضيين على ظاهرهما، أو في الكلام تقديم وتأخير، فعذبناها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف، وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً اهـ كرخي.

قوله: ﴿حساباً شديداً﴾ أي: بالاستقصاء والمناقشة اهـ بيضاوي.

قوله: (بسكون الكاف وضمها) سبعيتان. قوله: (فظيعاً) شنيعاً اهـ.

وفي المختار: فظع الأمر من باب ظرف فهو فظيع أي: شديد شنيع جاوز المقدار، وكذا أفظع الأمر فهو مفظع، وأفظع الشيء واستفظعهُ وجده فظيعاً اهـ.

قوله: (تكرير الوعيد) أي: المذكور في الجمل الأربع المتقدمة وهي قوله: فحاسبناها الخ، فقوله: أعد الله لهم عذاباً شديداً مفاده هو مفاد ما تقدم في الجمل الأربع وإنما أعيد توكيداً اهـ شيخنا.

قوله: (أو بيان له) أي: عطف بيان، قوله: (منصوب بفعل مقدر الخ) عبارة السمين: فيه أوجه، أحدها: وإليه ذهب الزجاج والفارسي أنه منصوب بالمصدر المنون قبله لأنه ينحل بحرف مصدري وفعل، كأنه قيل: أن ذكر رسولاً كقوله تعالى ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ [البلد: ١٤] يتيماً الثاني: أنه جعل نفس الذكر مبالغة فأبدل منه. الثالث: أنه بدل منه على حذف مضاف من الأول تقديره: أنزل ذا ذكر رسولاً. الرابع: كذلك إلا أن رسولاً نعت لذلك المحذوف. الخامس: أنه بدل منه على حذف مضاف من الثاني أي: ذكراً ذا رسول. السادس: أن يكون رسولاً نعتاً لذكراً على حذف مضاف أي: ذكراً ذا رسول، فذا رسول نعت لذكراً. السابع: أن يكون رسولاً بمعنى رسالة فيكون رسولاً بدل تصريحاً من غير تأويل، أوبيان عند من يرى جريانه في النكرات كالفارسي، إلا أن هذا يبعده قوله: ﴿يتلو عليكم﴾ لأن الرسالة لا تتلوا إلا بمجاز الثامن: أن يكون رسولاً منصوباً بفعل مقدر أي أرسل

﴿رَّسُولًا﴾ أي محمداً ﷺ منصوب بفعل مقدر، أي وأرسل ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها كما تقدم ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة بالنون ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ

لدلالة ما تقدم عليه. التاسع: أن يكون منصوباً على الإغراء أي: اتبعوا والزموا رسولاً هذه صفته، اختلف الناس في رسولاً هل هو النبي ﷺ، أو القرآن نفسه، أو جبريل؟ قال الزمخشري: هو جبريل أبدل من ذكراً لأنه وصفه بتلاوة آيات الله، فان إنزاله في معنى إنزال الذكر فصح إبداله منه اهـ.

قوله: ﴿يتلوا عليكم﴾ نعت لرسولاً، وقوله: مبينات حال. قوله: (كما تقدم) أي: في قوله: ﴿بفاحشة مبينة﴾ من أن معنى المفتوح بينت أي: بينها الله، ومعنى المكسور بينه أي: هي بينة في نفسها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليخرج﴾ متعلق إما بأنزل، فالضمير في يخرج راجع لله، وأما بيتلو فالضمير في يخرج راجع له ﷺ، والمناسب لقول الشارح بعد مجيء الذكر والرسول هو الوجه الأول تأمل اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراء بالنون) أي سبعية وعليها ففي الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم اهـ.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ فيه مراعاة يعني من بعد مراعاة لفظها، وقوله: قد أحسن الله له فيه رجوع لمراعاة لفظها، ففي هذه العبارة مراعاة اللفظ أولاً، ثم المعنى ثانياً ثم اللفظ ثالثاً اهـ شيخنا.

وجملة قد أحسن حال ثانية، أو حال من الضمير في خالدين فتكون متداخلة اهـ سمين.

قوله: ﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾ أي: عظيماً عجيباً فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب، وقال القشيري: الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه، لا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه، كذلك أرزاق القلوب أحسنها أن يكون له من الأحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستمرار عليها اهـ خطيب.

قوله: ﴿ومن الأرض﴾ بيان لمثلهن مقدم عليه، ومثلهن معطوف علىٰ سبع سموات. وفي السمين قوله ﴿مثلهن﴾ العامة بالنصب وفيه وجهان، أحدهما: أنه عطف على سبع سموات قاله الزمخشري. والثاني: أنه منصوب بمقدر بعد الواو أي: وخلق مثلهن من الأرض، واختلف الناس في المثلية فقيل: مثلها في العدد، وقيل: في بعض الأوصاف، فإن المثلية تصدق بذلك والأول هون المشهور، وقرأ عاصم في رواية مثلهن بالرفع على الابتداء وأجار قبله خبره اهـ.

قوله: (يعني سبع أرضين)عبارة الخطيب ومن الأرض مثلهن أي: سبعاً، أما كون السموات سبعاً بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه لحديث الإسراء وغيره، وأما الأرضون فقال الجمهور: إنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفي كل أرض

﴿ٱلْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض

سكان من خلق الله ، وقال الضحاك: إنها سبع أرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات. قال القرطبي: والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه، وفي كتاب الفردوس عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «ما بين السماء إلى السماء خمسمائة عام وعرض كل سماء وثخانة كل سماء خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة وبين الكرسي والعرش مثل ذلك، وما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام والأرضون وعرضهن وثخانتهن مثل ذلك» اهـ.

قال الماوردي: وعلى أنها سبع أرضين تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا ولا يلزم من في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز. وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان، أحدهما: أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها. قال ابن عادل: وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة. الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه. قال ابن عادل: وهذا قول من جعل الأرض كرية، وحكى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل الأرض وصول إلى أرض أخرى اختصت دعوة الإسلام بهذه الأرض، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام لإمكان الوصول إليهم، لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه، واحتمل أن لا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمتهم لكان النص بها وارداً ولكان النبي ﷺ بها مأموراً، وقال بعض العلماء: السماء في اللغة عبارة عما علاك، فالأولىٰ بالنسبة إلى السماء الثانية أرض، وكذلك السماء الثانية بالنسبة إلى الثالثة أرض، وكذلك البقية بالنسبة إلى ما تحته سماء وبالنسبة إلى ما فوقه أرض، فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الأرض الواحدة سبع سموات وسبع أرضين اهـ بحرفه.

قوله: ﴿بينهن﴾ الضمير عائد على السموات والأرضين عند الجمهور، أو على السموات والأرض عند من يقول إنها أرض واحدة اهـ سمين.

قوله: (ينزل به جبريل الخ) قال القاري: لم نجد هذا القول لغيره من المفسرين إذ غاية من فسر الأمر بالوحي قال في تفسيره قوله: بينهن أي: بين هذه الأرض العليا التي هي أولاها، وبين السماء السابعة التي هي أعلاها اهـ.

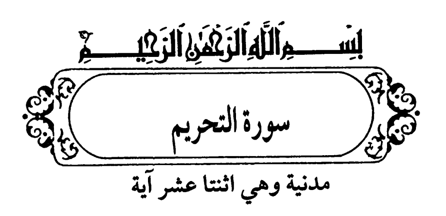
وهذا التوقف من القاري مبني على أن المراد بالوحي وحي التكليف بالأحكام وليس بلازم لإمكان حمله على وحي الصرف في الكائنات، وعبارة الخطيب: والأكثرون على أن الأمر هو القضاء والقدر، فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى: بينهن إشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها، فيجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن، وعن قتادة: وفي كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه، وقيل: هو ما يدبره فيهن من عجائب التدبير، وعن ابن عباس: أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق؟ قال. نعم. قال: فما الخلق؟ قال: إما ملائكة أو جن، وقال مجاهد: يتنزل الأمر من السموات السبع

السابعة ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾ متعلق بمحذوف، أي أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

إلى الأرض السبع، وقال الحسن: بين كل سماءين أرض وأمر، وقيل: ينزل الأمر بينهن بحياة بعض وموت وغنى قوم وفقر قوم، وقيل: ما يدبره فيهن من عجائب تدبيره فينزل الله المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار وبالصيف والشتاء، ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيئاتها فينقلهم من حال إلى حال. قال ابن كيسان: وهذا على اتساع اللغة كما يقال للموت أمر وللريح السحاب ونحوها اهـ.

قوله: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير﴾ أي: من غير هذا العالم يمكن أن يدخل تحت المشيئة قدير بالغ القدرة فيأتي بعالم آخر مثل هذا العالم وأبدع منه من ذلك إلى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم فإن من قدر على إيجاد ذرة من العدم قدر على إيجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها إلى ما لا نهاية له، لأنه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير وجليل وحقير ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اهـ خطيب.

وهذا كله بالنظر للإمكان العقلي وهذا لا يخالف ما نقل عن الغزالي من قوله: ليس في الإمكان أبدع مما كان لأن معناه أنه قد تعلق علم الله في الأزل بأنه لا يخلق عالماً غير هذا العالم، وإن كان خلقه جائزاً ممكناً فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار غير ممكن لأنه لو وقع لخالف مقتضى العلم الأزلي، فيلزم انقلاب العلم جهلاً فصار إيجاد عالم آخر غير هذا محالاً عرضياً، وإن كان ممكناً ذاتياً فهذا معنى قول الشيخ ليس في الإمكان أبدع مما كان أي لا يمكن أن يخلق الله عالماً غير هذا العالم، ونفي الإمكان هو الاستحالة فكأنه قال محال أن يخلق الله عالماً غير هذا العالم، وقد عرفت أن هذه الاستحالة عرضية لا ذاتية، وبهذا تعرف سقوط ما نقل عن البقاعي هنا تأمل. قوله: ﴿علماً﴾ تمييز محول عن الفاعل اهـ.



سورة التحريم

مدنية وهي اثنتا عشر آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ من أمتك مارية القبطية، لما واقعها في بيت حفصة وكانت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة النبي ﷺ اهـ قرطبي.

قوله: (مدنية) أي: في قوله الجميع اهـ قرطبي.

قوله: ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ الخ جرى الشارح كأكثر المفسرين على أن الذي حرمه رسول الله ﷺ هو مارية القبطية، والذي في الصحيحين أن الذي حرمه على نفسه هو شرب العسل، فقد روى الشيخان عن عائشة أن النبي ﷺ كان يحب الحلواء والعسل، كان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو من كل واحدة منهن، فدخل على حفصه بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت إليها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت رسول الله ﷺ منه شربة فقلت والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة وقلت لها: إذا دخل عليك ودنا منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء جمع مغفور بالضم كعصفور أي: صمغاً حلواً له رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز له رائحة كرائحة الخمر، فإنه سيقول لك: لا فقولي له: وما هذه الريح، وكان ﷺ يكره أن يوجد منه الريح الكريه، فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: أكلت نحله العرفط حتى صار فيه أي: في العسل ذلك الريح الكريه وإذا دخل عليّ فسأقول له ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك، فلما دخل على سودة قالت له مثل ما علمتها عائشة وأجابها بما تقدم فلما دخل على صفية قالت له مثل ذلك فلما دخل على عائشة قالت له مثل ذلك فلما كان اليوم الآخر ودخل على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا سقيك منه؟ قال: لا حاجة لي به. قالت: إن سودة تقول سبحان الله لقد حرمناه منه، فقلت لها اسكتي ففي هذه الرواية أن التي شرب عندها النبي ﷺ العسل هي حفصة، وفي رواية أخرى أن التي شرب عندها هي زينب بنت جحش وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن التي شرب عندها هي سودة، وقيل: إنها أم سلمة اهـ خطيب وخازن.

وفي البيضاوي: وقيل شرب عسلاً عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية، فقلن له: إنا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت الآية اهـ.

قوله: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾ فيه تنبيه له ﷺ على أن ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي،

غائبة، فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها، حيث قلت: هي حرام عليَّ ﴿تَبْتَغِى﴾ بتحريمها ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ﴾ أي رضاهنَّ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ غفر لك هذا التحريم ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ﴾ شرع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ﴾ تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة، ومن الايمان

والمراد بالتحريم هنا الامتناع عن الاستمتاع بمارية لا اعتقاد كونها حراماً بعد ما أحلها الله له، فإن هذا الاعتقاد لا يصدر منهُ ﷺ لأنه كفر اهـ خطيب.

قوله: (من أمتك مارية) هذا قول أكثر المفسرين في سبب النزول، ومحصله أن النبي ﷺ كان بقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة أستأذنت رسول الله في زيارة أبويها، فأذن لها فلما خرجت أرسل إلى جاريته مارية القبطية التي أهداها له المقوقس ملك مصر فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب فخرج النبي ووجهه يقطر عرقاً وحفصة تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل ذلك أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي أما رأيت حرمة وحقاً؟ فقال: «أليست هي جاريتي قد أحلها الله لي وهي حرام علي ألتمس بذلك رضاك ولا تخبري بهذه امرأة منهن»، فلما خرج قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة، فقالت ألا أبشرك إن رسول الله قد حرم عليه أمته مارية وإن الله قد أراحنا منها وأخبرتها بما رأت، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ اهـ خطيب.

قوله: (حيث قلت) متعلق بقوله: لم تحرم على أنه ظرف أو تعليل له اهـ شيخنا.

قوله: (تبتغي مرضاة أزواجك) جملة حالية من فاعل تحرم فهو من جملة محل العتاب، أي: فهذا لا ينبغي منك أن تشتغل بما يرضي الخلق، بل اللائق أن أزواجك وسائر الخلق تسعى في رضائك وتتفرغ أنت لما يوحى إليك من ربك اهـ خطيب.

قوله: (أي رضاهن) مصدر مضاف لفاعله أي: فالمرضاة بمعنى الرضاء اهـ خطيب.

قوله: ﴿وقد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ أي: قد شرع الله لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حل في يمينه إذا استثنى فيها، واحتج به من رأى التحريم مطلقاً يميناً أو تحريم المرأة يميناً وهو ضعيف إذاً لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يميناً مع احتمال أنه عليه السلام أتى بلفظ اليمين كما قيل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لكم﴾ أي: أنت وأمتك. وقوله: تحليلها أي: الخروج والخلاص منها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تحلة أيمانكم﴾ مصدر لحلل مضعفاً وهي نحو تكرمة وهذان ليسا مقيسين، فإن قياس مصدر فعل التفعيل إذا كان صحيحاً غير مهموز، فأما المعتل اللام نحو زكى، والمهموز اللام نحو نبأ فمصدرهما تزكية وتنبئة على أنه قد جاء التفعيل كاملاً في المعتل نحو باتت تنزي دلوها تنزياً واصله تحللة كتكرمة فأدغمت، وانتصابها على المفعول به اهـ سمين.

قوله: (تحليلها بالكفارة الخ) أشار إلى أن التحلة تحليل اليمين فكأنه عقد وتحلته الكفارة وقيل: التحلة الكفارة أي: أنها تحل للحالف ما حرم على نفسه فإذا كفر صار كمن لم يحلف اهـ كرخي.

تحريم الأمة، وهل كفَّر ﷺ؟ قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية، وقال الحسن: لم يكفر لأنه ﷺ مغفور له ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ هي حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريم مارية، وقال لها: لا تفشيه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ عائشة ظناً

قوله: (ومن الأيمان) أي: أيمان الطلاق تحريم الأمة أي: بقوله أنت حرام علي أو حرمتك فتجب به كفارة يمين ولا تحرم عليه، وهذا ما ذهب إليه الشافعي، ويدل له قوله: قد فرض الله لكم الآية اهـ كرخي.

وعبارة شرح المنهج: ولو قال لزوجته أنت عليَّ حرام أو حرمتك ونوى طلاقاً وإن تعدد أو ظهاراً وقع المنوي، لأن كلا منهما يقتضي التحريم، فجاز أن يكنى عنه بالحرام أو نواهما معاً أو مرتباً تخير وثبت ما اختاره منهما ولا يثبتان جميعاً، لأن الطلاق يزيل النكاح والظهار يستدعي بقاءه، وإلا بأن نوى تحريم عينها أو نحوها كفرجها أو رأسها أو لم ينو شيئاً فلا تحرم عليه لأن الأعيان وما ألحق بها لا توصف بذلك وعليه كفارة يمين كما لو قاله لأمته فإنها لا تحرم عليه وعليه كفارة يمين أخذاً من قضية مارية لما قال ﷺ: «هي عليَّ حرام» نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ إلى قوله: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ أي: أوجب عليكم كفارة ككفارة أيمانكم ولو حرم غير ما مرَّ كأن قال: هذا الثوب حرام عليّ فلغو لأنه غير قادر على تحريمه بخلاف الزوجة والأمة، فإنه قادر على تحريمها بالطلاق والإعتاق، انتهت.

وفي القرطبي: اختلف العلماء في الرجل يقول لزوجته أنت عليَّ حرام على ثمانية عشر قولاً، وذكرها مستوفاة بالتوجيه والتفريع عليها فراجعه إن شئت اهـ.

قوله: (قال مقاتل الخ) هذا هو الصحيح. قوله: (وقال الحسن لم يكفر) أي: وكفارة اليمين في هذه الصورة إنما أمر بها الأمة، والأول أصح، وأن المراد بذلك النبي ﷺ ثم أن الأمة تقتدي به في ذلك اهـ قرطبي.

قوله: (لأنه ﷺ مغفور له) في هذا التعليل نظر لأن وجوب الكفارة لا يستلزم سبق ذنب، بل قد يجب الحنث وتجب الكفارة كما لو حلف أن يزني فيجب عليه أن يحنث نفسه بترك الزنا، ومع ذلك تجب عليه الكفارة مع أنه فعل خيراً بالحنث تأمل. قوله: ﴿حديثاً﴾ أي: حديثاً ليس من شأن الرسالة وإلاَّ لعم به ولم يخص به ولا أسره اهـ خطيب.

قوله: (هو تحريم مارية) وأسر إليها أيضاً أن أباها عمر وأبا عائشة أبا بكر يكونان خليفتين على الأمة بعده، وهذا كله في طلب رضاها اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: حديثاً هو تحريم مارية أو العسل أو أن الخلافة بعده لأبي بكر وعمر اهـ.

قوله: ﴿فلما نبأت به﴾ أصل نبأ وأنبأ وخبر وأخبر وحدث أن تتعدى لاثنين، إلى الأول بنفسها، وإلى الثاني بحروف الجر وقد يحذف الجار تخفيفاً وقد يحذف الأول للدلالة عليه، وقد جاءت الاستعمالات الثلاث في هذه الآية، فقوله: فلما نبأت حذف أولهما، والثاني مجرور بالياء أي: نبأت به غيرها، وقوله: فلما نبأها به ذكرهما، وقوله: من أنبأك ذكرهما وحذف الجار اهـ سمين.

منها أن لا حرج في ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أطلعه ﴿عَلَيْهِ﴾ على المنبأ به ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ لحفصة ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۢ﴾ تكرماً منه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ أي الله ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت إلى تحريم مارية، أي سركما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف أي تقبلا، وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال

قوله: (ظنا منها الخ) أي: فهو باجتهاد منها فهي مأجورة فيه، وذلك لأن الاجتهاد جائز في عصره ﷺ على الصحيح، كما في جمع الجوامع اهـ شيخنا.

قوله: (أطلعه) ﴿عليه﴾ أن على لسان جبريل فأخبره بأن الخبر قد أفشي على عادته في مناصحته وإعلامه بما يقع في غيبته ليحذره إن كان شراً ويثبت عليه إن كان خيراً اهـ خطيب.

قوله: (على المنبأ) فيه تسمح لأن المنبأ به هو تحريم مارية وهو فعله، فلا يصح أن يقال فيه وأظهره الله عليه، وعبارة القرطبي: أي: أطلعه الله على أنها قد أنبأت به اهـ وهي أوضح تأمل

قوله: ﴿عرف بعضه﴾ وهو تحريم مارية أو العسل وأعرض عن بعض، وهو أن أباها وأبا بكر يكونان خليفتين بعده، فهذا من جملة الحديث الذي أسّره إليها كما تقدم، وإنما أعرض عن ذلك البعض خوفاً من أن ينتشر في الناس، فربما أثاره بعض المنافقين حسداً، وقرأ الجمهور: عرَّف بالتشديد والمفعول محذوف كما أشار إليه الشارح أي: عرفها بعض ما فعلت، وقرأ الكسائي بالتخفيف ومعناها جازى على ذلك البعض بأن طلق حفصة مجازاة على بعض ما فعلت ولم يؤاخذها بالباقي، فهذا على حد وما تفعلوا من خير يعلمه الله أي: يجازي عليه اهـ من الخطيب.

وفي القرطبي: وجازها النبي ﷺ بأن طلقها طلقة واحدة، فقال لها عمر: لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله ﷺ طلقك، فأمره جبريل بمراجعتها وشفع فيها اهـ.

قوله: (تكرماً منه) أي: وحياء وحسن عشرة، قال الحسن: ما استقصى كريم قط، وقال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام اهـ خطيب.

قوله: ﴿قالت من أنبأك هذا﴾ أي أني أفشيت السر، وقد كانت ظنت أن عائشة هي التي أخبرته اهـ خطيب.

قوله: (مالت إلى تحريم مارية) عبارة القرطبي: فقد صغت قلوبكما أي: زلفت ومالت عن الحق، وهو أنهما أحبا ما كره النبي ﷺ من اجتناب جاريته أو اجتناب العسل، وكان عليه الصلاة والسلام يحب العسل والنساء، وقال ابن زيد: مالت قلوبهما بأن سرّهما أن يحبس عن أم ولده فسرّهما ما كره رسول الله ﷺ اهـ.

قوله: (وجواب الشرط محذوف) أي: وأما قوله: فقد صغت قلوبكما فهو تعليل للشرط أي: إن تتوبا إلى الله لأجل الذنب الذي صدر منكما وهو أنه قد صغت قلوبكما الخ اهـ شيخنا.

قوله: (ولم يعبر به) أي: بأن يقول قلباكما، وقوله: فيما هو أي: في تركيب إضافي وهو مجموع

الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾ بإدغام التاء الثانية، في الأصل في الظاء، وفي قراءة بدونها تتعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ فصل ﴿مَوْلَىٰهُ﴾ ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، معطوف على محل اسم إن فيكونون ناصريه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ ظهراء أعوان له

المضاف والمضاف إليه فهما كالشيء الواحد من أجل تمام العلقة والنسبة بينهما اهـ.

قوله: (وفي قراءة بدونها) أي: سبعية.

قوله: ﴿فإن الله هو مولاه﴾ تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره: فلا يعدم ناصراً ولا معيناً فإن الله الخ اهـ شيخنا.

قوله: (فصل) أي: ضمير فصل. قوله: ﴿وصالح المؤمنين﴾ هو اسم جنس لا جمع، ولذلك يكتب من غير واو بعد الحاء كما هو رسم المصحف الإمام وفي السمين: قوله: وصالح المؤمنين الظاهر أنه مفرد، ولذلك كتب بالحاء دون واو الجمع، وجوزوا أن يكون جمعاً بالواو والنون وحذفت النون للإضافة وكتب دون واو اعتباراً بلفظه، لأن الواو ساقطة لإلتقاء الساكنين نحو: ﴿ويمح الله الباطل﴾ [الشورى: ٢٤] ﴿ويدع الداع﴾ [القمر: ٦] ﴿سندع الزبانية﴾ [العلق: ١٧] إلى غير ذلك اهـ.

قوله: (معطوف على محل اسم إن) أي: قبل دخول الناسخ، وهذا أجازه البعض دون البعض، وقوله: فيكونون ناصريه أي: فالخبر عن الكل هو قوله مولاه فيقدر بعد كل واحد منها اهـ شيخنا.

وفي السمين: ويجوز أن الكلام تم عند قوله: مولاه، ويكون جبريل مبتدأ وما بعد عطف عليه، وظهير: خبر الجميع فتخص الولاية بالله، ويكون جبريل قد ذكر في المعاونة مرتين مرة بالتنصيص عليه ومرة بدخوله في عموم الملائكة اهـ.

قوله: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ تعظيم لمظاهر الملائكة من جملة ما ينصره الله اهـ بيضاوي.

أي: لأن موقع قوله بعد ذلك هنا موقع ثم في قوله: ثم كان من الذين آمنوا في إفادة التفاوت الرتبي، ولما أوهم هذا أن نصرة الملائكة أعظم من نصرة الله وهو محال دفعه بأن نصرة الله على وجوه شتى، ومن أعظمها نصرته بالملائكة فتعظيم نصرة الملائكة لكونها نصرة الله يتضمن تعظيم نصرته تعالى، وإليه أشار بقوله: من جملة ما ينصره الله اهـ شهاب.

قوله: ﴿والملائكة﴾ مبتدأ، وقوله: ظهير وخبر وقد وضع فيه المفرد موضع الجمع، كما أشار إلى ذلك بقوله: ظهراء أو أن فعيلاً يستوي فيه الواحد وغيره كما مرَّ في قوله: عن اليمين وعن الشمال قعيد، وإنما عدل عن عطف المفرد إلى عطف الجملة ليؤذن بالفرق فإن نصرة الله هي النصرة في الحقيقة، وإنه تعالى إنما ضم إليها بالمظاهرة بجبريل وبصالح المؤمنين وبالملائكة للتتميم تطييباً للقلوب المؤمنين وتوقيراً لجانب الرسول وإظهاراً للآيات البينات كما في يوم بدر وحنين، قال الله تعالى: ﴿وما جعلهُ الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله﴾ [آل عمران: ١٢٦] اهـ كرخي.

في نصره عليكما ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ أي طلق النبي أزواجه ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ خبر عسى، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط

وفي القرطبي: ومعنى ظهير أعوان وهو بمعنى ظهراء كقوله تعالى: ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩] وقال أبو علي: قد جاء فعيل للكثرة كقوله: ﴿ولا يسأل حميم حميماً يبصرونهم﴾ [المعارج: ١٠] اهـ.

قوله: ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ الخ سبب نزولها أنه ﷺ لما أشاعت حفصة ما أسرّها به اغتم ﷺ وحلف ألاّ يدخل عليهن شهراً مؤاخذة لهن، ومكث الشهر في بيت مارية، فلما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بعائشة فدخل عليها فقالت له: إنك أقسمت على شهر، وإنك دخلت في تسع وعشرين ليلة، فقال لها: هذا الشهر تسع وعشرون ليلة. قالت عائشة: ثم بعد هذه القضية نزلت آية التخيير فبدأ بي فاخترته ثم خيرهن فاخترنه وآية التخيير وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾ [الأحزاب: ٢٨] إلى قوله: ﴿عظيماً﴾ ولما بلغ عمر أن النبي ﷺ اعتزل نساءه وشاع عند الناس أنه طلقهن أتاه وقال له: يا رسول الله: لا يشق عليك أمر النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله تعالى معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. قال عمر: وقلما تكلمت بكلام إلا رجوت أن الله يصدق قولي الذي أقوله فنزلت هذه الآية: ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ الخ، ونزل ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ الآية فاستأذن عمر النبي ﷺ أن يخير الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له، فقام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته: لم يطلق رسول الله نساءه ولما كان أشد ما على المرأة أن تطلق ثم إذا طلقت أن يستبدل بها ثم يكون البدل خيراً منها. قال تعالى محذراً لهن من مخالفته ﷺ ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ الخ اهـ من خازن والخطيب.

قوله: ﴿إن طلقكن﴾ تعليق تطليق الكل لا يدل على أنه لم يطلق حفصة، فقد روي أنه طلقها طلقة ولم يزدها ذلك إلا فضلاً وشرفاً، لأن الله أمره أن يراجعها لأنها صوامة قوامة اهـ خطيب.

فالممتنع بمقتضى الآية إنما هو تطليق الكل فلا ينافي أنه طلق واحدة وأنها لم تبدل لأن التبديل إنما هو للكل وإنما هو مرتب على تطليق الكل اهـ شيخنا.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) سبعيتان. قوله: ﴿خيراً منكن﴾ فإن قيل: كيف تكون المبدلات خيراً منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خيراً منهن لأنهن أمهات المؤمنين؟ أجيب: بأنه إذا طلقهن لعصيانهن وإيذائهن إياه كان غيرهن من الموصوف بالصفات الآتية من الطاعة له خيراً، أو أن هذا على سبيل الفرض أو هو عام في الدنيا والآخرة فلا يقتضي وجود من هو خير منهن مطلقاً اهـ خطيب.

وفي الكرخي: والمراد خيراً منكن في حفظ سره ومتابعة رضاه مع اتصافهن بهذه الصفات المشتركة بينكن وبينهن، فلا يرد كيف أثبت الخيرية لهن بالصفات المذكورة بقوله: مسلمات مع اتصاف أزواجه ﷺ بها أيضاً اهـ.

قوله: (والجملة جواب الشرط) أي: أن الجملة عسى واسمها وخبرها جواب الشرط واعترض بالشرط بين اسمها وخبرها اهتماماً به ومبادرة إلى تخويفهن، لكن فيه أن هذه الجملة فعلها جامده، والجملة إذا كانت كذلك ووقعت جزاء للشرط وجب قرنها بالفاء كما هو مقرر في محله، وقوله: ولم

﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ مقرات بالإسلام ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مخلصات ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مطيعات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات أو مهاجرات ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالحمل على طاعات الله ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد

يقع التبديل الخ. عبارة الخطيب: وقيل: كل عسى في القرآن واجب الوقوع إلا هذه الآية، وقيل: هي من الواجب أيضاً، ولكن الله علقه بشرط وهو التطليق للكل ولم يطلقهن اهـ.

وفي الكرخي: قال ابن عرفة: وعسى هنا للتخويف لا للوجوب اهـ.

قوله: (مسلمات الخ) إما نعت حال أو منصوب على الاختصاص. قوله: ﴿تائبات﴾ أي: راجعات عن الهفوات والزلات، وقوله: عابدات أي: متذللات اهـ خطيب.

قوله: (صائمات أو مهاجرات) الأول قاله ابن عباس، والثاني قاله الحسن، وقال الفراء وغيره: سم الصائم سائحاً لأن السائح لا زاد معه، فلا يزال ممسكاً إلى أن يجد ما يطعمه فشبّه الصائم به في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره، وأصل السياحة الجولان في الأرض اهـ خطيب.

قوله: ﴿ثيبات وأبكاراً﴾ أي: بعضهن كذا وبعضهن كذا، وإنما وسطت الواو بين ثيبات وأبكاراً لتنافي الوصفين فيه دون سائر الصفات وثيبات ونحوه لا ينقاس لأنه اسم جنس مؤنث والثيب وزنها فيعل من ثاب يثوب أي: رجع كأنها ثابت بعد زوال عذرتها وأصلها ثيوب كسيد وميت أصلهما سيود وميوت فأعلا الاعلال المشهور اهـ سمين.

وفي القرطبي: وإنما سميت الثيب ثيباً لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها أو إلى غيره إن فارقها، وقيل: لأنها ثابت إلى بيت أبوايها، وهذا أصح لأنه ليس كل ثيب تعود إلى زوجها، وأما البكر فهي العذراء سميت بكراً لأنها أول حالتها التي خلقت بها اهـ.

فإن قلت: أي: مدح في كونهن ثيبات؟ قلت: الثيب قد تمدح من جهة أنها أكثر تجربة وعقلاً وأسرع حبلاً غالباً، والبكر تمدح من جهة أنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة وملاعبة غالباً اهـ كرخي.

قوله: ﴿قوا أنفسكم﴾ أي: اجعلوا لها وقاية بالتأسي به ﷺ في ترك المعاصي وفعل الطاعات، وقوله: وأهليكم أي: من النساء والوالدان وكل من يدخل في هذا الاسم بالنصح والتأديب اهـ خطيب.

فقول الشارح بالحمل على طاعة الله راجع لقوله: وأهليكم أي: بأن تأمروهم بالمعروف وتنهوهم عن المنكر اهـ شيخنا.

وقوا: أمر الوقاية فوزنه عوا، لأن الفاء حذفت لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة وهذا محمول عليه، واللام حذفت حملاً له على المجزوم بيانه أن أصله أوقيوا كاضربوا فحذفت الواو التي هي فاء الكلمة لما تقدم، وحذفت همزة الوصل لحذف مدخولها الساكن واستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان فحذفت الياء وضم ما قبل الواو لتصح اهـ سمين.

قوله: ﴿وقودها﴾ أي: ما توقد به. قوله: (كأصنامهم) مثال للحجارة التي توقد النار بها،

بما ذكر، لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ خزنتها، عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر ﴿غِلَاظٌ﴾ من غلظ القلب ﴿شِدَادٌ﴾ في البطش ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ بدل من لفظ الجلالة، أي لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ يقال لهم

وقوله: منها حال من أصنامهم والضمير للحجارة، أي: حال كون أصنامهم من جملة الحجارة ومنحوتة منها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عليها ملائكة﴾ أي: تلي أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية اهـ أبو السعود.

قوله: (من غلظ القلب) أي: قسوته لا من غلظ الجسم ولا من غلظ الأقوال كما قيل، وعبارة القرطبي: غلاظ شداد يعني الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا خلقوا من الغضب، وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب، وقيل: شداد الأبدان، وقيل غلاظ في أخذ أهل النار شداد عليهم، يقال: فلان شديد على فلان أي: قوي عليه يعذبه بأنواع العذاب، وقيل: أراد بالغلاظ ضخامة أجسادهم، وبالشدة القوة قال ابن عباس: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فتدفع الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم. وذكر ابن وهب قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنم: «ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب» اهـ.

قوله: ﴿ما أمرهم﴾ ما مصدرية كما أشار بقوله أمر الله، وفي السمين: قوله: ما أمرهم يجوز أن يكون ما بمعنى الذي والعائد محذوف أي أمرهموه، والأصل ما أمرهم به لا يقال كيف حذف العائد المجرور ولم يجر الموصول بمثله لأنه يطرد حذف هذا الحرف فلم يحذف إلا منصوباً، وأن تكون مصدرية ويكون محلها بدلاً من اسم الله بدل اشتمال كأنه قيل: لا يعصون أمره اهـ.

قوله: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي: ما يؤمرون به اهـ.

قوله: (تأكيد) أي: لأن مفاد الجملة الثانية هي مفاد الأولى، وقال الزمخشري: فإن قلت: أليست الجملتان في معنى واحد؟ قلت: لا فإن معنى الأول أنهم يقبلون أوامره ويلتزمونها، ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فحصلت المغايرة، وقيل: لا يعصون الله فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل وصدر بهذا البيضاوي اهـ خطيب.

قوله: (والآية تخويف للمؤمنين الخ) جواب عن سؤال حاصله أنه تعالى خاطب المشركين في قوله: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾ [البقرة: ٢٤] الخ فجعلها معدة للكافرين، فما معنى مخاطبة المؤمنين بذلك؟ وحاصل الجواب: أن الآية أمر بالتوقي عن الارتداد المؤدي للنار المعدة للكافرين، وأنها أيضاً خطاب للمنافقين وهم من جملة الكافرين اهـ خطيب.

قوله: (يقال لهم ذلك) أي: يقال لهم: يا أيها الذين كفروا الخ فهو لقول لقد حذف ثقة بدلالة الحال عليه أي: يقال لهم ذلك عند إدخال الملائكة إياهم النار حسبما أمروا به أبو السعود.

ذلك عند دخولهم النار، أي لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ أي جزاءه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمها صادقة، بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه

قوله: (أي لأنه لا ينفعكم) أي: لأنه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار، وقد فات زمان الاعتذار وصار الأمر إلى ما صار اهـ خطيب.

قوله: (أي جزاءه) أشار إلى تقدير مضاف في قوله: ﴿ما كنتم تعلمون﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (بفتح النون وضمها) وعلى الفتح فهو صفة مشبهة فيه مبالغة من حيث إسناد النصح إلى التوبة مجازاً، وإنما هو من التائب، وقوله: وضمها وعليه فهو مصدر كالشكور والكفور، فوصفت به التوبة مبالغة على حد: زيد عدل، وقوله: صادقة راجع لكل من القراءتين اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ الجمهور بفتح النون وهي صيغة مبالغة أسند النصح إليها مجازاً وهي من نصح الثوب أي: خاطه فكأن التائب يرقع ما مزقه بالمعصية، وقيل: من قولهم عسل ناصح أي: خالص، وقرأ أبو بكر، عن عاصم بضم النون وهو مصدر لنصح. يقال: نصح نصحاً ونصوحاً نحو كفر كفراً وكفوراً وشكر شكراً وشكوراً. وفي انتصابه أوجه، أحدهما: أنه مفعول له أي: لأجل النصح العائد نفعه عليكم. والثاني: أنه مصدر مؤكد لفعل محذوف أي: تنصحهم نصحاً. الثالث: أنه صفة لها إما على المبالغة على أنها نفس المصدر أو على حذف مضاف أي: ذات نصوح اهـ.

قوله: (بأن لا يعاد إلى الذنب) أشار إلى أن وصف التوبة بالنصح مجاز، وإنما هو وصف التائبين لأنهم ينصحون نفوسهم، فذكرت بلفظ المبالغة على حد قولهم: شعر شاعر أي: ارجعوا إلى طاعة الله ناصحين أنفسكم، وما ذكره في تفسيرها هو أحد ما قيل فيها من ثلاثة وعشرين قولاً متقاربة المعنى، منها: ما روي عن معاذ مرفوعاً هي أن لا يحتاج بعدها إلى توبة أخرى اهـ كرخي.

وعبارة الخطيب: تنبيه أمرهم بالتوبة وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وفي كل الأزمان. واختلفوا في معناها فقال عمر ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع، وقال الحسن: هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على أن لا يعود فيه، وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن، وعن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار، وعن سماك أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله تعالى أمام عينيك وتتبعه نظرك، وعن السدي: لا تصح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله، وقال سعيد بن المسيب: توبة ينصحون فيها أنفسهم، وقال القرطبي: يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيىء الإخوان. قال الفقهاء: التوبة التي لا تعلق لحق آدمي فيها لها ثلاثة شروط، أحدهما: أن يقلع عن المعصية. وثانيها: أن يندم على ما فعله. وثالثها: أن يعزم على أن لا يعود إليها. فإذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحاً وإن فقد شرط منها لم تصح توبته، وإن كان تتعلق بآدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة، والرابع أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت المعصية مالاً ونحوه ردّ إلى مالكه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكّنه من نفسه أو طلب العفو منه، وإن كانت غيبة استحله منها. قال العلماء: التوبة واجبة من

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ ترجية تقع ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾ بإدخال النار ﴿ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ﴾ مستأنف ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم

كل معصية كبيرة أو صغيرة على الفور ولا يجوز تأخيرها، وتجب من جميع الذنوب وإن تاب من بعضها صحت توبته عما تاب منه، وبقي الذي لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقال ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة». وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يسقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» وعن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها». وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر». وعن علي أنه سمع أعرابياً يقول: اللهم إني استغفرك وأتوب إليك. فقال: يا هذا إن سرعة الاستغفار بالتوبة توبة الكاذبين. قال: وما التوبة؟ قال: يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما أذبتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي. وعن حذيفة: يحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه اهـ بحروفه.

قوله: (ترجية) بالياء كتزكية، وقوله: تقع أشار إلى أن هذا الترجي واجب الوقوع على القاعدة المتقدمة من أن كل ترج في القرآن من الله فهو واجب الوقوع أي: وقوع متعلقه وهو هنا التكفير وإدخال الجنة، والمراد أنه واجب بمقتضى الفضل والكرم وصدق الوعد وليس واجباً عقلياً تأمل.

قوله: ﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾ منصوب بيدخلكم أو بإضمار اذكر اهـ سمين.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أن يكون معطوفاً على النبي أي ولا يخزي الذين آمنوا، فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستأنفاً أو حالاً. والثاني: أن يكون مبتدأ خبره نورهم يسعى، ويقولون خبر ثان أو حال اهـ سمين.

قوله: ﴿آمنوا معه﴾ أي: صاحبوه في وصف الإيمان، وقوله: يسعى بين أيديهم أي: على الصراط. قوله: ﴿و﴾ (يكون) ﴿بأيمانهم﴾ لا حاجة لهذا التقدير بل إبقاء النظم على ظاهره أولى، والمعنى يسعى بين أيديهم ويسعى بأيمانهم عن أيمانهم، والمراد بأيمانهم جهاتهم كلها. وفي الخطيب. والتقييد بالأمام لا ينفي أن لهم نوراً على شمائلهم بل لهم نور، لكن لا يلتفتون إليه لأنهم إما من السابقين فيمشون فيما هو أمامهم، وإما من أهل اليمين فيمشون فيما هو عن أيمانهم، وأخرج ابن جرير، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه اهـ. من البدور للسيوطي اهـ من حواشي البيضاوي.

قوله: (والمنافقون يطفأ نورهم) عطف سبب أي: سبب قول المؤمنين ذكر أنهم يرون المنافقين

﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ هي ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا

يتقد لهم نور في نظير إقرارهم بكلمة التوحيد، فإذا مشوا طفىء فيمشون في ظلمة فيقعون في النار، فإذا رأى المؤمنون هذه الحالة أشفقوا وخافوا أن يطفأ نورهم فسألوا الله دوامه حتى يوصلهم إلى الجنة والجنة لا ظلام فيها اهـ شيخنا.

فالمراد بإتمامه إبقاؤه ودوامه. وفي الكرخي: قوله: إلى الجنة أي: يطلبون الدوام إشفاقاً بسبب ما ينظرون إلى نور المنافقين وانطماسه جزاء لما كانوا يخادعون الله والذين آمنوا أو يطلبون الدوام لا خوفا بل تقرباً. قال في الكشاف: فإن قلت: كيف يشفقون والمؤمنون آمنوا أم من يأتي آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الأكثر، أو كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب أي: الدار الآخرة ليست دار تكليف فمن لم يتقرب إلى الله تعالى بالأعمال لا يتقرب إليه في الآخرة؟ قلت: أما الإشفاق فيجوز أن يكون العادة البشرية وإن كانوا معتقدين للأمن، وإما التقرب فلما كان حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقريباً اهـ.

وأنت خبير بأنه جاء في الحديث ما يخالف قوله: وليست الدار الخ. روينا عن الإمام أحمد بن حنبل، والترمذي، وأبي داود عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن أقرأ وارق ورتل كما كانت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»: وروى ابن ماجة، عن أبي سعيد نحوه. ويمكن أن يقال أن الترقي يحسب ما ثبت له في الدنيا من المنزلة، والترقي في الجنة بالقراءة علامة انتهاء تلك المرتبة قاله الطيبي اهـ.

قوله: ﴿واغلظ عليهم﴾ أي: شدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم باللين، وفي القاموس الغلظة مثلثة والغلظة بالكسر كعنب ضد الرقة والفعل ككرم وضرب فهو غليظ وغلاظ كغراب، وأغلظ له في القول شيخنا اهـ.

وقوله: بالانتهاء أي: الزجر، وفي القاموس: ونهره كمنعه زجره فانتهر اهـ.

وقوله: والمقت أي: البغض ففي القاموس مقته مقتاً على مثال كتب أبغضه اهـ.

قوله: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ الخ لما كان لبعض الكفار قرابة بالمسلمين فربما تواهموا أنها تنفعهم، وكان لبعض المسلمين قرابة بالكفار وربما توهموا أنها تضرهم ضرب لكم مثلاً، وبدأ بالأول فقال ضرب الله مثلاً الخ اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط أي: مثل الله حالهم في أنهم يعاقبون لكفرهم، ولا يحابون لما بينهم وبين النبي عليه السلام والمؤمنين من النسبة بحال هاتين المرأتين اهـ.

وفي أبي السعود: ضرب الله مثلاً أي: بيَّن وقرر، وضرب المثل في أمثال هذه المواضع عبارة

صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح واسمها واهلة تقول لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط واسمها واعلة تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً بإيقاد النار، ونهاراً بالتدخين ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ﴾ لهما ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ

عن إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة، ومثلاً: مفعول ثان لضرب مقدم، واللام متعلقة به، وقوله: امرأت نوح الخ على حذف مضاف أي: حالهما مفعول ضرب الأول أخر عنه ليتصل به ما هو تفسير، وشرح لهما أي: جعل الله حال هاتين المرأتين مثلاً أي: مشابهاً لحال الكفرة، فالكفار اتصلوا بالنبي ولم ينفعهم الاتصال بدون الإيمان والمرأتان كذلك، فقوله: كانتا الخ بيان لحالهما الداعية إلى الخير والصلاح، وقوله: فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي فهو تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم رسول الله بالكفر والعصيان مع تمكنهم من الإيمان والطاعة، وقوله: فلم يغنيا عنهما الخ بيان لما أدت إليه خيانتهما اهـ.

قوله: ﴿امرأت نوح﴾ ترسم امرأت في هذه المواضع الثلاثة، وابنت بالتاء المجرورة، ووقف عليهن بالهاء ابن كثير، وأبو عمرو والكسائي، ووقف الباقون بالتاء اهـ خطيب.

قوله: ﴿كانتا تحت عبدين﴾ جملة مستأنفة كأنها مفسرة لضرب المثل ولم يؤت بضميرهما، فيقال: تحتهما أي: تحت نوح ولوط لما قصد من تشريفهما بهذه الإضافة الشريفة اهـ سمين.

وفي الكرخي: وفي ذلك مبالغة في المعنى المقصود، وهو أن الإنسان لا ينفعه عادة إلا صلاح نفسه لإصلاح غيره وإن كان ذلك الغير في أعلى مراتب الصلاح والقرب من الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿فخانتاهما﴾ (في الدين) أي: لا في الزنا، فقد ورد عن ابن عباس: أنه ما زنت امرأة نبي قط اهـ خطيب.

وقوله: إذ كفرتا تعليل اهـ.

قوله: (واسمها واهلة) بتقديم الهاء على اللام، وقيل: بالعكس أي: بتقديم اللام على الهاء، وقوله: واعلة بتقديم العين على اللام، وقيل: بالعكس أي بتقديم اللام على العين اهـ من الخازن والخطيب.

قوله: (تدل قومه) في نسخة تدل قومها على أضيافه. قوله: ﴿شيئاً﴾ أي: من الإغناء فهو مفعول مطلق أو مفعول به كما تفيده عبارة الكرخي ونصه: والحاصل أن معنى الآية لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله تعالى عن زوجتيهما لما عصتا من عذاب الله شيئاً تنبيهاً بذلك، على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة اهـ.

قوله: ﴿وقيل﴾ (لهما) ﴿ادخلا النار﴾ الماضي بمعنى المضارع أي: ويقال لهما عند إدخالهما أي: تقول لهما خزنة النار أدخلا النار مع الداخلين اهـ.

قوله: ﴿امرأة فرعون﴾ أي: جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تضر مع

﴿فِرْعَوْنَ﴾ آمنت بموسى، واسمها آسية، فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحى عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرّق عنها من وكل بها، ظللتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكشف لها فرأته، فسهل عليها التعذيب ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ وتعذيبه ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ أهل دينه،

الإيمان، قوله: إذا قالت ظرف للمثل المحذوف أي: مثلهم كمثلها حين قالت الخ اهـ خطيب وأبو السعود.

قوله: (آمنت بموسى) أي: لما غلب السحرة وتبين لها أنه على الحق ولم تضرها الوصلة بالكفرة وهي الزوجية التي هي من أعظم الوصل، ولا نفعه إيمانها كل امرىء بما كسب رهين، وأبدلها الله عن هذه الزوجية أن جعلها في الآخرة زوجة خير خلقه محمد ﷺ، وكذا زوجه الله تعالى في الجنة مريم بنت عمران، وعن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال لها: «يا خديجة إذا لقيت ضراتك فاقرئيهن مني السلام» فقالت: يا رسول الله وهل تزوجت قبلي؟ قال: لا، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وكلثوم أخت موسى، فقالت له: يا رسول الله بالرفاء والبنين. وروى الشيخان عن أبي موسى الأشعري أنه قال: كمل من الرجال كثير ولا يكمل من النساء إلا أربع مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون اهـ خطيب مع بعض زيادات.

قوله: (واسمها آسية) بالمد وكسر السين بنت مزاحم. قيل: إنها إسرائيلية وإنها عمة موسى، وقيل: إنها ابنة عم فرعون وأنها من العمالقة وكانت ذات فراسة صادقة في موسى حين قالت قرة عين لي، ومن فضائلها أنها اختارت القتل على الملك وعذاب الدنيا على النعيم الذي كانت فيه اهـ زرقاني على المواهب.

قوله: (بأن أوتد يديها الخ) أي: دق لها أربعة أوتاد في الأرض وشبحها فيها كل عضو بحبل اهـ خطيب.

قوله: (وألقى على صدرها رحى عظيمة) عبارة الخطيب: وفي القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقي عليها فلما أتوها بالصخرة قالت: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، فأبصرت البيت من مرمرة بيضاء وانتزعت روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألماً اهـ.

قوله: (واستقبل بها الشمس) أي: جعلها في قابلتها اهـ.

قوله: ﴿إذ قالت﴾ الخ ظرف لمثلاً اهـ.

قوله: ﴿ابن لي عندك﴾ أي: قريباً من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين اهـ بيضاوي.

وقوله: قريباً من رحمتك هو تفسير لقوله عندك وعندك حال من ضمير المتكلم أو من بيتاً لتقدمه عليه، وفي الجنة بدل أو عطف بيان لقوله عندك، أو متعلق بقوله ابن وقدم عندك هنا للإشارة إلى قولهم: الجار قبل الدار. أو هو بمعنى أعلى الدرجات لأن ما عند الله خير اهـ شهاب.

قوله: (فرأته) أي: البيت قوله: (وتعذيبه) عطف تفسير لعمله، وفي الخطيب: وعمله تسلطه

فقبض الله روحها، وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب ﴿وَمَرْيَمَ﴾ عطف على امرأة فرعون ﴿ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي جبريل، حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى، فعله الواصل إلى فرجها، فحملت بعيسى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ١٢﴾ أي من القوم المطيعين.

عليَّ بما يضرني عندك في الآخرة بأن لا أعمل بشيء من عمله وهو شركه، وقال ابن عباس: جماعه اهـ.

قوله: (عطف على امرأة فرعون) أي: فهي من جملة المثل الثاني فمثل حال المؤمنين بامرأتين كما مثل حال الكفار بامرأتين اهـ شيخنا.

قوله: (حفظته) أي: من الرجال فلم يصل إليها رجل لا بنكاح ولا بزنا اهـ من الخطيب.

قوله: (أي جبريل) تفسير لروحنا، وقوله: حيث نفخ الخ بيّن به أن الإسناد في نفخنا مجازي، أي: فأسند إلى الله من حيث أنه الخالق والموجد، وقوله: في جيب درعها أي طوق قميصها، وقوله: بخلق الله بيان لحقيقة الإسناد، وقوله: فعله أي: فعل جبريل وهو النفخ، وقوله: الواصل إلى فرجها أي: بواسطة كونه في جيب القميص لا مباشرة وقوله: فحملت بعيسى أي عقب النفخ، فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة على ما تقدم للشارح في سورة مريم اهـ شيخنا.

وقيل: المراد بالروح روح عيسى التي صار بها حياً فوصلت إلى فرجها بواسطة نفخ جبريل، فمعنى من روحنا فنفخنا فيه روحاً هي بعض أرواحنا التي خلقناها قبل خلق آدم بألفي عام، وإضافة الأرواح إلى الله تعالى إضافة مخلوق لخالقه للتشريف اهـ.

وفي القرطبي: ومعنى فنفخنا فيه أرسلنا جبريل فنفخ في جيبها من روحنا أي روحاً من أرواحنا وهي روح عيسى اهـ.

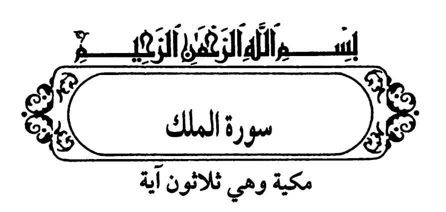
قوله: (بخلق الله تعالى) متعلق بنفخنا وكان المقام للإضمار بأن يقول بخلقنا وقوله: فعله أي: فعل جبريل وهو النفخ، ومعنى خلقه إيصال أثره وهو الريح والهواء الحاصل به إلى فرجها، فمعنى فنفخنا فيه من روحنا أوصلنا إليه الريح والهواء الخارج من نفس جبريل لما نفخ في جيب قميصها، وقوله: فحملت بعيسى معطوف على الواصل أي فوصل إليه فحملت بعيسى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكتبه﴾ (المنزلة) أي: على الأنبياء كإبراهيم وموسى وابنها عيسى اهـ خازن.

قوله: ﴿وكانت من القانتين﴾ يجوز في من وجهان، أحدهما: أنها لابتداء الغاية. والثاني: أنها للتبعيض. فعلى الأول لا يلزم التغليب في الكلام لأنها مبتدأ ومنشأة من القوم أي: الرجال الصالحين، إذ لفظ القوم خاص بالذكور على ما قاله بعضهم، وعلى الثاني يحتاج للتغليب فيستعمل لفظ القانتين في مجموع الذكور والإناث حتى يصح كونها بعض ذلك المجموع اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم فتكون من ابتدائية اهـ.

قوله: (من القوم المطيعين) وهم رهطها وعشيرتها، لأنهم أهل بيت صالحون لأنها من أعقاب هارون أخي موسى اهـ خازن وخطيب.



مكية وهي ثلاثون آية

﴿تَبَٰرَكَ﴾ تنزه عن صفات المحدثين ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ﴾ في تصرفه ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى أيضاً الواقية والمنجية، وتدعى في التوراة المانعة لأنها تقي وتنجي من عذاب القبر، وعن ابن شهاب أنه كان يسميها المجادلة، لأنها تجادل عن صاحبها في القبر. وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك». وعن عبد الله بن مسعود قال: إذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه، فتقول رجلاه: ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقوم بسورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه: ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ بي سورة الملك ثم قال: هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن» اهـ قرطبي.

قوله: (عن صفات المحدثين) أي: عن أن يكون جسماً أو في مكان أو غير ذلك مما يأتي إيضاحه في سورة الإخلاص اهـ كرخي.

قوله: (السلطان) أي: الاستيلاء والتمكن من سائر الموجودات يتصرف فيها كيفما أراد. قال الرازي: الملك تمام القدرة واستحكامها. يقال: ملك بين الملك بالضم، ومالك بين الملك بالكسر اهـ كرخي.

وعلى هذا فيراد بالملك المملوكات أي الممكنات وسائر الكائنات، وذلك ليصح قوله بيده إذ المراد بها القدرة أي: بيده أي: قدرته سائر الكائنات بمعنى أنه متمكن من التصرف فيها على حسب ما يريد، وأما حمل الملك على تمام القدرة فلا يظهر معه قوله: بيده الملك لأنه يؤول إلى أن يقال بقدرته تمام القدرة فليتأمل.

وعبارة الخطيب تبارك أي: تكبر وتقدس وتعالى وتعاظم وثبت ثباتاً لا مثل له مع اليمن والبركة، وقيل: دام فهو الدائم الذي لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه. الذي بيده: أي بقدرته وتصرفه لا بقدرة غيره. الملك: أي: له الأمر والنهي وملك السموات في الدنيا والآخرة، وقال ابن عباس: بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع. قال الرازي: وهذه الكلمة

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ في الدنيا ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا، فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي ما به الإحساس، والموت ضدها أو عدمها قولان، والخلق

تستعمل لتأكيد كونه تعالى ملكاً ومالكاً كما يقال: بيد فلان الأمر والنهي والحل والعقد، وذكر اليد إنما هو تصوير للإحاطة ولتمام قدرته لأنها محلها مع التنزه عن الجارحة وعن كل ما يفهم حاجة أو شبهها اهـ.

قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ هذه الجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى في جلائل الأمور ودقائقها اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: قوله: وهو على كل شيء قدير لما اقترن الشيء بقوله: قدير علم أن المراد منه المعدوم الذي يدخل تحت القدرة دون غيره، وفي كلامه إشارة إلى أن الآية من باب التكميل، فالقرينة الأولى تدل على التصرف التام في الموجودات على مقتضى إرادته ومشيئته من غير منازع ولا مدافع نصرف الملاك في ملكهم لا يتصرف فيها غيره حقيقة، ولهذا قدم الظرف للتخصيص، والقرينة الثانية دالة على القدرة الكاملة الشاملة، ولو اقتصر على القرينة الأولى لأوهم أن تصرفه مقصور على تغيير أحوال المُلْك كما يشاهد في تصرف الملاك المجازي فقرنت بالثانية ليؤذن بأنه عز سلطانه قادر على التصرف وعلى إيجاد الأعيان المتصرف فيها وعلى إيجاد عوارضها الذاتية وغيرها اهـ.

قوله: ﴿الذي خلق الموت﴾ الخ شروع في تفاصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح والموصول بدل من الموصول قبله اهـ أبو السعود.

وحكي عن ابن عباس، والكلبي، ومقاتل: أن الموت والحياة جسمان والموت في هيئة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء عليهم السلام يركبونها، خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء، ولا يجد ريحها إلا حيي، ولا تطأ على شيء إلا حيي وهي التي أخذ السامري من أثرها تراباً فألقاه على العجل فحيي اهـ خطيب.

قوله: ﴿خلق الموت﴾ (في الدنيا) وهو الموت القاطع للحياة الدنيوية وقوله: في الآخرة وهي حياة البعث، وهذا القول لا يناسب قوله ليبلوكم الخ إذ الابتلاء إنما يترتب على حياة الدنيا، وقوله: أو هما في الدنيا أي: فالمراد بالموت عدم الحياة السابق على وجودنا الشامل لحال النطفة والعلقة والمضغة، والمراد بالحياة هي الحياة الدنيوية التي يدور عليها التكليف، فقوله: فالنطفة إشارة إلى الموت على ضرب من التسمح إذ النطفة ليست موتاً، وإنما الموت قائم بها، وقوله: وهي ما به الإحساس تفسير للحياة على كل من القولين أي: صفة يحصل بها الإحساس أي: صفة وجودية تقتضي الحس والحركة، وقوله: والموت ضدها أي: على كل من القولين فهو صفة وجودية تضاد الحس والحركة، وقوله: أو عدمها أي: عدم الحياة أعم من أن يكون سابقاً عليها أو متأخراً عنها، وقوله: قولان أي: في تعريف الموت جاريان على كل من القولين في تفسير الحياة اهـ شيخنا.

قوله: (والخلق على الثاني) أي القول الثاني في تفسير وهو أنه عدم الحياة، وقوله: بمعنى

على الثاني بمعنى التقدير ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أطوع لله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الْغَفُورُ ۝٢﴾ لمن تاب إليه ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض

التقدير أي وهو يتعلق بالوجوديات والعدميات، والمراد بالتقدير تعلق الإرادة الأزلي، وكذا تعلق القديم فمعنى خلق الموت على كونه عدمياً أنه أراده وعلمه في الأزل أي: وأما على الأول وهو أنه ضدها فيتعلق به الخلق حقيقة لأنه أمر وجودي يخرج من العدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليبلوكم﴾ أي: يعاملكم معاملة المبتلي والمختبر وإلاَّ فعلمه محيط بكل شيء، وقوله: أيكم أحسن عملاً مبتدأ وخبر، وعملاً تمييز، والجملة في محل نصب مفعول ثان ليبلوكم. قال أبو السعود: وتعليق فعل البلوى مع اختصاص التعليق بأفعال القلوب لما فيه أي: فعل البلوى من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر، فلذلك أجري مجراه بطريق التمثيل، وقيل: بطريق الاستعارة التبعية اهـ.

وفي الشهاب: قوله: ليبلوكم ليختبركم الخ. لكن هذا المعنى لا يليق به تعالى، لأن الاختبار يقتضي عدم علم المختبر بالكسر بحال المختبر بالفتح، فلهذا جعلوه استعارة تمثيلية أو تبعية على تشبيه حالهم في تكليفه تعالى لهم بتكاليفه، وخلق الموت والحياة لهم وإثابته لهم وعقوبته بحال المختبر مع من اختبره وجربه لينظر طاعته وعصيانه فيكرمه أو يهينه اهـ.

قوله: (ليختبركم في الحياة) أشار إلى أن اللام متعلقة بخلق من حيث تعلقه بالحياة إذ هي محل الاختبار والتكليف وأما الموت فلا اختبار ولا تكليف فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أي: من جهة العمل أي: عمله أحسن من عمل غيره، وروي عن عمر مرفوعاً: أحسن عملاً وأحسن خلقاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله، وقال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه، وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة، وقال الحسن: أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها، وقال السدي: أيكم أكثر للموت ذكراً وأحسن استعداداً وأشد خوفاً وحذراً، وقيل: يعاملكم معاملة المختبر فيبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره، وبالحياة ليبين شكره، وقيل: خلق الله الموت للبعث والجزاء وخلق الحياة للابتلاء، فإن قيل: الابتلاء هو التجربة والإمتحان حتى يعلم أنه يطيع أو يعصي، وذلك في حق الله تعالى العالم بجميع الأشياء محال. أجيب: بأن الابتلاء من الله تعالى وهو أن يعامل عبده معاملة تشبه معاملة المختبر كما مرت الإشارة إليه اهـ خطيب.

قوله: ﴿الذي خلق سبع سموات﴾ نعت للعزيز الغفور، أو بيان له، أو بدل منه، أو أنه في محمل رفع خبر مبتدأ محذوف، أو نصب على المدح اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿سبع سموات﴾ **الأولى**: من موج مكفوف. **والثانية**: من مرمرة بيضاء. **والثالثة**: من حديد. **والرابعة**: من صفر أي: نحاس أصفر. **والخامسة**: من فضة. **والسادسة**: من ذهب. **والسابعة**: من ياقوتة حمراء، وبين السابعة والحجب صحارى من نور اهـ خطيب.

قوله: ﴿طباقاً﴾ صفة لسبع سموات جمع طبقة كرحبة ورحاب، أو جمع طبق كجمل وجمال وجبل وجبال اهـ أبو السعود.

من غير مماسة ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لهنَّ أو لغيرهنَّ ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾ تباين وعدم تناسب ﴿فَٱرْجِعِ

أو مصدر طابق مطابقة وطباقاً وصف به على المبالغة: أو أنه منصوب بفعل مقدر أي: طبقت طباقاً من قولهم: طابق النعل أي: جعله طبقة أخرى، روي عن ابن عباس طباقاً أي: بعضها فوق بعض، قال البقاعي بحيث يكون كل جزء منها مطابقاً للجزء من الأخرى، ولا يكون جزء منها خارجاً عن ذلك. قال: وهي لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كرية والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة من جميع الجوانب، والثانية محيطة بالدنيا. وهكذا إلى أن يكون العرش محيطاً بالكل والكرسي الذي هو أقربها بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة، فما ظنك بما تحته وكل سماء في التي فوقها بهذه النسبة، وقد قرر أهل الهيئة أنها كذلك وليس في الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه اهـ خطيب.

قوله: (من غير مماسة) كأنه أخذه من السياق والمقام وإلاّ فليس في اللغة ما يدل على هذا المعنى، وفي المصباح: كغيره وأصل الطبق الشيء على مقدار الشيء مطبقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له اهـ.

قوله: ﴿ما ترى في خلق الرحمن﴾ استئناف والخطاب للرسول أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ومن زائدة لتوكيد النفي اهـ أبو السعود.

وإضافة خلق الرحمن من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف قدره الشارح بقوله: لهن أو لغيرهن اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: من تفاوت مفعول ترى ومن مزيدة فيه، وقرأ الأخوان من تفوت بتشديد الواو دون ألف، والباقون بتخفيفها وبألف هما لغتان بمعنى واحد كالتعهد والتعاهد والتظهر والتظاهر، وحكى أبو زيد تفاوت الشيء تفاوتاً بضم الواو وفتحها وكسرها، والقياس هو الضم كالتقابل والفتح والكسر شاذان، والتفاوت عدم التناسب لأن بعض الأجزاء يفوت الآخر، وهذه الجملة المنفية صفة لقوله طباقاً، وأصلها ما ترى فيهن فوضع مكان الضمير خلق الرحمن تعظيماً لخلقهن وتنبيهاً على سبب سلامتهن وهو خلق الرحمن قاله الزمخشري. وظاهر هذا أنها صفة لطباقاً وقال الظاهر فيها مقام المضمر، وهذا إنما نعرفه في خبر المبتدأ وفي الصلة على خلاف فيهما وتفصيل، وقال الشيخ: الظاهر أنه مستأنف وليس بظاهر لانفلات الكلام بعضه من بعض وخلق مصدر مضاف لفاعله والمفعول محذوف أي: في خلق السموات أو كل مخلوق وهو أولى ليعم وإن كان السياق مرشداً للأول اهـ.

قوله: ﴿فارجع البصر﴾ متعلق بقوله: ما ترى الخ على معنى التثبت حيث أخبر أولاً بأنه لا تفاوت في خلق الله، ثم قيل: فارجع البصر أي: ليتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة اهـ أبو السعود.

فكأنه قيل: إن أردت العيان بعد الإخبار فارجع البصر الخ اهـ.

وفي البيضاوي: فارجع البصر أي: قد نظرت إليها مراراً فانظر إليها مرة أخرى متأملاً فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها. وعبارة السمين: قوله: فارجع البصر متسبب عن قوله: ما ترى، وكرتين: نصب على المصدر كرتين وهو مثنى لا يراد به حقيقته في التكثير

﴿ٱلْبَصَرَ﴾ أعده إلى السماء ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ صدوع وشقوق ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كرّة بعد كرّة ﴿يَنقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلاً لعدم إدراك خلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ منقطع عن رؤية خلل ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ مراجم

بدليل قوله: ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير أي: مزدجر أو هو كليل، وهذان الوصفان لا يتأتيان بنظرتين ولا ثلاث، وإنما المعنى كرات، وهذا كقولهم: لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية شفع الواحد إنما يريدون التكثير أي: إجابة لك بعد أخرى، وإلا تناقض الغرض والتثنية قد تفيد التكثير بقرينة كما يفيده أصلها وهو العطف، وقال ابن عطية: كرتين معناه مرتين ونصبها على المصدر، وقيل: الأولى ليرى حسنها واستواءها، والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها اهـ.

قوله: ﴿هل ترى من فطور﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون متعلقة بفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر أي فارجع البصر فانظر هل ترى وأن يكون فارجع البصر مضمناً معنى فانظر لأنه بمعناه فيكون هو المعلق، وأدغم أبو عمرو لام هل في التاء هنا وفي الحاقة، وأظهر الباقون وهو المشهور في اللغة، والفطور: الصدوع والشقوق جمع فطر كفلس وفلوس اهـ سمين.

وفي المختار: والفطر الشق يقال فطره فانفطر وتفطر الشيء تشقق وبابه نصر اهـ.

قوله: ﴿ينقلب﴾ العامة بجزمه على جواب الأمر والكسائي في رواية برفعه وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون حالاً مقدرة. والثاني: أنه على حذف الفاء أي: فينقلب، وخاسئاً: حال. وقوله: وهو حسير حال إما من صاحب الأولى، وإما من الضمير المستتر في الحال قبلها فتكون متداخلة اهـ سمين.

قوله: ﴿خاسئاً﴾ (ذليلاً) عبارة القرطبي: خاسئاً أي: خاشعاً صاغراً متباعداً عن أن يرى شيئاً من ذلك، يقال: خسأت الكلب أي: أبعدته وطردته، وخسأ الكلب بنفسه من باب قطع يتعدى ولا يتعدى، وانخسأ الكلب أيضاً وخسأ بصره خسأ وخسوء أي: سد، ومنه قوله تعالى: ﴿ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ أي: قد بلغ الغاية في الإعياء، فهو بمعنى فاعل في الحسور الذي هو الإعياء ويجوز أن يكون مفعولاً من حسره بعد الشيء، ويقال: حسر بصره حسوراً أي: كلّ وانقطع نظره من طول المدى وما أشبه ذلك اهـ.

وفي المختار: حسر بصره انقطع من طول المدى وما أشبه ذلك فهو حسير ومحسوراً أيضاً وبابه جلس اهـ.

قوله: ﴿ولقد زينا الدنيا﴾ الخ شروع في ذكر دلائل أخرى على تمام قدرته بعد تلك الدلائل اهـ خطيب.

قوله: (القربى إلى الأرض) صيغة تفضيل أي: التي هي أقرب إلى الأرض من بقية السموات، وتزيينها بالكواكب لا يقتضي أنها مثبتة فيها فيخالف ما تقدم من أنها مثبته في الكرسي، لأن تزيينها من حيث ما يظهر لنا. وفي البيضاوي: ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها إذ التزيين بأظهارها فيها اهـ.

﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع، بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس، يؤخذ من النار فيقتل الجني أو يخبله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ النار الموقدة ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾ هي ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتاً منكراً كصوت

قوله: (بنجوم) أي: ففي الكلام استعارة تصريحية، لأن حقيقة المصباح كما في المختار السراج اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رجوماً﴾ جمع رجم وهو مصدر، والمراد به المفعول أي: ما يرجم به، فلذلك قال الشارح: مراجم أي: أموراً يرجم بها اهـ شيخنا.

وفي السمين: والرجوم جمع رجم وهو مصدر في الأصل أطلق على المرجوم به كضرب الأمير، ويجوز أن يكون باقياً على مصدريته ويقدر مضاف أي: ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار أنواعه اهـ.

قوله: (بأن ينفصل شهاب الخ) جواب عن سؤال، وعبارة الخازن: فإن قلت: جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي ثبوتها وبقاءها فيها، وجعلها رجوماً يقتضي زوالها وانفصالها عنها، فكيف الجمع بين هاتين الحالتين؟ قلت: قالوا أنه ليس المراد أنهم يرمون أجرام الكواكب، بل يجوز أن ينفصل من الكواكب شعلة يرمى بها الشيطان والكوكب باق بحاله، وهذا كمثل القبس الذي يؤخذ من النار وهي على حالها اهـ.

قوله: (أو يخبله) أي: يفسد عقله، وفي المختار: الخبل بسكون الباء الفساد وبفتحها الجن يقال به خبل أي: شيء من الأرض، وقد خبله من باب ضرب وخبله تخبيلاً واختبله إذا أفسد عقله أو عضوه، والخبال الفساد أيضاً اهـ.

قوله: (لا أن الكوكب يزول عن مكانه) أي: فقوله: وجعلناها رجوماً للشياطين على حذف مضاف أي: جعلناها شهباً دليله إلاَّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب، لكن قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث، زينة للسماء، ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدىٰ بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به. قوله: ﴿وأعتدنا﴾ أي هيأنا لهم أي الشياطين عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وللذين كفروا﴾ أي: من الشياطين والإنس، والجار والمجرور خبر مقدم، وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر.

قوله: ﴿إذا ألقوا فيها﴾ مفعول لسمعوا، والجملة مستأنفة، وقوله: لها متعلق بمحذوف على أنه حال من شهيقاً لأنه في الأصل صفته، ويجوز أن يكون على حذف مضاف أي: سمعوا لأهلها، وقوله: وهي تفور جملة حالية من الهاء في لها، وقوله: تكاد الخ حال من الضمير المستتر في تفور، كلما معمول لسألهم، والجملة استئناف اهـ من أبي السعود والسمين.

قوله: (صوتاً منكراً الخ) عبارة القرطبي: لها شهيقاً أي: صوتاً. قال ابن عباس: الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها تشهق إليهم شهقة البغل للشعير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف، وقيل:

الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ ۝٧﴾ تغلي ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ وقرىء تتميز على الأصل تتقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ غضباً على الكفار ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ رسول ينذركم عذاب الله تعالى ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكفار للنذر ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠﴾ ﴿فَاعْتَرَفُوا﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسُحْقًا﴾ بسكون

الشهيق من الكفار عند القائهم فيها قاله عطاء اهـ.

قوله: ﴿تكاد تميز﴾ أي: تقرب، وقوله: وقرىء تتميز أي: شاذاً.

قوله: (غضباً) تفسير لقوله: من الغيظ أشار به إلى أن المعنى على التعليل، وغضبها من غضب سيدها وخالقها، وتأتي يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به، وهي من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتتقطع الأزمة جميعها وتحطم على أهل المحشر فلا يردها عنهم إلا النبي ﷺ يقابلها بنوره، فترجع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر أن يقلع الأرض وما عليها من الجبال ويصعد بها في الجو لفعل من غير كلفة اهـ خطيب.

قوله: ﴿سألهم﴾ أي: سأل الفوج والجمع باعتبار معناه، ولذلك قال الشارح: جماعة، وفي المختار: الفوج الجماعة من الناس، والجمع أفواج وفووج بوزن فلوس اهـ.

قوله: ﴿ألم يأتكم نذير﴾ مفعول ثان لسأل أي: سألوهم جواب هذا الاستفهام أو عن جوابه اهـ.

وقوله: وعذاب الله أي: الذي نزل بكم اهـ.

قوله: ﴿قالوا بلى﴾ الخ جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المفادة به تأكيداً. إذ لو اقتصروا على بلى لفهم المعنى، ولكنهم صرحوا بالمفاد ببلى تحسراً وزيادة ندم في تفريطهم وليعطفوا عليه قولهم فكذبنا الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿قد جاءنا نذير﴾ أي: جاء كلاً منا نذير، أو أن هذا من كلام الفوج، وكل فوج له نذير فلا يحتاج إلى التأويل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكذبنا﴾ أي: فتسبب عن مجيئه أننا كذبناه في كونه نذيراً من جهته تعالى، وقلنا في حق ما تلاه علينا من الآيات إفراطاً في التكذيب ما نزل الله على أحد من شيء من الأشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليكم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلا في ضلال كبير﴾ أي: بعيد عن الحق، وقوله: ويحتمل أي: قوله إن أنتم الخ أن يكون من كلام الملائكة، وعلى هذا فقوله: إن أنتم إلا في ضلال كبير أي: في الدنيا كما ذكره الخازن. وقوله: وأن يكون من كلام الكفار هذا الاحتمال هو الذي استظهره جمهور المفسرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾ الخ أي: زيادة في توبيخ أنفسهم اهـ خطيب.

وقوله: ما كنا في أصحاب السعير أي: في عدادهم وهم الشياطين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فسحقاً﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على المفعول به أي: ألزمهم الله سحقاً.

الحاء وضمها ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ فبعداً لهم عن رحمة الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ يخافونه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في غيبتهم عن أعين الناس، فيطيعونه سراً، فيكون علانية أولى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ أي الجنة ﴿وَأَسِرُّواْ﴾ أيها الناس ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك، أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم، لا يسمعكم إله محمد ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون، أي أينتفي علمه بذلك ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ فيه؟ لا ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ سهلة للمشي فيها

والثاني: أنه منصوب على المصدر تقديره سحقهم الله سحقاً فناب المصدر عن عامله في الدعاء نحو جدعاً له وعقراً، فلا يجوز إظهار عامله اهـ سمين. وفي المختار: والسحق البعد يقال: سحقاً والسحق بضمتين مثله وقد سحق الشيء بالضم سحقاً بوزن بعد فهو سحيق أي: بعيد وأسحقه الله أي: أبعده. قوله: (بسكون الحاء وضمها) سبعيتان. قوله: (في غيبتهم عن أعين الناس) أشار به إلى أن بالغيب حال من الواو في يخشون وأن الباء بمعنى في، وقوله: فيكون أي: الخوف علانية أولى أي: لأنهم إذا خافوه فيما بينهم وبينه من غير اطلاع أحد عليهم فيخافونه علانية أولى، لأن العادة أن الإنسان يستتر عن الناس وإن لم يخف الله اهـ.

قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي: لذنوبهم. قوله: (بما فيها) أي: من الخواطر التي لا يتكلم بها، وقوله: فكيف بما نطقتم به أي: سراً، وهذا الاستدلال على تساوي السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى اهـ شيخنا.

قوله: (قال بعضهم لبعض الخ) وذلك أنهم كانوا يتكلمون في شأن النبي بما لا يليق فأخبره جبريل بذلك فأخبرهم النبي به، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم الخ، وقوله: لا يسمعكم إله محمد مجزوم في جواب الأمر.

قوله: ﴿من خلق﴾ من فاعل يعلم، وقوله: ما تسرون تنازعه كل من يعلم وخلق وصرح به غيره في كل منهما، فقال: ألا يعلم السر من خلق السر، فالمعنى أنه إذا كان خالقاً للسر الذي هو من جملة مخلوقاته لزم أن يكون عالماً به، فكيف يدعون أنه لا يعلمه، وذلك لأن الخلق هو الإيجاد والتكوين على سبيل القصد، والقاصد للشيء لا بد أن يكون عالماً بحقيقته كيفية وكمية، وقوله: بذلك أي: بما تسرون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهو اللطيف﴾ الخ حال وقوله: أي: فالاستفهام إنكاري، فقوله: لا نفي لقوله أينتفي الخ. فالمقصود نفي عدم إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذلولاً﴾ فعول بمعنى مفعول أي: مذللة مسخرة منقادة لما تريدون منها من مشي عليها وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك اهـ خطيب.

قوله: (سهلة للمشي فيها) بأن ثبتها بالجبال وبأن جعلها من الطين إذ لو جعلها حديداً أو ذهباً لكانت تسخن جداً في الصيف وتبرد جداً في الشتاء فلا يستطاع المشي عليها، وقوله: فامشوا أمر إباحة اهـ شيخنا.

﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ من القبور للجزاء ﴿ءَأَمِنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها وبين الأخرى وتركه وإبدالها ألفاً ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ سلطانه وقدرته ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ بدل من من ﴿بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ تتحرك بكم وترتفع فوقكم ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ﴾ بدل من من ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾

وقوله: في مناكبها أصل المنكب الجانب، وقيل: في مناكبها جبالها، وقيل: أطرافها، وقيل: فجاجها اهـ قرطبي.

فائدة:

حكى قتادة عن أبي الجلد، أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، للسودان اثنا عشر ألفاً، وللروم ثمانية آلاف، وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف اهـ خطيب.

قوله: (للجزاء) أي: فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم اهـ بيضاوي.

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: بين الثانية بقسميها المحققة والمسهلة، فقد اشتمل كلامه على خمس قراءات، اثنتان في التحقيق، واثنتان في التسهيل، والخامسة في الإبدال وكلها سبعية، وقوله: وإبدالها أي: الثانية.

قوله: ﴿من في السماء﴾ من مفعول به وهي عبارة عن الباري سبحانه وتعالى، ولما ورد على ظاهر النظم أنه يقتضي أن الباري تعالى في مكان وهو السماء أجاب عنه بأن الكلام على حذف المضاف للضمير المستكن في الظرف، والأصل من ثبت واستقر في السماء أي: ثبت واستقر هو أي: سلطانه وقدرته اهـ شيخنا.

قوله: (سلطانه وقدرته) أي: محل سلطانه ومحل قدرته وهو العالم العلوي وخص بالذكر، وإن كان كل موجود محلاً للتصرف فيه ومقدوراً له تعالى، لأن العالم العلوي أعجب وأغرب، فالتخويف به أشد من التخويف بغيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ أي: بعدما جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه الكائن فيها اهـ أبو السعود.

وقوله: بدل من من أي: بدل اشتمال.

قوله: (تتحرك بكم) قال الرازي: إن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فتنقلب فوقهم ويخسفهم إلى أسفل سافلين وتصير فوقهم فتتحرك أي: تجيء وتذهب كدوران الرحى على الحب اهـ خطيب.

وفي المختار: مار من باب قال تحرك وجاء وذهب، ومنه يوم تمور السماء موراً قال الضحاك: تموج موجاً اهـ.

قوله: ﴿أم أمنتم﴾ إضراب عن التهديد بما ذكر، وانتقال إلى التهديد بوجه آخر أي: بل أأمنتم من أي: الذي في السماء سلطانه وقدرته اهـ شيخنا.

ريحاً ترميكم بالحصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ إنذاري بالعذاب أي أنه حق ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم، أي أنه حق ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط، أي وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال

قوله: (بدل من من) أي: بدل اشتمال. قوله: (ريحاً ترميكم الخ) عبارة القرطبي: حاصباً أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل، وقيل: ريح فيها حجارة وحصباء، وقيل: سحاب فيها حجارة اهـ.

قوله: (عند معاينة العذاب) ظاهر السياق أن المراد العذاب الموعود به وهو خسف الأرض، وكذا في قوله الآتي فكيف كان نكير فيقتضي أن كفار مكة قد خسف بهم ورموا بالأحجار مع أنه لم يقع ذلك، فإن قيل: المراد بقوله فستعلمون الخ التخويف بعذاب الآخرة، قلنا: يصير في الكلام نوع تفكيك خصوصاً، وقد قال أبو السعود: أي إنذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ اهـ.

وهذا يقتضي أن الكلام في العذاب المخوف به وقد علمت ما فيه ولم ير من الشراح من نبه على هذا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كيف نذير﴾ أثبت ورش ياء نذير ونكير وقفاً وصلاً وحذفها الباقون في الحالين اهـ سمين.

وعلى كل حال فهي محذوفة رسماً كما في خط المصحف الإمام اهـ قرطبي.

قوله: (أي أنه) أي: الإنذار حق أي: نافذ وواقع مقتضاه. قوله: ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ أي: من قبل كفار مكة اهـ أبو السعود.

قوله: (أي أنه) أي: الإنكار حق أي: نافذ وواقع مقتضاه وهو التعذيب.

قوله: ﴿أولم يروا إلى الطير﴾ الواو عاطفة على مقدر هو مدخول الهمزة أي: أغفلوا ولم يروا اهـ أبو السعود.

وأجمع القراءة على قراءته بياء الغيبة لأن السياق للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل، ففيه الغيبة والخطاب أي: خطيب.

قوله: ﴿إلى الطير﴾ في المصباح: جمع الطائر طير مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور وأطيار، وقال أبو عبيدة، وقطرب: ويقع الطير على الواحد والجمع، وقال ابن الأنباري: الطير جماعة وتأنيثها أكثر من تذكيرها، ولا يقال الواحد طير بل طائر، وقلما يقال للأنثى طائرة اهـ.

قوله: ﴿صافات﴾ حال. قوله: ﴿ويقبضن﴾ (أجنحتهن) أي: يضممنها إلى جنوبهن إذا ضربنها بها حيناً فحيناً للاستظهار والاستعانة على التحرك والطيران اهـ أبو السعود.

قوله: (أي وقابضات) أي: فالفعل في تأويل اسم الفاعل، فإن قلت: لم لم يعبر باسم الفاعل

البسط والقبض ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ١٩﴾ المعنى: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب؟ ﴿أَمَّنْ﴾ مبتدأ ﴿هَٰذَا﴾ خبره ﴿ٱلَّذِى﴾ بدل من هذا ﴿هُوَ جُندٌ﴾ أعوان ﴿لَّكُمْ﴾ صلة الذي ﴿يَنصُرُكُم﴾ صفة جند ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ أي غيره يدفع عنكم عذابه، أي لا ناصر لكم ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ٢٠﴾ غرَّهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُۥۚ﴾ أي المطر عنكم،

ابتداء فيقال وقابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو وصف الأجنحة، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارىء غير أصل بلفظ الفعل الدال على التجدد على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح قاله الزمخشري اهـ خطيب.

قوله: ﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾ يجوز أن تكون الجملة مستأنفة وأن تكون بدلاً من الضمير في يقبضن قاله أبو البقاء والأول أظهر اهـ سمين.

قوله: ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب اهـ بيضاوي.

فيصير بمعنى العالم بالأشياء الدقيقة الغريبة اهـ زاده.

قوله: (أن نفعل بهم ما تقدم) أي: من الخسف وإرسال الحاصب.

قوله: ﴿من هذا الذي﴾ الخ قال بعض المفسرين: كان الكفار يمتنعون عن الإيمان ويعاندون رسول الله معتمدين على شيئين، أحدهما: قوتهم بأموالهم وعددهم. والثاني: اعتقادهم أن الأوثان توصل إليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات. فأبطل الله عليهم الأول بقوله: أمن هذا الذي هو جند لكم الآية، ورد عليهم الثاني بقوله: أمن هذا الذي يرزقكم الخ اهـ خطيب.

وأم هنا منقطعة مقدرة ببل وحدها لا بل وبالهمزة وإلا لدخل الاستفهام على مثله، لأن من استفهامية وبل للإضراب الانتقالي من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن آثار قدرته العجيبة إلى التبكيت بما ذكر والالتفات عن الغيبة إلى الخطاب للتشديد في ذلك التبكيت اهـ أبو السعود.

وفي السمين: العامة بتشديد الميم على إدغام ميم أم في ميم من وأم بمعنى، بل لأن بعدها استفهام وهو مبتدأ خبره اسم الإشارة، وقرأ طلحة بتخفيف الأول وتثقيل الثاني. قال أبو الفضل: معناه أهذا الذي هو جند لكم أم الذي يرزقكم اهـ.

قوله: ﴿هو جند لكم﴾ لفظه مفرد ومعناه جمع. قوله: (يدفع عنكم عذابه) تفسير لقوله: ينصركم. قوله: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ اعتراض مقرر لما قبله والالتفات عن الخطاب إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم الإعراض عنهم والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أمن هذا الذي يرزقكم﴾ تكتب أم موصولة في من أي: تكتب ميم واحدة بعد الهمزة،

وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله، أي فمن يرزقكم، أي لا رازق لكم غيره ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ تمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ تكبر ﴿وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ تباعد عن الحق ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا﴾ واقعاً ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ معتدلاً ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ وخبر من الثانية محذوف دلّ عليه خبر الأولى أي أهدى، والمثل في المؤمن والكافر، أي أيهما على هدى ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ

وتكتب النون في الميم موصولة بها، وكذا يقال فيما تقدم، ويقال أيضاً في الإعراب كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن أمسك رزقه﴾ أي: أسباب رزقه التي ينشأ عنها كالمطر، بل لو كان الرزق موجوداً كثيراً سهل التناول فوضع الآكل لقمة في فيه، فأمسك الله تعالى عنه قوة الازدراد لعجز أهل السموات وأهل الأرض عن أن يسوغوه تلك اللقمة اهـ خطيب.

قوله: ﴿بل لجوا﴾ الخ إضراب انتقالي مبني على مقدر يستدعيه المقام، كأنه قيل: آثر تمام التبكيت والتهجين إنهم لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا الخ اهـ أبو السعود.

قال الرازي: واللجاج تقحم الأمر مع كثرة الصوارف عنه اهـ خطيب.

قوله: ﴿أفمن يمشي مكباً﴾ الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحاً لحالهم، وتحقيقاً لشأن مذهبهما، والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وسقوطهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مكباً﴾ اسم فاعل من أكب اللازم المطاوع لكبه، يقال: كبَّه الله على وجهه في النار فأكب أي: سقط، وهذا على خلاف القاعدة من أن الهمزة إذا دخلت على اللازم تصيره متعدياً، وهنا قد دخلت على المتعدي فصيرته لازماً اهـ.

قوله: (وخبر من الثاني محذوف) لا حاجة إلى هذا لأن قولك: أزيد قائم أم عمرو لا يحتاج فيه من حيث الصناعة إلى حذف الخبر، بل تقول هو معطوف على زيد عطف المفردات ووحد الخبر لأن أم لأحد الشيئين اهـ سمين.

قوله: (والمثل في المؤمن والكافر) أي: فشبه المؤمن في تمسكه بالدين الحق ومشيه على منهاجه بمن يمشي في الطريق المعتدل الذي ليس فيه ما يتعثر به، وشبه الكافر في ركوبه ومشيه على الدين الباطل بمن يمشي في الطريق الذي فيه حفر وارتفاع وانخفاض فيتعثر ويسقط على وجهه كلما تخلص من عثرة وقع في أخرى، فالمذكور في الآية هو المشبه به والمشبه محذوف لدلالة السياق عليه، وأشار بقوله: أي: أيهما على هدى إلى أن أفعل التفضيل ليس على بابه بل المراد أصل الفعل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ أي: قل لهم يا أشرف الخلق مذكراً لهم بما دفع عنهم المولى من المفاسد وجمع لهم من المصالح ليرجعوا إليه ولا يعولوا في حال من الأحوال إلا عليه اهـ خطيب.

لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ما مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جداً على هذه النعم ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ للحساب ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فيه ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ بين الإنذار ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريباً

قوله: ﴿وجعل لكم السمع﴾ أي: لتسمعوا آيات الله وتتمسكوا بما فيه من الأوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والأبصار لتنظروا بها إلى الآيات التكوينية الشاهدة بشرف الله عز وجل والأفئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه من الآيات التنزيلية وفيما تشاهدونه من الآيات التكوينية قليلاً ما تشكرون، أي: باستعمال هذه الحواس فيما خلقت لأجله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ تقدم أن قليلاً صفة مصدر مقدر أي: شكراً قليلاً وما مزيدة لتأكيد التقليل، والجملة حال مقدرة والقلة على ظاهرها أو بمعنى العدم إن كان الخطاب للكفرة اهـ شهاب.

قوله: ﴿قل هو الذي ذرأكم﴾ أي: خلقكم وبثكم ونشركم وكثركم وأنشأكم بعدما كنتم كالذر اهـ خطيب.

قوله: ﴿ويقولون﴾ أي: من فرط عتوهم أي: استهزاء وتكذيباً متى هذا وزادوا في الاستهزاء بقولهم الوعد اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ خطاب للنبي والمؤمنين لأنهم كانوا مشاركين له في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له، وجواب الشرط محذوف أي: إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته اهـ أبو السعود.

قوله: (بمجيئه) أي بوقت مجيئه. قوله: (بين الإنذار) أي: بإقامة الأدلة حتى يصير ذلك كأنه مشاهد اهـ خطيب.

أي: والإنذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فلما رأوه زلفة﴾ الفاء فصيحة معربة عن تقديره جملتين وترتيب الشرطية عليهما، كأنه قيل: وقد أتاهم الموعود به فرأوه فلما رأوه الخ. كما مرَّ تحقيقه في قوله: ﴿فلما رآه مستقراً عنده﴾ [النمل: ٤٠] الآية إلا أن المقدر هناك أمر واقع مترتب على ما قبله بالفاء وما هنا أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف اهـ أبو السعود.

وعبارة القرطبي: فلما رأوه زلفة مصدر بمعنى مزدلفاً أي: قريباً قاله مجاهد، وقال الحسن: عياناً، وأكثر المفسرين على أن المعنى فلما رأوه يعني العذاب وهو عذاب الآخرة، وقال مجاهد: يعني عذاب بدر، وقيل: أي رأوا ما وعدوا من الحشر قريباً منهم ودل عليه تحشرون، وقال ابن عباس: فلما رأوا عملهم السيىء قريباً اهـ.

قوله: ﴿زلفة﴾ اسم مصدر لأزلف فإن فعله أزلف إزلافاً كأكرم إكراماً، وهذا الاسم بمعنى

﴿سِيٓـَٔتۡ﴾ اسودَّت ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ﴾ أي قال الخزنة لهم ﴿هَٰذَا﴾ أي العذاب ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ﴾ بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ ٢٧﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضي لتحقق وقوعها ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ من المؤمنين بعقابه كما تقصدون ﴿أَوۡ رَحِمَنَا﴾ فلم

الفاعل وهو مزلف كمكرم بمعنى قريب، فلذلك قال الشارح قريباً وهو حال من مفعول رأوه تأمل اهـ شيخنا.

وفي المختار: أزلفه قربه، والزلفى والزلفة القربة والمنزلة، ومنه اهـ قوله تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ [سبأ: ٣٧] وهو اسم مصدر كأنه قال: بالتي تقربكم عندنا إزلافاً اهـ.

قوله: ﴿سيئت﴾ مبني للمفعول والأصل ساء وجوههم العذاب ورؤيته أي: أحزنها وساءت هنا ليست هي المرادفة لبئس اهـ خطيب.

وقوله: وجوه الذين كفروا المقام للضمير وأتى بالمظهر توصلاً لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به اهـ أبو السعود.

قوله: (أي قال الخزنة لهم) أي: توبيخاً وتقريعاً اهـ.

قوله: ﴿تدعون﴾ من الدعوى كما أشار له بقوله: إنكم تبعثون، وبه متعلق بتدعون، والباء سببية على تقدير مضاف كما قدره الشارح أي: ادعيتم عدم البحث وأنكرتم البعث بسبب إنذاركم وتخويفكم به اهـ شيخنا.

وفي السمين: والعامة على تشديد الدال مفتوحة، فقيل: من الدعوى أي: تدعون أنه لا جنة ولا نار قاله الحسن، وقيل: من الدعاء أي: تطلبونه وتستعجلونه. وقرأ الحسن، وقتادة، وأبو رجاء والضحاك، ويعقوب، وأبو زيد، وأبو بكر، وابن أبي عبلة ونافع في رواية الأصمعي بسكون الدال وهي مؤيدة للقول بأنها من الدعاء في قراءة العامة اهـ.

قوله: (وهذه حكاية حال الخ) الإشارة إلى قوله: فلما رأوه زلفة الخ والتأنيث باعتبار أنه آية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله﴾ أي: أماتني وأرأيتم بمعنى أخبروني كما ذكره بعض المفسرين، وتقدم أنها إذا كانت كذلك تنصب مفعولين، الأول: مفرد، والثاني: جملة استفهامية ولا شيء منهما هنا، فكأن الجملة الشرطية سدت مسد المفعولين، وقوله: فمن يجير الكافرين جواب الشرط وفي تسببه على الشرط بعد، ويمكن أن يقال الجواب محذوف تقديره فلا فائدة لكم في ذلك ولا نفع يعود عليكم لأنكم لا مجير لكم من عذاب الله تأمل. وفي القرطبي: قل أرأيتم إن أهلكني الله أي: قل يا محمد لمشركي مكة وكانوا يتمنون موت محمد ﷺ كما قال: ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون أرأيتم إن متنا أو رحمنا﴾ [الطور: ٣٠] الخ اهـ.

قوله: (كما تقصدون) أي: تتقصدون، فحذف منه إحدى التاءين أي: تنتظرون وتتربصون

يعذبنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي لا مجير لهم منه ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ بيّن أنحن أم أنتم أم هم؟ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ جار تناله الأيدي والدلاء كمائكم، أي لا يأتي به إلا الله تعالى، فكيف تنكرون أن يبعثكم؟ ويستحب أن يقول القارىء

وتتمنون على حد أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون اهـ شيخنا.

قوله: (أي لا مجير لهم منه) أي: سواء متنا أو بقينا فتربصهم موتنا لا ينفعهم، ووضع الظاهر المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الإجارة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل هو﴾ أي: الذي ادعوكم إليه الرحمن الخ اهـ.

وقوله: آمنا به وعليه توكلنا، قال الزمخشري: فإن قلت: لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا؟ قلت: لوقوع آمنا تعريضاً بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم، كأنه قيل: آمنا ولم نكفر كما كفرتم، ثم قال: وعليه توكلنا خصوصاً لم نتوكل على ما أنتم متوكلون عليه من رجالكم وأموالكم اهـ كرخي.

قوله: ﴿فستعلمون﴾ (بالتاء) أي: نظراً للخطاب في قوله: قل أرأيتم، وقوله: والياء أي: نظراً للغيبة في قوله: فمن يجير الكافرين، وقوله: أنحن أشار به إلى أن من استفهامية وهي مبتدأ أو هو ضمير فصل والظرف خبر المبتدأ، والجملة سادة مسد المفعولين لعلم المعلقة بالاستفهام، وقوله: أم أنتم ناظر لقراءة الخطاب، وقوله: أم هم ناظر لقراءة الغيبة فالكلام على التوزيع اهـ شيخنا.

قوله: (عند معاينة العذاب) أي: في الآخرة. قوله: (إن أصبح ماؤكم) أي: الذي تعدونه في أيديكم كما نبهت عليه الإضافة، وقوله: غوراً مصدر وقع خبراً لأصبح، وقد أوله باسم الفاعل ليصح الاخبار اهـ شيخنا.

وكان ماؤهم من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون اهـ خطيب.

وفي القرطبي: قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً أي: غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الدلاء، وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون فمن يأتيكم بماء معين أي: جار قاله قتادة والضحاك، فلا بد لهم أن يقولوا لا يأتينا به إلا الله، فقل لهم لم تشركون به من لا يقدر على أن يأتيكم به. يقال: غار الماء يغور غوراً أي: نضب اهـ.

قوله: ﴿معين﴾ قال ابن عباس: أي: ظاهر تراه العيون، فعلى هذا أصله معيون بوزن مفعول كمبيع أصله مبيوع فنقلت ضمة الياء إلى العين قبلها فالتقى ساكنان الياء والواو، فحذفت الواو ثم كسرت العين لتصح الياء، وقيل: هو من معن الماء أي، كثر فهو على هذا فعيل لا مفعول فالميم على الثاني أصلية وعلى الأول زائدة اهـ خطيب.

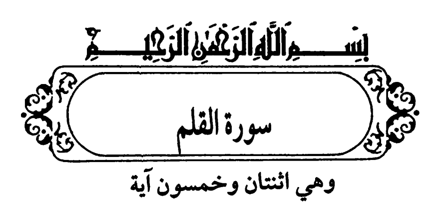
قوله: (أن يقول القارىء الخ) أي سواء قرأ في الصلاة أو خارجها اهـ سمين.

عقب معين: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث. وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول، فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته.

قوله: (تأتي به الفؤوس والمعاول) في المصباح: الفأس أنثى وهي مهموزة، ويجوز التخفيف وجمعها أفؤس وفؤوس مثل فلس وأفلس وفلوس اهـ.

وفي المختار: والمعول الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر والجمع المعاول اهـ.

قوله: (نعوذ بالله من الجراءة) في المصباح: واجترأ على القول بالهمز أسرع بالهجوم عليه من غير توقف، والاسم الجرأة وزان غرفة وجرأته عليه بالتشديد فتجرأ هو ورجل جريء بالهمز أيضاً على فعيل اسم فاعل من جرؤ جراءة مثل ضخم ضخامة.



وهي اثنتان وخمسون آية

﴿نٓ﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ الذي كتب به الكائنات في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة القلم اهـ خطيب.

قوله: (مكية) أي: في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس، وقتادة: من أولها إلى قوله: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ مكي. ومن بعد ذلك إلى قوله: ﴿أكبر لو كانوا يعلمون﴾ مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله: ﴿فهم يكتبون﴾ مكي. ومن بعد ذلك إلى قوله: ﴿من الصالحين﴾ مدني وباقيها مكي قاله الماوردي اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ن﴾ يقرأ بفك الإدغام من واو القسم، وبإدغامها فيها قراءتان سبعيتان وهو بسكون النون عند السبعة وقرىء بكسرها وبفتحها وضمها، وقوله: أحد حروف الهجاء غرضه بهذه العبارة الرد على من قال إنه مقتطع من اسمه تعالى الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور، وقوله: الله أعلم بمراده به أي: فهو من المتشابه الذي اختص الله بعلمه كسائر حروف الهجاء التي افتتح بها كثير من السور، وقيل: المراد به الحوت الذي جعل الله الأرض على ظهره، وقيل: المراد به الدواة التي يكتب منها، وقيل: إنه اسم للسورة، وقيل: اسم للقرآن وغير ذلك. قوله: (الذي كتب به الكائنات) هذا أحد قولين، والآخر أن المراد به جنس القلم الشامل للأقلام التي يكتب بها في الأرض. وعبارة الخطيب: تنبيه في القلم المقسم به قولان، أحدهما: أن المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والأرض قوله تعالى: ﴿وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾ [العلق: ٤٠] ولأنه ينتفع به كما ينتفع بالمنطق. قال تعالى: ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ [الرحمن: ٤] فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالمكاتبة للغائب والحاضر، ولهذا قيل: القلم أحد اللسانين. والثاني: أنه القلم الذي جاء في الخبر عن ابن عباس: أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال له اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: أكتب ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، قال: ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة، وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض. وروى مجاهد: أول ما خلق الله تعالى القلم قال: اكتب المقادير فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وما يجري بين الناس فهو أمر قد فرغ منه.

اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ أي الملائكة من الخير والصلاح ﴿مَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ أي انتفى الجنون عنك بسبب إنعام ربّك عليك بالنبوّة وغيرها، وهذا رد لقولهم إنه مجنون ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ مقطوع ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ دين ﴿عَظِيمٍ ۝٤﴾ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ مصدر كالمعقول أي الفتون بمعنى الجنون، أي أبك أم بهم؟

قوله: ﴿وما يسطرون﴾ أي: الملائكة في صحفهم يكتبون فيها المقادير التي تقع في العالم ينتسخون ذلك من اللوح المحفوظ، أو المراد به الحفظة الكاتبون على بني آدم اهـ من القرطبي.

وهذا معطوف على القلم، وما مصدرية أو موصول اسمي فاقسم أولاً بالقلم ثم بسطر الملائكة أو بمسطورهم، فالمقسم به شيئان على ثلاثة أشياء نفي الجنون عنه، وثبوت الأجر له، وكونه على دين الإسلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما أنت﴾ الخ جواب القسم، والباء في قوله: بنعمة ربك سببية متعلقة بمعنى النفي المدلول عليه بما، ومفعول النعمة محذوف، والباء في بمجنون زائدة أشار لهذا كله في التقرير اهـ شيخنا.

قوله: (وهذا رد لقولهم إنه مجنون) أي: كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ [الحجر: ٦] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإن لك لأجراً﴾ الخ هذا وما بعده معطوفان على جملة جواب القسم فهما من جملة المقسم عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فستبصر ويبصرون﴾ وقال ابن عباس: فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل، وقيل: في الدنيا بظهور عاقبة أمرك بغلبة الإسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب. قال مقاتل: هذا وعيد بعذاب يوم بدر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بأيكم المفتون﴾ ترسم هنا بياءين اهـ خطيب.

وبأيكم خبر مقدم والمفتون مبتدأ مؤخر أي حصل الفتون أي: الجنون واستقر وثبت بأيكم، والجملة في محل نصب معمولة لما قبلها لأنه متعلق بأداة الاستفهام اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: بأيكم المفتون فيه أربعة أوجه، أحدها: أن الباء مزيدة في المبتدأ، والتقدير أيكم المفتون فزيدت الباء كزيادتها في نحو: بحسبك زيد، وإلى هذا ذهب قتادة، وأبو عبيدة، ومعمر ابن المثنى إلا أنه ضعيف من حيث أن الباء لا تزاد في المبتدأ إلا في بحسبك فقط. الثاني: أن الباء بمعنى في فهي ظرفية كقولك: زيد بالبصرة أي: فيها، والمعنى أي فرقة وطائفة منكم المفتون، وإليه ذهب مجاهد والفراء، ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة في أيكم. والثالث: أنه على حذف مضاف بأيكم فتن المفتون فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وإليه ذهب الأخفش وتكون الباء سببية. الرابع: أن المفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور، والتقدير بأيكم المفتون. فعلى القول الأول يكون الكلام تاماً عند قوله: ﴿ويبصرون﴾ ويبتدأ قوله: بأيكم المفتون، وعلى الأوجه بعده تكون الباء

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝﴾ له، وأعلم بمعنى عالم ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝﴾ ﴿وَدُّوا۟﴾ تمنوا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ ۝﴾ يلينون لك، وهو معطوف على تدهن، وإن جعل جواب التمني المفهوم من ودُّوا قبله بعد الفاء هم ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ ۝﴾ حقير ﴿هَمَّازٍ﴾ عيَّاب أي مغتاب ﴿مَّشَّآءٍ

متعلقة بما قبلها ولا يوقف على يبصرون، وعلى الأوجه الأول الثلاثة يكون المفتون اسم مفعول على أصله، وعلى الوجه الرابع يكون مصدراً وينبغي أن يقال: إن الكلام إنما يتم على قوله: المفتون سواء قيل بأن الباء مزيدة أولاً، لأن قوله فستبصر ويبصرون معلق بالاستفهام بعده لأنه فعل بمعنى الرؤية، البصرية تعلق على الصحيح بدليل قوله: أما ترى أي: برق ههنا فكذلك الإبصار لأنه هو الرؤية بالعين، فعلى القول بزيادة الباء تكون الجملة الاستفهامية في محل نصب لأنها واقعة موقع مفعول الإبصار اهـ.

قوله: ﴿إن ربك﴾ الخ تعليل لما ينبىء عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد اهـ أبو السعود.

قوله: (له) أي: السبيل.

قوله: ﴿فلا تطع المكذبين﴾ الفاء لترتيب النهي على ما ينبىء عنه ما قبله من اهتدائه ﷺ وضلالهم، أو على جميع ما فصل من أول السورة، وهذا تهييج للتصميم على مباينتهم، وقوله: ودّوا الخ تعليل للنهي اهـ أبو السعود.

قوله: (تلين لهم) أي: بترك نهيهم عن الشرك أو بموافقتهم فيه أحياناً، وقوم يلينون لك أي: بترك الطعن والموافقة اهـ بيضاوي.

وعبارة الخازن: ودّوا لو تدهن فيدهنون أصل الإدهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام، وقيل: أدهن الرجل في دينه وداهن في أمره إذا خان فيه وأظهر خلاف ما أبطن، ومعنى الآية: أنهم تمنوا لو تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما ترضى به فتلين لهم ويلينون لك، وقيل: معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدوا الله مدة اهـ.

قوله: (وهو معطوف الخ) أي: فهو في حيز لو فهو من المتمنى، فالمتمنى شيئان ثانيهما متسبب عن الأول، وقوله: وإن جعل الخ، وعلى هذا لا يكون من جملة المتمنى، وقوله: قدر قبله الخ جواب عن إيراد صرح به الزمخشري. وعبارة السمين: المشهور في قراءة الناس ومصاحفهم فيدهنون بثبوت نون الرفع وفيه وجهان، أحدهما: أنه عطف على تدهن فيكون داخلاً في حيز لو. والثاني: أنه مبتدأ مضمر أي: فهم يدهنون، وقال الزمخشري: فإن قلت: لم رفع فيدهنون ولم ينصب بإضمار أن على القاعدة في جواب التمني؟ قلت: قد عدل به إلى طريق آخر وهو أنه جعل خبر مبتدأ محذوف أي: فهم يدهنون، فالجواب جملة اسمية اهـ.

قوله: (حقير) أي: في الرأي والتدبير اهـ أبو السعود.

﴿بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ آثم ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ دعيٌّ في قريش، وهو الوليد بـن المغيرة، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، قال ابن عباس: لا نعلم

قوله: (عياب) بالعين المهملة أي: كثير العيب للناس، وقوله: أو مغتاب من الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره فهما قولان في تفسير الهماز، وقيل: الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللماز باللسان اهـ خطيب.

وفي المختار: اللمز العيب وأصله الإشارة بالعين ونحوها وبابه ضرب ونصر، وقرىء بهما في قوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ [التوبة: ٥٨] ورجل لمَّاز ولمزة بوزن همزة أي: عياب اهـ.

وفيه أيضاً الهمز كاللمز وزناً ومعنى بابه ضرب، والهامز والهماز العياب والهمزة مثله، يقال: رجل همزة وامرأة همزة أيضاً، وهمزات الشياطين خطراته التي يخطرها بقلب الإنسان، والهماز حديدة تكون في مؤخر خف الرائض اهـ.

قوله: ﴿بنميم﴾ النميم قيل مصدر كالنميمة، وقيل: هو جمعها أي: اسم جنس لها كتمرة وتمر، وهو نقل الكلام الذي يسوء سامعه ويحرش بين الناس، وقال الزمخشري: النميم والنميمة السعاية اهـ.

وفي المصباح: نمَّ الرجل الحديث نما من بابي قتل وضرب سعى به ليوقع فتنة أو وحشة، فالرجل نم تسمية بالمصدر، ونمام مبالغة والاسم النميمة والنميم أيضاً اهـ.

قوله: (عن الحقوق) أي: الواجبة والمندوبة. قوله: (غليظ) أي في الطبع، وقيل: في الجسم. وقوله: جاف أي قاسي القلب، وفي السمين: والعتل الذي يعتل الناس أي يحملهم ويجرهم إلى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه ﴿خذوه فاعتلوه﴾ [الدخان: ٤٧]، وقيل: العتل الشديد الخصومة، وقال أبو عبيدة: والفاحش اللئيم، وقيل: الغليظ الجافي، ويقال: عتلته وعتنته باللام والنون نقله يعقوب اهـ.

قوله: ﴿بعد ذلك﴾ أي المذكور من الصفات السابقة وهي ثمانية. وسيأتي أن هذا الظرف متعلق بزنيم، وهذه البعدية في الرتبة لا في الخارج أي هذا الوصف وهو زنيم متأخر في الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة أي: هو أشنع منها وأقبح. قال الشهاب: فبعد هنا كثم التي للتراخي في الرتبة اهـ شيخنا.

وقيل: الزنيم المستلحق في قوم ليس هو منهم فكأنه فيهم زنمة وهي شيء يكون للمعز في أذنها كالقرط وهي أيضاً شيء، يقطع من إذن البعير ويترك معلقاً، وقوله تعالى: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ قال عكرمة: هو اللئيم يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها اهـ.

قوله: (وهو الوليد بن المغيرة الخ) وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ [المدثر: ١١] الآيات في سورة المدثر، وعبارة القرطبي: واختلف في سبب نزول قوله: ﴿ولا تطع كل

أن الله وصف أحداً بما وصفه به من العيوب، فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً، وتعلق بزنيم الظرف قبله ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي لأن، وهو متعلق بما دلّ عليه ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾ هي ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي كذب بها، لإنعامنا عليه بما ذكر، وفي

حلاف﴾ الخ فقال مقاتل: يعني الوليد بن المغيرة عرض على النبي ﷺ مالاً وحلف له أنه يعطيه له إن رجع عن دينه، وقال ابن عباس: هو أبو جهل بن هشام، وقال عطاء: هو الأخنس بن شريق لأنه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيماً، وقال مجاهد: هو الأسود بن عبد يغوث اهـ.

قوله: (ادعاه أبوه) وهو المغيرة أي: تبنّاه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب، وقوله: بعد ثماني عشرة سنة أي: من ولادته، ولما نزلت الآية قال لأمه: إن محمداً وصفني بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها، فإن لم تصدقيني الخبر ضربت عنقك، فقالت له: إن أباك عنين فخفت على المال فمكنت الراعي من نفسي فأنت منه اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: قيل: بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت الآية وهذا لأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الولد كما روي أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده» وقال عبد الله بن عمر: إن النبي ﷺ قال: «إن أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير» ولعل مراده الدخول مع السابقين وإلاَّ فمن مات مسلماً دخل الجنة، وقالت ميمونة: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعذابه». وقال عكرمة: إذا كثر ولد الزنا قحط المطر اهـ.

قوله: (من العيوب) بيان لما.

قوله: ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ سيأتي الكلام على ماله وبنيه في سورة المدثر اهـ.

قوله: (بما دل عليه الخ) أي: بعامل دل عليه إذا تتلى الخ. وقد بيَّنه بقوله: أي كذب بها، ولا يصح أن يكون معمولاً لفعل الشرط لأن إذا تضاف للجملة بعدها والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف، ولا يصح أن يكون معمولاً لقال الذي هو جواب الشرط لأن ما بعد أداة الشرط لا يعمل فيما قبلها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال أساطير الأولين﴾ جمع أسطورة بضم الهمزة كأكذوبة بالضم أيضاً وهي ما سطر أي: دون كذباً اهـ شيخنا.

قوله: (بما ذكر) أي: من المال والبنين. قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية أأن بهمزتين مفتوحتين الأولى همزة الاستفهام التقريعي التوبيخي، والثانية همزة أن المصدرية، واللام مقدرة كما سبق، والعامل هو المقدر كما سبق أيضاً، والتقدير: ألأن كان ذا مال وبنين أي: كذب بها لأن كان ذا مال وبنين أي لا ينبغي ولا يليق منه ذلك، لأن المال والبنين من النعم فكان ينبغي مقابلتهما بالشكر والتصديق لا بالكفر والتكذيب كما فعل هذا اللعين اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: أن كان ذا مال العامة على فتح همزة أن، ثم اختلفوا بعد ذلك فقرأ ابن عامر

قراءة: أأن، بهمزتين مفتوحتين ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش، فخطم أنفه بالسيف يوم بدر ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ وقت الصباح، كي لا

وحمزة وأبو بكر بالاستفهام، وباقي السبعة بالخبر، والقارئون بالاستفهام على أصولهم من تحقيق وتسهيل وإدخال ألف بين المسهلتين وعدمه، وقرأ نافع في رواية الزهري عنه إن كان بكسر الهمزة على الشرط وجوابه مقدر تقديره: إن كان كذا يكفر ويجحد دل عليه ما بعده اهـ.

قوله: ﴿على الخرطوم﴾ أي: على خرطومه أي: على أنفه، وفي التعبير عنه بالخرطوم استهجان واستهزاء بهذا اللعين، لأن الخرطوم أنف السباع، وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الخرطوم كزنبور الأنف أو مقدمه أو ما ضمت عليه الحنكين كالخرطوم كقنفذ اهـ.

وفي السمين: وهو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل باسم الجزء لأنه أظهر ما فيه وأعلاه اهـ.

قوله: (فخطم أنفه) بالخاء المعجمة، وفي القاموس: خطمه إذا أثر في أنفه جراحة، وقد جرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقي أثر الجرح في أنفه بقية عمره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنا بلوناهم﴾ الابتلاء الاختبار، والمعنى أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليبطروا، فلما بطروا وعادوا محمداً ﷺ ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا أصحاب الجنة المعروف خبرها اهـ قرطبي.

قوله: (بالقحط) وهو احتباس المطر الذي دعا به ﷺ عليهم حتى أكلوا الجيفة اهـ خطيب.

قوله: ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف أي: بلوناهم بلاء كما بلونا، وما مصدرية أو بمعنى الذي، وإذ منصوبة ببلونا وليصرمنها جواب القسم، وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء عليه لقيل لنصرمنها بنون المتكلم، وقوله: مصبحين حال من فاعل لِيَصْرِمنّها وهو من أصبح التامة أي: داخلين في الصباح قوله تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليها مصبحين﴾ [الصافات: ١٣٧] وقوله: ﴿ولا يستثنون﴾ هذه الجملة مستأنفة ويضعف كونها حالاً من حيث إن المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم دخول الواو عليه وإضمار مبتدأ قبله كقوله: قمت وأصك عينه مستغنى عنه، ومعنى لا يستثنون لا يثنون عزمهم عن الحرمان، وقيل: لا يقولون إن شاء الله تعالى، وسمي استثناء وهو شرط لأن معنى لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد، قاله الزمخشري اهـ سمين.

قوله: (البستان) هو بستان عظيم كان بقرية يقال لها صردان بالصاد المهملة بينها وبين صنعاء اليمن فرسخان، وكان صاحبه ينادي الفقراء وقت الجذاذ ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذي بسط تحت النخلة، وكان يجتمع لهم في ذلك شيء كثير، فلما مات ورثه

يشعر بهم المساكين فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨﴾ في يمينهم بمشيئة الله تعالى، والجملة مستأنفة أي وشأنهم ذلك ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ ناراً أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩﴾ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ كالليل الشديد الظلمة أي سوداء ﴿فَتَنَادَوْا

بنوه وكانوا ثلاثة وشحوا بذلك وقالوا: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذوو عيال، فحلفوا على أن يجذوه قبل الشمس حتى لا تأتي الفقراء إلا بعد فراغهم اهـ خطيب.

قال الزرقاني على المواهب: وكان قصة أصحاب الجنة بعد عيسى ابن مريم بزمن يسير اهـ من حواشي البيضاوي والقرطبي.

قوله: ﴿إذ أقسموا﴾ إذ تعليلية أو ظرفية بنوع تسمح لأن الإقسام كان قبل ابتلائهم اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿إذ أقسموا﴾ أي: معظمهم وإلاَّ فالأوسط قال لهم لا تفعلوا واصنعوا من الإحسان ما كان يصنعه أبوكم، قال البقاعي: وكأنه تعالى طواه لأنه مع الدلالة عليه بما يأتي لم يؤثر شيئاً اهـ خطيب.

قوله: ﴿ليصرِمُنّها﴾ الصرم القطع، يقال: صرم العذق عن النخلة وأصرم النخل أي: حان وقت صرامه مثل أركب المهر وأحصد الزرع أي: حان ركوبه وحصاده اهـ قرطبي.

وفي المختار: صرم النخل جذه وبابه ضرب، وأصرم النخل حان له أن يصرم، والانصرام الانقطاع، والتصارم التقاطع، والتصرم التقطع اهـ.

قوله: (فلا يعطونهم الخ) معطوف على النفي ولذلك رفع، ولو كان معطوفاً على النفي لنصب وفسد المعنى، وقوله: ﴿ما كان أبوهم) أي: القدر الذي كان أبوهم الخ وتقدم بيانه اهـ شيخنا.

قوله: (والجملة مستأنفة) جوز بعضهم الحالية وهي أظهر في المعنى، وعدل الشارح عنها لأن المضارع المنفي بلا كالمثبت في أنه يقع حالاً بالواو، وإلاَّ فبإضمار مبتدأ حتى تكون الجملة اسمية وهو مستغنى عنه بالحمل على الاستئناف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فطاف عليها طائف﴾ أي: هلاك أو بلاء، والطائف غلب في الشر. قال الفراء: هو الأمر الذي يأتي ليلاً ورد عليه بقوله تعالى: ﴿إذا مسهم طائف من الشيطان﴾ [الأعراف: ٢٠١] وذلك لا يختص بليل ولا نهار، وقرأ النخعي: طيف وقد تقدم في الأعراف الكلام على هذين الوصفين، ومن ربك يجوز أن يتعلق بطائف وأن يتعلق بمحذوف صفة لطائف اهـ سمين.

وفي هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج: ٢٥] وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» وهذا محمول على العزم المصمم، أما ما يخطر بالبال من غير عزم فلا يؤاخذ به اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وهم نائمون﴾ جملة حالية. قوله: (كالليل) سمي الليل صريماً لانصرامه وانفصاله من

مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ﴾ غلتكم، تفسير لتنادوا، أو أن مصدرية، أي بأن ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ مريدين القطع، وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يتسارون ﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾﴾ تفسير لما قبله، أو أن مصدرية، أي بأن ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ

النهار وانقطاعه عنه، كما يسمى النهار صريماً أيضاً لانصرامه عن الليل ومادة الصرم تدل على القطع اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: كالصريم أي: كالبستان الذي صُرمت ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول، أو كالليل باحتراقها واسودادها أو كالنهار بابيضاضها من فرض اليبس سميا بالصريم لأن كلاً منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال اهـ.

وقوله: كالرمال فإن الصريم يطلق أيضاً على قطعة ضخمة من الرمل منصرمة عن سائر الرمل، وقيل: الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئاً، وعلى هذا التقدير فشبهت الجنة وهي محترقة بالرمل التي لا تنبت شيئاً ولا يتوقع منها نفع اهـ زاده.

قوله: ﴿فتنادوا﴾ معطوف على أقسموا وما بينها اعتراض لبيان ما نزل بتلك الجنة، وقوله: ﴿مصبحين﴾ حال.

قوله: ﴿أن اغدوا﴾ أي بكِّروا جداً وقت الغدوة. وعداه بعلى لتضمنه معنى أقبلوا اهـ خطيب.

وقوله: (غلتكم) هي ما يستغل ويحصل شيئاً فشيئاً وكانت ثمراً وزرعاً وعنباً اهـ شيخنا.

قوله: (تفسير لتنادوا الخ) قد ذكر السمين هذين الاحتمالين وكذا ذكرهما في قوله: أن لا يدخلنها فما في النسخ من التعبير بأو هو الصحيح لأنه يفيد إبداء الاحتمالين بخلاف ما في بعض النسخ من التعبير بالواو تأمل.

قوله: ﴿فانطلقوا﴾ معطوف على فتنادوا، وقوله: وهم يتخافتون حال، وقوله: أن لا يدخلنها الخ الكلام أن لا تدخلوها مسكيناً، وأوقع النهي على دخول المساكين لأنه أبلغ لأن دخولهم أعم من أن يكون بإدخالهم أو بدونه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وغدوا﴾ أي: ساروا إليها غدوة، وقوله: قادرين خبر غدوا إن كانت بمعنى أصبحوا، ويصح أن تكون تامة وهو منصوب على الحال، ويصح أيضاً أن تكون بمعنى صاروا قادرين خبرها اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿على حردٍ﴾ في المختار: حرد قصد وبابه ضرب، وقوله تعالى: ﴿وغدوا على حردٍ قادرين﴾ أي: على قصد، وقيل: على منع والحرد الغضب، وقال أبو نصر صاحب الأصمعي: هو مخفف فعلى هذا بابه فهم، وقال ابن السكيت: وقد يحرك فعلى هذا بابه طرد فهو حارد وحردان اهـ.

وفي السمين: قوله: على حرد قادرين يجوز أن يكون قادرين حالاً من فاعل غدوا، وعلى حرد متعلق به، وأن يكون على حرد هو الحال، قادرين إما حال ثانية وإما حال من ضمير الحال الأولى. والحرد فيه أقوال كثيرة. قيل: الغضب والحنق، وقيل: المنع من حاردت الإبل قلّ لبنها والسنة قل

﴿حَرۡدٖ﴾ منع للفقراء ﴿قَٰدِرِينَ ٢٥﴾ عليه في ظنهم ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا﴾ سوداء محترقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦﴾ عنها، أي ليست هذه، ثم قالوا لما علموها ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٢٧﴾ ثمرتها بمنعها الفقراء منها ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ خيرهم ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا﴾ هلا ﴿تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾ الله تائبين ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٩﴾ بمنع الفقراء حقهم ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ٣٠﴾ ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ﴾ للتنبيه ﴿إِنَّا﴾

مطرها قاله أبو عبيد والقتبي، ويقال: حرد بالكسر يحرد حرداً وقد يفتح فيقال حرد فهو حردان وحارد، ويقال: أسد حارد وليوث حوارد، وقيل: الحرد والحرد الانفراد يقال حرد بالفتح يحرد بالضم حروداً وحرداً وحرداً انعزل ومنه كوكب حارد أي: منفرد. قال الأصمعي: هي لغة هذيل، وقيل: الحرد القصد يقال حرد يحرد حردك أي: قصد قصدك، وقد فسرت الآية الكريمة بجميع ما ذكرت، وقيل: الحرد اسم جنتهم بعينها. قال السدي، وقيل: اسم قريتهم قاله الأزهري وفيهما بعد بعيد وقادرين إما من القدرة وهو الظاهر وإما من التقدير وهو التضييق أي: مضيقين على المساكين، وفي التفسير قصة توضح ما ذكرته اهـ.

قوله: ﴿قادرين﴾ (عليه في ظنهم) أي: وأما الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم وعلى الفقراء ففي نفس الأمر لم يمنعوهم منه اهـ.

قوله: ﴿قالوا إنا لضالون﴾ أي: قالوا ذلك ببداهة الرأي قبل التأمل، وقوله: ثم قالوا بعد التأمل والعلم بحقيقة الحال قالوا مضربين إضراباً إبطالياً لكونهم ضالين اهـ.

قوله: (بمنعنا الفقراء) الباء سببية. قوله: (خيرهم) أي: رأياً وعقلاً ونفساً فأنكر عليهم بقوله: ألم أقل لكم الخ ومفعوله محذوف أي: ألم أقل لكم إن ما فعلتموه لا ينبغي، وإن الله لبالمرصاد لمن حاد وغير ما في نفسه، وقوله: لولا تسبحون من جملة مقول القول فهو بعض المقول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لولا تسبحون﴾ (الله) أي: تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خبث نيتكم قيل: إنهم لما عزموا على منع الفقراء قال أوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب، فلما رأوا العذاب ذكرهم كلامه الأول وقال: ألم أقل لكم الخ فحينئذ اشتغلوا بالتوبة بأن قالوا سبحان ربنا أي: تنزه عن أن يكون وقع منه ظلم فيما فعل بنا، وأكد قباحة فعلهم هضماً لأنفسهم وتحقيقاً لتوبتهم بقولهم: إنا كنا ظالمين اهـ خطيب.

قوله: (تائبين) أي: مستغفرين من منعكم الفقراء، وهذا قول ابن عباس، وقال غيره: كان استثناؤهم قول سبحان الله يدل عليه قوله تعالى: ﴿إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون﴾ وجوز التعبير عن الاستثناء بالتسبيح التقاؤهما في معنى التعظيم لأن المفوض مثبت لذاته الأقدس الحول والقوة وينفيهما عن غيره تعظيماً والمنزه ينفي عنه النقائص تبجيلاً وتكريماً. قال القاضي: فسمى الاستثناء تسبيحاً لأنه ينزهه. عن أن يجري في ملكه ما لا يريده اهـ كرخي.

قوله: ﴿يتلاومون﴾ حال أي يلوم بعضهم بعضاً. يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا بهذا الرأي، ويقول ذاك لهذا: أنت خوفتنا الفقر، ويقول الثالث لغيره: أنت رغبتني في جمع المال، ثم نادوا على أنفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا أي هذا وقت حضورك إلينا ومنادمتك لنا فإنه لا نديم لنا الآن غيرك اهـ خطيب.

هلاكنا ﴿كُنَّا طَٰغِينَ ۝٣١﴾ ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝٣٢﴾ ليقبل توبتنا ويردَّ علينا خيراً من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيراً منها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل العذاب لهؤلاء ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ عذابها ما خالفوا أمرنا، ونزل لما قالوا: إن بعثنا نعطى أفضل منكم ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ

قوله: ﴿ظالمين﴾ أي: بمنع الفقراء وترك الاستثناء اهـ.

قوله: ﴿عسى ربنا﴾ الخ رجوع منهم إلى الرجاء والطمع في فضل الله، وقوله: بالتشديد والتخفيف سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾ أي: راجعون، وعدي بإلى وهو إنما يتعدى بعن أو بفي لتضمينه معنى الرجوع اهـ أبو السعود.

قوله: (روي أنهم أبدلوا خيراً منها) فأمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشأم ويأخذ من الشأم جنة فيجعلها بمكانها. وقال ابن مسعود: إن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً؛ وقال اليماني أبو خالد: دخلت تلك الجنة فرأيت فيها كل عنقود منها كالرجل القاتم الأسود، وقال الحسن: يقول أهل الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري أكان إيماناً منهم أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم فتوقف في كونهم مؤمنين، وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ قال: لقد كلفتني تعباً والمعظم يقولون إنهم تابوا أو أخلصوا حكاه القشيري اهـ قرطبي.

وقوله: بزغر بالزاي والغين المعجمة. وفي القاموس: وزغر كل شيء كثرته وإفراطه واسم ابنة لوط عليه السلام، ومنه زغر بلدة بالشام لأنه نزلت بها وبها عين غور ماؤها علامة خروج الدجال اهـ.

قوله: ﴿كذلك﴾ خبر مقدم، وقوله: العذاب مبتدأ مؤخر، وقوله: لهؤلاء أي: أصحاب الجنة اهـ شيخنا.

قوله: (أي مثل العذاب لهؤلاء) أي: مثل الذي بلونا به أصحاب الجنة من إهلاك ما كان عندهم في غاية القدرة عليه والثقة به اهـ خطيب.

قال ابن عباس: هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر وحلفوا ليقتلون محمداً ﷺ وأصحابه ويرجعون إلى مكة ويطوفون بالبيت ويشربون الخمر وتضرب القينات على رؤوسهم، فأخلف الله ظنهم فقتلوا وأسروا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا، ثم قيل: إن الحق الذي منعه أصحاب الجنة المساكين يحتمل أنه كان واجباً عليهم، ويحتمل أنه كان تطوعاً والأول أظهر والله أعلم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أكبر﴾ أي: من عذاب الدنيا اهـ.

قوله: (لما قالوا الخ) وسبب قولهم هذا نزول هذه الآية وهي: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ فنزولها سبب لقولهم المذكور ولما قالوه نزل الرد عليهم بقوله: ﴿أفنجعل المسلمين﴾ الخ

عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أي تابعين لهم في العطاء ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذا الحكم الفاسد ﴿أَمْ﴾ أي بل أ ﴿لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي تقرؤون ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ تختارون ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ عهود ﴿عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ واثقة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متعلق

فكان الأولى للشارح كما صنع غيره أن يؤخر قوله: ونزل لما قالوا الخ عن قوله: جنات النعيم، فإن القول المذكور وهو السبب في نزول أفنجعل المسلمين الخ كما عرفت. وعبارة الخطيب: قال مقاتل: لما نزلت هذه الآية وهي إن للمتقين الخ قال كفار مكة للمسلمين: إن الله فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد أن يفضلنا عليكم في الآخرة، فإن لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله: أفنجعل المسلمين الخ اهـ.

قوله: ﴿عند ربهم﴾ أي: في الآخرة جنات النعيم أضيفت إلى النعيم لأنه ليس فيها إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالمجرمين اهـ كرخي.

وكأن العبارة مقلوبة، والأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين لأنهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل، فالمناسب أن يكون الإنكار متوجهاً لجعلهم المذكور تأمل اهـ.

والاستفهام للتقريع والتوبيخ للكفار على هذا القول الذي قالوه قد وبخوا وقرعوا باستفهامات سبعة. الأول هذا، والثاني: ما لكم، والثالث كيف تحكمون، والرابع أم لكم كتاب، والخامس أم لكم أيمان، والسادس أيهم بذلك زعيم، والسابع أم لهم شركاء اهـ شيخنا.

قوله: (أي تابعين في العطاء) في نسخة في الفضل، وكان الأولى أن يقول أي: مساوين لهم في العطاء كما ذكر في آية أخرى: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾ [الحشر: ٢٠] قاله القاري، وبعد ذلك ليس في الآية إلا نفي المساواة والكفار ادعوا الأفضلية أو المساواة كما علمت من عبارة الخطيب، إلا أن يقال إذا انتفت المساواة انتفت الأفضلية بالأولى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما لكم﴾ جملة من مبتدأ وخبر، فينبغي الوقف عليها أي: أي شيء يحصل لكم من هذه الأحكام البعيدة عن الصواب، فهذا سؤال عن فائدة هذا الحكم وقوله: كيف تحكمون جملة أخرى فيها السؤال عن كيفية الحكم أي: هل هو عن عقل أو عن اختلاف فكر واعوجاج رأي اهـ من الخطيب.

قوله: ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾ بل التي في ضمن أم للإضراب الانتقالي لا الإبطالي، والهمزة التي ضمنها للاستفهام التقريعي التوبيخي، وكذا يقال فيما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿أم لكم كتاب﴾ الخ هذا مقابل لما قبله نظراً لحاصل المعنى، إذ محصله أفسد عقلكم حتى حكمتم بهذا أم جاءكم كتاب فيه تخييركم وتفويض الأمر إليكم، فقوله: فيه متعلق بتدرسون، والضمير للكتاب أو هو متعلق بما قبله، والضمير للحكم وتدرسون حال من الضمير أو مستأنف اهـ شهاب.

قوله: ﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ لكم خبرها مقدم وما اسمها مؤخر واقترن بلام التوكيد، وهذه

بمعنى بعلينا، وفي هذا الكلام معنى القسم، أي أقسمنا لكم، وجوابه ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ به لأنفسكم ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم، من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ كفيل لهم ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أي عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ موافقون لهم

الجملة هي المدروسة في الكتاب فهي مفعول في المعنى لتدرسون، وكان الظاهر فتح أن لكن لما جيء باللام المختصة بالمكسورة كسرت وعلقت الفعل وهو تدرسون عن العمل في لفظ الجملة ودخله التعليق، وإن لم يكن من أفعال القلوب لتضمنه معنى الحكم اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: إن لكم فيه لما تخيرون العامة على كسر الهمزة على أن الجملة معمولة لتدرسون أي: تدرسون في الكتاب أن لكم ما تختارونه، فلما دخلت اللام كسرت الهمزة، وقرأ طلحة والضحاك أن لكم بفتح الهمزة وهو منصوب بتدرسون إلا أن فيه زيادة لام التأكيد اهـ.

قوله: (عهود) أي: عهود مؤكدة بالإيمان إذ العهد كلام مؤكد بالقسم فأطلق الجزء وأريد الكل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بالغة﴾ العامة على رفعها نعتاً لأيمان، وإلى يوم متعلق بما تعلق به لكم من الاستقرار أي: ثابتة لكم إلى يوم أو ببالغة أي: تبلغ إلى ذلك اليوم وتنتهي إليه، وقرأ زيد بن علي، والحسن: بنصبها فقيل على الحال من أيمان لأنها تخصصت بالعمل أو بالوصف، وقيل: من الضمير في علينا إن جعلناه صفة لأيمان اهـ سمين.

قوله: (متعلق معنى بعلينا) أي: متصل به، وليس المراد التعلق الصناعي فإنه مختص بالفعل أو ما فيه رائحة الفعل أو بالمقدر في الظرف أي: هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتنا إلا يومئذ إذا حكمناكم أو ببالغة على أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إلى وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم قاله في الكشاف اهـ كرخي.

قوله: (وفي هذا الكلام) أي: قوله أم لكم أيمان الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي أقسمنا لكم) مفعوله محذوف أي: أقسمنا لكم أيماناً موثقة أن نحكمكم بأن تسووا بين المسلمين والمجرمين ولا تخرج عن عهدتها إلا إذا حكمناكم يوم القيامة، أو أيماناً وافية فلا نؤديها كاملة إلا إذا حكمناكم يوم القيامة اهـ كرخي.

قوله: ﴿سلهم﴾ ينصب مفعولين الضمير المتصل هو الأول، والثاني: جملة أيهم زعيم، وأي مبتدأ وزعيم خبر وبذلك يتعلق بزعيم وعلق سلهم بالاستفهام الذي هو جزء الجملة عن العمل في لفظ الجملة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ لهم خبر مقدم، وشركاء مبتدأ مؤخر، وهذه الجملة في المعنى معطوفة على جملة أيهم زعيم، فكأنه قيل: هل فيهم كفيل بصحة ذلك القول، أو هل لهم مشارك من غيرهم يساعدهم على صحته؟ قيل: المراد بالشركاء ناس غيرهم يشاركونهم في القول المذكور، وقيل: المراد بهم الأصنام حكى الوجهين في البحر، وقول الشارح موافقون لهم الخ ينطبق على الأول، وفي بعض

في هذا المقول، يكفلون لهم به، فإن كان كذلك ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء، يقال: كشفت الحرب عن ساق إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ امتحاناً لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ تصير ظهورهم طبقاً واحداً ﴿خَٰشِعَةً﴾ حال من ضمير يدعون، أي ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

النسخ بعد شركاء في زعمهم وهم الأصنام، وهذه النسخة تنطبق على القول الثاني، لكنه لا يصح معها قوله موافقون لهم الخ، لأن هذه العبارة أي قوله موافقون الخ لم يذكرها المفسرون إلا في تقرير القول الأول، فيكون في هذا البعض من النسخ تلفيق، فالصواب هذه النسخة وما على منوالها من النسخ اهـ شيخنا.

قوله: (يكفلون لهم به) أي: صحته ونفوذه. قوله: ﴿إن كانوا صادقين﴾ أي: في دعواهم إذ لا أقل من التقليد. قال القاضي: وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به لدعواهم من عقل أو نقل أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيهاً على مراتب النظر وتزييفاً لما لا سند له اهـ كرخي.

قوله: (هو عبارة) أي هذا التركيب وهو يكشف عن ساق عبارة الخ أي: من قبل الكناية أو الاستعارة التمثيلية، وأصل هذا الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل الشاق، وعبارة الخطيب: والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج إلى الجد يشمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها لشدة الأمر، انتهت.

ونائب فاعل يكشف هو قوله: عن ساق، وقال الزمخشري: الكشف عن الساق الإبداء عن الحزام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطبة، وأصله في الروع والهزيمة، وتشمير المخدرات عن سوقهن في الحرب وإبداء حزامهن عند ذلك اهـ سمين.

وفي القرطبي: قال أبو عبيدة: إذا اشتد الأمر والحرب قيل: كشف الأمر عن ساقه، والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف في موضع الشدة، وقيل: ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجرة وساق الإنسان، أي: يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها، وقيل: يكشف عن ساق جهنم، وقيل: عن ساق العرش، وقيل: يريد وقت اقتراب الأجل وضعف البدن أي يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه اهـ.

قوله: (للحساب) أي: لأجله. قوله: ﴿ويدعون﴾ أي الكفار. وقوله: امتحاناً لإيمانهم لا تكليفاً بالسجود إذ تلك الدار ليست دار تكليف اهـ شيخنا.

قوله: (طبقاً واحداً) أي: عظماً واحداً.

قوله: ﴿أبصارهم﴾ فاعل بخاشعة، ونسب الخشوع والذل إليها لأن ما في القلب يعرف في العين، وفي ذلك المقام يسجد المؤمنون شكراً لله على ما أعطوه من النعيم فيرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أضوأ من الشمس، ووجوه الكافرين والمنافقين سوداء مظلمة، وقوله: ترهقهم حال

فلا يأتون به بأن لا يصلوا ﴿فَذَرْنِي﴾ دعني ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ شديد لا

أخرى، وقوله: ذلة أي: من التحسر والتندم على ما فاتهم من الإيمان في الدنيا اهـ شيخنا.

وقوله: تغشاهم في المختار: رهقه غشيه وبابه طرب، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ [يونس: ٢٦] ويقال أرهقه طغياناً أي: أغشاه اهـ.

قوله: ﴿وقد كانوا يدعون﴾ أي: دعوة تكليف، والجملة حال، وقوله: وهم سالمون حال. قوله: (بأن لا يصلوا) يشير به إلى أن المراد بالسجود الثاني هو الصلاة، واتفق المفسرون على أن المراد بالسجود الأول نفسه، وحينئذ فليس في الكلام إظهار في موضع الإضمار تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فذرني﴾ تسلية له ﷺ وتهديد لهم أي: كل أمر المكذبين إلى أكفكه أي: حسبك في الإيقاع بهم والانتقام منهم أن تكل أمرهم إليَّ وتخلي بيني وبينهم فإني عالم بما يستحقونه من العذاب، والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أي: إذا كانت أحوالهم كذلك فذرني ومن يكذب وتوكل عليَّ في الانتقام منهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ومن يكذب﴾ في محل نصب بالعطف على الياء أو على أنه مفعول معه، والأول أرجح على حد قوله: والعطف إن يمكن بلا ضعف أحق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سنستدرجهم﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق إجمالاً والضمير لمن والجمع باعتبار معناها، كما أن الإفراد في يكذب باعتبار لفظها اهـ أبو السعود.

قوله: (نأخذهم قليلاً قليلاً) عبارة غيره سننزلهم في العذاب درجة درجة بالإحسان وإدامة الصحة وازدياد النعم، وقال بعضهم: سندنيهم ونقربهم من العذاب درجة درجة بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعم حتى يحسبوه تفضيلاً لهم على المؤمنين اهـ شيخنا.

وعبارة الخطيب: سنستدرجهم أي سنأخذهم بعظمتنا على التدريج لا على غرة في عذاب لا شك فيه من حيث أي: من جهات لا يعلمون أي: لا يتجدد لهم علم ما في وقت من الأوقات فعذبوا يوم بدر، وقال أبو روق: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار، وقال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر، وقال الحسن: كم مستدرج بالإحسان إليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه، وقال ابن عباس: ستمكر بهم. وروي أن رجلاً من بني إسرائيل قال: يا رب كم أعصيك وأنت لا تعاقبني، فأوحى الله إلى نبي زمانهم أن قل له كم من عقوبة لي عليك وأنت تشعر إن جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت، والاستدراك ترك المعاجلة وأصله النقل من حال إلى حال كالتدرج، ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة، واستدرج فلان فلاناً أي استخرج ما عنده قليلاً قليلاً، ويقال: درجه إلى كذا واستدرجه معناه أدناه منه على التدريج فتدرج، ومعنى الآية إنا لما أنعمنا عليهم اعتقدوا أن ذلك الإنعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم اهـ.

قوله: ﴿وأملي لهم﴾ الظاهر أنه معطوف على سنستدرجهم عطف تفسير اهـ قرطبي.

يطاق ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ﴾ مما يعطونكه ﴿مُّثۡقَلُونَ ۝٤٦﴾ فلا يؤمنون لذلك ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ۝٤٧﴾ منه ما يقولون ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس عليه السلام ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨﴾ مملوء غماً في بطن الحوت ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ أدركه ﴿نِعۡمَةٞ﴾ رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِٱلۡعَرَآءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ

قوله: ﴿إن كيدي متين﴾ سمى إنعامه عليهم استدراجاً بالكيد لأنه في صورته اهـ بيضاوي.

أي: فأطلق مجازاً على إنعامه لأجل الاستدراج كيد، لأن ذلك الإنعام ذكر في صورة الكيد لأن حقيقة الكيد ضرب من الاحتيال، والاحتيال أن تفعل ما هو نفع وحسن ظاهراً وتريد به ضده وما وقع من سعة أرزاقهم وطول أعمارهم إحسان عليهم ونفع ظاهر، والمقصود به الضرر فهو موقع لهم في ورطة الهلاك وهو المراد منه اهـ شهاب.

قوله: ﴿أم تسألهم أجراً﴾ هذا في المعنى مرتبط بقوله سابقاً: أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم أي: أم تلتمس منهم ثواباً على تدعوهم إليه من الإيمان بالله اهـ قرطبي.

قوله: ﴿مثقلون﴾ أي: مكلفون حملاً ثقيلاً اهـ أبو السعود.

قوله: (أي اللوح المحفوظ) عبارة القرطبي: أم عندهم الغيب أي: علم ما غاب عنهم فهم يكتبون، وقيل: أي أنزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون، وعن ابن عباس: الغيب هنا اللوح المحفوظ يكتبون مما فيه ويخاصمونك به ويكتبون أنهم أفضل منكم وأنهم يعاقبون، وقيل: يكتبون أي: يحكمون لأنفسهم ما يريدون اهـ.

قوله: (ما يقولون) أي: ما يحكمون به ويتسغنون عن علمك اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ الخ قيل: إن هذه الآية نزلت بأحد حين حلّ برسول الله ﷺ ما حل، فأراد أن يدعو على الذين انهزموا، وقيل: حين أراد أن يدعو على ثقيف اهـ خطيب.

قوله: ﴿إذ نادى﴾ إذ منصوب بمضاف محذوف أي ولا يكن حالك كحاله أو قصتك كقصته في وقت ندائه، ويدل على المحذوف أن الذوات لا ينصب عليها النهي وإنما ينصب على أحوالها وصفاتها اهـ سمين.

قوله: ﴿وهو مكظوم﴾ الجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء لأنه أمر مستحسن اهـ أبو السعود.

قوله: (مملوء غماً) عبارة القرطبي: مملوء غماً وقيل: كرباً الأول قول ابن عباس ومجاهد، والثاني قول عطاء وأبي مالك. قال الماوردي: والفرق بينهما أن الغم في القلب والكرب في الأنفاس، وقيل: مكظوم محبوس، والكظم الحبس ومنه قولهم: فلان يكظم غيظه أي: يحبس غضبه قاله ابن بحر، وقيل: إنه المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قال المبرد اهـ.

قوله: ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ قرأ العامة تداركه، وقرأ ابن هرمز والحسن تداركه بتشديد

مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ لكنه رحم فنبذ غير مذموم ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ الأنبياء ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أي ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد

الدال وهو مضارع أدغمت التاء منه في الدال وهو على تقدير حكاية الحال، كأنه قال: لولا أن كان يقال فيه تداركه نعمة، وقرأ ابن عباس، وابن مسعود: تداركته وهو خلاف المرسوم، وتداركه فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمة لأن تأنيث النعمة غير حقيقي وتداركته على لفظها. واختلف في معنى النعمة هنا فقيل النبوة قاله الضحاك، وقيل عبادته التي سلفت قاله ابن جبير، وقيل: نداؤه: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] قاله ابن زيد، وقيل: نعمة الله عليه إخراجه من بطن الحوت قاله ابن بحر، وقيل: أي: رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه اهـ قرطبي.

قوله: (رحمة) ﴿من ربه﴾ وهي توفيقه للتوبة وقبولها منه اهـ أبو السعود.

قوله: (بالأرض الفضاء) أي: الخالية من النبات والأشجار والجبال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وهو مذموم﴾ أي: ملوم ومؤاخذ بذنبه، والجملة حال من مرفوع نبذ وهي محط الامتناع المفاد بلولا فهي المنفية لا النبذ بالعراء، ولذلك قال الشارح: لكنه رحم الخ فأفاد أن لولا حرف امتناع لوجود وأن الممتنع القيد في جوابها لا هو نفسه اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وهو مذموم أي: ملوم على الذنب، وقيل: مبعد من كل خير، وقال الرازي: وهو مذموم على كونه فاعلاً للذنب. قال: والجواب من ثلاثة أوجه، الأول: أن كلمة لولا دالة على أن هذه المذمومية لم تحصل. الثاني: لعل المراد ىن المذمومية ترك الأفضل فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. الثالث: لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى: ﴿فاجتباه ربه﴾ اهـ.

قوله: ﴿فاجتباه ربه﴾ عطف على مقدر أي: فأدركته نعمة من ربه فاجتباه، وهذا ما أشار له الشارح بقوله لكنه رحم فنبذ غير مذموم اهـ شيخنا.

قوله: (بالنبوة) هذا مبني على أنه وقت هذه الواقعة لم يكن نبياً وإنما نبىء بعدها وهو أحد قولين للمفسرين والثاني أنه كان نبياً ومعنى اجتباه أنه ردّ عليه الوحي بعد أن كان قد انقطع عنه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فجعله من الصالحين﴾ أي: الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلاً يكون تركه أولى، وإليه أشار الشيخ المصنف في التقرير اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: فاجتباه ربه أي: اصطفاه واختاره، فجعله من الصالحين، قال ابن عباس: رد الله عليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون بسبب صبره اهـ.

قوله: ﴿وإن يكاد﴾ إن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن اهـ شيخنا.

قوله: (بضم الياء وفتحها) سبعيتان فأما الضم فمن أزلقه أزل رجله فالتعدية بالهمزة من زلق يزلق، وأما الفتح فالتعدية بالحركة يقال زلق بالكسر وزلقته بالفتح، ونظيره: شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح وقد تقدم لذلك نظائر، وقيل: زلقه وأزلقه بمعنى واحد، والباء في بأبصارهم إما

أن يصرعك ويسقطك عن مكانك ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ بسبب القرآن الذي جاء به ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ الجن والانس، لا يحدث بسببه جنون.

للتعدية كالداخلة على الآلة أي: جعلوا أبصارهم كالآلة المزلقة لك كما تقول: عملت بالقدوم، وإما للسببية أي: بسبب عيونهم اهـ سمين.

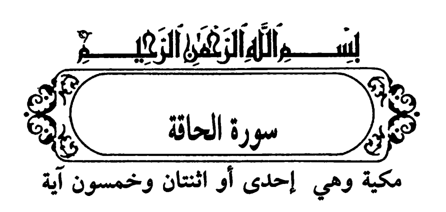
قوله: (أي ينظرون إليك الخ) من قولهم نظر إلي فلان نظراً يكاد يصرعني ويكاد يأكلني أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعل، فليس المراد أنهم يصيبونه بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما المراد أنهم ينظرون إليه نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطه من شدة عداوتهم. هذا ما جرى عليه الشارح. وقيل: أرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قوم من قريش المجربة إصابتهم فعصمه الله وحماه من أعينهم فلم تؤثر فيه، فنزلت هذه الآية. وذكر الماوردي: أن العين كانت في بني أسد من العرب وكان إذ أراد أحد منهم أن يصيب أحداً في نفسه أو ماله جوَّع نفسه ثلاثة أيام ثم يتعرض للمعيون أو ماله فيقول: ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر ولا أحسن فيهلك المعيون هو وماله فأنزل الله هذه الآية. وقال الحسن البصري: دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية على المعيون اهـ من الخطيب.

قوله: ﴿لما سمعوا الذكر﴾ وذلك أنهم كانوا إذا سمعوه ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم بيضاوي. ومن جعل لما ظرفية جعلها منصوبة بيزلقونك ومن جعلها حرفاً جعل جوابها محذوفاً للدلالة عليه أي: لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك، ومن جوز تقديم الجواب قال هو هنا متقدم اهـ سمين.

قوله: (حسداً) أي: وتنفيراً عنه اهـ.

قوله: ﴿وما هو﴾ الخ الجملة حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراءتهم على رسوله وكتابه اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: لما جننوه لأجل القرآن بيَّن الله أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه إلا من كان أكمل الناس عقلاً وأمتنهم رأياً اهـ والله أعلم.



مكية وهي إحدى أو اثنتان وخمسون آية

﴿الْحَاقَّةُ ①﴾ القيامة التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء، أو المظهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: بالإجماع.

قوله: ﴿الحاقة﴾ نعت لمنعوت محذوف أشار له بقوله القيامة، وقدره غيره بقوله الساعة الحاقة والإسناد مجازي على كل من المعنيين اللذين ذكرهما الشارح، وقوله: التي يحق فيها الخ من باب ضرب ورد أي: يظهر بحيث لا يمكن إنكاره، وأشار بهذا إلى أن الإسناد في الحاقة من الإسناد للزمان على حد ليل قائم، فالمراد الزمان الذي يحق أن يتحقق فيه ما أنكر في الدنيا من البعث وغيره فيصير فيها محسوساً معايناً، وقوله: أو المظهرة لذلك أي لما أنكر في الدنيا يشير به إلى أن الحاقة بمعنى اسم الفاعل أي المحققة والمظهرة وهو أيضاً إسناد مجازي. وفي البيضاوي: الحاقة أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها، أو التي تحق فيها الأمور أي تعرف حقيقتها، أو يقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي اهـ.

وقوله: أي: الساعة الخ أي فهي اسم جامد، وقوله: أو الحالة التي يحق فيها بكسر الحاء وضمها من باب ضرب وكتب ومعناه يتحقق ويجب فيه صفة لموصوف مقدر وكذا معنى قوله أو التي تحق فيها الأمور بصيغة المعلوم والمجهول أي: تتحقق من حققته إذا عرفته اهـ شهاب.

وعبارة زاده: الحاقة اسم فاعل من حق الشيء وجب حذف موصوفها وهو الساعة أو الحالة وكذا على قوله، أو التي تحق فيها الأمور إلا أنه من حققته أحقه بالضم إذا عرفت حقيقته، فعلى هذا الحاقة بمعنى العارفة للأمور بحقيقتها سميت الساعة بها مع أن الفعل لأهلها على الإسناد المجازي على طريقة نهاره صائم، فإن الخلائق هم الذين يعرفون الأمور على حقيقتها يوم القيامة فأسند العرفان إلى الوقت مجازاً، وقوله: أو يقع فيها الخ على أن الحاقة بمعنى الثابتة من حق الشيء يحق بالكسر أي: ثبت، والثبوت وصف لما يقع في الساعة من الحساب والجزاء وصفت به الساعة على الإسناد المجازي أيضاً اهـ.

وفي القرطبي: الحاقة ما الحاقة يريد القيامة سميت بذلك لأن الأمور تحق فيها قاله الطبري كأنه جعلها من باب ليله قائم، وقيل: سميت حاقة لأنها تكون من غير شك، وقيل: سميت بذلك لأن فيها

لذلك ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ تعظيم لشأنها، وهما مبتدأ وخبر الحاقة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ زيادة تعظيم لشأنها، فما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره، وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾ القيامة، لأنها تقرع القلوب بأهوالها ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ

يصير كل إنسان حقيقاً بجزاء عمله، وقال الأزهري: يقال حاققته فحققته أحقه أي: غالبته فغلبته، فالقيامة حاقة لأنها تحق كل محاق في دين الله بالباطل أي: كل مخاصم، وفي الصحاح: وحاقه أي: خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق فإذا غلبه قيل حقه، والتحاق التخاصم والاحتقاق الاختصام والحاقة والحقة والحق لغات ثلاث بمعنى اهـ.

قوله: (تعظيم لشأنها) أي: هذا الاستفهام المقصود منه تعظيم شأنها وتهويله وتفظيعه كأنه قال: ما وصفها وما حالها أي: شيء هو لا تحيط به العبارة، فإن ما يسأل بها عن الصفة والحال والمقام للضمير أي: ما هي فوضع الظاهر موضعه لتأكيد هو لها وزيادة تفظيعه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ما أدراك﴾ الخ يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية أحد ولا همه، والنبي ﷺ كان عالماً بالقيامة، ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقيل له ذلك تفخيماً لشأنها كأنه ليس عالماً بها رأساً. قال سفيان بن عيينة: كل شيء في القرآن قال فيه وما أدراك فإنه ﷺ أخبر به، وكل شيء قال فيه وما يدريك فإنه لم يخبر به اهـ خطيب.

قوله: (زيادة تعظيم) أي: أن الاستفهام في ما الحاقة ثانياً لزيادة تعظيم وتهويل شأنها اهـ شيخنا.

قوله: (وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني) أي: والمفعول الأول وهو الكاف، والجملة في موضع نصب على إسقاط الخافض، لأن أدرى بالهمزة يتعدى لاثنين الأول بنفسه، والثاني بالباء كما قال تعالى: ﴿ولا أدراكم به﴾ [يونس: ١٦] فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة لها كانت في موضع المفعول الثاني وبدون الهمزة يتعدى بالباء نحو دريت بكذا ويكونه بمعنى علم فيتعدى لاثنين اهـ سمين.

وفي زاده: وجملة ما الحاقة في محل نصب سادة مسد المفعول الثاني والثالث لأدري لأنه بمعنى أعلم اهـ.

قوله: ﴿كذبت ثمود﴾ الخ استئناف مسوق للإعلام ببعض أحوال الحاقة اهـ أبو السعود.

وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز، وقال ابن إسحاق: هو وادي القرى، وعاد قوم هو، وكانت منازلهم بالأحقاف وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن، وقدم ذكر ثمود لأن بلادهم أقرب إلى قريش وواعظ القريب أكبر، ولأن إهلاكهم بالصيحة وهي أشبه بصيحة النفخ في الصور اهـ خطيب.

قوله: ﴿بالقارعة﴾ أو بالحاقة ووضعها موضع ضمير الحاقة لأجل وصفها بأنها تقرع القلوب بشدة أهوالها اهـ أبو السعود.

قوله: (لأنها تقرع القلوب) أي: تؤثر فيها خوفاً وفزعاً كتأثير القرع المحسوس، فإن القرع في

﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديدة الصوت ﴿عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها بالقهر ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوّال، وكانت في عجز الشتاء ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات شبهت بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرّة بعد أخرى

اللغة نوع من الضرب وهو إمساس جسم لجسم بعنف، وفي المصباح: وقرعت الباب من باب نفع طرقته ونقرت عليه اهـ.

قوله: ﴿فأما ثمود﴾ الخ المقصود من ذكر هذه القصص زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهؤلاء الأمم في المعاصي لئلا يحل بها ما حل بهم اهـ خطيب.

قوله: (بالصيحة) أي: صيحة جبريل أي: أو بالرجفة اهـ بيضاوي.

وقوله: بالصيحة أي: لقوله في هود: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ [هود: ٦١] وقوله: أو الرجفة لقوله في الأعراف: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي: الزلزلة: المسببة عن الصيحة فلا تعارض بين الآيات لإسناده إلى السبب القريب أو البعيد، وأما الصاعقة المذكورة في حم السجدة ففسرت بالصيحة فلا تغايرها اهـ شهاب.

قوله: (المجاوزة للحد في الشدة) عبارة القرطبي: فأهلكوا بالطاغية فيه إضمار أي: بالفعلة الطاغية وقال قتادة: أي بالصيحة الطاغية أي: المجاوزة للحد أي: لحد الصيحات من الهول لما قال: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾ [القمر: ٣١] والطغيان مجاوزة الحد، وقال الكلبي: بالطاغية هي مصدر كالكاذبة والعافية أي: أهلكوا بطغيانهم وكفرهم، وقيل: إن الطاغية عاقر الناقة قاله ابن زيد أي: أهلكوا بما أقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقة، وكان واحداً وإنما أهلكوا جميعاً لأنهم علموا بفعله ورضوا به، وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة ونسابة اهـ.

قوله: (مع شدتهم وقوتهم) أي: فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببنيان أولياذ بجبل أو اختفاء في حفرة، هذا وقيل: عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن، وروي أنه ﷺ قال: «ما أرسل الله صفة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من ماء إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل وأن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل» اهـ خطيب.

قوله: (أرسلها بالقهر) عبارة القرطبي: سخرها عليهم أي: أرسلها وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار اهـ.

قوله: (أولها من صبح الخ) أي: وآخرها غروب شمس يوم الأربعاء التالي للأربعاء الأول وكان الشهر كاملاً، فكان آخرها هو اليوم الأخير منه، وقوله: لثمان أي: لثمانية أيام الخ اهـ شيخنا.

وقيل: كان أولها يوم الأحد وقيل: يوم الجمعة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿حسوماً﴾ جمع حاسم كشهود جمع شاهد، كما أشار له بقوله: متتابعات أي: متتابعات

حتى ينحسم ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ ساقطة فارغة ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ صفة نفس مقدرة، أو التاء للمبالغة، أي باق؟ لا ﴿وَجَآءَ

الهبوب لا تفتر لحظة، وقوله شبهت أي شبه تتابعها، وقد صرح بهذا غيره أي: فالكلام من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية حيث شبه التتابع بالتتابع، واستعير الثاني للأول واشتق بالنظر للمعنى حسوماً اسم فاعل اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: قوله: متتابعات أي: فهو مجاز مرسل من استعمال المقيد وهو الحسم الذي هو تتابع الكي لمطلق التتابع، أو استعارة بتشبيه تتابع الريح المستأصلة بتتابع الكي القاطع للداء اهـ شهاب.

قوله: ﴿حسوماً﴾ فيه أوجه، أحدهما: أن ينتصب نعتاً لسبع ليال وثمانية أيام. والثاني: أن ينتصب على المصدر بفعل من لفظه أي: تحسمهم حسوماً. الثالث: أن ينتصب على الحال من مفعول سخرها أي: ذات حسوم. الرابع: أن يكون مفعولاً له ويتضح ذلك بقول الزمخشري: الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشاهد وشهود أو مصدر كالشكور والكفور، فإن كان جمعاً فمعنى قوله حسوماً نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الريح ما خفت ساعة تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم، وإن كان مصدراً فإما أن ينتصب بفعل مضمر أي: تحسمهم حسوماً بمعبنى تستأصلهم استئصالاً، أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولاً له أي: سخرها عليهم للاستئصال، وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي: الحسوم الفصل يقال: حسمت الشيء من الشيء فصلته منه ومن الحسام، والجمعة من قوله سخرها عليهم يجوز أن تكون صفة لريح، وأن تكون حالاً منها لتخصصها بالصفة أو من الضمير في عاتية، وأن تكون مستأنفة اهـ سمين.

قوله: ﴿فترى القوم﴾ أي: تبصر أنت يا محمد لو كنت حاضراً هذه الواقعة فالكلام على سبيل الفرض والتقدير اهـ خطيب.

وقوله: صرعى حال جمع صريع كقتيل وقتلى وجريح وجرحى، والضمير في فيها للأيام والليالي أو للبيوت أو للويح أظهرها الأول لقربه ولأنه مذكور، وقوله: كأنهم حال من القوم أو مستأنف اهـ سمين.

قوله: ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ أي: أصول نخل بلا رؤوس، فالمراد بأصل النخلة الجذع بتمامه فإنهم كانوا أطول من الجذوع وكانت الريح تقطع رؤوسهم كما تقطع رؤوس النخل اهـ خطيب.

قوله: (ساقطة) أي: من خوى النجم إذا سقط للغروب، وقوله: فارغة أي: من خوى المنزل إذا خلا من سكنه، والمراد أنها فارغة من الحشو لما روي من أن الريح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿من باقية﴾ من زائدة في المفعول اهـ سمين.

قوله: (لا) أشار به إلى أن الاستفهام للإنكار. قال ابن جرير: مكثوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء

﴿فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ أتباعه وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي أهلها وهي قرى قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾ بالفعلات ذات الخطإ ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي لوطاً وغيره ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾ زائدة في الشدَّة على غيرها ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ يعني آباءكم إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِى

في العذاب بالريح فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر وذلك قوله تعالى: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ اهـ خطيب.

وورد أنهم لم يعقبوا أحد لقوله: فهل ترى لهم من باقية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من قبله﴾ قرأ بكسر القاف وفتح الباء أبو عمرو والكسائي أي: ومن هو في جهته، ويؤيده قراءة أبي موسى ومن تلقاءه، وقرأ أبي ومن تبعه والباقون بالفتح والسكون على أنه ظرف أي: ومن تقدمه اهـ.

قوله: ﴿والمؤتفكات﴾ أي: المنقلبات من ائتفك أي: انقلب أي: التي اقتلعها جبريل على جناحه ورفعها إلى قرب السماء ثم قلبها، وقوله: أي أهلها يشير به إلى تقدير مضاف فهو على حد: ﴿وأسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] اهـ شيخنا.

قوله: (وهي قرى قوم لوط) وكانت خمسة كما تقدم صنعة وصعرة وعمرة ودوما وسذوم وهي القرية العظمى اهـ قرطبي.

قوله: ﴿بالخاطئة﴾ معنى مجيئهم بها فعلهم لها، وقوله: بالفعلات أي: الأفعال، وقوله: ذات الخطأ أشار به إلى أن الخاطئة صيغة نسب كتامر وباقل على حد قوله:

ومع فاعل وفعال فعل في نسب أغنى عن اليا فقبل

اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فعصوا﴾ أي: فرعون ومن قبله، والمؤتفكات أي: فتسبب عن ارتكابهم المعاصي أنهم تدرجوا فيها حتى عصوا رسول بهم اهـ شيخنا.

قوله: (أي: لوط وغيره) أي: فالمراد بالرسول الجنس، والمراد بالغير خصوص موسى على قراءة كسر القاف وموسى ومن تقدمه من الرسل على قراءة فتحها اهـ شيخنا.

قوله: (زائدة في الشدة على غيرها) أي: من عذاب الأمم. يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد ومنه الربا إذا أخذ في الذهب أو الفضة أكثر مما أعطى، والمعنى أنها كانت زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار، كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار اهـ.

قوله: (علا فوق كل شيء) عبارة القرطبي: إنما لما طغى الماء أي: ارتفع وعلا، وقال علي رضي الله عنه: طغى على خزانه من الملائكة غضباً لربه فلم يقدروا على حبسه، وقال قتادة زاد على أعلى جبل خمسة عشر ذراعاً، وقال ابن عباس: طغى الماء زمن نوح على خزانة وكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من المار قطرة تنزل قبله ولا بعده إلا بكيل معلوم غير ذلك اليوم اهـ.

﴿ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون ﴿لِنَجۡعَلَهَا﴾ أي هذه الفعلة، وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ﴾ عظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ ولتحفظها ﴿أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾﴾ حافظة لما تسمع ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية

قوله: (زمن الطوفان) عبارة الخازن: وذلك في زمن نوح وهو أي الماء الطوفان اهـ.

وهي أظهر من عبارة الشارح كما لا يخفى. قوله: (يعني آباءكم) جواب عما يقال إن المخاطبين لم يدركوا السفينة، كيف يقال حملناكم فيها؟ وحاصل الجواب: أن الكلام على حذف المضاف، وقوله: إذ أنتم إذ ظرفية وهذه العبارة تقتضي أن الجواب واحد وعليها فلا حاجة لقوله: إذ أنتم الخ، وفي النهر: جعلهما جوابين فقال حملناكم في أصلاب آبائكم أو حملنا آبائكم اهـ وهي أولى.

قوله: (التي عملها نوح) أي: بأمر الله وهو أول من صنع السفن وكان يعلمه جبريل صنعتها فاتخذها على هيئة صدر الطائر يكون ما يجري في الماء مقارباً لما يجري في الهواء اهـ خطيب.

قوله: (أي هذه الفعلة الخ) وقيل: الضمير عائد على السفينة، وعبارة القرطبي: لنجعلها لكم تذكرة يعني سفينة نوح عليه السلام جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الأمة حتى أدركها أوائلهم في قول قتادة قاله ابن جريج، كانت ألواحها على الجودي، والمعنى أبقيت لكم تلك الخشبات حتى تذكروا ما حل بقوم نوح، وأنجى الله آباءكم من سفينة هلكت وصارت تراباً ولم يبق منها شيء، وقيل: لنجعل تلك الفعلة من إغراق قوم نوح وإنجاء من آمن به موعظة لكم اهـ.

قوله: ﴿وتعيها﴾ بكسر العين باتفاق القراء السبعة وهو مضارع وعى يعي وأصله يوعي كرمى يرمي فحذفت الواو التي هي فاء الكلمة تخفيفاً لوقوعها بين فتحة وكسرة وهو منصوب بالعطف على تجعل كما أشار له بقوله ولتحفظها اهـ شيخنا.

قوله: (حافظة لما تسمع) أي: شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه من الأقوال والأفعال الإلهية والأسرار الربانية، والوعي الحفظ في النفس، والإيعاء الحفظ في الوعاء اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: أذن واعية من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه اهـ.

وجعل الأذن حافظة ومستمعة ومتذكرة ومتفكرة وعاملة تجوز، لأن الفاعل لذلك صاحبها ولا ينسب إليها غير السمع، وإنما أتى به مشاكلة لقوله واعية اهـ شهاب.

قوله: ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ الخ لما ذكر الله تعالى القيامة وهول أمرها بالتعبير بالحاقة وغيرها شرع في تفاصيل أحوالها وبدأ بذكر مقدماتها بقوله: فإذا نفخ في الصور الخ اهـ خطيب.

وقال أبو السعود: هذا شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها إثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكذبيها اهـ.

وإذا شرطية وجوابها فيومئذ وقعت الواقعة، وقيل: يومئذ تعرضون كما في السمين اهـ.

﴿وَحُمِلَتِ﴾ رفعت ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾ دقتا ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ ضعيفة ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ جوانب السماء

قوله: ﴿واحدة﴾ تأكيد، ونفخة مصدر قام مقام الفاعل، وقال ابن عطية: لما نعت صح رفعه اهـ.

ولو لم ينعت لصح رفعه أيضاً لأنه مصدر مختص لدلالته على الواحدة، والممنوع عند البصريين إنما هو إقامة المبهم نحو ضرب، والعامة على الرفع فيهما، وقرأ أبو السمال: بنصبهما كأنه أقام الجار مقام الفاعل فترك المصدر على أصله ولم يؤنث الفعل وهو نفخ، لأن التأنيث مجازي وحسنه الفصل اهـ سمين.

قوله: (وهي الثانية) هكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد روي عنه أنها الأولى. قال القاضي كالكشاف: المراد بها النفخة الأولى التي عندها خراب العالم، قال في الكشاف: فإن قلت: إنما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض إنما هو عند النفخة الثانية وبين النفختين زمن طويل. قلت: جعل اليوم اسماً للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب، فلذلك قيل يومئذ تعرضون، كما تقول جئته عام كذا وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته اهـ كرخي.

قوله: ﴿وحملت الأرض والجبال﴾ أي: رفعت من أماكنها اهـ خازن.

أي حملتها الرياح أو الملائكة أوالقدرة اهـ خطيب.

وهذا الرفع بعد خروج الناس من قبورهم اهـ شيخنا.

قوله: (دقتا) أي: ضربت إحدى الجملتين بالأخرى ضربة واحدة فتفتتت وصارت كثيباً مهيلاً وهباء منثوراً فلم يتميز شيء من أجزائها عن الأخر اهـ أبو السعود وخطيب.

وفي القرطبي: فدكتا أي: فتتتا وكسرتا دكة واحدة لا يجوز في دكة إلا النصب لارتفاع الضمير في دكتا وقال الفراء. لم يقل فدككن لأنه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والأرض كالجملة الواحدة، ومثله. ﴿إن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾ [الأنبياء: ٣٠] ولم يقل كن وهذه الدكة كالزلزلة كما قال تعالى: ﴿إذا زلزت الأرض زلزالها﴾ [الزلزلة: ١] وقيل دكتا أي: بسطتا بسطة واحدة اهـ.

قوله: ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ التنوين عوض عن محذوف جملتا نفخ وحملت: وقوله: وقعت الواقعة كقولك قام القائم في عدم الإفادة فلا بد من تأويل حتى يفيد وتأويله أن الواقعة صارت علماً بالغلبة على القيامة فلم يلاحظ فيها معنى الاشتقاق وقد أشار لهذا بقوله قامت القيامة أي: حصلت ووجدت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وانشقت السماء﴾ أي: جنسها أي: انصدعت وتفطرت من هول ذلك اليوم، وقوله: يومئذ أي: يوم إذ قد تشققت، وقوله: أي متساقطة خفيفة لا تتماسك كالعهن المنفوش اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: واهية أي: ضعيفة يقال: وهي البناء يهي وهياً فهو واه إذا ضعف جداً ويقال: كلام واه أي: ضعيف، فقيل: إنها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي، ويكون ذلك لنزول

﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾ أي الملائكة المذكورين ﴿يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾﴾ من الملائكة أو من صفوفهم

الملائكة كما ذكرنا، وقيل: لهول يوم القيامة، وقيل: واهية أي: منخرقة قاله ابن شجرة مأخوذ من قولهم وهي السقاء إذا تخرق اهـ.

قوله: ﴿على أرجائها﴾ أي: واقفون على أطرافها التي لم تسقط لخراب مساكنهم منها بالتشقق والانفطار، ووقوفهم هنالك لينتظروا أمر الله لهم لينزلوا فيحيطوا بالأرض ومن عليها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: على أرجائها أي: جوانبها ونواحيها واحدها رجا بالقصر يكتب بالألف عكس رخى لأنه من ذوات الواو لقولهم رجوان اهـ سمين.

قوله: ﴿فوقهم﴾ حال من العرش أي: حال كونه فوق الملائكة الواقفين على الأرجاء، فإن قيل: الملائكة يموتون في الصعقة الأولى لقوله: ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ [الزمر: ٦٨] فكيف يقال أنهم يقفون على أرجاء السماء؟ أجيب: بأن هؤلاء الواقفين من جملة المستثنى بقوله: إلا من شاء الله اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: ولعله أي: ما ذكر من قوله: وانشقت السماء الخ تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان والتجاء أهلها إلى أطرافها وحواليها، وإن كان ظاهره فلعل هلاك الملائكة أثر ذلك اهـ.

وقوله: ولعله تمثيل الخ الظاهرة أنه إشارة إلى ما أورده الإمام الرازي بقوله، فإن قيل: الملائكة يموتون بالنفخة الأولى لقوله: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ [الزمر: ٦٨] فكيف يقال إنهم يقفون لحظة على أرجاء السماء يومئذ؟ وأجاب عنه بقوله، قلنا: الجواب من وجهين، الأول: أنهم يقفون على أرجاء السماء ثم يموتون. والثاني: أن المراد بالملائكة هم الذين استثناهم الله بقوله: إلا من شاء الله، وأشار المصنف إلى جوابه الأول بقوله: وإن كان على ظاهره الخ بعد ما أجاب عنه من قبل نفسه بأن الكلام ليس على ظاهره حتى يرد ما ذكر بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية اهـ زاده.

ويجاب أيضاً بأن الملائكة يحيون بالنفخة الثانية ويكونون في السماء قبل تساقطها، فإذا أخذت في التساقط وقفوا على أطرافها الباقية بلا سقوط، فكلما سقطت منها قطعة وقفوا على ما بقي منها يأمرهم الله بالنزول إلى الأرض ليحيطوا بأطرافها ويجمعوا الناس إلى المحشر تأمل. قوله: ﴿ثمانية﴾ (من الملائكة أو من صفوفهم) عبارة الخطيب: واختلف في هذه الثمانية فقال ابن عباس: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وقال ابن زيد: هم ثمانية أملاك، وعن الحسن: الله أعلم هل هم ثمانية أملاك أم ثماينة آلاف أم ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله. وفي الحديث أنه ﷺ قال: «إن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا على صورة الأوعال» أي: تيوس الجبل. وفي رواية: ثمانية أوعال من أظلافهم إلا ركبهم كما بين سماء إلى سماء، وفي حديث آخر: لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر، وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس. وعن شهر بن حوشب قال: حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، وأربعة منهم يقولون

﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾ للحساب ﴿لَا تَخۡفَىٰ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ من السرائر ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ خطاباً لجماعته لما سرّ به ﴿هَآؤُمُ﴾ خذوا ﴿ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ تنازع فيه هاؤم واقرؤوا

سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك اهـ خطيب.

وفي الخبر: إن فوق السماء السابعة ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء وفوق ظهورهن العرش ذكره القشيري وخرّجه الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب، وفي تفسيره الكلبي: ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة، وعنه ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء من الملائكة، ثم ذكر عدة الملائكة بما يطول ذكره. حكى الأول الثعلبي والثاني القشيري، وقال الماوردي عن ابن عباس: ثمانية أجزاء من تسعة وهم الكروبيون اهـ قرطبي.

قوله: ﴿يومئذ تعرضون﴾ أي: تسألون وتحاسبون، وعبّر عنه بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان العسكر والجند لينظر في أمرهم، فيختار منهم المصلح للتقريب والإكرام، والمفسد للإبعاد والتعذيب. وروي أن في القيامة ثلاث عرضات، عرضتان للاعتذار والتوبيخ، والثالثة فيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ويأخذ الهالك كتابه بشماله اهـ أبو السعود وخطيب.

قوله: (للحساب) أشار به إلى أن العرض عبارة عن المحاسبة والمسألة. شبه ذلك بعرض السلطان والعسكر لتعرف أحواله، وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسماً لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صحّ جعله ظرفاً للكل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لا تخفى منكم خافية﴾ حال من الواو في تعرضون أي: لا تخفى على الله من سرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا وتظنون أنه لا يطلع عليها، أو لا تخفى على أحد خافية من الأسرار التي كان من حقها أن تخفى في دار الدنيا اهـ شيخنا.

قوله: (بالتاء والياء) سبعيتان.

قوله: ﴿فأما من أوتي كتابه﴾ الخ تفصيل لأحوال الناس عند العرض. قوله: (خطاباً لجماعته) عبارة الخازن: والمعنى أنه لما بلغ الغاية في السرور وعلم أنه من الناجين بإعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له، وقيل: يقول ذلك لأهله وأقربائه اهـ.

قوله: ﴿هاؤم﴾ أي: خذوا وفيها استعمالان، وذلك أنها تكون فعلاً صريحاً وتكون اسم فعل ومعناها في الحالين خذوا، فإن كانت اسم فعل وهي المذكورة في الآية الكريمة ففيها لغتان المد والقصر. تقول: ها درهماً يا زيد، وها درهماً يا زيد ويكونان كذلك في الأحوال كلها من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث وتتصل بهما كاف الخطاب اتصالها باسم الإشارة فتطابق مخاطبك بحسب الواقع مطابقتها وهي أي الكاف ضمير المخاطب. تقول: هاك هاءك إلى آخره، ويخلف كاف الخطاب همزة متصرفة تصرف كاف الخطاب فتقول هاء يا زيد هاء يا هند هاؤما هاؤم هاؤن وهي لغة القرآن. وإذا كانت فعلاً صريحاً لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها كان فيها ثلاث لغات، إحداها: أنها تكون مثل عاطى يعاطي فيقال: هاء يا زيد هائي يا هند هائياً يا زيدان أو يا هندان هاؤا يا زيدون هائين يا هندات.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ تيقنت ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾ مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾ ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها ﴿دَانِيَةٌ ۝٢٣﴾ قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع فيقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا

الثانية: أن تكون مثل هب فيقال: هأ هيء هآ هؤا هأن مثل هب هبى هبا هبن. الثالثة: أن تكون مثل خف أمراً من الخوف فيقال: هأ هاءا هاؤا هأن مثل خف خافي خافا خافوا خفن، واختلفوا في مدلولها فالمشهور أنها بمعنى خذوا، وقيل: معناها تعالوا فتتعدي بإلى، وقيل: معناها القصد اهـ سمين.

قوله: ﴿كتابيه﴾ أصله كتابي، فأدخلت عليه هاء السكت لتظهر فتحة الياء وكذا يقال في الباقي اهـ قرطبي.

قوله: (تنازع فيه الخ) فأعمل الأول عند الكوفيين، والثاني عند البصريين، وأضمر في الآخر أي: هاؤموه اقرؤوا كتابيه أي: هاؤم اقرؤوه كتابيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إني ظننت﴾ أي: في الدنيا. قال الحسن في هذه الآية: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء بربه الظن فأساء العمل. إني ملاق أي: ثابت لي ثباتاً لا ينفك أني ألقى حسابيه أي: في الآخرة، ولم أنكر البعث يعني ما نجا إلا بخوفه من يوم الحساب لأنه تيقن أن الله تعالى يحاسبه فعمل للآخرة، فحقق الله تعالى رجاءه وأمن خوفه فعلم الآن أنه لا يناقش الحساب وإنما حسابه العرض وهو الحساب اليسير فضلاً من الله ونعمة اهـ خطيب.

قوله: (مرضية) أي: يرضاها صاحبها لا يضجر منها ولا يملها ولا يسأمها وأشار بهذا إلى أن صيغة فاعل بمعنى مفعول، وفي الخطيب: وفي راضية ثلاثة أوجه، أحدها: أنه على النسب أي: ذات رضا نحو. لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر أي: ثابت لها الرضا ودائم لها لأنها في غاية الحسن والكمال، والعرب لا تعبر عن أكثر السعادات بأكثر من المعيشة الراضية بمعنى أن أهلها راضون بها والمعتبر في كمال اللذة الرضا. الثاني: أنه على إظهار جعله المعيشة راضية لمحلها وحصولها في مستحقها وأنه لو كان للمعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها. الثالث: قال أبو عبيدة والفراء: إن هذا مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول نحو ماء دافق بمعنى مدفوق بمعنى أن صاحبها يرضى بها ولا يسخطها كما جاء مفعول بمعنى فاعل كما في قوله تعالى: ﴿حجاباً مستوراً﴾ [الإسراء: ٤٧] أي: ساتراً وقال ﷺ «إنهم يعيشون فلا يموتون أبداً، ويصحون فلا يمرضون أبداً، وينعمون فلا يرون بأساً أبداً، ويشبون فلا يهرمون أبداً» اهـ.

وفي القاموس: العيش الحياة عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشة، وعيشة بالكسر وعيشوشة وأعاشه وعيشه والعيش أيضاً الطعام وما يعاش به والخبز والمعيشة التي تعيش بها من المطعم والمشرب وما يكون به الحياة وما يعاش به أو فيه والجمع معايش والمعيشة الضنك عذاب القبر اهـ.

قوله: ﴿في جنة عالية﴾ أي: مرتفعة المكان لأنها في السماء السابعة ومرتفعة أيضاً في الدرجات والأبنية والأشجار اهـ أبو السعود.

وقوله: قطوفها جمع قطع بكسر القاف بمعنى مفعول كالذبح بمعنى المذبوح وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار، وأما القطف بالفتح فالمصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف اهـ خطيب.

قوله: ﴿كلوا واشربوا﴾ على إضمار القول أي: يقال لهم ذلك وجمع الضمير مراعاة للمعنى لأن

﴿هَنِيٓـًٔا﴾ حال أي متهنئين ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ الماضية في الدنيا ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي﴾ للتنبيه ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥﴾ ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦﴾ ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ أي الموتة في الدنيا ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ القاطعة لحياتي بأن لا أبعث ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨﴾ ﴿هَّلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ قوّتي

قوله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ يتضمن معنى الجمع وهذا أمر امتنان لا أمر تكليف. هنيئاً أي أكلاً طيباً لذلك شهياً مع البعد عن كل أذى وسلامة العاقبة بكل اعتبار ولا فضلة هناك من بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا وهن ولا صداع ولا ثقل، والبار في بما أسلفتم سببية، وما مصدرية أو اسمية أي: بما قدمته من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية أي: الماضية في الدنيا انقضت وذهبت واسترحتم من تعبها، وعن مجاهد: أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله تعالى، وروي يقول الله تعالى: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارب أعينكم وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية، ولما كانت العادة جارية بأن أهل الأرض ينقسمون إلى مقبول ومردود، وذكر سبحانه المقبول وبدأ به تشويقاً إلى حاله وتغبيطاً بعاقبته وحسن مآله أتبعه المردود تنفيراً عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله، فقال: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿فيقول﴾ أي: لما يرى من سوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء اهـ خطيب.

قوله: ﴿ولم أدر ما حسابيه﴾ ما استفهامية مبتدأ، وحسابيه خبرها، والجنة سدت مسد مفعولي أدر والاستفهام للتعظيم والتهويل على حد ما الحاقة، والمعنى ولم أدر عظم حسابي وشدته وشناعته، والمعنى ولم أدر ما حقيقة حسابيه من ذكر العمل وذكر الجزاء بل استمريت جاهلاً كذلك كما كنت في الدنيا اهـ.

قوله: (أي الموتة في الدنيا) والضمير للحالة أي: يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لأنه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما أغنى عني﴾ ما نافية والمفعول للتعميم أو استفهامية للتوبيخ يوبخ نفسه أي: أي شيء أغنى ما كان لي من اليسار الذي منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله؟ وقوله: ماليه ما اسم موصول فاعل بأغنى، واللام حرف جر والياء في محل جر، والمجرور صلة الموصول أي: الذي ثبت واستقر أنه لي اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ما أغنى عني ماليه مالي من المال والأتباع أي: أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار اهـ.

وصنيع الخطيب يقتضي أن مالي كلمة واحدة بمعنى المال.

قوله: ﴿هلك عني سلطانيه﴾ أي: ضل وغاب عني سلطاني أي: قوتي التي كانت لي في الدنيا ولم أجد لها الآن نفعاً وبقيت حقيراً ذليلاً، وقال ابن عباس: ضلت حجتي التي كنت أحتج بها على الناس اهـ خطيب.

وحجتي، وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وقفاً ووصلاً اتباعاً للمصحف الإمام والنقل، ومنهم من حذفها وصلاً ﴿خُذُوهُ﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ اجمعوا يديه إلى عنقه في الغل ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ النار المحرقة ﴿صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أدخلوه ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾

قوله: (وهاء كتابيه وحسابيه الخ) هاء مبتدأ، وقوله: للسكت خبر أول قوله تثبت الخ خبر ثان. وهذه المواضع الأربعة ترجع لستة تفصيلاً لأن كتابيه وحسابيه ذكرا مرتين في السعيد والشقي، وقوله: تثبت وقفاً وهذا على القاعدة في هاء السكت، وقوله: ووصلاً مخالف للقاعدة لأن قاعدة هاء السكت أن تثبت وقفاً وتحذف وصلاً، فلذلك أجاب عنه بجوابين بقوله: اتباعاً للمصحف الإمام أي: فلما كانت ثابتة فيه ثبتت في النطق حتى في الوصل اتباعاً للرسم، وبقوله والنقل أي: اتباعاً للنقل عن النبي ﷺ فقد ثبت عنه ثبوتها وصلاً فليس لحناً، لأن ما خرج عن القواعد لا يكون لحناً إلا إذا لم يثبت، وهذا قد ثبت عن النبي ونقل إلينا بالتواتر، وقوله: ومنهم أي: القراء السبعة والعشرة، فمن السبعة حمزة بحذفها وصلاً جرياً على القاعدة في ماليه وسلطانيه فقط، ومن العشرة يعقوب بحذفها وصلاً في المواضع الأربعة التي ترجع لستة، وما سلكه حمزة ويعقوب منقول عن النبي أيضاً، فقد نقل عنه ﷺ ما هو على طبق القاعدة وما هو على خلافها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خذوه﴾ معمول لقول مقدر وهو جواب عن سؤال نشأ مما سبق، كأنه قيل: وما يفعل به بعد هذا التحسر الصادر منه، فقيل: يقال من قبل الله للزبانية خذوه الخ اهـ شيخنا.

قوله: (خطاب لخزنة جهنم﴾ أي: زبانيتها كما عبّر به غيره، وسيأتي في سورة المدثر أن عدتهم تسعة عشر. قيل: ملكاً وقيل: صفاً، وقيل: صنفاً حكى الثلاثة الرازي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم الجحيم﴾ الخ الترتيب بثم في الزمان فإن إدخاله النار بعد غله، وكذلك إدخاله في السلسلة بعد إدخاله النار والتراخي المفاد بها للتفاوت في الرتب فكل واحد من المعطوفين بها أشد في العذاب وأعلى مما قبله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿صلوه﴾ أي: بالغوا في تصليته إياها وكرروها بغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد مرة لأنه كان يتعاظم على الناس فناسب أن يصلي أعظم النيران اهـ خطيب.

قوله: ﴿ثم في سلسلة﴾ أي: عظيمة جداً، وقوله ذرعها سبعون ذراعاً يحتمل أن يكون هذا العدد حقيقة، وعلى هذا قال ابن عباس: سبعون ذراعاً بذراع الملك فتدخل في دبره وتخرج من منخره، وقيل: تدخل من فيه وتخرج من دبره. وقال نوف البكالي: سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة، وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذارعاً، وقال الحسن: الله أعلم أي ذراع هو، ويحتمل أن يكون مبالغة كما قال تعالى: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ [التوبة: ٨] يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاب أشد، وعن كعب أنه قال: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها أجارنا الله تعالى و محبينا منها وجميع المسلمين، فأشار سبحانه إلى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال فاسلكوه أي: أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك أي: الحبل الذي يدخل في ثقب الخرزات بعسر لضيق ذلك الثقب، إما بإحاطتها بعنقه أو بجميع بدنه بأن تلف عليه اهـ خطيب.

بذراع الملك ﴿فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ أي أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع من الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣﴾ ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥﴾ قريب ينتفع به ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ صديد أهل النار أو شجر فيها ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا

قوله: (ولم تمنع الفاء) أي: في قوله: فاسلكوه من تعلق الفعل أي: الداخله عليه بالظرف المقتدم وهو في سلسلة وتقديمها كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذبون به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة لا للدلالة على تراخي المدة ثم علل ذلك مستأنفاً فقال: إنه كان الخ وهو أبلغ كأنه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد، فأجيب بذلك: وذكر العظيم للإشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن لا يعظمه فقد استوجب ذلك اهـ كرخي.

وفي زاده: ثم إن كلمة ثم والفاء الواقعتين في الجملة الأخيرة إن كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفي العطف على معطوف واحد فينبغي أن تكون كلمة ثم لعطف قول مضمر على ما أضمر قبل قوله: خذوه أي: قيل لخزنة جهنم خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه، ثم قيل لهم: في سلسلة ذرعها الخ، وتكون الفاء لعطف المقول على المقول، وثم لعطف القول على القول اهـ.

قوله: ﴿إن كان لا يؤمن﴾ الخ هذا تعليل على طريق الاستئناف كأنه قيل ما باله يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب: بذلك اهـ خطيب.

ولعل وجه التخصيص لهذين الأمرين بالذكر أن أقبح العقائد الكفر بالله تعالى، وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولا يحض﴾ أي لا يحث ولا يحرض نفسه ولا غيرها على طعام المسكين بمعنى الاطعام، فالإضافة للمفعول، أو في الكلام حذف المضاف أي على بذل طعام المسكين، والإضافة له لكونه مستحقه وآخذه فهي لأدنى ملابسة اهـ شيخنا.

فالحض البعث والحث على الفعل والحرص على وقوعه، ومنه حروف التحضيض المبوب له في النحو لأنه يطلب به وقوع الفعل وإيجاده اهـ سمين.

قوله: ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ أي: في الآخرة وما عطف عليه اسم ليس وفي خبرها وجهان، أحدهما: له. والثاني: من ههنا وأيهما كان خبر تعلق به الآخر أو كان حالاً من حميم، ولا يجوز أن يكون اليوم خبراً البتة لأنه زمان والمخبر عن جثة اهـ سمين.

فإن قلت: ما التوفيق بين ما هنا وبين قوله: في محل آخر ﴿إلا من ضريع﴾ [الغاشية: ٦] وفي موضع آخر ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ [الدخان: ٤٤] وفي موضع آخر ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ [البقرة: ١٧٤] قلنا: لا منافاة إذ يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك، أو أن العذاب أنواع والمعذبين طبقات، فمنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع، ومنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة النار لكل باب منهم جزء مقسوم اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلا من غسلين﴾ فعلين من الغسالة فنونه وياؤه زائدتان. قال أهل اللغة: هو ما يجري من

ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ الكافرون ﴿فَلَآ﴾ زائدة ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ منها أي بكل مخلوق ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ أي قاله رسالة عن الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

الجراح إذا غسلت، وفي التفسير هو صديد أهل النار، وقيل: شجر يأكلونه اهـ سمين.

وفي الخطيب: وهذا الشجر إذا أكلوه يغسل بطونهم أو يخرج ما فيها من الحشو، وفي السمين: قوله: إلا من غسلين صفة لطعام فقط على تفسير الحميم بالقريب فدخل الحصر على الصفة كقولك: ليس عندي رجل إلا من بني تميم، والمراد بالحميم الصديق، فعلى هذا الصفة مختصة بالطعام أي: ليس له صديق ينفعه ولا طعام إلا من هذا، وقيل: ليس له حميم إلا من غسلين ولا طعام قاله أبو البقاء، فجعل من غسلين صفة للحميم كأنه أراد به الشيء الذي يحم به البدن من صديد النار ثم قال، وقيل: من الطعام والشراب لأن الجميع يطعم بدليل قوله: ومن لم يطعمه، فعلى هذا يكون قوله إلا من غسلين صفة لحميم ولطعام، والمراد بالحميم ما يشربه، والظاهر أن خبر ليس هو قوله من غسلين إذا أريد بالحميم ما يشرب أي: ليس شراب ولا طعام إلا غسلينا، أما إذا أريد بالحميم الصديق فلا يتأتى ذلك اهـ.

قوله: ﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾ صفة لغسلين، والعامة يهمزون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطىء يخطأ من باب علم إذا فعل غير الصواب متعمداً والمخطىء من يفعله غير متعمد، وقرأ الزهري والعتكي وطلحة والحسن: الخاطبون بياء مضمومة بدل الهمزة، وقد تقدم مثله في يستهزئون. وقرأ نافع في رواية وشيبة بطاء مضمومة دون همز وفيها وجهان، أحدهما: أنه كقراءة الجماعة إلا أنه خفف بالحذف. والثاني: أنه اسم فاعل من خطا يخطو إذا تبع خطوات غيره، فيكون من قبيل قوله لا تتبعوا خطوات الشيطان قاله الزمخشري اهـ سمين.

قوله: (لا زائدة) وقيل: أصلية وفي البيضاوي: فلا أقسم لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فأقسم ولا مزيدة أو فلا رد لإنكارهم البعث وأقسم مستأنف اهـ كرخي.

وفي الكرخي: وأما حمله على معنى نفي الإقسام لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله: بما تبصرون وما لا تبصرون كما مرَّ في سورة الواقعة اهـ.

قوله: (أي بكل مخلوق) والإقسام بغير الله إنما نهي عنه في حقنا، وأما هو تعالى فيقسم بما شاء على ما شاء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنه لقول رسول﴾ الخ جواب القسم فهو المحلوف عليه، وكذا قوله: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ ﴿ولا بقول كاهن﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كريم﴾ أي: على الله فهو في غاية الكرم الذي هو البعد عن مساوىء الأخلاق وهو محمد ﷺ، وقوله: قاله رسالة أي: تبليغاً عن الله، وهذا جواب عما يقال إن القرآن قول الله وكلامه، فكيف يقال: إنه لقول رسول؟ والجواب: أنه يقول على سبيل التبليغ لا أنه وصف له كما أنه كذلك لله تعالى اهـ شيخنا.

شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ بالتاء والياء في الفعلين، وما زائدة مؤكدة، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي ﷺ من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئاً بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أي النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ بأن

وفي الخطيب: أنه أي القرآن لقول لقول أي: تلاوة رسول أي: أنا أرسلته به وليس له فيه شيء من تلقاء نفسه إنما هو كله رسالة واضحة جداً بماله من الإعجاز الذي يشهد أنه كلامي كريم أي: على الله تعالى فهو في غاية الكرم الذي هو البعد عن مساوىء الأخلاق بإظهار معاليها لشرف النفس وشرف الآباء وهو محمد ﷺ، وكرم الشيء اجتماع الكمالات اللائقة به فيه، وقيل هو جبريل عليه السلام. قال الحسن الكلبي لقوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾: أي ذي قوة واستدل للأول بقوله تعالى: ﴿وما هو بقول شاعر﴾، وهو الذي يأتي بكلام مقفى موزون بقصد الوزن، قال مقاتل: سبب نزول هذه الآية أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمداً ساحر، وقال أبو جهل: شاعر، وقال عقبة: كاهن، فرَّد الله عليهم بذلك، فإن قيل: كيف يكون كلاماً لله تعالى ولجبريل ولمحمد ﷺ؟ أجيب: بأن الإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة فالله تعالى أظهره في اللوح المحفوظ. وجبريل عليه السلام بلغه للنبي ﷺ، والنبي بلغه للأمة اهـ.

قوله: ﴿وما هو بقول الشاعر﴾ الخ ذكر الإيمان مع نفي الشعر والتذكر مع نفي الكهانة لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند كافر بخلاف مباينته للكهانة، فإنها تتوقف على تذكر أحواله ﷺ وتذكر معاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ القلة باعتبار المؤمنين به أي: تؤمنون بشيء قليل ما جاء به النبي ﷺ، كما أشار له الشارح بقوله: والمعنى أنهم آمنوا الخ.

وفي الخطيب: وقال البغوي: أراد بالقليل نفي إيمانهم أصلاً كقولك لمن لا يزورك قلماً تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلاً اهـ.

قوله: (بالتاء) أي: لمناسبة تبصرون، وقوله: والياء أي: التفاتاً عن الخطاب إلى الغيبة اهـ شيخنا.

قوله: (وما زائدة مؤكدة) أي: لمعنى القلة وانتصب قليلاً في الموضعين على أنه نعت لمصدر محذوف أي إيماناً قليلاً، وقوله: والمعنى أنهم آمنوا الخ أي: أيماناً لغوياً لأنهم صدقوا بأن الخير والصلة والعفاف التي أمر بها رسول الله حق وصواب اهـ سمين.

قوله: (مما أتى به النبي) من تبعيضية واقعة في محل الحال من أشياء أي: حال كونها بعض ما أتى به النبي ، وقوله: من الخير الخ بيان للأشياء اليسيرة التي هي بعض ما أتى به النبي، فكان حق هذا البيان أن يتقدم على الحال، والمراد بالخير الصدقة وبالصلة صلة الأرحام وبالعفاف الكف عن الزنا، وإنما آمنوا بهذه الأشياء لأنها على وفق طباعهم وما تقتضيه مروءاتهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولو تقول علينا﴾ قال الزمخشري: التقول افتعال القول لأن فيه تكلفاً من المفتعل

قال عنا ما لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا﴾ لنلنا ﴿مِنْهُ﴾ عقاباً ﴿بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ بالقوّة والقدرة ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ نياط القلب وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ هو اسم ما ومن زائدة لتأكيد النفي، ومنكم حال من أحد ﴿عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ مانعين خبر ما، وجمع لأن أحداً في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي ﷺ، أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ أيها الناس ﴿مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ بالقرآن ومصدقين

والأقاويل جمع أقوال وأقوال جمع قول فهو نظير أبابيت جمع أبيات جمع بيت اهـ سمين.

وسميت الأقوال المتقولة أقاويل تصغيراً لها وتحقيراً كقولك: الأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع أقولة من القول. والمعنى لو نسب إلينا قولاً لم نقله أو لم نأذن له في قوله لأخذنا الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿باليمين﴾ يجوز أن تكون الباء على أصلها غير مزيدة، والمعنى لأخذناه بقوة منا فالباء حالية، والحال من الفاعل، وتكون منه في حكم الزائدة واليمين هنا مجاز عن القوة والغلبة، ويجوز أن تكون مزيدة والمعنى لأخذنا منه يمينه، والمراد باليمين الجارحة كما يفعل بالمقتول صبراً يؤخذ بيمينه ويضرب بالسيف في عنقه مواجهة وهو أشد عليه اهـ سمين.

والشارح جرى على الأول غير أنه جعل مفعول أخذنا محذوفاً، وفسر الأخذ بالنيل وعلى صنيعه تكون من أيضاً غير زائدة فهي والباء زائدتين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ يعني نياط القلب، أي: ثم لأهلكناه. والوتين: عرق يتصل به القلب إذا انقطع مات صاحبه قاله ابن عباس وأكثر الناس، وقال مجاهد: وهو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فإذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه، فالموتون الذي قطع وتينه، وقال محمد بن كعب: إنه القلب ومراقه وما يليه، وقال الكلبي: إنه عرق بين العلباء والحلقوم، والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما العرق، وقال ابن قتيبة: لم يرد أنا نقطعه بعينه، بل المراد أنه لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله ﷺ: «ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري» والأبهر عرق متصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه، فكأنه قال: هذا أوان يقتلني السم، وحينئذ صرت كمن انقطع أبهره اهـ قرطبي.

قوله: (عنه) أي: عن عقابه فالكلام على حذف المضاف، وقوله: حاجزين مفعوله محذوف أي: حاجزين لنا وهذا مأخوذ من قول الشارح أي: لا مانع لنا عنه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأنه لتذكرة﴾ الخ الظاهر أن هذا وما بعده معطوف على جواب القسم السابق فهو من جملة المقسم عليه وما بينهما اعتراض اهـ شيخنا.

وخص المتقين بالذكر لأنهم المنتفعون به لإقبالهم عليه إقبال مستفيد اهـ خطيب.

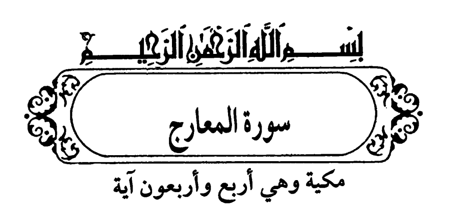
قوله: ﴿أن منكم مكذبين﴾ أي: فأنزلنا الكتب وأرسلنا الرسل ليظهر لكم في عالم الشهادة ما كنا نعلمه في الأزل من تكذيب وتصديق تستحقون به الثواب والعقاب، فلذلك وجب في الحكمة أن نعيد

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١﴾ أي اليقين الحق ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزه ﴿بِٱسْمِ﴾ زائدة ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢﴾ سبحانه.

الخلق إلى ما كانوا عليه من أجسامهم قبل الموت لنحكم بينهم فنجازي كلا بما يليق به إظهاراً للعدل اهـ قرطبي.

قوله: (أي لليقين الح) أي: فهو من إضافة الصفة للموصوف، وحق اليقين فوق علم اليقين، وقال ابن عباس: هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين اهـ خطيب.

قوله: (زائدة) أي: لفظة باسم زائدة، وعبارة الخازن: أي: نزه ربك العظيم واشكره على أن جعلك أهلاً لأن يوحي إليك تأمل، انتهت.



سورة المعارج

مكية وهي أربع وأربعون آية

﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ ﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝٢﴾ هو النضر بن الحارث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة سأل سائل اهـ خازن.

قوله: (مكية) أي: بالإجماع.

قوله: ﴿سأل﴾ قرأ نافع وابن عامر بأل محضة، والباقون بهمزة محققة وهي الأصل. فأما القراءة بالألف ففيها ثلاثة أوجه، أحدها: أنها بمعنى قراءة الهمزة، وإنما خففت بقلبها ألفاً. والثاني: أنها من سأل يسأل مثل خاف يخاف والألف منقلبة عن واو، والواو منقلبة عن الهمزة. والثالث: أنه من السيلان، والمعنى سال واد في جهنم بعذاب فالألف منقلبة عن ياء اهـ من السمين.

وقال أبو علي وغيره: وإذا كان من السؤال فأصله أن يتعدى إلى مفعولين، ويجوز الاقتصار على أحدهما وإذا اقتصر على أحدهما جاز أن يتعدى إليه بحرف جر، فيكون التقدير سأل سائل الله أو النبي ﷺ أو المسلمين بعذاب أي: عن عذاب اهـ قرطبي.

وهذه الوجوه كلها في الفعل، وأما الفاعل وهو سائل فبالهمزة لا غير سواء كان من السؤال أو من السيلان وفي القرطبي: وهمزة سائل على القول الأول أصلية، وعلى الثاني بدل من واو، وعلى الثالث بدل من ياء وقال القشيري: وسائل مهموز لأنه إن كان من سأل بالهمز فهو مهموز، وإن كان من غير الهمز فهو مهموز أيضاً نحو قائل وخائف، لأن العين أعلت في الفعل فأعلت في اسم الفاعل أيضاً، ولم يكن الإعلال بالحذف لخوف الالتباس فكان بالقلب إلى الهمز ولك تخفيف الهمزة حتى تكون بين بين اهـ كرخي.

قوله: (دعا داع) أشار إلى أنه ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته، كأنه قيل، دعا داع بعذاب واقع من قوله دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، وقال الواحدي: الباء في بعذاب للتوكيد كقوله: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾ [مريم: ٢٥] والمعنى سأل سائل عذاباً واقعاً، وقد أبقاها الشيخ المصنف كالزمخشري على بابها كما سبق تقريره اهـ كرخي.

قوله: ﴿واقع * للكافرين﴾ أي: سيقع وعبّر بالصيغة الظاهرة في أنه وقع إشارة إلى تحقق.

قال: اللهم إن كان هذا هو الحق الآية ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متصل بواقع ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ مصاعد

وقوعه على حد أتى أمر الله شيخنا.

وفي أبي السعود: وصيغة الماضي للدلالة على تحقيق وقوعه إما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يومئذ صبراً، وإما في الآخرة وهو عذاب النار اهـ.

وفي قوله: للكافرين أوجه، أحدها: أنه متعلق بسأل مضمناً معنى دعا أي: دعا لهم. الثاني: أن يتعلق بواقع اللام للعلة أي: نازل لأجلهم. الثالث: أن تكون اللام بمعنى على أي واقع على الكافرين، ويؤيده قراءة أبي على الكافرين وعلى هذا فهي متعلقة بواقع اهـ سمين.

قوله: ﴿ليس له دافع﴾ يجوز أن يكون نعتاً آخر لعذاب وأن يكون مستأنفاً، والأول أظهر، وأن يكون حالاً من عذاب أو من الضمير في الكافرين اهـ سمين.

قوله: (هو النضر بن الحرث الخ) عبارة الخطيب: واختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس: هو النضر بن الحرث حيث قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية فنزل مسؤوله وقتل يوم بدر صبراً هو وعقبة بن أبي معيط ولم يقتل صبراً غيرهما، وقيل: هو الحرث بن النعمان وذلك أنه لما بلغه قول النبي ﷺ لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأن نحج فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك، ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا أفهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: «والذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله». فولى الحرث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت، وقال الربيع: هو أبو جهل، وقيل: إنها نزلت في جماعة في كفار قريش، وقيل: هو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين، وقيل: هو النبي ﷺ استعجل بعذاب الكافرين، ويدل عليه قوله بعد ذلك ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ أي: لا تستعجل فإنه قريب اهـ.

والقتل صبراً أن يحبس الرجل مدة ثم يقتل اهـ.

قوله: (قال اللهم الخ) أي: قال استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة وجزم ببطلانه إن كان هذا أي: الذي يقرؤه محمد اهـ سيوطي من سورة الأنفال.

فأجيب مطلوبه كما تقدم. قوله: (متصل بواقع) أي: متعلق به أي: واقع من عنده ومن جهته، ولم يمنع النفي من ذلك لأن ليس فعل لا حرف، فصح أن يعمل ما قبلها فيما بعدها، وجملة ليس له دافع اعتراضية بين العامل ومعموله على كونها مستأنفة أما على كونها صفة لعذاب فليست اعتراضية ويجوز أن يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته اهـ سمين.

قوله: ﴿ذي المعارج﴾ أي: صاحبها بمعنى أنه خلقها على وجه خاص بحيث لم يكن للعبد مدخل في خلقها أصلاً، وقوله: مصاعد الملائكة إشارة إلى أن العروج بمعنى الصعود، والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا يكسرها لأنه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام، وفي

الملائكة وهي السماوات ﴿تَعْرُجُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى مهبط أمره من السماء ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلق بمحذوف، أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكون عليه أخف

زاده: ثم إن المراد بالمعارج إما معارج الأعمال الصالحة فإنها تتفاوت بحسب اجتماع الآداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب، وإما معارج المؤمنين في سلوكهم في مراتب المعارف الإلهية، ولا شك في تفاوت طبقات أولياء الله في ذلك أو معارجهم في دار ثوابهم وهي الجنة، وإما معارج الملائكة ومنازل ارتفاعهم بحسب الأمكنة وهي السموات أو بحسب الفضائل الروحانية والمعارف وبحسب تفاوت قوتهم في تدبير هذا العالم فإنهم متفاوتون في ذلك اهـ.

قوله: (بالتاء) أي: قرأ الكسائي بالتذكير لتذكير الملائكة على الأصل، والباقون بالتأنيث نظراً للفظ كقراءتي ناداه ونادته الملائكة اهـ كرخي.

قوله: (جبريل) أشار به إلى أن والروح من باب عطف الخاص على العام، وأخبر هنا وقدم في قوله: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ [النبأ: ٣٨] لأن المقام هنا يقتضي تقدم الجمع على الواحد من حيث إنه مقام تخويف وتهويل اهـ كرخي.

قوله: (إلى مهبط أمره) بكسر الباء بوزن مسجد كما في المصباح ونصه: مكة مهبط الوحي وزان مسجد اهـ.

وفي المختار: وهبط نزل وبابه جلس اهـ.

أي: إلى المحل الذي ينزل إليه أمره تعالى وتتلقاه منه الملائكة الموكلون بالتصرف في العالم اهـ.

وعبارة الكرخي قوله: إلى مهبط أمره أي الموضع الذي لا يجري سواه فيه حكم اهـ.

قوله: (متعلق بمحذوف) أي: دل عليه واقع، وقوله: كان مقداره الخ أي: كان في علم الله مقداره الخ. **قوله: (لما يلقى فيه من الشدائد)** أشار بهذا إلى أن الكلام من قبيل التمثيل والتخييل، فليس المراد حقيقة ذلك العدد، بل المراد بالإشارة إلى أنه يطول على الكافر لما يلقى فيه من الشدائد، وحينئذ لا تنافي بين هذه الآية وبين آية السجدة في: ﴿يوم كان مقداره ألف سنة﴾ [السجدة: ٥] لأنه أيضاً مسوق على سبيل التشديد على الكافرين، والإشارة لشدة عذابهم، ولا بين الآيتين وبين الحديث الذي أشار له الشارح وهو ما رواه أبو سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله ﷺ يوم كان مقداره خمسين ألف سنة: فما أطول هذا اليوم؟ «والذي نفسي بيده أنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» اهـ من الخطيب.

وإلا لو كان المراد حقيقة هذا العدد لم يعقل أن الزمان الواحد يكون مقداره خمسين ألف سنة، ويكون مقداره ألف سنة، ويكون مقداره قدر صلاة ركعتين اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وإيضاحه أن الزمان يطول بسبب الشدائد الواقعة فيه، فيطول على قوم ويقصر على آخرين، وقيل: في الجمع أيضاً أن الله يقضي فيه قضاء لو قضاه غيره لاحتاج إلى خمسين ألف سنة

من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿صَبۡرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ أي لا جزع فيه ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ﴾ أي العذاب ﴿بَعِيدًا ۝٦﴾ غير واقع ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ واقعاً لا محالة ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ متعلق بمحذوف أي يقع ﴿كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾ كذائب الفضة ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩﴾ كالصوف في الخفة والطيران بالريح ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ قريب قريبه لاشتغال كل بحاله ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ أي يبصر الأحماء بعضهم بعضاً ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة

من سني الدنيا، قيل: العدد على حقيقته فإن يوم القيامة خمسون موطناً كل موطن ألف سنة اهـ.

قوله: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ قال الرازي: متعلق يسأل سائل لأنه سأل على سبيل الاستهزاء برسول الله ﷺ، فأمر بالصبر على هذا الأذى اهـ خطيب.

وقوله: هذا قبل أن يؤمر بالقتال أي: فهو منسوخ.

قوله: ﴿إنهم يرونه بعيداً﴾ أي: يعتقدونه، وقوله: ونراه أي: نعلمه وهذه النون نون المتكلم المعظم نفسه وهو الله سبحانه وتعالى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه متعلق بقريباً وهو ظاهر إذا كان الضمير في نراه للعذاب. الثاني: أنه متعلق بمحذوف يدل عليه واقع أي: يقع يوم تكون. الثالث: أنه متعلق بمحذوف مقدر بعده أي: يوم تكون السماء يكون كيت وكيت. الرابع: أنه بدل من الضمير في نراه إذا كان عائداً على يوم القيامة اهـ سمين.

قوله: (كذائب الفضة) وقيل: المهل دردي الزيت، وعن ابن مسعود كالفضة البيضاء في تلونها اهـ.

قوله: (كالصوف) أي: مطلقاً وقيل: بقيد كونه أحمر، وقيل: بقيد كونه مصبوغاً، وقيل: بقيد كونه مصبوغاً ألواناً اهـ سمين.

وهذه الأقوال في معنى العهن في اللغة اهـ.

قوله: ﴿ولا يسأل حميم﴾ قرأ العامة يسأل للفاعل والمفعول الثاني محذوف، فقيل: تقديره لا يسأل نصره ولا شفاعته لعلمه أن ذلك مفقود، وقيل: لا يسأل شيئاً من حمل أوزاره، وقيل: حميماً منصوب على إسقاط الخافض أي: عن حميم لشغله عنه، وقرأ أبو جعفر من العشرة يسأل مبنياً للمفعول فقيل حميماً مفعول ثان على حذف مضاف أي: لا يسأل احضاره، وقيل بل على إسقاط الخافض أي: عن حميم اهـ سمين.

قوله: ﴿يبصرونهم﴾ عدي بالتضعيف إلى مفعول ثان وقام الأول مقام الفاعل، وإنما جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين حملاً على معنى العموم لأنهن نكرتان في سياق النفي اهـ سمين.

وفي الكرخي: وجمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين، لأن المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين قاله في الكشاف، وإنما حمل على معنى العموم لأنهما نكرتان في سياق

مستأنفة ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يتمنى الكافر ﴿لَوْ﴾ بمعنى أن ﴿يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم وفتحها ﴿بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾ ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾ ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته لفصله منها ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ تضمه ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ ذلك الافتداء عطف على يفتدى ﴿كَلَّآ﴾ ردٌّ لما يودُّه ﴿إِنَّهَا﴾

النفي. قال الطيبي: ففيه دليل على أن الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعمان كما التزم في قوله: والله لا أشرب من إداوة أنه يعم المياه، والأداوي خلافاً لبعضهم في الإداواة اهـ.

قوله: (والجملة مستأنفة) أي: استئنافاً بيانياً في جواب سؤال تقديره لعل عدم السؤال لكونه لا يبصره اهـ كرخي.

فقيل في الجواب: يبصرونهم أي: يعرفونهم أي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه ومع ذلك لا يسأل عن حاله لشغله بنفسه أو لاشتغاله عن السؤال بسبب أنه تعالى ميز أهل الجنة من أهل النار، وبالعكس بالعلامات الدالة على الحال من السعادة والشقاوة فاستغنوا بذلك عن السؤال يقال: بصرت الشيء أي: عرفته اهـ زاده.

وفي أبي السعود: يبصرونهم أي: يبصر الأحماء الأحماء أي: فلا يخفون عليهم ولا يمنعهم من التساؤل إلا تشاغلهم بحال أنفسهم، وقيل: ما يغني عنه مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده، والأول أدخل في التهويل اهـ.

قوله: (بمعنى أن) أي المصدرية أي: فلا جواب لها بل ينسبك منها ومما بعدها مصدر مفعول ليود أي: يود افتداءه الخ كرخي.

أي: يود أنه يملك هذه الأشياء ويفتدى بها، وإن الافتداء بها ينفعه اهـ شيخنا.

قوله: (بكسر الميم) أي: على الإعراب على الأصل في الأسماء، وقوله: وفتحها أي على البناء لإضافته إلى مبني والتنوين في إذ عوض عن جمل محذوفة أي: يوم إذ تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميماً اهـ شيخنا.

قوله: (لفصله منها) أي: فهي فعلية بمعنى معمولة أي: مفصولاً منها، وفي السمين: قال ثعلب: الفصيلة الآباء الأدنون، وقال أبو عبيد: الفخذ، وقيل: عشيرته الأقربون، وقد تقدم ذلك عند قوله: ﴿شعوباً وقبائل﴾ [الحجرات: ١٣] اهـ.

قوله: (تضمه) أي: في النسب وعند الشدة اهـ خطيب.

قوله: (عطف على يفتدي) أي: فهو داخل في حيز لو. قوله: (رد) أي: نفي لما يوده أي: من الافتداء أي لا افتداء ولا نفع في ذلك اليوم، وقال القرطبي: إن كلا تكون بمعنى حقاً وبمعنى لا النافية، وهي هنا تحتمل الأمرين، فإذا كانت بمعنى حقاً كان تمام الكلام ينجيه فالوقف عليه، وإذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها فالوقف عليها اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنها﴾ أي: النار فالضمير عائد عليها وإن لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ العذاب عليها، ولظى: خبر إن، ونزاعة خبر ثان، وقوله: اسم لجهنم أي: منقول إذ هو في الأصل اللهب ونقل علماً لها، ولذلك منع من الصرف للعلمية والتأنيث اهـ من السمين.

أي النار ﴿ لَظَىٰ ۝١٥ ﴾ اسم لجهنم لأنها تتلظى أي تتلهب على الكفار ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ ﴾ جمع شواة وهي جلدة الرأس ﴿ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ ﴾ عن الإيمان بأن تقول: إليَّ إليَّ ﴿ وَجَمَعَ ﴾ المال ﴿ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ ﴾ أمسكه في وعائه لم يؤد حق الله منه ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ ﴾ حال مقدرة وتفسيره ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ ﴾ وقت مس الشر ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ ﴾ وقت مس الخير أي المال لحق

وفي الكرخي: قوله: إنها أي: النار أفاد أن الضمير للنار وإن لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ العذاب عليها، وقيل إن الضمير للقصة، وقيل: إنه ضمير مبهم يترجم عنه الخبر قاله الزمخشري، فعلى الأولى يجوز في لظى نزاعة أن يكون لظى خبر إن أي: النار لظى، ونزاعة خبر ثان أو خبر مبتدأ مضمر أي: هي نزاعة أو تكون لظى بدلاً من الضمير المنصوب ونزاعة خبر إن اهـ.

قوله: ﴿نزاعة للشوى﴾ الشوى الأطراف جمع شواة كنوى ونواة، وقيل: الشوى الأعضاء التي ليست بمقتل ومنه يقال للرامي إذا رمى الصيد ولم يصب مقتله رماه فأشواه أي: أصاب الشوى، وقيل: هو جلد الإنسان، وقيل: جلد رأسه، وقوله: نزاعة للشوى أي: قلاعة للأعضاء التي في أطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا أبداً اهـ زاده وسمين.

قوله: (عن الإيمان) متعلق بالعاملين قبله، وقوله: بأن تقول الخ أي: ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن الإنسان﴾ أي: الجنس عبّر به لما له من الإنس لنفسه والرؤية لمحاسنها والنسيان لربه ولدينه اهـ خطيب.

قوله: (حال مقدرة) أي: لأنه ليس متصفاً بالصفات المذكورة وقت خلقه ولا وقت ولادته، وقوله: وتفسيره الخ أي: تفسير مراد، وإلاَّ فتفسيره اللغوي فحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح بالمال أو السرعة فيما لا ينبغي اهـ من الخطيب.

وفي المختار: الهلع أفحش الجزع وبابه طرب فهو هلع وهلوع اهـ.

وفي القاموس: الهلع محرك فحش الجزع وكصرد الحريص والهلوع من يجزع ويفزع من الشيء ويحرص ويشح على المال أو الضجور لا يصبر على الصائب اهـ.

قوله: (وقت مس الشر) أشار به إلى أن إذا معمولة لجزوعاً وكذا ما بعده وجزوعاً ومنوعاً فيهما ثلاثة أوجه، أحدها: أنهما منصوبان على الحال من الضمير في هلوعاً وهو العامل فيهما والتقدير هلوعاً حال كونه جزوعاً وقت مس الشر ومنوعاً وقت مس الخير. الثاني: أنهما خبران لكان أو صار مضمرة أي: إذا مسه الشركان أو صار جزوعاً، وإذا مسه الخير كان أو صار منوعاً. الثالث: أنهما نعتان لهلوعاً اهـ سمين.

فإن قيل: حاصل هذا الكلام أنه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه؟ أجيب: بأنه إنما ذمه عليه لقصور نظره على الأمور العاجلة، والواجب عليه أن يكون شاكراً راضياً في كل حال اهـ خطيب.

الله منه ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ أي المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ مواظبون ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ هو الزكاة ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ المتعفف عن السؤال فيحرم ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ الجزاء ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ خائفون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ نزوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ وفي قراءة بالإفراد ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ حافظون ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾ وفي قراءة بالجمع ﴿قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يقيمونها ولا يكتمونها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ

قوله: ﴿إلا المصلين﴾ استثناء من الإنسان المراد به الجنس فهو متصل اهـ سمين.

وفسّر المصلين بالمؤمنين لأن الصلاة الشرعية تستلزم الإيمان اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: إلا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعده من المطبوعين على الأحوال المذكورة قبله لمضادة تلك الصفات لها من حيث إنها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والإشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل، وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه اهـ.

قوله: (مواظبون) أي: لا يتركونها أداء ولا قضاء أي: يفعلونها ولو قضاء فليتأمل هذا المعنى مع قوله الآتي بأدائها في أوقاتها يظهر التغاير بين المتعاطفين، وأن الأول يرجع للصلاة في نفسها أي: يفعلونها ويأتون بها، والثاني يرجع لوصفها أي: يفعلونها أداء لا قضاء اهـ شيخنا.

قوله: (هو الزكاة) وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو صلة الرحم وحمل الكل، والأول أصح لأنه وصف الحق بأنه معلوم والمعلوم هو القدر ما عدا الزكاة ليس بمعلوم، وإنما هو على قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر اهـ كرخي.

قوله: (فيحرم) أي: لكونه يظن غنياً على حد يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف اهـ شيخنا.

قوله: (والذين يصدقون بيوم الدين﴾ التصديق به حق التصديق يستلزم الاستعداد له بالأعمال الصالحة اهـ خطيب.

قوله: ﴿لفروجهم حافظون﴾ أي: عن المحرمات. قوله: (من الإماء) ولشبههن بالبهائم في جريان التصرف عليهن عبّر عنهن بما التي لغير العاقل اهـ خطيب.

قوله: ﴿فمن ابتغى﴾ أي: طلب وراء ذلك أي: الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين، وقوله: فأولئك هم العادون أي: المتعادون ما حد لهم في هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا اهـ زاده.

قوله: (وفي قراءة بالإفراد) أي: سبعية.

قوله: ﴿وعهدهم﴾ (المأخوذ عليهم في ذلك) أي: فيما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا. قوله: (وفي قراءة بالجمع) أي: سبعية.

صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بأدائها في أوقاتها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ نحوك ﴿مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ حال، أي مديمي النظر ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ حال أيضاً، أي

قوله: ﴿قائمون﴾ أي: يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام وحسن الأداء اهـ خطيب.

قوله: (بأدائها في أوقاتها) أشار به إلى الفرق بين قوله فيما سبق دائمون، وقوله هنا يحافظون، وهو أن المراد بدوامهم عليها أن لا يتركوها في وقت من الأوقات، وبمحافظتهم عليها أن يأتوا بها على أكمل أحوالها من الإيمان بجميع واجباتها وسننها، ومنها الاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسوسة والرياء والسمعة وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على غيرها، وعلى هذه الصلاة مبالغات لا تخفى وهي تقديم الضمير، وبناء الجملة عليه، وتقديم الجار والمجرور على الفعل، وجعل بعض الجمل اسمية مفيدة للدوام والثبات، وبعضها فعلية مفيدة للاستمرار التجددي اهـ كرخي.

قوله: ﴿فمال الذين كفروا﴾ ما مبتدأ وللذين كفروا خبره أي: فأي شيء ثبت لهم وحملهم على نظرهم إليك والتفرق. ومهطعين: حال من الموصول، وكذا قبلك، وكذا عن اليمين وعن الشمال، فالأربعة أحوال من الموصول، وقوله: حال أيضاً من الموصول، وقوله: أي جماعات تفسير لعزين، وقوله: حقاً يشير به إلى أن عن اليمين متعلق بعزين وهو صحيح أيضاً، وقوله: يقولون الخ دخول على ما بعده فهو بيان لسبب نزوله اهـ شيخنا.

قوله: (أي مديمي النظر) وفسر غيره الإهطاع بالإسراع كما تقدم له هو أيضاً. وفي البيضاوي: مهطعين مسرعين اهـ.

وفي الشهاب: أي: مسرعين للحضور عندك ليظفروا بإستماع ما يجعلونه هزؤا اهـ.

وكل من المعنيين ثابت لغة، والقاموس: هطع كمنع هطعاً وهطوعاً أسرع مقبلاً خائفاً، وأقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه، وهطع مد عنقه وصوب رأسه كاستهطع، وكأمير الطريق الواسع، وكمحسن من ينظر في ذل وخضوع لا يقلع بصره، أو الساكت المنطلق إلى من هتف به، وبعير مهطع في عنقه تصويب خلقة اهـ.

قوله: ﴿عزين﴾ حال من الذين كفروا، وقيل: حال من الضمير في مهطعين فتكون حالاً متداخلة وعن اليمين يجوز أن يتعلق بعزين لأنه بمعنى متفرقين قاله أبو البقاء، وأن يتعلق بمهطعين أي: مسرعين عن هاتين الجهتين، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال أي: كائنين قاله أبو البقاء، وعزين جمع عزة والعزة الجماعة. قال مكي: وإنما جمع بالواو والنون لأنه مؤنث لا يعقل ليكون ذلك عوضاً مما حذف منه. قيل: أصله عزهة كما أن أصل سنة سنهة ثم حذفت الهاء اهـ.

وقد اختلفوا في لام عزة على ثلاثة أقوال، أحدها: أنها واو من عزوته أعزوه أي: نسبته، وذلك أن المنسوب مضموم إلى المنسوب إليه كما أن كل جماعة مضموم بعضها إلى بعض. الثاني: أنها ياء إذ يقال عزيته بالياء أعزيه بمعنى عزوته، فعلى هذا في لامها لغتان. الثالث: أنها هاء وتجمع تكسيراً على

جماعات حلقاً حلقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، قال تعالى ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم﴾ كغيرهم ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ من نطف فلا يطمع بذلك في الجنة، وإنما يطمع فيها بالتقوى ﴿فَلَا﴾ لا زائدة ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ الشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ﴾ نأتي بدلهم ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ بعاجزين عن ذلك ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿يَخُوضُوا﴾

عزى نحو كسرة وكسر استغنى بهذا التكسير عن جمعها بالألف والتاء، فلم يقولوا عزات كما لم يقولوا في شفة وأمة شفات ولا أمات استغناء بشفاه وإماء، وقد كثر وروده مجموعاً بالواو والنون، والعزة لغة الجماعة في تفرقة هذا قول أبي عبيدة، وقال الأصمعي: العزون الأصناف يقال في الدار عزون أي: أصناف، وقال غيره: الجماعة اليسيرة كالثلاثة والأربعة، وقال الراغب: هو من قولهم عزي كرضي عزى فهو عز إذا صبر فكأنها اسم للجماعة التي يتأسى بعضهم ببعض اهـ سمين.

قوله: (قال تعالى) ﴿أيطمع﴾ الخ عبارة الخطيب: فرّد الله عليهم هذه المقالة بقوله: أيطمع الخ، انتهت.

وفي البيضاوي: كلا ردع لهم عن هذا الطمع إنا خلقناهم مما يعلمون تعليل له، والمعنى إنكم مخلوقون من نطفة قذره لا تناسب عالم القدس، فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد لدخولها، أو إنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل، فمن لم يستكملها لم يبوأ في منازل الكاملين أو هو الاستدلال بالنسأة الأولى على إمكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضاً محالاً عندهم بعد ردعهم عنه اهـ.

قوله: ﴿جنة نعيم﴾ أي: لا شيء فيها غيره. قوله: (من نطف) أي: ثم علق ثم من مضغ.

فائدة:

قال ابن العربي في الفتوحات: خلق الله تعالى الناس على أربعة أقسام، قسم لا من ذكر ولا من أنثى وهو آدم عليه السلام، وقسم من ذكر فقط وهو حواء، وقسم من أنثى فقط وهو عيسى، وقسم من ذكر وأنثى وهو بقية الناس اهـ خطاب.

قوله: ﴿إنا لقادرون﴾ جواب القسم.

قوله: ﴿على أن نبدل خيراً منهم﴾ أي: بالخلق أو بتحويل الوصف فيكونوا أشد بطشاً في الدنيا وأكثر أموالاً وأولاداً وأعلى قدراً وأكثر حشماً وجاهاً وخدماً، فيكونوا عندك على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزؤ والتصفيق والصفير وكل ما يضيق به صدرك، وقد فعل به سبحانه ما ذكر من هذه الأوصاف بالمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان مع السعة في الرزق بأخذ أموال الجبارين من كسرى وقيصر والتمكن في الأرض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الآخرة، ففرجوا الكرب عن رسول الله ﷺ وبذلوا في مرضاته الأنفس والأموال اهـ خطيب.

قوله: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ معطوف على جواب القسم فهو من جملة المقسم عليه اهـ شيخنا.

في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا﴾ يلقوا ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيه العذاب ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ وفي قراءة بضم الحرفين شيء منصوب كعلم أو راية ﴿يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يسرعون ﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا

قوله: ﴿فذرهم﴾ متفرع على قوله: وما نحن بمسبوقين أي: إذا تبين أنه لا يفوتنا ما نريد منهم وبهم، وأنه ليس تأخير عقابهم لعجز بل لحكمة داعية إليه فدعهم فيما هم فيه من الأباطيل اهـ زاده.

ففيه تهديد لهم وتسلية له ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يلقوا﴾ أشار به إلى أن التفاعل ليس على بابه، وقوله: يومهم الذي يوعدون هو يوم كشف الغطاء الذي أوله عند الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية، ودخول كل الفريقين في داره ومحل استقراره، وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قال البقاعي وابن عادل، وقوله: يوم يخرجون بدل من يومهم اهـ خطيب.

أي: بدل بعض من كل على ما يقتضيه تفسير يومهم بما ذكر اهـ شينا.

قوله: ﴿من الأجداث﴾ جمع جدث وهو القبر كفرس وأفراس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سراعاً﴾ حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظريف وظراف، وقوله: كأنهم الخ حال ثانية من فاعل يخرجون أو من ضمير الحال فتكون مترادفة على الأول ومتداخلة على الثاني اهـ سمين.

قوله: ﴿إلى نصب﴾ متعلق بالخبر، والعامة على نصب بالفتح والإسكان، وابن عامر وحفص بضمتين، وأبو عمران الجوني ومجاهد بفتحتين، والحسن وقتادة بضمة وسكون، فالأول اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذي يسرع الشخص نحوه، وقال أبو عمر: وهو شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته. وأما الثانية فتحتمل ثلاثة أوجه، أحدها: أنه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب للبعادة. الثاني: أنه جمع نصاب ككتب في كتاب. الثالث: أنه جمع نصب كرهن في رهن وسقف في سقف وهذا قول أبي الحسن، وجمع الجمع أنصاب، وأما الثالثة ففعل بمعنى مفعول أي: منصوب كالقبض، والرابعة تخفيف من الثانية ويوفضون أي: يسرعون، وقيل: يستبقون، وقيل: يسعون، وقيل: ينطلقون وهي متقاربة اهـ سمين.

قوله: (كعلم أو راية) أي: فهم يسرعون إليه إسراع من ضل عن الطريق إلى اعلامها اهـ زاده.

قوله: ﴿يوفضون﴾ في القاموس: وفض يفض وفضاً بالسكون ووفضاً بالتحريك عدا وأسرع كأوفض واستوفض والأوفاض الفرق من الناس والأخلاط والجماعة من قبائل شتى كأصحاب الصفة اهـ.

قوله: ﴿خاشعة﴾ حال إما من فاعل يوفضون وهو الأقرب، أو من فاعل يخرجون وفيه بعد، وأبصارهم فاعل بخاشعة اهـ خطيب.

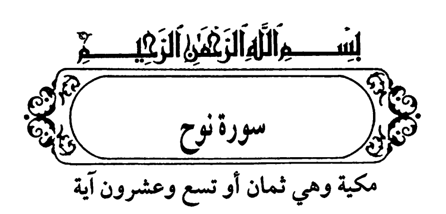
يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ذلك مبتدأ وما بعده الخبر، ومعناه يوم القيامة.

قوله: ﴿ترهقهم ذلة﴾ يجوز أن يكون استئنافاً وأن يكون حالاً من فاعل يوفضون أو يخرجون اهـ سمين.

وفي الخطيب: ترهقهم ذلة أي: ضد ما كانوا عليه في الدنيا لأن من تعزز فيها عن الحق ذل في الآخرة ومن ذل للحق في الدنيا عز في الآخرة اهـ.

قوله: ﴿الذين كانوا يوعدون﴾ أي: يوعدون في الدنيا أن لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذي سألوا عنه أول السورة، فقد رجع آخرها على أولها اهـ خطيب.

قوله: (وما بعده) أي: اليوم، وأما الموصول وما بعده فهو صفة للخبر اهـ شيخنا.



سورة نوح

مكية وهي ثمان أو تسع وعشرون آية

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ﴾ أي بإنذار ﴿قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢﴾ بيِّن الإنذار ﴿أَنِ﴾ أي بأن أقول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (ثمان) بكسر النون إن أعل إعلال قاض فيكون منقوصاً وإعرابه على الياء المحذوفة، وبرفع النون إن حذفت الياء اعتباطاً وتخفيفاً لا لعلة تصريفية فيكون كيد ودم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلى قومه﴾ وكانوا جميع أهل الأرض من الآدميين أهل عصره. وروى قتادة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «أول نبي أرسل نوح عليه السلام وأرسل إلى جميع أهل الأرض، ولذلك لما كفروا أغرق الله أهل الأرض جميعاً» قال ابن عباس: وأرسل نوح وهو ابن أربعين سنة، وقال عبد الله بن شداد: وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، وقال وهب: وهو ابن خمسين سنة اهـ خطيب.

وقوله في الحديث: أول نبي أرسل نوح لعل المراد منه أنه أول نبي أرسل بالنهي عن عبادة غير الله، لأن عبادة غيره إنما حدثت في زمن نوح وإلاَّ فمن المعلوم أن قبله رسلاً آدم وشيت وإدريس اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: ونوح أطول الأنبياء عمراً بل أطول الناس وهو أول من شرعت له الشرائع، وأول رسول أنذر من الشرك وأهلكت أمته. والإنذار والاخبار بما فيه تخويف اهـ.

قوله: (أي بإنذار) أشار به إلى أن أن حرف مصدري طلبي ناصب للفعل المضارع، والمعنى أرسلناه بأن قلنا لنه انذر أي: أرسلناه بالأمر بالإنذار، ويصح كونها تفسيرية لأن الإرسال فيه معنى القول اهـ كرخي.

قوله: ﴿من قبل أن يأتيهم هذاب أليم﴾ أي: على ما هم عليه من الأعمال الخبيثة وهو عذاب الآخرة أو الطوفان اهـ خطب.

قوله: (بين الإنذار) أي: أمري بيّن في نفسه بحيث صار في شدة وضوحه كأنه مظهر لما يتضمنه مناد بذلك للقريب والبعيد والفطن والغبي اهـ خطيب.

لكم ﴿ اَعْبُدُواْ اَللَّهَ وَاَتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝﴾ ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ من زائدة، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ ﴾ بلا عذاب ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أجل الموت ﴿ إِنَّ أَجَلَ اَللَّهِ ﴾ بعذابكم إن لم تؤمنوا ﴿ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ ذلك لآمنتم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝﴾ أي دائماً متصلاً ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝﴾ عن الإيمان ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ

قوله: (أي بأن أقول لكم الخ) أشار به إلى أن تفسيرية، ويصح كونها مصدرية كأختها السابقة اهـ كرخي.

قوله: ﴿يغفر لكم﴾ مجزوم في جواب الأوامر الثلاثة: قوله: (من زائدة) أي: علي رأى الأخفش الذي لا يشترط في زيادتها تقدم نفي ولا تنكير المجرور بها، وقوله: فإن الإسلام يغفر به ما قبله أي: حتى حقوق العباد، وهذا ليس موافقاً لما في الفروع إذ المذكور فيها أنه إذا أسلم الشخص يؤاخذ بحقوق العباد، فالأولى هو الوجه الثاني، وقوله: لإخراج حقوق العباد أي: فإنها لا تغفر بالإسلام اهـ شيخنا.

وهذا كلام ظاهري إذ الحق أنها تغفر من حيث المؤاخذة الأخروية بمعنى أنهم يعاقبون عليها في الآخرة وإن كانت من حيث المؤاخذة عليها في الدنيا لا تغفر فيطالب الكافر إذا أسلم بالحدود كحد القذف وبالمال الذي ظلم به في الكفر تأمل. قوله: (بلا عذاب) أي: في الدنيا أي: فالمؤخر إنما هو العذاب فلا يخالف قوله: إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لأن النفي تأخيره فيه هو الأجل نفسه فلا تخالف بين هذين المحلين اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: ويؤخركم بلا عذاب جواب كيف قال: ويؤخركم إلى أجل مسمى خطاباً لقوم نوح، لأنه إن كان المراد تأخيرهم عن الأجل المقدر أزلاً فهو محال لقوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ [المنافقون: ١١] أو تأخيرهم إلى مجيء أجلهم المقدر فهم كغيرهم سواء آمنوا أم لا. وإيضاحه: أن معناه يؤخركم عن العذاب إلى منتهى آجالكم على تقدير الإيمان فلا يعذبكم في الدنيا إن وقع منكم ذنب كما عذب غيركم من الأمم الكافرة فيها اهـ.

قوله: ﴿مسمى﴾ أي: معلوم معين عند الله لا يزيد ولا ينقص اهـ شيخنا.

وإضافة الأجل إليه لأنه هو الذي أثبته وقد يضاف إلى القوم كقوله: ﴿إذا جاء أجلهم﴾ [يونس: ٤٩] لأنه مضروب لهم اهـ خطيب.

قوله: (لآمنتم) أشار بتقديره إلى أن لو شرطية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فلم يزدهم دعائي﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بسكون الياء، والباقونه بفتحها اهـ خطيب.

قوله: ﴿إلا فراراً﴾ مفعول ثان ليزدهم وهو استثناء مفرع، فالمستثنى منه مقدر أي: فلم يزدهم دعائي شيئاً من أحوالهم التي كانوا عليهم إلا فراراً أي: بُعداً وإعراضاً عن الإيمان كأنهم حمر مستنفرة اهـ خطيب.

جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ غطوا رؤوسهم بها لئلا ينظروني ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ على كفرهم ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾ أي بأعلى صوتي ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ الكلام ﴿إِسْرَارًا ۝٩﴾ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر وكانوا قد منعوه ﴿عَلَيْكُم

قوله: ﴿وإني كلما دعوتهم﴾ كلما معمول لجعلوا، والجملة خبر إن واللام في لتغفر لهم للتعليل والمدعو إليه محذوف أي: دعوتهم للإيمان بك لأجل مغفرتك لهم، ويجوز أن تكون للتعدية ويكون قد عبَّر عن السبب بالمسبب والأصل دعوتهم للتوبة التي هي سبب في الغفران فأطلق الغفران وأريد التوبة اهـ سمين.

قوله: ﴿جعلوا أصابعهم﴾ أي: حقيقة في آذانهم اهـ خطيب.

قوله: (لئلا ينظروني) أي: فكرهوا النظر إلي من فرط كراهتهم دعوتي اهـ بيضاوي.

فائدة:

قد أفادت هذه الآية التصريح بأنهم عصوا نوحاً وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهراً بتعطيل الأسماع والأبصار، وباطناً بالإصرار والاستكبار اهـ خطيب.

قوله: ﴿جهاراً﴾ يجوز أن يكون مصدراً من المعنى لأن الدعاء يكون جهاراً وغيره فهو من باب قعد القرفصاء، وأن يكون المراد بدعوتهم جاهرتهم، وأن يكون نعت مصدر محذوف أي: دعاء جهاراً، وأن يكون مصدراً في موضع الحال أي: مجاهراً أو ذا جهار وجعل نفس المصدر مبالغة. قال الزمخشري: فإن قلت: ذكر أنه دعاهم ليلاً ونهاراً ثم دعاهم جهاراً ثم دعاهم سراً وعلناً، فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف. قلت: قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي أمر بالمعروف وينهي عن المنكر في الابتداء بالأهوان والترقي للأشد فالأشد فافتتح في المناصحة بالسر، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم يقبلوا ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان وثم للدلالة على تباعد الأحوال، لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما اهـ سمين.

وفي الكازروني ما نصه: ويعمل من قوله ثم إني دعوتهم جهاراً أن الدعو السابقة بالإسرار فأفادت، ثم التفاوت بين الجهار والإسرار السابق وأفادت، ثم الثانية أن الجمع بينهما أغلظ من إفراد كل منهما اهـ.

قوله: ﴿استغفروا ربكم﴾ أي: اطلبوا منه أن يمحو ذنوبكم أعيانها وآثارها بأن تؤمنوا به وتتقوه، وذلك لأن من لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً. وعن الحسن أو رجلاً شكا إليه الجدب فقال: استغفر الله وشكا إليه آخر الفقر وشكا إليه آخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم بالاستغفار، فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون إليه أبواباً ويسألونك أنواعاً فأمرتهم بالاستغفار فتلا الآية، وقال القشيري: من وقعت له حاجة إلى الله لم يصل إلى مراده إلا بتقديم الاستغفار اهـ خطيب.

﴿مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ كثير الدرور ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ جارية ﴿مَّا

وليس المراد بالاستغفار مجرد قول أستغفر الله، بلى الرجوع عن الذنوب وتطهير الألسنة والقلوب اهـ شهاب.

قوله: (وكانوا قد منعوه) أي: لما كذبوا نوحاً فحبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح: استغفروا ربكم الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿مدراراً﴾ حال من السماء ولم يؤنث لأن مفعالاً يستوي فيه المذكر والمؤنث اهـ سمين.

قوله: (بساتين) يشير به إلى أن المراد جنات الدنيا ليكون مما وعدوا به عاجلاً، وأعاد فعل الجعل دون أن يقول يجعل لكم جنات وأنهاراً لتغايرهما، فإن الأول مما لفعلهم فيه مدخل بخلاف الثاني، ولذا قال: ويمددكم بأموال وبنين ولم يعد العامل اهـ شهاب.

قوله: ﴿مالكم﴾ مبتدأ وخبر أي شيء ثبت لكم، وقوله: لا ترجون جملة حالية من الكاف، قوله: وقاراً أي توقيراً من الله لكم وهو مفعول به لترجون كما يقتضيه صنيعه حيث قال: أي تأملون وقار الله أي: توقير الله إياكم، فأشار إلى أن الرجاء بمعنى الأمل، وأن الوقار بمعنى التوقير، وأن مفعوله محذوف قدره بقوله إياكم، واللام في لله للتبيين أي: تبيين فاعل التوقير وهو الله تعالى، فكأنهم لما سمعوا مالكم لا ترجون أن توقروا وتعظموا بالبناء للمفعول قالوا لمن التوقير أي: من الذي يوقرنا؟ فقيل: الله ويرجع هذا المعنى إلى أن اللام بمعنى من أي وقاراً لكم كائناً من الله، ويصح على هذا المعنى أن تتعلق اللام بترجون، وتكون بمعنى من، والمعنى مالكم لا تؤملون من الله توقيراً لكم بأن تؤمنوا به فتصيروا موقرين عنده، وهذا المعنى هو ما سلكه البيضاوي أولاً ونصه: مالكم لا ترجون لله وقاراً لا تؤملون له توقيراً تعظيماً لمن عبده وأطاعه فتكونون على حال تؤملون فيها تعظيمه إياكم ولله بيان للموقر بالكسر اسم فاعل ولو تأخر لكان صلة للوقار اهـ.

وذكر أي البيضاوي معنى آخر محصله أن الوقار بمعنى عظمة الله تعالى، وأن لكن مفعوله أي: مالكم لا تعتقدون عظمة الله تعالى وأوضحه أبو السعود حيث قال: مالكم لا ترجون لله وقاراً إنكار لأن لهم سبب ما فيه عدم رجائهم لله تعالى وقاراً على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد، ولا ترجون حالاً من ضمير المخاطبين، والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم ولله متعلق بمضر وقع حالاً من وقاراً، ولو تأخر لكان صفة له أي: أي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان والطاعة له وقد خلقكم أطواراً أي: والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية وهي أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارة عناصر ثم أخلاطاً ثم نطفاً ثم مضغاً ثم عظاماً ولحوماً ثم أنشأكم خلقاً آخر، فإن التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل، وقيل: ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أخذكم بالعقوبة أي: أي عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى. وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رحمه الله تعالى: مالكم لا تخشون لله عقاباً ولا ترجون منه ثواباً. قوله: (أي: تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا) يعني فهذا حث على رجاء الوقار لله، والمراد الحث على الإيمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله فهو من الكناية التلويحية، لأن من

لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ أي تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ جمع طور وهو الحال، فطوراً نطفة، وطوراً علقة، إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ بعضها فوق بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي في مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ مصباحاً مضيئاً، وهو أقوى

أراد رجاء تعظيم الله وتوقيره إياه آمن به وعبده وعمل صالحاً، ومن عمل الصالحات رجا ثواب الله وتعظيمه إياه في دار الثواب، فإن الحث على تحصيل الرجاء مسبوق بالحث على تحصيل الإيمان فهو من باب مقدمة الواجب. قال الإمام: إن القوم كانوا يبالغون في الاستخفاف بنوح عليه الصلاة والسلام فأمرهم الله بتوقيره أي: إنكم إذا وقرتم نوحاً وتركتم استخفافه كان ذلك لأجل الله فمالكم لا ترجون لله وقاراً اهـ كرخي.

قوله: ﴿وقد خلقكم﴾ جملة حالية من فاعل ترجون، وأطواراً حال مؤولة بالمشتق أي: منتقلين من حال إلى حال اهـ سمين.

وفي المصباح: والطور بالفتح التارة وفعل ذلك طوراً بعد طور أي: مرة بعد مرة، والطور الحال والهيئة والجمع أطوار مثل ثوب وأثواب وتعدى طوره أي: حاله التي تليق به. قوله: (والنظر) أي: التأمل في خلقه أي: الإنسان أي: في خلق نفسه وأطوارها اهـ شيخنا.

قوله: (تنظروا) أي: تتفكروا وتعتبروا فرأى هنا علمية معلقة عن الجملة بعدها بكيف الاستفهامية المعمولة لخلق على سبيل الحالية اهـ شيخنا.

قوله: (بعضها فوق بعض) أي: من غير مماسة. قوله: (أي في مجموعهن) تقدم أن هذا الصنع معترض لأن المجموع لا بدّ فيه من جملة إفراد متعددة وهنا ليس كذلك، فالأولى ما صنعه غيره من بقاء اللفظ على ظاهره، وعبارة أبي السعود: ونسبته إلى الكل مع أنه في السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل، أو لأن كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنه سماء واحدة، ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في كل واحدة منها كأنه في الكل اهـ.

قوله: ﴿وجعل الشمس﴾ أي: فيهن وهي في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة، وقيل: في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة. وروي عن ابن عباس، وابن عمر: أن الشمس والقمر وجههما مما يلي السماء وقفاهما ما يلي الأرض اهـ خطيب.

قوله: ﴿سراجاً﴾ أي: مثل السراج فشبهت به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله اهـ بيضاوي.

قوله: (وهو) أي: المصباح أقوى من نور القمر هذا ليس بصواب، لأن القمر أقوى من المصباح كما هو مشاهد، فالأولى جعل الضمير راجعاً للضوء المفهوم من مضيئاً اهـ قاري.

وقوله: كما هو مشاهد المشاهد خلافه، وهو أن المصباح في محل انتشار ضوئه أقوى من القمر، وإن كان القمر أوسع امتداداً منه، ودليل ذلك أن الإنسان إذا وضع المصباح في القمر يقرأ الخط في

من نور القمر ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ إذ خلق أباكم آدم منها ﴿نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ مبسوطة ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ واسعة ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا﴾ أي السفلة والفقراء ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾ وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك، وولد بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما، والأول قيل جمع ولد بفتحهما، كخشب وخشب، وقيل بمعناه كبخل وبخل ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ طغياناً وكفراً ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي الرؤساء ﴿مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ عظيماً جداً، بأن كذبوا نوحاً

ضوئه كالشمعة والقنديل، وأما بدون المصباح فلا يقرأ الخط في ضوء القمر إلا القليل من الناس اهـ.

قوله: (خلقكم) أي: أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء والخلق، لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض أي: لأنه محسوس وقد تكرر إحساسه، فكان أظهر في الدلالة على الحدوث والتكون من الأرض اهـ من البيضاوي والشهاب.

وفي الكرخي: فإن قلت: كيف أنبتكم والحيوان ضد النبات، فالجواب: كما أشار المصنف أنه استعارة للخلق والإخراج من الأرض بواسطة آدم عليه السلام اهـ.

قوله: ﴿نباتاً﴾ يجوز أن يكون مصدراً لأنبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر، ويجوز أن يكون مصدراً لنبتم مقدراً أي: فنبتم نباتاً فيكون منصوباً بالمطاوع المقدر قال الزمخشري: أو نصب بأنبتكم لتضمنه معني نبتم اهـ سمين.

قوله: (مقبورين) حال. قوله: (مبسوطة) أي: لا مسنمة.

قوله: ﴿لتسلوا منها سبلاً فجاجاً﴾ أي: طرقاً واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع، وقيل: هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلاً أي: كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها اهـ أبو السعود.

وفي الأنبياء تقديم الفجاج فقال: ﴿فجاجاً سبلاً﴾ [الأنبياء: ٣١] لتناسب الفواصل هنا اهـ سمين.

قوله: ﴿قال نوح﴾ أي: بعد يأسه من إيمانهم، وقوله: عصوني أي: كلهم. قوله: (وبفتحهما) سبعيتان.

قوله: ﴿ومكروا﴾ معطوف على صلة من، كما أشار له بقوله: أي: الرؤساء أي: واتبعوا من مكروا، وإنما جمع الضمير حملاً على معنى من بعد حمله على لفظها في قوله: من لم يزده ماله وولده اهـ سمين.

قوله: ﴿مكراً كباراً﴾ العامة على ضم الكاف وتشديد الباء وهو بناء مبالغة أبلغ من كباراً بالضم والتخفيف. يقال: رجل طوال وحمال وحسان، وقرأ عيسى وأبو السمال وابن محيصن بالضم والتخفيف وهو بناء مبالغة أيضاً دون الأول، وقرأ زيد بن علي وابن محيصن أيضاً بكسر الكاف وتخفيف الباء. قال أبو بكر: هو جمع كبير اهـ سمين.

وآذوه ومن اتبعه ﴿وَقَالُوا﴾ للسفلة ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ بفتح الواو وضمها ﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ هي أسماء أصنام ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس بأن أمروهم بعبادتها

قوله: (بأن كذبوا نوحاً الخ) عبارة الخازن: ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة على أذاه وصد الناس عن الإيمان والميل إليه والاستماع منه. وقيل: مكرهم هو قولهم لا تذرن آلهتكم وتعبدوا إله نوح، وقال ابن عباس في مكرهم: قالوا قولاً عظيماً، وقيل: افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله اهـ.

قوله: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم﴾ معطوف أيضاً على الصلة اهـ.

قوله: ﴿ولا تذرن وداً﴾ يجوز أن يكون من عطف الخاص على العام إن قيل إن هذه الأسماء لأصنام، وأن لا يكون إن قيل إنها أسماء رجال صالحين على ما ذكر في التفاسير، وقرأ نافع وداً بضم الواو، والباقون بفتحها اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا يغوث ويعوق﴾ قرأهما العامة بغير تنوين فإن كانا عربيين فالمنع من الصرف للعلمية والوزن، وإن كانا أعجميين فللعلمية والعجمة. وقرأ الأعمش ولا يغوثاً ويعوقاً مصروفين لأمرين، أحدهما: أنه صرفهما للتناسب إذ قبلهما اسمان منصرفان وبعدهما اسم منصرف كما صرف سلاسل. والثاني: أنه جاء على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقاً وهي لغة حكاها الكسائي اهـ سمين.

قوله: ﴿ويعوق ونسراً﴾ لم يذكر النفي مع هذين لكثرة التكرار وعدم اللبس اهـ شهاب.

قوله: (هي أسماء أصنامهم) عبارة الخطيب: واختلف المفسرون في هذه الأسماء، فقال ابن عباس وغيره: هي أصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور، وقيل: إنها للعرب لم يعبدها غيرهم وكان أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، فلذلك خصوا بالذكر بعد قوله لا تذرن آلهتكم. وقال عروة بن الزبير: كان لآدم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عباداً، فمات رجل منهم فحزنوا عليه، فقال الشيطان: أنا أصور لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه. قالوا: افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص، ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم، فلما تقادم الزمان تركت الناس عبادة الله، فقال لهم الشيطان: مالكم لا تعبدون شيئاً؟ قالوا: وما نعبد؟ قال: آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون أنها في مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحاً عليه السلام، فقالوا: لا تذرن آلهتكم الآية. وقال محمد بن كعب أيضاً ومحمد بن قيس: بل كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا زيّن لهم إبليس أن يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر إليها فصوروهم، فلما ماتوا جاء آخرون فقالوا: ليت شعري ما هذه الصور التي كان يعبدها آباؤنا فجاءهم الشيطان فقال: كان آباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها، فابتدأت عبادة الأوثان من ذلك الوقت. وبهذا المعنى فسّر ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بأرض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إن أولئك كان إذا مات الرجل الصالح منهم بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شر الخلق عند الله يوم القيامة». وروي عن ابن

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ عطفاً على قد أضلوا، دعا عليهم لما أوحي إليه أنه لن يؤمن من

عباس أن نوحاً عليه السلام كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل الهند فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفتخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم، وإنما هو جسد وأنا أصور لكم مثله تطوفون به، فصوّر لهم هذه الأصنام الخمسة وحملهم على عبادتها، فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، وكان للعرب أصنام أخر، فاللات كانت لقديد، وأساف ونائلة وهبل كانت لأهل مكة، وكان أساف بحيال الحجر الأسود ونائلة بحيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة. وقال الماوردي: أما ودّ فهو أول صنم معبود سمي وداً لودهم له، وكان بعد قوم نوح لكليب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء، وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قول، وقال الرازي: وسواع لهمدان، وأما يغوث فكان لقطيف من مراد بالجرف من سبأ في قول قتادة، وقال المهدي: لمراد ثم لغطفان، وأما يعوق فكان لهمدان، وقيل: لمراد، وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل، وقال الواقدي: كان ودّ على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة النسر الطائر. قال البقاعي: ولا يعارض هذا أنهم صور لناس صالحين لأن تصويرهم لهم يمكن أن يكون منزعاً من معاينهم، فكان ودّ للكامل في الرجولية، وكان سواع امرأة كاملة في العبادة، وكان يغوث شجاعاً، وكان يعوق سابقاً قوياً، وكان نسر عظيماً طويل العمر اهـ ومثله في القرطبي.

قوله: ﴿وقد أضلوا﴾ معمول لقول مقدر أي: وقال قد أضلوا، وهذا القول المقدر معطوف على القول السابق أي: قال إنهم عصوني، وقال: قد أضلوا هذا هو الذي ينبغي في تقرير مراد الشارح لأنه جعل قوله: ولا تزد معطوفاً على قد أضلوا، وإذا كان كذلك لم يصح أن يكون قد أضلوا معطوفاً على صلة من إذ يصير التقدير واتبعوا من قد أضلوا ومن لا تزد الخ. فيلزم أن تكون الصلة جملة دعائية وهو غير صحيح فتعين ما تقدم وهو ما قرره أبو حيان صريحاً إذا علمت أن ما قاله الكرخي تخليط وتلفيق اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ولا تزد معطوف على قوله: ﴿رب إنهم عصوني﴾ على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه أي: قال إنهم عصوني، وقال: لا تزد أي قال هذين القولين فهما في محل النصب قاله الزمخشري، وقال الشيخ: ولا تزد عطف على قد أضلوا لأنها محكية بقال مضمرة، ولا يشترط التناسب في الجمل المتعاطفة بل يعطف خبر على طلب وبالعكس خلافاً لمن اشترطه اهـ.

وفي الشهاب: يعني لا تزد مقول ثان لنوح عليه السلام عطف الله أحد مقوليه على الآخر، والواو فيه من كلامه تعالى لا من كلام نوح لاستلزامه عطف الإنشاء على الاخبار، فحكى الله أحد مقوليه بتصديره بلفظ قال، وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الأول وبالواو النائبة عن لفظ قال اهـ.

فالتقدير وقال لا تزد الخ فهو من عطف الخبر، على الخبر. أي: والظاهر أن قوله: إنهم عصوني الخ ليس المراد به إخبار علام الغيوب، بل الشكاية والإعلام بالعجز ويأسه منهم طلب للنصرة عليهم اهـ.

قومك إلا من قد آمن ﴿مِّمَّا﴾ ما صلة ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ وفي قراءة خطيئاتهم بالهمز ﴿أُغْرِقُواْ﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء ﴿فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ﴾ أي غير ﴿ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥﴾ يمنعون عنهم العذاب ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ أي نازل دار، والمعنى أحداً ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك

قوله: (دعا عليهم) جواب عما يقال إنه مبعوث لهدايتهم وإرشادهم، فكيف ساغ له الدعاء عليهم بالضلال، ومحصله أنه إنما دعا عليهم ليأسه من إيمانهم بإخبار الله له بذلك، كما أشار له الشارح بقوله لما أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك الخ.

قوله: (ما صلة) أي: ومن تعليلية. قوله: (وفي قراءة خطيئاتهم) أي: سبعية.

قوله: ﴿فأدخلوا ناراً﴾ أي: في الدنيا عقب الإغراق، فكانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب مقدرة الله تعالى اهـ خطيب.

وفي السمين: قوله: فأدخلوا ناراً، ويجوز أن يكون من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه نحو: ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل: ١] وأن يكون على بابه، والمراد عرضهم على النار في قبورهم كقوله في آل فرعون ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ [غافر: ٤٦] اهـ.

قوله: ﴿وقال نوح رب﴾ الخ أنظر ما الحكمة في تأخيره عن قوله مما خطاياهم أغرقوا الخ، مع أن مقتضى الظاهر تقديمه عليه لكونه سبباً لإغراقهم تأمل، ثم رأيت أبا السعود قال: وقال نوح رب الخ عطف على نظيره السابق، وقوله: مما خطاياههم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للإيذان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطاياهم التي عددها نوح، وإشارة إلى أن استحقاقهم للإهلاك لأجلها اهـ.

قوله: (أي نازل دار) فالديار مأخوذ من الدار فهو خاص بمن ينزلها، ولكن المعنى هنا على العموم، فلذلك قال: والمعنى أحداً، وقيل: إن دياراً مأخوذ من الدوران وهو التحرك، وعلى كل من القولين فأصله ديوار اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء اهـ شيخنا.

وفي السمين: قال الزمخشري: وديار من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدوار أو من الدار أصله ديوار ففعل به كما يفعل بأصل سيدوميت اهـ.

قوله: (من يفجر) أي: ففي الكلام مجاز الأول لأنهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها بزمان طويل اهـ شيخنا.

قوله: (قال ذلك) أي: قال لا تذر على الأرض الخ. وأما قوله: ولا يلدوا الخ فإنما قاله لعلمه بالتجربة من أحوالهم أن أولادهم يكونون مثلهم اهـ شيخنا.

وعبارة الخطيب: فإن قيل: كيف علم أن أولادهم يكفرون؟ أجيب: بأنه لبث فيهم ألف سنة إلا

لما تقدم من الإيحاء إليه ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ منزلي أو مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ هلاكاً فأهلكوا.

خمسين عاماً فعرف طباعهم وأحوالهم، وكان الرجل منهم ينطلق إليه بابنه ويقول له احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي حذرني منه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك، انتهت.

قوله: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ العامة على فتح الدال على أنه تثنية والد يريد أبويه، وقرأ الحسن ابن علي رضي الله عنهما، ويحيى بن يعمر، والنخعي ولولدي تثنية ولد يعني ابنيه ساماً وحاماً، وقرأ ابن جبير، والجحدري بكسر الدال يعني أباه، فيجوز أن يكون أراد أباه الأقرب الذي ولده وخصه بالذكر لأنه أشرف من الأم، وأن يريد جميع من ولده من لدن آدم إلى من ولده وهو هنا حال اهـ سمين.

قوله: (وكانا مؤمنين) واسم أبيه لمك بفتحتين أو بفتح فسكون ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون الشين وكسر اللام ابن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام واسم أمه شمخى بوزن سكري بنت أنوش اهـ شيخنا.

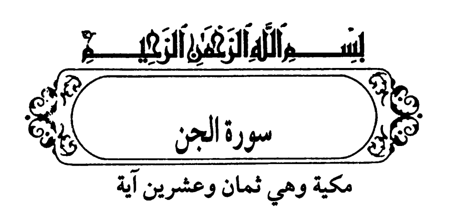
قوله: (منزلي أو مسجدي) أي: أو سفينتي اهـ بيضاوي.

قوله: (إلى يوم القيامة) أي: فهو دعاء عام لكل مؤمن ومؤمنة في سائر الأمم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا تبارا﴾ مفعول ثان والاستثناء مفرغ اهـ سمين.

وفي المصباح: وتبر يتبر من بابي قتل وتعب إذا هلك ويتعدى بالتضعيف فيقال تبره والاسم التبار والفعال بالفتح يأتي كثيراً من فعل نحو كلم كلاماً وسلم سلاماً وودع وداعاً اهـ.

قوله: (فأهلكوا) أي: وغرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بإرادة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم. قال عليه الصلاة والسلام: «يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى». وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال: علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب، وقيل: أعقم الله تعالى أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة، فلم يكن معهم صبي حين غرقوا اهـ أبو السعود.



مكية وهي ثمان وعشرين آية

﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي أخبرت بالوحي من الله تعالى ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح ببطن نخل، موضع بين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة قل أوحي اهـ.

قوله: (يا محمد للناس) ليعرفوا بذلك أنك مبعوث إلى الجن كالإنس ولتعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن وعرفوا إعجازه آمنوا اهـ خطيب.

قوله: (أي أخبرت بالوحي) أي: أخبرني جبريل وفيه دلالة على أنه ﷺ لم يشعر بهم ولا باستماعهم ولم يقرأ عليهم، وإنما تفق حضورهم في بعض أوقات قراءته وهو قول ابن عباس كما هو ظاهر الآية، وروى ابن مسعود أنه رآهم ورجحه العلماء والحق صحتهما، وأن الأول وقع أولاً ثم نزلت السورة ثم أمر بالخروج إليهم. والجن أجسام عاقلة خفيفة يغلب عليها النارية أو الهوائية اهـ كرخي.

قوله: ﴿أنه استمع﴾ هذا هو القائم مقام الفاعل لأنه هو المفعول الصريح، وعند الكوفيين والأخفش يجوز أن يكون القائم مقامه الجار والمجرور فيكون هذا باقياً على نصبه، والتقدير أوحي إلي استماع نفر، ومن الجن صفة لنفر اهـ سمين.

والنفر الجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة، قال البغوي: وكانوا تسعة، وقيل: كانوا سبعة. واختلف العلماء في أصل الجن فروي عن الحسن البصري أن الجن ولد إبليس كما أن الإنس ولد آدم، وإن منهم المؤمن والكافر وأن الكافر هو الشيطان، وروى الضحاك أن الجن ولد الجان وليسوا بشياطين، وأن الشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس اهـ خطيب.

قوله: (لقراءتي) قيل: كان يقرأ في هذه الصلاة سورة الرحمن، وقيل: سورة اقرأ باسم ربك اهـ شيخنا.

قوله: (نصيبين) قرية باليمن بالصرف على الأصل وعدمه للعلمية والعجمة اهـ شيخنا.

قوله: (في صلاة الصبح) وذلك أنه سار هو وجملة من الصحابة قاصدين سوق عكاظ، وهو سوق

مكة والطائف، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ الآية ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١﴾ يتعجب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ﴾الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزه جلاله وعظمته عما

معروف بقرب مكة كانت العرب تقصده في كل سنة مرة في الجاهلية وأول الإسلام، وكان في ذلك الوقت قد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فقال بعضهم لبعض: ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها لتنظروا ما الذي حال بيننا وبين السماء حتى منعنا بالشهب. فانطلق جماعة منهم فمروا بالنبي وأصحابه وهو يصلي بهم الصبح ببطن نخل عامدين إلى سوق عكاظ، فلما سمعوا القرآن قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً الخ. فأنزل الله على نبيه قل أوحي إلى الخ اهـ خازن.

وذكر الخطيب في سورة الأحقاف أن صلاته ببطن نخل كانت حين رجوعه من الطائف، فإن النبي في السنة الحادية عشرة من النبوة لما أيس من أهل مكة خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فانصرف راجعاً إلى مكة فأقام ببطن نخل يقرأ القرآن فمَرّ به نفر من جن نصيبين اهـ.

قوله: (بين مكة والطائف) بينه وبين مكة مسيرة ليلة اهـ شيخنا.

قوله: (في فصاحته) يدل مما قبله على أن في بمعنى من أو هي سببية اهـ.

قوله: (وغزارة معانيه) أي كثرتها والغزارة مصدر غزر كظرف، وقوله وغير ذلك كالاخبار بالمغيبات اهـ.

قوله: ﴿ولن نشرك بربنا أحداً﴾ هذا يدل على أنهم كانوا مشركين، وروي أنهم كانوا يهوداً وذكر الحسن أن منهم يهوداً ونصارى ومجوساً ومشركين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ قرأ الأخوان وابن عامر وحفص بفتح أن وما عطف عليها بالواو في اثنتي عشرة كلمة، والباقون بالكسر، وقرأ ابن عامر وأبو بكر وأنه لما قام بالكسر، والباقون بالفتح واتفقوا على الفتح في قوله: ﴿وأن المساجد لله﴾ [الجن: ١٨] وتلخيص هذا أن إن المشددة في هذه السورة على ثلاثة أقسام، قسم ليس معه واو العطف فهذا لا خلاف بين القراء في فتحه أو كسره على حسب ما جاءت به التلاوة واقتضته العربية كقوله: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع﴾ لا خلاف في فتحه لوقوعه موضع المصدر، وكقوله: ﴿إنا سمعنا قرآناً﴾ لا خلاف في كسره لأنه محكي بالقول. القسم الثاني: أن يقترن بالواو وهو أربع عشرة كلمة إحداها لا خلاف في فتحها وهي قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله﴾ [الجن: ١٨] وهذا هو القسم الثالث. والثانية: وأنه لما قام كسرها ابن عامر وأبو بكر وفتحها الباقون، والاثنتا عشر الباقية فتحها الأخوان وابن عامر وحفص وكسرها الباقون كما تقدم تحرير ذلك كله، والاثنتا عشرة هي قوله: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ ﴿وأنه كان يقول﴾ ﴿وأنا ظننا﴾ ﴿وأنه كان رجال﴾ ﴿وأنهم ظنوا﴾ ﴿وأنا لمسنا﴾، ﴿وأنا كنا﴾، ﴿وأنا ندري﴾، ﴿وأنا منا الصالحون﴾، ﴿وأنا لما سمعنا﴾، ﴿وأنا منا المسلمون﴾ اهـ سمين.

قوله: (وفي الموضعين بعده) وهما أنه كان يقول، وأنه كان رجال، واسم كان في أولهما ضمير

نسب إليه ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ غلواً في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك، قال تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ

الشأن والجملة بعدها خبرها وهي واسمها وخبرها خبر إن اهـ من السمين.

قوله: (تنزه جلاله) فهو من إضافة الصفة للموصوف فالجد العظمة والجد أيضاً ومنه الحديث: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» والجد أيضاً أبو الأب، وأما الجد بالكسر فهو ضد التأني اهـ سمين.

وفي القرطبي: الجد في اللغة العظمة والجلال، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جد في عيوننا أي: عظم وجلّ، فمعنى جد ربنا أي: عظمته وجلاله قاله عكرمة ومجاهد وقتادة. وقال أنس بن مالك، والحسن وعكرمة أيضاً: غناه، ومنه قيل للحظ جد، ورجل مجدود أي محفوظ، وفي الحديث: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد». قال أبو عبيد، والخليل: أي ذا الغنى منك الغنى إنما تنفعه الطاعة، وقال ابن عباس: قدرته، وقال الضحاك: فعله، وقال القرطبي والضحاك أيضاً: آلاؤه ونعمه على خلقه، وقال أبو عبيدة، والأخفش: ملكه وسلطانه، وقال السدي: أمره، وقال سعيد بن جبير: وأنه تعالى جد ربنا أي: تعالى ربنا اهـ.

قوله: (عما نسب إليه) أي: من اتخاذ الصاحبة والولد. وقوله: ما اتخذ صاحبة ولا ولداً هذه الجملة مفسرة لما قبلها اهـ شيخنا.

قوله: (بوصفه الخ) متعلق بعلوا.

قوله: ﴿وأنا ظننا﴾ الخ اعتذار من هؤلاء النفر عما صدر منهم قبل الإيمان من نسبة الولد والصاحبة إليه تعالى، ومحصل الاعتذار أنهم يقولون إنا ظننا واعتقدنا أن أحداً لا يكذب على الله وأن ما قاله سفهاؤنا من نسبة الصاحبة والولد إليه حق وصدق، فلما أسلمنا وسمعنا القرآن علمنا أنه كذب اهـ شيخنا.

قوله: (مخففة) أي واسمها ضمير الشأن مضمر كما قدره، والجملة المنفية خبرها والفاصل هنا حرف النفي وكذباً مفعول به أو نعت مصدر محذوف اهـ سمين.

قوله: (بوصفه بذلك) أي: بالصاحبة والولد، وقوله: حتى تبينا كذبهم بذلك أي بالقرآن وهو متعلق بتبينا، وعبارة غيره حتى تبينا وظهر لنا بالقرآن كذبهم اهـ.

قوله: (قال تعالى) ﴿وأنه كان رجال﴾ الخ قد جرى الشارح على أن هذه المقالة والتي بعدها من كلامه تعالى معترضتان في خلال كلام الجن المحكي عنهم وهو أحد قولين للمفسرين والآخر أنهما أيضاً من جملة كلام الجن وعليه فلا اعتراض في الكلام تأمل. قوله: ﴿كان رجال﴾ أي: في الجاهلية. قوله: (حين ينزلون الخ) وذلك أن العرب كانوا إذا نزلوا وادياً قفراً تعبث بهم الجن في بعض الأحيان لأنهم لم يكونوا يتحصنون بذكر الله وليس عندهم دين صحيح ولا كتاب من الله صريح، فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم، فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه،

﴿يَعُوذُونَ﴾ يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شرّ سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ بعوذهم بهم ﴿رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ طغياناً، فقالوا: سدنا الجن والإنس ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا إنس ﴿أَن﴾ مخففة أي إنه ﴿لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ بعد موته، قال الجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رمنا استراق السمع منها ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ نجوماً محرقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي قبل مبعثه

فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح فلا يرى إلا خيراً، وربما هدوه إلى الطريق وردوا عليه ضالته، قال مقاتل: كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب، فلما جاء الإسلام صار التعوذ بالله تعالى لا بالجن اهـ خطيب.

قوله: ﴿فزادوهم﴾ الواو عبارة عن رجال الإنس، والهاء عبارة عن رجال الجن كما يفهم من تقريره، وقوله فقالوا أي الجن المستعاذ بهم سدنا الجن أي غيرنا الذين هم تحت سيادتنا وقهرنا اهـ شيخنا.

وإنما قالوا ذلك لما رأوا من استعاذة الأنس بهم اهـ.

قوله: ﴿رهقاً﴾ في المختار: ورهقه غشيه وبابه طرب، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ [يونس: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿فزادوهم رهقاً﴾ أي: سفهاً وطغياناً اهـ.

قوله: ﴿أن لن يبعث الله أحداً﴾ كقوله: أن لن تقول وأن وما في حيزها ساد مسد مفعولي الظن والمسألة من باب الإعمال لأن ظنوا يطلب مفعولين وظننتم كذلك وهو من إعمال الثاني للحذف من الأول اهـ سمين.

قال بعضهم: والأولى أن يكون من إعمال الأول للحذف من الثاني، لأن الأول هو المحدث عنه اهـ.

قوله: (رمنا) أي: قصدنا وطلبنا، فاللمس مستعار للطلب يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فوجدناها﴾ فيها وجهان: أظهرهما: أنها متعدية لواحد لأن معناها أصبنا وصادفنا، وعلى هذا فالجملة من قوله ملئت في موضع نصب على الحال. والثاني: أنها متعدية لاثنين فتكون الجملة في موضع المفعول الثاني، وحرساً: منصوب على التمييز نحو امتلأ الإناء ماء، والحرس اسم جمع لحارس نحو خدم لخادم، والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة وشديداً صفة لحرساً على اللفظ، ولو جاء على المعنى لقيل شداداً بالجمع، وقوله: وشهباً جمع شهاب ككتاب وكتب اهـ سمين.

قوله: (من الملائكة) أي: الذين يرمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع اهـ خطيب.

وقوله: نجوماً محرقة عبارة غيره: وشعلاً منقضة من نار الكواكب، انتهت.

وهي أولى لما تقدم له هو أيضاً أن الشهاب شعلة نار تنفصل من الكواكب اهـ شيخنا.

﴿نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ﴾ أي نستمع ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩﴾ أي أرصد له ليرمى به ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعدم استراق السمع ﴿بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ خيراً ﴿وَأَنَّا مِنَّا

قوله: (وذلك) أي امتلاؤها بالحرس والشهب اهـ.

قوله: ﴿مقاعد للسمع﴾ أي خالية عن الحرس والشهب، ومنها متعلق بمقاعد وللسمع متعلق بنقعد، أي نقعد لأجل السمع أو متعلق بمضمر هو صفة لمقاعد أي مقاعد كائنة للسمع اهـ أبو السعود.

قوله: (أي نستمع) الظاهر أنه بالرفع تفسيراً لنقعد تفسير مراد، ويصح على بعد أن يكون بالنصب تفسيراً للمصدر وهو للسمع، فكأنه قال لنستمع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الآن﴾ ظرف حالي واستعير هنا للاستقبال اهـ سمين.
أي لأنهم يريدون به وقت قولهم فقط.

تنبيه:

اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل البعث أو ذلك أمر حدث بمبعث النبي ﷺ، فقال قوم: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ خمسمائة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبي ﷺ، فلما بعث منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب، وقال عبد الله بن عمر: لما كان اليوم الذي نبىء فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين ورموا بالشهب، وقال الزمخشري: والصحيح أنه كان قبل البعث، فلما بعث ﷺ كثر الرجم وازداد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً. وعن معمر: قلت للزهري: أكان يرمي بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أرأيت قوله تعالى: ﴿وأنا كنا نقعد منها﴾ قال: غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي ﷺ، فإن قيل: كيف تتعرض الجن لاحتراق أنفسها بسبب سماع الخبر بعد أن صار ذلك معلوماً لهم؟ أجيب: بأن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة اهـ خطيب.

قوله: (رصداً) صفة لشهاباً وهو بمعنى اسم المفعول كما أشار له بقوله: أي أرصد له أي أعد وهيىء له وله متعلق برصداً كما يشير له قوله: أي أرصد له اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أشرٌّ أريد﴾ يجوز فيه وجهان، أحسنهما: الرفع بفعل مضمر على الاشتغال وإنما كان أحسن لتقدم طالب الفعل وهو أداة الاستفهام. والثاني: الرفع على الابتداء، ولقائل أن يقول يتعين هنا الرفع بإضمار فعل لمدرك آخر وهو أنه قد عطف بأم فعل، فإذا أضمرنا رافعاً كنا قد عطفنا جملة فعلية على مثلها بخلاف رفعه بالابتداء، فإنه حينئذ يخرج أم عن كونها عاطفة إلى كونها منقطعة إلا بتأويل بعيد وهو أن الأصل أشر أريد بهم أم خير، فوضع قوله: أم أراد بهم ربهم رشداً موضع أم خير، وقوله: أشر ساد مسد مفعولي ندري بمعنى أنه معلق له وراعى معنى من في قوله بهم ربهم فجمع اهـ سمين.

واختلف فيمن قال: وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض الآية، فقال ابن زيد: معنى الآية أن إبليس قال لا ندري هل أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عقاباً، أو يرسل إليهم رسولاً، وقيل: هو من قول الجن فيما بينهم قبل أن يستمعوا قراءة النبي ﷺ أي لا ندري أشر أريد بمن في

﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي قوم غير صالحين ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ فرقاً

الأرض بإرسال محمد ﷺ إليهم فإنهم يكذبون ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الإيمان والكفر، وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي ﷺ، ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا من السماء حراسة للوحي، وقيل: قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين أي لما آمنوا أشفقوا أن لا يؤمن كثير من أهل الأرض، فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهل الأرض بما آمنا به أم يؤمنوا اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ومنّا دون ذلك﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن دون بمعنى غير أي ومنا غير الصالحين وهو مبتدأ وإنما فتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام: ٩٤] فيمن نصب على أحد الأقوال، وإلى هذا نحا الأخفش. الثاني: أن دون على بابها من الظرفية وأنها صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق أو فوج دون ذلك، وحذف الموصوف مع من التبعضية كثير، كقولهم: منا ظعن ومنا أقام أي منا فريق الخ، والمعنى ومنا صالحون دون أولئك في الصلاح اهـ سمين.

قوله: (أي قوم غير صالحين) أي غير مبالغين في الصلاح وفيهم أصل الإيمان، وإنما احتيج لهذا ليتغاير ما هنا مع قوله الآتي: وأنا منا المسلمون الخ. هكذا قرره بعض حواشي البيضاوي، لكن هذا لا يلاقي صنيع الشارح حيث قال: فرقاً مختلفة مسلمين وكافرين اهـ.

فهذا يقتضي أن المراد بغير الصالحين هم الكفار تأمل.

قوله: ﴿كنا طرائق﴾ فيه أوجه، أحدها: أن التقدير كنا ذوي طرائق أي ذوي مذاهب مختلفة. الثاني: أن التقدير كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة. الثالث: أن التقدير كنا في طرائق مختلفة. الرابع: أن التقدير كانت طرائقنا قدداً على حذف المضاف الذي هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه قاله الزمخشري اهـ سمين.

وفي القرطبي: وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً هذا من قول الجن. أي: قال بعضهم لبعض لما دعوا أصحابنا إلى الإيمان بمحمد ﷺ وإنا كنا قبل استماع القرآن منا الصالحون ومنا الكافرون، وقيل: ومنا دون ذلك أي ومنا دون الصالحين في الصلاح وهو أشبه من حمله على الإيمان والشرك. كنا طرائق قدداً أي فرقاً شتى قاله السدي. وقال الضحاك: أدياناً مختلفة، وقال قتادة: أهواء متباينة، والمعنى أنه لم يكن كل الجن كفاراً بل كانوا مختلفين منهم كفار ومنهم مؤمنون صلحاء ومنهم مؤمنون غير صلحاء، وقال ابن المسيب: كنا مسلمين ويهوداً ونصارى ومجوساً، وقال السدي في قوله تعالى: ﴿طرائق قدداً﴾ قال في الجن مثلكم قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنية، وقال قوم: أي وأنا بعد استماع القرآن مختلفون منا المؤمنون ومنا الكافرون أي ومنا الصالحون ومنا مؤمنون لم يتناهوا في الصلاح، والأول أحسن لأنه كان في الجن من آمن بموسى وعيسى قد أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه﴾ [الأحقاف: ٣٠] وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعوه إلى الإيمان، وأيضاً لا فائدة في قولهم نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر اهـ.

مختلفين، مسلمين وكافرين ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ أي لا نفوته، كائنين في الأرض، أو هاربين منها إلى السماء ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ بتقدير هو بعد الفاء ﴿بَخْسًا﴾ نقصاً من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ ظلماً بالزيادة في سيئاته ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ﴾ الجائرون بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ قصدوا هداية ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ وقوداً، وإنا وإنهم

قوله: ﴿قددا﴾ جمع قدة بالكسر، والمراد بها الطريقة وأصلها السيرة. يقال: قدة فلان حسنة أي سيرته وهو من قد السير أي قطعه فاستعير للسيرة المعتدلة، والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ اهـ خطيب.

فعلى هذا استعمال القدد في الفرق مجاز اهـ شيخنا.

لكن في المصباح ما نصه: والقدة الطريقة والفرقة من الناس والجمع قدد مثل سدرة وسدر، وبعضهم يقول: الفرقة من الناس إذا كان هوى كل واحد على حدة اهـ.

قوله: ﴿وأنا ظننا﴾ أي علمنا وتيقنا بالتفكر والاستدلال في آيات الله أنا في قبضة الملك وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره اهـ خطيب.

قوله: ﴿في الأرض﴾ هو حال وكذلك هرباً مصدر في موضع الحال تقديره لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كان فيها ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء اهـ سمين.

قوله: (بتقدير هو) أي بعد الفاء، ولولا ذلك لقيل لا يخف بالجزم قاله الزمخشري، فتقديره المبتدأ لصح دخول الفاء والرفع وإلا لوجب الجزم وحذف الفاء اهـ من السمين.

قوله: ﴿وأنا منا المسلمون﴾ الخ أي: وأنا بعد سماع القرآن مختلفون فمنا من أسلم ومنا من كفر، والقاسط الجائر لأنه عدل عن الحق، والمقسط العادل إلى الحق من قسط إذا جار، وأقسط الرباعي بمعنى عدل. وعن سعيد بن جبير: أن الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل. فقال القوم: ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة إنه سمَّاني ظالماً مشركاً وتلاهم قوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ [الجن: ١٥] اهـ خطيب.

قوله: ﴿تحروا رشداً﴾ أي قصدوه وطلبوه باجتهاد، ومنه التحري في الشيء. قال الراغب: حرى الشيء يحريه أي قصد حراه أي: جانبه وتحراه كذلك اهـ سمين.

قوله: ﴿فكانوا لجهنم حطباً﴾ فإن قيل: الجن مخلوقون من النار فكيف يكونون حطباً لها؟ أجيب: بأنهم وإن خلقوا منها لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فصاروا لحماً ودماً هكذا قيل اهـ خطيب.

وأيضاً النار قويها قد يأكل ضعيفها فيكون الضعيف حطباً للقوي، وأنا وأنهم وأنه مبتدأ، وقوله: في اثني عشر موضعاً خبر أول، وقوله: بكسر الهمزة الخ خبر ثان، وقوله: هي مبتدأ وأنه تعالى الخ خبره والجملة اعتراضية لبيان الاثني عشر ذلك، وقوله وأنا أي في ثمان مواضع، وأنا ظننا، وأنا لمسنا

وإنه في اثني عشر موضعاً هي وإنه تعالى وإنا منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استئنافاً

إلى آخرها. وقوله: وأنهم أي في موضع واحد وأنهم ظنوا، وقوله: وأنه في ثلاثة مواضع، وأنه تعالى، وأنه كان يقول، وأنه كان رجال فصح قوله في اثني عشر موضعاً، وقوله: هي وأنه تعالى أي هي أولها وأنه تعالى وآخرها وأنا منا المسلمون وما بينهما أي بين الأول والآخر وهو عشرة مواضع اهـ شيخنا.

قوله: (في اثني عشر موضعاً) وقبلها موضعان، أحدهما: بالفتح لا غير أنه استمع نفر. وثانيهما: بالكسر لا غير إنا سمعنا قرآناً عجباً. وبعدها موضعان، أحدهما: بالفتح لا غير وأن المساجد لله. وثانيهما: فيه الوجهان وأنه لما قام عبد الله بالجملة ستة عشر، اثنتان منها يجب فيهم الفتح أنه استمع وأن المساجد، وواحدة يجب فيها الكسر إنا سمعنا، وثلاثة عشر يجوز فيها الوجهان اثنتا عشرة التي ذكرها الشارح، والثالثة عشرة وأنه لما قام عبد الله كما سيأتي في كلامه تأمل. قوله: (استئنافاً) هكذا انفرد بهذا القول عن سائر المفسرين والمعربين، ولم يذكره غيره من المفسرين إلا ابن جزي، وعبارة السمين: ووجه الكسر العطف على قوله: إنا سمعنا فيكون الجميع معمولاً للقول أي فقالوا إنا سمعنا، وقالوا: إنه تعالى جد ربنا الخ اهـ.

ويضعف هذا التوجيه بأن من جملة الاثني عشر موضعين هما من كلام الله تعالى كما نص عليهما الشارح وهما قوله: وأنه كان رجال، وأنهم ظنوا فلا يصح كونهما من مقول قول الجن، وحينئذ فعلى هذا التوجيه يتعين كما قال بعضهم أن تكون هاتان الجملتان معترضتين في أثناء كلام الجن، فلأجل هذا عدل الشارح عن هذا التوجيه إلى القول بالاستئناف ليسلم من الاعتراض ويدفع هذا الاعتراض من أصله بأن توجيه السمين المذكور مبني على أن هاتين الجملتين من جملة كلام الجن، وبه قال بعض المفسرين، وقوله: وبفتحها بما أي بتوجيه يوجه به قال تعالى: ونائب الفاعل قال تعالى مع نوع تقدير أي بما يوجه به مقول قال تعالى الخ وقد وجهه بأنه معطوف على أنه استمع، فتكون المواضع الاثني عشر معطوفة على أنه استمع بالمعطوف ثلاثة عشر، وسيأتي وأن المساجد معطوف عليه أيضاً وسيأتي وأنه لما قام عبد الله معطوف عليه أيضاً على قراءة الفتح، فتكون المعطوفات على أنه استمع خمسة عشر. وقد اعترض السمين هذا التوجيه ونصه وقد اختلف الناس في ذلك فقال أبو حاتم في الفتح هو معطوف على مرفوع أوحي فتكون كلها في موضع رفع لما لم يسم فاعله، وهذا الذي قاله قد ردَّه الناس عليه من حيث أن أكثرها لا يصح دخوله تحت معمول أوحي. ألا ترى أنه لو قيل أوحي إليّ أنا لمسنا السماء، وأنا كنا، وأنا لا ندري، وأنا منا الصالحون، وأنا لما سمعنا، وأنا منا المسلمون لم يستقيم معناه. وقال مكي: وعطف أن على آمنا به أتم في المعنى من العطف على أنه استمع لأنك لو عطفت، وأنا ظننا، وأنا لما سمعنا، وأنه كان رجال من الانس، وأنا لمسنا وشبه ذلك أي على أن استمع لم يجز لأنه ليس مما أوحي إليه إنما هو أمر أخبروا به عن أنفسهم والكسر في هذا أبين، وعليه جماعة من القراء. الثاني: أن الفتح في ذلك عطف على محل به من آمنا به، قال الزمخشري: كأنه قال صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا، وأنه كان يقول سفيهنا، وكذلك البواقي، إلا أن مكياً ضعف هذا الوجه فقال: والفتح في ذلك على الحمل على معنى آمنا به وفيه بعد في المعنى لأنهم لم يخبروا أنهم آمنوا بأنهم لما سمعوا الهدي آمنوا به، ولم يخبروا أنهم آمنوا أنه كان رجال إنما حكي الله عنهم لازم، فإن

وبفتحها بما يوجه به، قال تعالى في كفار مكة ﴿وأن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي وإنهم وهو معطوف على أنه استمع ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ كثيراً من السماء وذلك بعدما رفع المطر عنهم سبع سنين ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾ لنختبرهم

المعنى على ذلك صحيح، وقد سبق الزمخشري إلى هذا التخريج الفراء والزجاج، إلا أن الفراء استشعر إشكالاً وانفصل عنه، فإنه قال: فتحت أن لوقوع الإيمان عليها وأنت تجد الإيمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض فلا يمنع من إمضائهن على الفتح فإنه يحسن فيه ما يوجب فتح أن نحو صدقنا وشهدنا، وقال الزجاج: لكن وجهه أن يكون محمولاً على معنى آمنا به لأن معنى آمنا به صدقنا أنه تعالى جد ربنا. **الثالث**: أنه معطوف على الهاء في به أي آمنا به وبأنه تعالى جد ربنا وبأنه كان يقول الخ وهو مذهب الكوفيين، وهو وإن كان قوياً من حيث المعنى إلا أنه ممنوع من حيث الصناعة لما عرفت من أنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، وقد تقدم تحقيق هذين القولين مستوفى في سورة البقرة عند قوله: وكفر به والمسجد الحرام على أن مكياً قد قوى هذا المدرك آخراً وهو حسن جداً. قال رحمه الله: يعني أن العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار في أن أجود منه في غيرها لكثرة حذف حرف الجر مع أن اهـ.

قوله: ﴿وأن لو استقاموا﴾ هذا من قول الله تعالى أي لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا ولبسطنا لهم الرزق، وهذا محمول على الوحي أي وأوحي إلي أن لو استقاموا. قال ابن الأنباري: ومن قرأ بالكسر فيما تقدم وفتح وأن لو استقاموا أضمر قسماً تقديره والله أن لو استقاموا على الطريقة أو عطفه على أنه استمع أو على آمنا به، وعلى هذا يكون جميع ما تقدم معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه اهـ من القرطبي.

وقرأ العامة بكسر واو لو على الأصل، والأعمش بضمها تشبيهاً بواو الضمير اهـ سمين.

قوله: ﴿لاسقيناهم ماء غدقاً﴾ ليس المراد خصوصاً السقيا، بل المراد لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق، واقتصر على ذكر الماء لأن الخير والرزق كله في المطر، وقال عمر: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة اهـ خطيب.

قوله: ﴿غدقاً﴾ الغدق بفتح الدال وكسرها لغتان في الماء الغزير، ومنه الغيداق للماء الكثير، وللرجل الكثير العدو والكثير النطق، ويقال غدقت عينه تغدق أي هطل دمعها غدقاً، وقرأ العامة غدقاً بفتحتين، وعاصم فيما روى عنه الأعمش بفتح الغين وكسر الدال، وقد تقدم أنهما لغتان اهـ سمين.

وفي المصباح: غدقت العين غدقاً من باب تعب كثر ماؤها فهي غدقة، وفي التنزيل: لأسقيناهم ماء غدقاً أي: كثيراً، وأغدقت إغداقاً كذلك، وغدق المطر غدقاً وأغدق إغداقاً مثله، وغدقت الأرض تغدق من باب ضرب ابتلت بالغدق اهـ.

قوله: (من السماء) ليس من مفهوم الغدق، وإنما مفهومه الكثير سواء كان من السماء أو من الأرض، وقوله: وذلك الخ لم يظهر مرجع اسم الإشارة، فإنه إن رجع إلى السقيا لم يستقم لأن مقتضى

﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم علم ظهور ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بالنون والياء ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ شاقاً ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ﴾ فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ

لو انتفاؤها فيصير المعنى وانتفت السقيا عنهم بعدما رفع المطر سبع سنين فيقتضي أنهم لم يسقوا بعد السبع وليس مراداً، فلعله راجع لما يفهم من السياق، والتقدير ونزول الآية كان بعدما رفع الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي في الماء بسببه، وقوله: كيف شكرهم أي هل يشكرون أو يكفرون، وقوله علم ظهور أي للخلائق وإلا فهو تعالى لا يخفى عليه شيء اهـ شيخنا.

قوله: (تدخله) أشار به إلى جواب ما يقال إن سلك يتعدي للمفعول الثاني بفي، وإنما عدى له هنا بنفسه، وحاصل الجواب أنه إنما عدى له هنا بنفسه لتضمنه معنى ندخله كما في الكشاف اهـ شهاب.

قوله: ﴿صعداً﴾ مصدر صعد بكسر العين كفرح ووصف به العذاب في تأويله باسم الفاعل، فلذلك قال شاقاً وهذا تفسير باللازم، وإلاَّ فمعنى الصعود العلو والارتفاع فكأنه قال عذاباً يغمره ويعلو عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأن المساجد﴾ بالفتح لا غير معطوف على أنه استمع أي وأوحي إلي أن المساجد لله أي مختصة به، والمساجد قيل جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود، وقال الحسن: أراد بها كل البقاع لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي ﷺ يقول: «أينما كنتم فصلوا وأينما صليتم فهو مسجد» وقيل: إنه جمع مسجد بالفتح مراداً به الأعضاء الواردة في الحديث الجبهة والأنف والركبتان واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب وابن حبيب. والمعنى أن هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك فلا تسجد بها لغير الله فتجحد نعمة الله، وقيل: المراد بها البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة، والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة أظهر الأقوال إن شاء الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس وإضافة المساجد إلى الله تعالى إضافة تشريف وتكريم وقد تنسب إلى غيره تعريفاً. قال ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فلا تدعوا﴾ أي فلا تعبدوا مع الله أحداً هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام، وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله تعالى نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها يقول: فلا تشركوا فيها صنماً أو غيره مما يعبد، وقيل: المعنى أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيباً. وفي الصحيح: من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردّها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا، وقال الحسن: من السنّة إذا دخل رجل المسجد أن يقول لا إله إلا الله، لأن قوله تعالى لا تدعوا مع الله أحداً في ضمنه أمر بذكر الله تعالى ودعائه. وروى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال: «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً اللهم أنا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار» وإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى

﴿أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بالفتح والكسر استئنافاً والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ببطن نخل ﴿كَادُوا۟﴾ أي الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ بكسر اللام وضمها جمع لبدة

وقال: «اللهم صب الخير صباً ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبدر ولا تجعل معيشتي كداً واجعل لي في الأرض جداً» أي غنى اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ الخ سياق هذه الآية إنما يظهر في المرة الثانية من مرتي الجن، وهي التي كانت بحجون مكة وكان معه فيها ابن مسعود، وكان الجن اثني عشر ألفاً أو أكثر، وأما المرة الأولى التي تقدم الكلام فيها التي كانت ببطن نخل فكانوا فيها تسعة أو سبعة، ولا يظهر في حقهم أن يقال كادوا يكونون عليه لبداً كما لا يخفى فليتأمل.

قوله: (بالفتح) أي عطفاً على أنه استمع أي وأوحي إلي أنه لما قام عبد الله، وكان مقتضى الظاهر أن يقول لما قمت لكنه عبّر عن نفسه بالعبد تواضعاً وتذللاً لحضرة الحق كما هو شأنه وعادته الجميلة أو بالعطف على الهاء في قوله آمنا به على ما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يدعوه﴾ حال أي داعياً مصلياً صلاة الصبح كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ قال الزبير بن العوام: هم الجن حين استمعوا القرآن من النبي ﷺ أي كاد يركب بعضهم بعضاً، وقال الضحاك، وابن عباس: رغبة في سماع الذكر، وروي عن مكحول: أن الجن بايعوا رسول الله ﷺ في هذه الليلة وكانوا سبعين ألفاً وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر، وعن ابن عباس أيضاً: أن هذه من قول الجن لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ وائتمامهم به في الركوع والسجود، وقيل: المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حرداً على النبي ﷺ، وقال الحسن، وقتادة وابن زيد: يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبد الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره، واختار الطبري أن يكون المعنى كادت العرب يجتمعون على النبي ﷺ ويتظاهرون على إطفاء النور الذي جاء به اهـ قرطبي.

قوله: (بكسر اللام وضمها) سبعيتان وقوله: جمع لبدة بكسر اللام كسدرة وسدر، وهذا على القراءة الأولى، وبعضها كغرفة وغرف، وهذا على القراءة الثانية، وقوله: كاللبد تفسير للتشبيه وكان الأولى أن يقول أي كاللبد، وفي المختار: اللبد بوزن الجلد واحد اللبود واللبدة أخص منه. قلت: وجمعها لبد ومنه قوله تعالى: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ هو في القرطبي. قال مجاهد: لبد أي جماعات وهو من تلبد الشيء على الشيء تجمع، ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه، وكل شيء ألصقته إلصاقاً شديداً فقد لبدته، ويقال: للشعر الذي على ظهر الأظهر لبدة وجمعها لبد، ويقال للجراد الكثير لبد وفيه أربع لغات، وهي قراءات فتح الباء وكسر اللام وهي قراءة العامة، وضم اللام وفتح الباء وهي قراءة مجاهد وابن محيصن وهشام عن أهل الشام واحدتها لبدة بضم اللام وكسرها، وبضم اللام والباء وهي قراءة أبي حيوة ومحمد بن السميقع وأبي الأشهب والعقيلي والجحدري واحدها لبد مثل سقف في سقف ورهن في رهن، وبضم اللام وتشديد الباء المفتوحة وهي قراءة الحسن وأبي العالية

كاللبد في ركوب بعضهم بعضاً ازدحاماً حرصاً على سماع القرآن ﴿قُلْ﴾ مجيباً للكفار في قولهم: ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة قل ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ إلهاً ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ غياً ﴿وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ خيراً ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي غيره ﴿مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ ملتجأ ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء من مفعول أملك، أي لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عنه ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على بلاغاً، وما بين المستثنى منه والاستثناء

والجحدري أيضاً واحدها لا بد مثل راكع وركع وساجد وسجد اهـ.

قوله: (ازدحاماً) علة لركوب بعضهم بعضاً. وقوله: حرصاً علة للعلة اهـ.

قوله: (مجيباً للكفار الخ) عبارة القرطبي: سبب نزولها أن كفار قريش قالوا له إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك فنزلت اهـ.

قوله: ﴿إنما أدعوا ربي﴾ أي: اعتقد ربي، والمفعول الثاني محذوف فلذا قدره بقوله: إلهاً ولو فسر ادعو بأعبد لاستغنى عن التقدير المذكور. قوله: (وفي قراءة قل) أي: قراءة سبعية، وعليها ففي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب اهـ شيخنا.

قوله: (غياً) استعمال الضر في الغي من استعمال المسبب في السبب فهو مجاز مرسل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل إني لن يجيرني﴾ الخ بيان لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ملتحداً﴾ في القاموس: وألحد إليه مال كالتحد والملتحد الملتجأ اهـ.

وفي المصباح: والملتحد بالفتح اسم الموضع وهو الملجأ اهـ.

قوله: (استثناء من مفعول أملك) أي: من مجموع الأمرين وهما ضراً ورشداً بعد تأويلهما بشيئاً كأنه قال: لا أملك لكم شيئاً إلا بلاغاً فهو استثناء متصل. هكذا قرر بعض حواشي البيضاوي. وعبارة السمين: قوله: إلا بلاغاً فيه أوجه، أحدها: أنه استثناء منقطع لأن البلاغ من الله لا يكون داخلاً تحت قوله ولن أجد من دونه ملتحداً، لأنه لا يكون من دون الله بل يكون من الله وبإعانته وتوفيقه. الثاني: أنه متصل، والمعنى لن أجد سبباً أميل إليه وأعتصم به إلا أن أبلغ وأطيع فيجيرني، وإذا كان متصلاً جاز نصبه من وجهين، أحدهما: وهو الأرجح أن يكون بدلاً من ملتحداً لأن الكلام غير موجب، والثاني: أنه منصوب على الاستثناء وإلى البدلية ذهب أبو إسحاق. الثالث: أنه مستثنى من قوله لا أملك لكم ضراً قال قتادة: أي: لا أملك لكم إلا بلاغاً إليكم، وقدره الزمخشري فقال أي: لا أملك إلا بلاغاً من الله، وقل إني لن يجيرني حملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة. قال الشيخ: وفيه بعد لطول الفصل بينهما. قلت: وأين الطول وقد وقع الفصل بأكثر من هذا وعلى هذا فالاستثناء منقطع اهـ.

قوله: (عطف على بلاغاً) أي: كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبلغ والرسالة، والمعنى إلا أن أبلغ عن الله، فأقول قال الله كذا ناسباً قوله إليه وأن أبلغ رسالاته التي أوصلني بها من غير زيادة ولا نقصان

اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التوحيد فلم يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ حال من ضمير من في له، رعاية لمعناها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مقدراً خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها، أي لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون على القول الأول، أو أنا

قاله في الكشاف، وإنما قدر أن أبلغ لكونه معطوفاً على مصدر أبلغ المضمر، فيدل الأول على إيجاد التبليغ على التأكيد، والثاني: على تبليغ أشياء واجبة الإرسال، هذا من باب العطف على التقدير لا الانسحاب لئلا يلزم عطف المفعول به على المفعول المطلق، والظاهر أنه معطوف على الله إلا أن أبلغ عن الله وعن رسالاته اهـ كرخي.

قوله: (وما بين المستثنى منه الخ) وهو قوله: قل إني لن يجيرني إلى ملتحداً اهـ شيخنا.

قوله: (في التوحيد) فمن عبارة عن الكافر وقرينة هذا الحمل قوله: خالدين فيها أبداً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإن له نار جهنم﴾ العامة على كسرها جعلوها جملة مستقلة بعد فاء الجزاء، وقرأ طلحة بفتحها على أنها مع ما في حيزها في تأويل مصدر واقع خبر لمبتدأ مضمر تقديره فجزاؤه أن له نار جهنم، أو فحكمه أن له نار جهنم اهـ سمين.

قوله: (في له) أي: حال من الهاء المجرورة باللام، والعامل في هذه الحال هو الاستقرار المحذوف لأن هذا الظرف خبر عن إن إذ التقدير، فإن نار جهنم مستقرة وكائنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حتى إذا رأوا﴾ الظاهر أن إذا شرطية وأن قوله فسيعلمون جوابها لكن يشكل عليه الاستقبال المفاد بالسين، وذلك لأن وقت رؤية العذاب يحصل علم الضعيف من القوي والسين تقتضي أنه يتأخر عنه فليتأمل هذا المحل، فإنه لم ينبه عليه أحد من المفسرين ولا يتخلص منه إلا يجعل السين لمجرد التأكيد لا للاستقبال وله نظائر كثيرة اهـ شيخنا.

قوله: (لمقدر قبلها) أي: يدل عليه الحال وهي قوله: خالدين فيها أبداً، فإن الخلود في النار يستلزم استمرارهم على كفرهم وعدم انقطاعه بالإيمان إذ لو آمنوا لم يخلدوا في النار اهـ شيخنا.

ولو جعلت لمجرد الابتداء من غير ملاحظة معنى الغاية كما أشار إليه القرطبي لكان أسهل وأوضح فتكون جملة مستقلة بالإفادة. قوله: (من العذاب) بيان لما.

قوله: ﴿من أضعف﴾ يجوز في أن تكون استفهامية فترفع بالابتداء وأضعف خبره، والجملة في موضع نصب سادة مسد المفعولين لأنها معلقة للعلم قبلها، وأن تكون موصولة، وأضعف خبر مبتدأ مضمر أي: هو أضعف، والجملة صلة وعائد وحسن الحذف طول الصلة بالتمييز والموصول مفعول للعلم بمعنى العرفان اهـ سمين.

وناصراً تمييز على حد أنا أكثر منك مالاً، وكذا قوله: وأقل عدداً. وقوله: أعواناً الظاهر أنه تفسير معنى لمجموع. الأمرين ناصراً وعدداً وقوله على القول الأول هو قوله يوم بدر، وقوله: على

أم هم على الثاني، فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل ﴿ قُلْ إِنْ ﴾ أي ما ﴿ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ من العذاب ﴿ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ ﴾ غاية وأجلاً لا يعلمه إلا هو ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ ما غاب عن العباد ﴿ فَلَا يُظْهِرُ ﴾ يطلع ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ من الناس ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ ﴾

الثاني هو قوله أو يوم القيامة، والظاهر أن هذا التوزيع غير متعين، ولذا لم يسلكه غيره من المفسرين، بل يصلح كل من المعنيين لكل من القولين اهـ شيخنا.

وقوله: أو أنا هذا الضمير للنبي ﷺ. وفي الخطيب: أي أنا وإن كنت في هذا الوقت وحيداً مستضعفاً أو هم وأقل عدداً، وإن كانوا الآن بحيث لا يحصيهم عدداً إلا الله تعالى، فبالله ما أعظم كلام الرسل حيث يستضعفون أنفسهم ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذي بيده الملك وله جنود السموات والأرض، بخلاف الجبابرة فإنه لا كلام لهم إلا في تعظيم أنفسهم وازدراء غيرهم اهـ.

قوله: (فقال بعضهم) هو النضر بن الحرث أي: قال لما سمع قوله تعالى: حتى إذا رأوا الخ، وقال استهزاء وإنكاراً للعذاب، وقوله: الوعد عبارة غيره متى يكون هذ الموعود اهـ.

قوله: ﴿قريب﴾ خبر مقدم، وما توعدون مبتدأ مؤخر ويجوز أن يكون قريب مبتدأ لاعتماده على الاستفهام وما توعدون فاعل به أي أقرب الذي توعدون نحو أقائم أبواك وما يجوز أن تكون موصولة فالعائد محذوف، وأن تكون مصدرية فلا عائد وأم الظاهر أنها متصلة، وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى أم يجعل له ربي أمداً والأمد يكون قريباً وبعيد، ألا ترى إلى قوله: ﴿تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠]؟ قلت: كان النبي ﷺ يستقرب الموعد فكأنه قال: ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية اهـ سمين.

وفي الخطيب: أقريب ما توعدون أي: فيكون واقعاً الآن أو قريباً من هذا الأوان بحيث يتوقع عن قرب، وقوله: أم يجعل أي: أم بعيد يجعل له ربي أمداً فلا يتوقع دون ذلك الأمد، فهو في كل حال متوقع فكونوا على غاية الحذر لأنه لا بدّ من وقوعه لا كلام فيه، وإنما الكلام في تعيين وقته وليس إليّ، فإن قيل: أليس أنه ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فكان عالماً بقرب وقوع القيامة، فكيف قال ههنا لا أدري أقريب أم بعيد الخ؟ أجيب: بأن المراد بقرب وقوعه الذي علمه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى، فهذا القدر من القرب معلوم، وأما معرفة مقدار القرب فغير معلوم اهـ.

قوله: (لا يعلمه إلا هو) صفة لأجلاً.

قوله: ﴿عالم الغيب﴾ العامة على رفعه إما بدلاً من ربي، وإما بياناً له، وإما خبر مبتدأ مضمر أي هو عالم، وقرىء بالنصب على المدح، وقرأ السدي علم الغيب فعلاً ماضياً ناصباً للغيب اهـ سمين.

قوله: (ما غاب به) لو أسقط به لكان أوضح، ويمكن أن يفسر غاب باختص، أي: ما اختص به عن العبادة، وعبارة البيضاوي: أي علم الغيب المخصوص به علمه اهـ.

قوله: ﴿فلا يظهر﴾ (على غيبه) العامة على كونه من أظهر واحداً مفعول به وقرأ الحسن يظهر بفتح الياء والهاء من ظهر ثلاثياً وأحد فاعل به اهـ سمين.

مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ يجعل ويسير ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿أَن﴾

قوله: ﴿فلا يظهر﴾ الخ استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرد بعلم الغيب على الإطلاق أي: فلا يطلع على غيبه إطلاعاً كاملاً ينكشف به حقيقة الحال انكشافاً تاماً موجباً لعين اليقين، فليس في الآية ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف، فإن قصر الغاية القاضية من مراتب الكشف على الرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم، ولا يدعي أحد أن لأحد من الأولياء مرتبة الرسل من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح اهـ أبو السعود.

وفي القسطلاني على البخاري ما نصه: قال الطيبي: اطلاع الله الأنبياء على الغيب أقوى من إطلاعه للأولياء يدل عليه حرف الاستعلاء في قوله على غيبه، فضمن يظهر معنى يطلع أي: فلا يظهر الله تعالى على غيبه إظهاراً تاماً وكشفاً جلياً من ارتضى من رسول، وإن الله تعالى إذا أراد أن يطلع النبي على الغيب يوحي إليه أو يرسل إليه الملك، وأما كرامات الأولياء فهي من قبيل التلويحات واللمحات أو من جنس إجابة دعوة، فإن كشف الأولياء غير تام كالأنبياء اهـ ابن لقيمة على البيضاوي.

قوله: ﴿إلا من ارتضى﴾ استثناء متصل أي: إلا رسولاً ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول اهـ أبو السعود.

فقوله: من رسول بيان للمرتضى، وقوله: فإنه يسلك بيان لذلك، وقيل: هو متصل. ورصداً: قد تقدم الكلام عليه، ويجوز أن تكون من شرطية أو موصولة مضمنة معنى الشرط، وقوله: فإنه خبر المبتدأ على القولين وهو من الاستثناء المنقطع أيضاً أي: لكن، والمعنى لكن من ارتضاه من الرسل، فإنه يجعل له ملائكة رصداً يحفظونه، وقوله: على القولين صوابه أن يقول جزاء الشرط على الأول وخبر المبتدأ على الثاني كما هو مقرر في محله. قوله: ﴿فإنه﴾ (مع إطلاعه الخ) عبارة الخطيب: فإنه يظهر ذلك الرسول على ما يريد من ذلك الغيب، وذلك أنه إذا أراد إظهاره عليه يسلك من بين يديه أي: من الجهة التي يعلمها ذلك الرسول، ومن خلفه أي: الجهة التي تغيب عن علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة، انتهت.

وقال أبو السعود: فإنه يسلك تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اهـ.

أي: فإنه تعالى يسلك جميع جوانب الرسول عند إظهاره على غيبه حرساً من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلق برسالته اهـ.

قوله: ﴿يسلك من بين يديه﴾ بابه دخل. قوله: (ملائكة يحفظونه) أي: من الجن أن يستمعوا الوحي فيبلغوه إلى الكهنة قبل الرسول فيطردونهم حتى يبلغ ما يوحي إليه، وقال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولاً أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فيحذره، فإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك اهـ قرطبي.

قوله: (حتى يبلغه في جملة الوحي) أي: حتى يبلغ ما أظهره عليه من بعض الغيوب حال كونه في

مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُواْ﴾ أي الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى من ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدر، أي فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ تمييز، وهو محول عن المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

جملة الوحي الصادق بالغيب وغيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليعلم الله﴾ الخ متعلق بيسلك غاية له من حيث إنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه اهـ أبو السعود.

وعبارة القرطبي: ليعلم أن قد أبلغوا. قال مقاتل وقتادة: أي ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هذه الرسالة، وفيه حذف تتعلق به اللام أي: أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق، وقيل: ليعلم محمد أن قد أبلغ جبريل ومن معه إليه رسالة ربه قاله ابن جبير. قال: ولم ينزل الوحي إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام، وقيل ليعلم الرسل أن الملائكة يبلغون رسالات ربهم، وقيل: ليعلم الرسول أن الرسل سواه بلغوا، وقيل: ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق أصحابه، وقال ابن قتيبة: أي: ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم، وقال مجاهد: ليعلم من كذب الرسل أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم، وقال الزجاج: أي ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالات ربهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ أي: كما هي محروسة من الزيادة والنقصان اهـ خطيب.

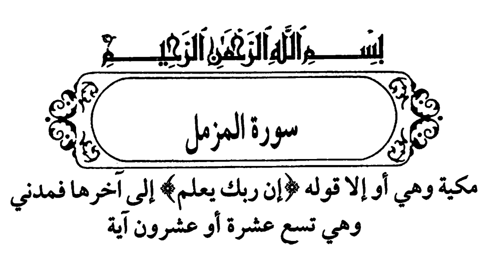
قوله: (روعي بجمع الضمير معنى من) أي: في قوله: من ارتضى أي كما روعي لفظها في من بين يديه ومن خلفه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأحاط بما لديهم﴾ أي: أحاط علمه بما عندهم أي: بما عند الرسل وما عند الملائكة، وقال ابن جبير: المعنى ليعلم الرسول أن ربهم قد أحاط بما لديهم فبلغوا رسالته اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾ أي: أحاط بعدد كل شيء وعرفه فلم يخف عليه منه شيء اهـ قرطبي.

وكلام الخطيب يقتضي أنه تعليل لقوله وأحاط بما لديهم، فإن قال: وأحصى كل شيء عدداً من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار وغير ذلك، ولو على أقل من مقادير الذر فيما لم يزل وفيما لا يزال فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه اهـ.

وعبارة أبي السعود: وفائدته بيان أن علمه تعالى ليس على وجه كلي إجمالي بل هو على وجه جزئي تفصيلي، وأن الإحصاء قد يراد به الإحاطة الإجمالية كما في قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤] أي: لا تقدروا على حصرها إجمالاً فضلاً على التفصيل، وذلك لأن أصل الإحصاء أن المحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه، انتهت.



سورة المزمل

مكية وهي أو إلا قوله ﴿إن ربك يعلم﴾ إلى آخرها فمدني
وهي تسع عشرة أو عشرون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ النبي، وأصله المتزمل، أدغمت التاء في الزاي، أي المتلفف بثيابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقوله: أو إلاّ الخ أي: في قول الثعلبي اهـ خطيب.

قوله: ﴿يا أيها المزمل﴾ هذا الخطاب للنبي ﷺ وفيه ثلاثة أقوال، الأول: قال عكرمة: يا أيها المزمل بالنبوة والمتدثر بالرسالة، وعنه أيضاً: يا أيها الذي زمل هذا الأمر أي: حمله ثم فتر. والثاني: قال ابن عباس: يا أيها المزمل بالقرآن. والثالث: قال قتادة: يا أيها المزمل بثيابه وكان هذا في ابتداء ما أوحي إليه فإنه ﷺ لما جاءه الوحي في غار حراء رجع إلى خديجة زوجه يرجف فؤاده، فقال: زملوني زملوني لقد خشيت على نفسي أن يكون هذا مبادىء شعر أو كهانة وكل ذلك من الشيطان، وأن يكون الذي ظهر بالوحي ليس الملك، وكان ﷺ يبغض الشعر والكهانة غاية البغض، فقالت له خديجة، وكانت وزيرة صدق رضي الله تعالى عنها: كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك تصل الرحم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ونحو هذا، وقيل: إنه ﷺ كان نائماً في الليل متزملاً في قطيفة فنبه ونودي بما يهجر تلك الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته، فقيل له: يا أيها المزمل قم الليل الخ اهـ خطيب.

وفي المصباح: زملته بثوبه تزميلاً فتزمل مثل لففته فتلفف، وزملت الشيء حملته ومنه قيل للبعير زاملة بالهاء للمبالغة لأنه يحمل متاع المسافر اهـ.

فائدة:

قال السهيلي: ليس المزمل من أسماء النبي ﷺ كما ذهب إليه بعض الناس وعدّه في أسمائه ﷺ، وإنما المزمل اسم مشتق من حاله التي كان عليها حين الخطاب وكذا المدثر، وفي خطابه ﷺ بهذا الاسم فائدتان.

إحداهما: الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق

حين مجيء الوحي له، خوفاً منه لهيبته ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ صلِّ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدل من قليلاً،

من حالته التي هي عليها، كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنهما فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له: «قم أبا تراب» إشعاراً له بأنه غير عاتب عليه وملاطف له، وكذلك قوله ﷺ لحذيفة: «قم يا نومان» وكان نائماً ملاطفة له وإشعاراً بترك العتب، فقول الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿يا أيها المزمل قم الليل﴾ فيه تأنيس له وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه.

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد ليله أن يتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة اهـ خطيب.

قوله: (حين مجيء الوحي) أي: جبريل في ابتداء الرسالة بعد أن جاءه باقرأ باسم ربك وفتر عنه ثلاث سنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قم الليل﴾ أي: الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر، فصلّ لنا في كل ليلة من هذا الجنس، وقف بين يدينا بالمناجاة والإنس بما أنزل عليك من كلامنا فإنا نريد إظهارك وإعلاء قدرك في البر والبحر والسر والجهر اهـ خطيب.

والعامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين، وأبو السمال بضمها اتباعاً لحركة القاف، وقرىء بفتحها طلباً للخفة. قال أبو الفتح: والغرض الهرب من التقاء الساكنين فبأي حركة حرك الأول حصل الغرض. قلت: إلا أن الأصل الكسر لدليل ذكره النحويون، والليل ظرف للقيام وإن استغرقه الحدث الواقع فيه. هذا قول البصريين، وأما الكوفيون فيجعلوه هذا النوع مفعولاً به اهـ سمين.

والأمر في قم الليل للوجوب وكان واجباً عليه ﷺ وعلى أمته بل وعلى سائر الأنبياء قبله، وأول فرض عليه ﷺ بعد الدعاء والإنذار قيام الليل، وقوله: إلى الثلث أي انقص من النصف الذي تنامه إلى أن ينتهي إلى ثلث الليل، فمعنى هذه العبارة قم ثلثي الليل، وقوله: إلى الثلثين أي: زد على النصف الذي تنامه حتى تبلغ الثلثين فمعناها قم ثلثي الليل، فحاصل جملة الكلام قم نصف الليل ونم نصفه أو أنقص من نصف النوم سدساً، فضمه لنصف القيام أو زد على نصف النوم سدساً فأنقصه من نصف القيام، فقوله: وأو للتخيير أي بين قيام النصف وقيام الثلثين الذي هو مفاد قوله أو أنقص منه قليلاً، وقيام الثلث الذي هو مفاد أو زد عليه، ولما خير ﷺ بين هذه المقادير صار هو وأصحابه يقومون كل الليل خوفاً من الإخلال بشيء من المقدار وأشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله، ونسخ وجوب قيام الليل في حقه وحقنا بقوله: فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن: قيل: وليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها إلا هذه السورة، وكان بين نزول أولها المنسوخ وآخرها الناسخ سنة، وقيل: ستة عشر شهراً، وهذا على القول بأن السورة كلها مكية، وأما على القول بأن قوله إن ربك يعلم الخ مدني، فبين الناسخ والمنسوخ عشر سنين لما علمت أن نزول المنسوخ كان أول الوحي بمكة، ونزول الناسخ كان بالمدينة، وأقل ما يتحقق بينهما عشر سنين. وقد قال سعيد بن جبير: مكث النبي ﷺ وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى الخ. وقيل: نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة، وقيل: نسخ أولها بآخرها، ثم نسخ آخرها بإيجاب

وقلته بالنظر إلى الكل ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا ۝٣﴾ إلى الثلث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ إلى الثلثين، واو للتخيير ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾ تثبت في تلاوته ﴿تَرْتِيلًا ۝٤﴾ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرآناً ﴿ثَقِيلًا ۝٥﴾

الصلوات الخمس. وفي القرطبي: واختلف هل كان قيام الليل فرضاً أو نفلاً، والدلائل تقوي أن قيامه كان فرضاً على النبي ﷺ وحده أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء أو عليه وعلى أمته على ثلاثة أقوال، الأول: قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب له. الثاني: قول ابن عباس كان قيام الليل فريضة على النبي ﷺ والأنبياء قبله. الثالث: قول عائشة وابن عباس أيضاً أنه كان فرضاً عليه وعلى أمته اهـ من الخطيب والخازن والقرطبي.

قوله: (حاصل) فالمعنى قم للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية اهـ خازن.

وفي الخطيب: وقيام الليل في الشرع معناه الصلاة، فلذا لم يقيده وهي جامعة لأنواع الأعمال الظاهرة والباطنة وهي عمادها فذكرها دال على ما عداها اهـ.

قوله: (وقلته الخ) جواب عما يقال إن النصف مساوٍ للنصف الآخر، فكيف يوصف بالقلة؟ ومحصل الجواب: أنه يوصف بها بالنظر لكل الليل لا بالنظر للنصف الآخر منه اهـ شيخنا.

قوله: (وأو للتخيير) أي: بين قيام نصف الليل وبين الزائد عليه إلى الثلثين وبين الناقص عنه إلى الثلث، فإن قلت: هل هذا كسائر الواجبات المخير فيها؟ فالجواب: أنه ليس كذلك لأن الثلث هنا متحتم عليه فعله على كل تقدير، كما سيأتي إيضاحه آخر السورة، وما زاد عليه من النصف وأكثر منه يجوز له تركه على كل تقدير فالثلث واجب مطلقاً وماعداه مندوب مطلقاً فلا تخيير في واجب على هذا التقدير اهـ كرخي.

والظاهر أن هذا غير مسلم، بل كل مقدار من المقادير الثلاثة قامه متصفاً بكونه واجباً وإن كان في حد ذاته يجوز العدول عنه إلى غيره وهذا لا ينافي كون كل واجباً مخيراً تأمل.

قوله: ﴿ورتل القرآن﴾ أي: في أثناء ما ذكر من القيام اهـ أبو السعود.

أي: اقرأه بترتيب وتؤدة وتبيين حروف وإشباع حركات بحيث يتمكن السامع من عدّها اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنا سنلقي﴾ أي: سننزل، وهذه الجملة اعتراض بين الأمر بقيام الليل وبين تعليله بقوله: إن ناشئة الليل الخ، والقصد بهذا الاعتراف تسهيل ما كلفه من القيام كأنه يقول: إن قيام الليل وإن كان عليك فيه مشقة لكنه أسهل من غيره من التكاليف، فإنا سنلقي عليك الخ اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: إنا سنلقي عليك هذه الجملة مستأنفة، وقال الزمخشري: وهذه الآية اعتراض، ثم قال: وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن، لأن الليل وقت الثبات والراحة والهدوء فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه اهـ.

مهيباً أو شديداً لما فيه من التكاليف ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾ موافقة السمع

يعني بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة، وذلك أن قوله: إن ناشئة الليل هي أشد وطأً مطلق لقوله: قم الليل فكأنه شابه الاعتراض من حيث دخله بين هذين المتناسبين اهـ.

قوله: (مهيباً) يعني كلاماً عظيماً جليلاً ذا خطر وعظمة لأنه كلام رب العالمين، وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل، وقوله: لما فيه من التكاليف تعليل للثاني أي: من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والأحكام اهـ خازن.

وفي الخطيب: واختلف في معنى قوله ثقيلاً، فقال قتادة: ثقيل والله فرائضه وحدوده، وقال مجاهد: حلاله وحرامه، وقال محمد بن كعب: ثقيلاً على المنافقين لأنه يهتك أسرارهم ويبطل أديانهم، وقيل: على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وسب آلهتهم. قال السدي: ثقيلاً بمعنى كريم مأخوذ من قولهم فلان ثقل عليَّ أي: كرم علي، وقال الفراء: ثقيلاً أي: رزيناً، وقال الحسن بن الفضل: ثقيلاً أي: لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد، وقال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الميزان يوم القيامة، وقيل: ثقيل أي: ثابت كثبوت الثقيل في محله، ومعناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبداً، وقيل: ثقيلاً بمعنى أن العقل الواحد لا يفي بإدراك فوائده ومعانيه بالكلية، فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته، والفقهاء بحثوا في أحكامه، وكذا أهل اللغة والنحو وأرباب المعاني، ثم لا يزال كل متأخر يفوز منه بفوائد ما وصل إليها المتقدمون، فعلمنا أن الإنسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله، فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله والأولى أن جميع هذه المعاني فيه، وقيل: المراد بالقول الوحي كما في الخبر أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها أي: صدرها على الأرض فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه. وعن الحرث بن هشام أنه سأل النبي ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال له ﷺ: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا أشد عليَّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً أي: يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد، وقوله: فيفصم عني أي: ينفصل عني ويفارقني وقد وعيت أي: حفظت ما قال، وقال القشيري: القول الثقيل هو قول لا إله إلا الله، لأنه ورد في الخبر لا إله إلا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان اهـ.

قوله: ﴿إن ناشئة الليل﴾ في الناشئة أوجه، أحدها: أنها صفة لمحذوف أي: أن النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها للعبادة أي: تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشر إذا ارتفع. والثاني: أنها مصدر بمعنى قيام الليل على أنها مصدر من نشأ إذا قام ونهض فتكون كالعاقبة قالهما الزمخشري. الثالث: أنها بلغة الحبشة معناها نشأ الرجل أي: قام من الليل. قال الشيخ: فعلى هذا هي جمع ناشىء أي: قائم. قلت: يعني أنها صفة لشيء يفهم الجمع أي: طائفة أو فرقة ناشئة، وإلاّ ففاعل لا يجمع على فاعلة. الرابع: أن ناشئة الليل ساعاته لأنه نشأ شيئاً بعد شيء، وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس بناشئة، وخصصتها عائشة بمعنى آخر وهو أن تكون بعد النوم، فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة اهـ سمين.

للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝﴾ أبين قولاً ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝﴾ تصرفاً في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء

وفي المختار: وناشئة الليل أول ساعاته، وقيل: ما ينشأ فيه من الطاعات اهـ.

قوله: ﴿وطأ﴾ منصوب على التمييز أي أشد من جهة المواطأة الواقعة فيها، فقوله: موافقة السمع الخ على تقدير أي موافقة السمع للقلب فيها، وعبارة غيره: يواطىء فيها السمع القلب الخ، انتهت.

ووطء مصدر واطأ على حد قوله:
لفاعل الفعال والمفاعلة.

وقرىء في السبع أيضاً وطأ بوزن ضرب ومعناها أشد ثباتاً للقدم ورسوخاً في العبادة اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ أبو عمرو، وابن عامر: وطاء بكسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف، والباقون بفتح الواو وسكون الطاء، وقرأ قتادة وشبل عن أهل مكة وطئاً بكسر الواو وسكون الطاء وظاهر كلام أبي البقاء يؤذن أنه قرىء بفتح الواو مع المد، فإنه قال: وطاء بكسر الواو بمعنى مواطأة وبفتحها اسم للمصدر، ووطئاً على فعل وهو مصدر وطىء، فالوطاء مصدر واطأ كقتال مصدر قاتل، والمعنى أنها أشد مواطأة اهـ.

قوله: (أبين قولاً) أي أصوب قراءة وأصح قولاً من النهار لسكون الأصوات اهـ خازن.

قوله: ﴿سبحاً طويلاً﴾ السبح مصدر سبح وقد استعير من السباحة في الماء للتصرف في الحوائج، وقال القرطبي: السبح الجري والدوران، ومنه السابح في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري اهـ خطيب.

وظاهر القول الثاني أنه لا تجوز فيه هنا اهـ.

قوله: (لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن) أي فعليك بها في الليل الذي هو محل الفراغ اهـ أبو السعود.

وفي المختار: من الشغل من باب دخل وفراغاً أيضاً وفرغ الماء بالكسر فراغاً أي انصب وأفرغه غيره وتفريغ الظروف إخلاؤها اهـ.

قوله: ﴿واذكر اسم ربك﴾ أي: دم عليه ليلاً ونهاراً على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم قاله القاضي كالكشاف، وقول الشارح المصنف: أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك تبع فيه سهلاً، وزاد عليه سهل توصلك ببركة قراءتها إلى ربك وتقطعك عما سواه اهـ كرخي.

قوله: (في ابتداء قراءتك) أي سواء قرأت في الصلاة أو في خارجها، وهذا إذا قرأ من أول سورة، وأما إذا قرأ من أثناء سورة، فإنه إن كان في غير الصلاة سنّ له أن يبسمل وإن كان فيها لم تسن له البسملة، لأن قراءة السورة بعد الفاتحة تعد قراءة واحدة فتأمل. قوله: (مصدر بتل) أي على حد قوله:

وغيـــر ذي ثـــلاثـــة مقيـــس   مصـــدره كقـــدس التقـــديـــس

قراءتك ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ﴾ في العبادة ﴿تَبْتِيلًا ۝٨﴾ مصدر بتل، جيء به رعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتل هو ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ موكلاً له أمورك ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة من أذاهم ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم ﴿وَذَرْنِى﴾ اتركني ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول أو مفعول معه،

وهذا من الشارح إشارة لسؤال حاصله أن هذا المصدر ليس لهذا الفعل، وإنما هو مصدر لفعل آخر، وقوله: جيء به الخ جواب عن السؤال من وجهين، الأول: من جهة اللفظ وهو رعاية الفواصل. الثاني: من جهة المعنى وهو أن هذا المصدر المذكور قد أطلق وأريد به مصدر هذا الفعل المذكور الذي هو التبتل على حد قوله:

وضم ما يربع في أمثال قد تلملما.

فقوله: وهو ملزوم التبتل أي فأطلق التبتيل وأريد لازمه وهو التبتل الذي هو مصدر الفعل المذكور في الآية اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: تبتيلاً مصدر على غير المصدر وهو واقع موقع التبتل، لأن المصدر تفعل تفعلاً نحو تصرف تصرفاً وتكرم تكرماً. وأما التفعيل فمصدر فعل نحو صرف تصريفاً، وقال الزمخشري: لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل والتبتل الانقطاع، ومنه امرأة بتول أي انقطعت عن النكاح، وبتلت الحبل قطعته اهـ.

قوله: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ قرىء بالرفع كما أشار به الشارح، وبالجر على أنه بدل من ربك والقراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاتخذه وكيلاً﴾ أي على كل من خالفك بأن تفوض جميع أمورك إليه، فإنه يكفيها كلها. قال البقاعي: وليس ذلك بأن يترك الإنسان كل عمل فإن ذلك طمع فارغ بل بالإجمال في طلب كل من ندب الإنسان إلى طلبه ليكون متوكلاً في السبب منتظراً للمسبب فلا يهمل الأسباب ويتركها طامعاً في المسببات، لأنه حينئذ يكون كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الأسباب اهـ خطيب.

قوله: ﴿واصبر على ما يقولون﴾ لما أرشد رسوله إلى كيفية معاملته مع ربه أتبعه ببيان كيفية معاملته مع الخلق، فقال: واصبر على ما يقولون، ثم لما خطر بالبال أن من بعث لدعوة الخلق وإرشادهم كيف يهجر المكذبين مع أن تهديدهم بالمجازاة على الكذب أدخل في ظهور آثار الرسالة دفع ذلك بقوله: وذرني والمكذبين يعني أن الأمر كذلك إلا أنه ينبغي أن تكل أمر مجازاتهم إليَّ وأن لا تهتم بهم اهـ زاده.

قوله: ﴿هجراً جميلاً﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم إلى الله فالله يكفيكهم، كما قال: وذرني الخ اهـ بيضاوي.

قوله: (قبل الأمر بقتالهم) أي: فهو منسوخ.

والمعنى: أنا كافيكهم وهم صناديد قريش ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ التنعم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ من الزمن فقتلوا بعد يسير منه ببدر ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ قيوداً ثقالاً، جمع نكل بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ ناراً محرقة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يغص به في الحلق، وهو الزقوم، أو الضريع، أو الغسلين، أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تزلزل ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملاً مجتمعاً ﴿مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من هال يهيل، وأصله مهيول، استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ

قوله: ﴿أولي النعمة﴾ نعمت للمكذبين، والنعمة بالفتح التنعم، وبالكسر الانعام، وبالضم المسرة اهـ سمين.

قوله: ﴿أنكالاً﴾ جمع نكل وفيه قولان، أشهرهما: أنه القيد، وقيل: الغل والأول أعرف اهـ سمين.

قوله: (وهو الزقوم) تقدم له في الدخان أنه شجر مر من أخبث الشجر وسينبته الله في أصل الجحيم، وقوله: أو الضريع سيأتي له في الغاشية أنه نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه، وقوله: أو الغسلين تقدم له في الحاقة أنه صديد أهل النار، وقوله: لا يخرج ولا ينزل تفسير لقوله يغص به، فكان الأولى ذكره بجنبه كما صنع غيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يوم ترجف الأرض﴾ منصوب بالاستقرار العامل في لدينا الذي هو الخبر في الحقيقة أي استقر لهم عندنا ما ذكر يوم ترجف الخ، وكذا قوله: لمن كذب متعلق بهذا الاستقرار اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: يوم ترجف الأرض فيه أوجه، أحدها: أنه منصوب بذرني وفيه بعد. والثاني: أنه منصوب بالاستقرار المتعلق به لدينا. والثالث: أنه صفة لعذاباً فيتعلق بمحذوف أي عذاباً واقعاً يوم ترجف. والرابع: أنه منصوب بأليماً، العامة ترجف بفتح التاء وضم الجيم مبنياً للفاعل، وزيد بن علي يقرؤه مبنياً للمفعول من أرجفها الله اهـ.

قوله: (تزلزل) أصله تتزلزل فحذفت منه إحدى التاءين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكانت الجبال﴾ أي وتكون الجبال التي هي مراسي الأرض وأوتادها اهـ خطيب.

قوله: (وحذفت الواو) أي عند سيبويه وأتباعه، وكانت أولى بالحذف لأنها زائدة فلذلك قال لزيادتها، والكسائي ومن تبعه يقولون: المحذوف الياء لأن القاعدة أن الذي يحذف لالتقاء الساكنين هو الأول اهـ شيخنا.

وفي المختار: هال الدقيق في الجراب صبه من غير كيل، وكل شيء أرسله إرسالاً من رمل أو تراب أو طعام ونحوه فقد هاله، فانهال أي جرى وانصب وبابه باع، وأهال لغة فيه فهو مهال ومهيل اهـ.

وقال الكلبي: المهيل هو الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده اهـ قرطبي.

﴿إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ هو موسى عليه الصلاة والسلام ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ شديداً ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول تتقون أي عذابه، أي بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة، والأصل في شين شيباً الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في

قوله: (يا أهل مكة) أي ففيه التفات من الغيبة في قوله: واصبر على ما يقولون، وقوله: والمكذبين اهـ شهاب.

قوله: ﴿كما أرسلنا﴾ الخ خصّ موسى وفرعون بالذكر لأن أخبارهما كانت مشهورة عند أهل مكة اهـ عمادي.

قوله: ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ إنما عرفه لتقدم ذكره، وهذه أل العهدية، والعرب إذا قدمت اسماً ثم حكت عنه ثانياً أتوا به معرفاً بأل، أو أتوا بضميره لئلا يلتبس بغيره نحو: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل أو فأكرمته، ولو قلت: فأكرمت رجلاً لتوهم أنه غير الأول، وسيأتي تحقيق هذا عند قوله: ﴿إن مع العسر يسراً﴾ [الشرح: ٦] وقوله عليه السلام: «لن يغلب عسر يسراً» اهـ سمين.

قوله: (شديداً) عبارة القرطبي: أي ثقيلاً شديداً وضرب وبيل عذاب وبيل أي شديد قاله ابن عباس ومجاهد، ومنه مطر وابل أي شديد قاله الأخفش، وقال الزجاج: أي ثقيلاً غليظاً، ومنه قيل للمطر: وابل، وقيل: مهلكاً، والمعنى عاقبناه عقوبة غليظة اهـ.

وفي المصباح: وبلت السماء وبلاً من باب وعد ووبولاً اشتد مطرها، وكان الأصل وبل مطر السماء فحذف للعلم به، ولهذا يقال للمطر وابل والوبيل الوخيم وزناً ومعنى اهـ.

قوله: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم﴾ أي كيف توجدون الوقاية التي تقي أنفسكم إذا كفرتم في الدنيا، والمعنى لا سبيل لكم إلى التقوى إذا رأيتم القيامة. معناه: فكيف تتقون العذاب يوم القيامة إذا كفرتم في الدنيا اهـ خطيب.

قوله: (مفعول تتقون) عبارة السمين: يوماً منصوب إما بتتقون على سبيل المفعول به تجوزاً، وقال الزمخشري: يوماً مفعول به أي فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة، وقوله: إن بقيتم على الكفر، ويجوز أن يكون مفعولاً به لكفرتم إذا جعل كفرتم بمعنى جحدتم أي: فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة، ولا يجوز أن ينتصب ظرفاً لأنهم لا يكفرون في ذلك اليوم بل يؤمنون فيه لا محالة، ويجوز أن ينتصب على إسقاط الجار أي إن كفرتم بيوم القيامة، والعامة على تنوين يوماً وجعل الجملة بعده نعتاً، والعائد محذوف أي يجعل الولدان فيه قاله أبو البقاء، ولم يتعرض للفاعل في يجعل وهو على هذا ضمير الباري تعالى يوماً يجعل الله فيه، وأحسن من هذا أن يجعل العائد مضمراً في يجعل هو فاعله، ويكون نسبة الجعل إلى يوم من باب المبالغة أي إن نفس اليوم يجعل الولدان شيباً، وقرأ زيد بن علي: يوم يجعل بإضافة الظرف للجملة والفاعل على هذا هو ضمير الباري تعالى، والجعل هنا بمعنى التصيير فشيباً مفعول ثان وهو جمع أشيب اهـ.

اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾ ذات انفطار أي انشقاق ﴿بِهِۦ﴾ بذلك اليوم لشدته ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾

قوله: (يشيب نواصي الأطفال) في المصباح: والشيب ابيضاض الشعر المسود وشيب الحزن رأسه وبرأسه وبالتشديـد وأشابه بالألف وأشاب به فشاب في المطاوع اهـ.

وفي القاموس: الشيب الشعر وبياضه كالمشيب وهو أشيب ولا فعلاء له أي لا يقال امرأة شيباء كما في المصباح، وقوم شيب وشيب بضمتين.

قوله: (وهو مجاز) أي: لفظ الشيب مجاز أي كناية عن شدة الهول، وقوله: ويجوز الخ أي فيكون الشيب على حقيقته وكونه مجازاً أو حقيقة في الظرف لا ينافي التجوز السابق في الاسناد كما هو معلوم، والتجوز في الإسناد إنما هو على كون الضمير في يجعل راجعاً لليوم، فإن كان راجعاً إلى الله كما أشار له الشارح فلا تجوز في الاسناد كما هو ظاهر، ثم إن كلام الشارح فيه نوع إجمال إذ في المقام توزيع فكون الشيب حقيقة مبني على أن المراد باليوم آخر أوقات الدنيا وهو عند النفخة الأولى، وكونه مجازاً مبني على أن المراد باليوم النفخة الثانية. وعبارة الخازن: وفي قوله: يجعل الولدان شيباً وجهان، الأول: أنه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا، فعلى هذا هو على ظاهره. الثاني: أنه في القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازاً لأن القيامة ليس فيها شيب، وإنما هو مثل في شدة الأمر وهوله، وذلك لأن الهموم والأحزان إذا تعاقبت على الإنسان أسرع إليه الشيب، فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والأحزان جعل الشيب كناية عن الشدة والهول من إطلاق اللازم على الملزوم اهـ.

قوله: ﴿السماء منفطر به الخ﴾ الجملة صفة ثانية ليوماً، وقوله: ذات انفطار جواب عن سؤال تقديره لم لم تؤنث الصفة فيقال منفطرة؟ أجيب بأجوبة، منها: أن هذه الصيغة صيغة نسب أي ذات انفطار نحو امرأة مرضع وحائض أي ذات ارضاع وذات حيض، ومنها: أنها لم تؤنث لأن السماء بمعنى السقف قال تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ [الأنبياء: ٣٢] اهـ خطيب.

وفي السمين قوله: السماء منفطر به صفة أخرى أي متشققة بسبب هوله، وإنما لم تؤنث الصفة لأحد وجوه، منها: تأويلها بمعنى المشتق، ومنها: أنها على النسب أي ذات انفطار نحو مرضع وحائض، ومنها: أنها تذكر وتؤنث، ومنها: أنها اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء فيقال سماءة، وقد تقدم أن في اسم الجنس التذكير والتأنيث، ولهذا قال الفارسي: هو كقوله تعالى: ﴿جراد منتشر وأعجاز نخل منقعر﴾ [القمر: ٧] يعني: فجاء على أحد الجائزين، والباء في به سببية كما تقدم، وجوّز الزمخشري أن تكون للاستعانة فإنه قال: والباء في به مثلها في قولك: فطرت العود بالقدوم فانفطر به اهـ.

وفي القرطبي: أنها بمعنى في وهو ظاهر.

قوله: ﴿كان وعده﴾ (تعالى) أعاد الضمير على الله تعالى وإن لم يجر له ذكر للعلم به، فالوعد مصدر مضاف لفاعله، ويصح عوده لليوم فيكون مضافاً لمفعوله أي وعد يوم القيامة والفاعل محذوف اهـ كرخي.

تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿مَفْعُولًا ۝١٨﴾ أي هو كائن لا محالة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات المخوِّفة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾ طريقاً بالإيمان والطاعة ﴿۞إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أقل ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالجر عطف على ثلثي، وبالنصب عطف على أدنى، وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ عطف على ضمير

ومعنى مفعولاً أنه مقضي نافذ لا يرد على حد من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

قوله: ﴿إن هذه﴾ (الآيات) أي القرآنية وهي قوله إن لدينا أنكالاً الخ، وبعضهم قال: إن هذه السورة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ إن قلت: إن جعل اتخذ إلى ربه سبيلاً جواباً فأين الشرط إذ شاء لا يصلح شرطاً بدون ذكر مفعوله أو جعل المجموع شرطاً فأين الجواب؟ قلنا: المفعول محذوف أي فمن شاء النجاة اتخذ إلى ربه سبيلاً، أو فمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً اتخذ إلى ربه سبيلاً اهـ كرخي.

وفي القرطبي ما يقتضي أن الجواب محذوف حيث قال: أي من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك إلى ربه سبيلاً أي طريقاً إلى رضاه ورحمته فليرغب فقد أمكن له لأنه أظهر له الحجج والدلائل اهـ.

قوله: (بالإيمان والطاعة) نبه به على أن معنى اتخاذ السبيل التقرب والتوسل بما ذكر اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن ربك يعلم﴾ الخ شروع في بيان الناسخ لقوله: قم الليل الخ، ومحل النسخ هو قوله: فتاب عليكم وما قبله توطئة له، وقوله فاقرؤوا ما تيسر من القرآن بيان للبدل الذي وقع النسخ إليه، وقوله: وأقيموا الصلاة إلخ بيان لناسخ ذلك البدل كما سيأتي إيضاحه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من ثلثي الليل﴾ بضم اللام وسكونها سبعيتان، وهذا بخلاف، وثلثه فإنه بضم اللام لا غير قراءة وإن كان لغة يجوز إسكانها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ونصفه وثلثه﴾ قد أوضح الزمخشري هذا المحل فقال: وقرىء ونصفه وثلثه بالنصب على معنى أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث، وهو مطابق لما مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث، وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين، وقرىء بالجر أي تقوم أدنى من ثلثي الليل وأقل من النصف والثلث، وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين وبين الثلث وهو أدنى من النصف اهـ.

وقال عبد الله القابسي: وفي قراءة النصب إشكال إلا أن يقدر نصفه تارة وثلثه تارة وأقل من النصف والثلث تارة، فيصح المعنى اهـ سمين.

قوله: (وقيامه) مبتدأ، وقوله: نحو ما أمر به الخ خبره أي مثله، وقوله: كذلك مفعول فيه في المعنى لأنه عبارة عن أدنى من ثلثي الليل الخ، وعبارة الخطيب: وقيامه كذلك مطابق لما وقع التخيير فيه أول السورة من قيام النصف بتمامه أو الثلث أو الثلثين، انتهت.

فقوله هنا: أدنى من ثلثي الليل المراد به الثلثان على سبيل التقريب وهو المذكور أولاً بقوله:

تقوم، وجاز من غير تأكيد للفصل، وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل، وكم بقي منه، فكان يقوم الليل كله احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر، فخفف عنهم، قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾ يحصي ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَلَّن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف أي أنه ﴿تُحْصُوهُ﴾ أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه، إلا بقيام جميعه، وذلك يشق عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر ﴿عَلِمَ أَن﴾ مخففة من

﴿أو انقص منه قليلاً﴾ وقوله: ونصفه المراد به النصف تقريباً وهو المذكور أولاً بقوله: ﴿قم الليل إلا قليلاً نصفه﴾ وقوله وثلثه المراد به الثلث تقريباً وهو المذكور أولاً بقوله: ﴿أو زد عليه﴾ ولا يحتاج لقولنا تقريباً إلا على قراءة الجر، وأما على قراءة النصب فالأمر ظاهر اهـ شيخنا.

قوله: (وجاز) أي العطف على ضمير الرفع المنفصل من غير تأكيد أي بالضمير المنفصل، وقوله: للفصل أي بغير الضمير فهو على حد قول ابن مالك: أو فاصل ما، وقوله: ومنهم من كان الخ بيان لمحترز من التبعيضية في قوله: من الذين معك إذ مقتضاها أن هناك طائفة لم تقم النصف أو الثلث أو الثلثين، وقد بين حالها قوله: ومنهم من كان الخ اهـ شيخنا.

قوله: (وقيام طائفة) مبتدأ، وقوله: كذلك أي أدنى من ثلثي الليل الخ، فهو مفعول فيه، وقوله: للتأسي به خبر المبتدأ اهـ.

قوله: (سنة) أي على القول بأن السورة كلها مكية، وقوله: أو أكثر أي: ستة عشر شهراً أي على القول بأنها مكية أيضاً، أو عشر سنين على القول بأن قوله إن ربك يعلم الخ مدني كما تقدم نقله عن سعيد بن جبير، وقوله: فخفف عنهم أي عن الطائفتين من الصحابة وعن النبي أيضاً، على المعتمد هذا هو المراد وإن كان ظاهر عبارته أن الضمير في عنهم راجع للطائفة التي قامت كل الليل اهـ شيخنا.

قوله: (أي الليل) أشار به إلى أن الضمير وإن تقدم عليه ذكر الليل والنهار فهو راجع إلى الليل لأنه المحدث عنه من أول السورة اهـ كرخي.

قوله: (لتقوموا) الخ علة للمنفي.

قوله: (رجع بكم إلى التخفيف) أي فالمراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنب، والمراد بالتخفيف الذي رجع بهم إليه ما كان قبل وجوب قيام الليل، لكن الرجوع في الجملة لأنه قبل وجوب قيام الليل لم يكن عليهم قيام شيء منه، وفي هذا الرجوع والتخفيف وجوب جزء مطلق يصدق بركعتين اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: فتاب عليكم أي بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه كما رفع التبعة عن التائب اهـ.

قوله: ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾ بيان للبدل الذي وقع النسخ إليه أي فنسخ التقدير بالأجزاء الثلاثة إلى جزء مطلق من الليل، وسيأتي أن هذا الجزء نسخ أيضاً بوجوب الصلوات الخمس، وقوله:

الثقيلة، أي أنه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل، فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس

في الصلاة بيان لمعنى القراءة في الأصل، وقوله: بأن تصلوا بيان للمعنى المراد هنا أي: فالمراد بالقراءة الصلاة نفسها من إطلاق الجزء على الكل كما صرح به الخطيب، وعبارة الكرخي: فاقرؤوا ما تيسر من القرآن أشار إلى أحد التأويلين في الآية، وعبَّر عن الصلاة بالقراءة لأنها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود فهو من إطلاق الجزء على الكل، وقوله بعد: فاقرؤوا ما تيسر منه تأكيد للحث على قيام الليل بما تيسر كما أشار إليه بعد ودليل ترتب قوله فاقرؤوا ما تيسر بالفاء على قوله: أن لن تحصوه وهذا هو الأصح، والثاني حمل القراءة على الحقيقة أي فاقرؤوا فيما تصلونه في الليل ما خف عليكم ورجحه القرطبي، وظاهر الحديث أن النسخ وقع في حقه ﷺ وحقهم، وبه قال العلماء وهو ظاهر كلام الشافعي في الرسالة اهـ.

قوله: (بأن تصلوا ما تيسر) أي: في الصلاة في الليل ولو ركعتين اهـ.

قوله: ﴿علم أن سيكون﴾ الخ استئناف مبين لحكمة أخرى للنسخ، فالحكمة الأولى هي قوله علم أن لن تحصوه، والثانية هي قوله علم أن سيكون الخ اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: علم أن سيكون منكم مرضى استئناف مبين لحكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف، ولذا كرر الحكم معها مرتباً له عليها بقوله: فاقرؤوا ما تيسر منه بعد قوله: فاقرؤوا ما تيسر من القرآن لأن كلاًّ منهما بمعنى الآخر فاختلاف المرتب عليه وهو الحكمة سوغ تكرير الحكم مرتباً على كل من العلتين اهـ مع بعض زيادة.

قوله: ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ الخ سوى سبحانه وتعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال لنفقته على نفسه وعياله والإحسان، فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمنزلة الجهاد لأن الله جمعه مع الجهاد في سبيل الله. قال ﷺ: «ما من جالب يجلب طعاماً من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ وقال ابن مسعود: «أيما رجل جلب شيئاً من مدينة إلى مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء» وقرأ: ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ الآية. وقال ابن عمر: ما خلق الله تعالى موتة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلي من الموت بين شعبتي رجل ابتغى من فضل الله ضارباً في الأرض، وقال طاوس: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله اهـ قرطبي.

قوله: (وغيرها) كطلب العلم. قوله: (وكل من الفرق الثلاثة الخ) في بعض النسخ وضع هذه العبارة بعد قوله: وأقيموا الصلاة، وصورة هذا البعض وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه كما تقدم وأقيموا الصلاة المفروضة وكل من الفرق الثلاث يشق عليهم ما ذكر من قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس وآتوا الزكاة الخ.

قوله: (ثم نسخ ذلك) أي قيام ما تيسر، وقوله: بالصلوات الخمس فيه نظر لأن وجوب الصلوات

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ عن طيب قلب ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ مما خلفتم، وهو فصل وما بعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ للمؤمنين.

الخمس لا ينافي وجوب قيام الليل، وشرط الناسخ أن يكون حكمه منافياً ومعارضاً للحكم المنسوخ كوجوب العدة بحول مع وجوبها بأربعة أشهر فليتأمل. فالصواب أن يكون النسخ بغير ذلك كالحديث الشريف وهو أن النبي ﷺ أخبر أعرابياً بأن الله افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وليلة، فقال الأعرابي: هل عليَّ غيرها يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لا إلا أن تطوع» اهـ.

فقوله لا ينفي وجوب أي صلاة كانت غير الخمس فينفي وجوب قيام الليل كثيراً كان أو قليلاً تأمل.

قوله: (كما تقدم) أي: من أن معناه المراد هنا بأن تصلوا وهذا عين ما تقدم وإنما أعيد تأكيداً كما قاله الخازن وغيره وحسنه كونه قد رتب على حكمة أخرى وهي قوله: علم أن سيكون الخ كما أن المؤكد بفتح الكاف قد رتب على حكمة غير هذه، وهي قوله: علم أن لن تحصوه الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما تقدموا لأنفسكم﴾ ما شرطية، وتجدوا جواب الشرط، وعند الله ظرف لتجدوه أو حال من الهاء وخير اهـ.

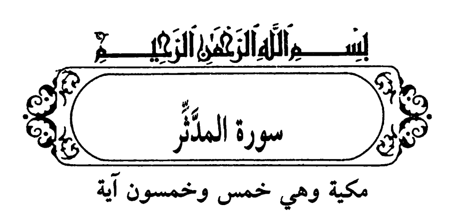
والمفعول الثاني لتجدوه اهـ.

قوله: (مما خلفتم) أي تركتم وراءكم اهـ.

وفيه أن الذي يتركه الإنسان يصير ملكاً للورثة فلا خير له فيه ولا يثاب عليه، والتفضيل المذكور هنا يقتضي أن فيه خيراً وأجراً. وفي البيضاوي: هو خيراً وأعظم أجراً من الذي تؤخرون إلى الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا اهـ.

قوله: (وهو فصل) أي ضمير فصل، وقوله: وما بعده الخ إشارة لسؤال حاصله: أن ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين، وهنا قد وقع بين معرفة ونكرة، وقد أجاب عنه بقوله: فهو يشبهها. وقوله: لامتناعه عن التعريف أي بأل، وعبارة غيره: لامتناعه من التعريف بأداة التعريف ووجه امتناعه من التعريف بها أنه اسم تفضيل، وهو لا يجوز دخول أل عليه إذا كان معه من لفظاً أو تقديراً، وهنا من مقدرة كما قال الشارح مما خلفتم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واستغفروا الله﴾ أي في مجامع أحوالكم فإن الإنسان لا يخلو عن تفريط اهـ بيضاوي.



سورة المدَّثِّر

مكية وهي خمس وخمسون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ النبي ﷺ، وأصله المدثر، أدغمت التاء في الدال، أي المتلفف بثيابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أي في قول الجميع اهـ قرطبي.

قوله: ﴿يا أيها المدثر﴾ اختلف في أول ما نزل من القرآن اختلافاً طويلاً وتحقيق المعتمد منه، وطريق الجمع بين الأحاديث المتناقضة فيه أن أول ما نزل على الإطلاق ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] إلى ﴿ما لم يعلم﴾ وأول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿يا أيها المدثر﴾ إلى ﴿والرجز فاهجر﴾ اهـ من الخطيب.

وتقدم في صدر هذه الحاشية استيفاء الكلام على ترتيب القرآن نزولاً نقلاً عن الخازن رضي الله عنه فراجعه إن شئت. وفي أبي السعود: روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة، فقلت: «دثروني دثروني» فنزل جبريل وقال: يا أيها المدثر. وعن الزهري: أن أول ما نزل سورة ﴿اقرأ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ما لم يعلم﴾ ثم انقطع الوحي، فحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواهق الجبال، فأتاه جبريل عليه السلام، وقال: إنك نبي الله فرجع إلى خديجة فقال: دثروني وصبوا عليَّ ماء بارداً، فنزل يا أيها المدثر، وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكراً كما يفعل المغموم، فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه، وقيل: كان نائماً متدثراً، وقيل: المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الإلٰهية اهـ.

وفي السمين: ومعنى تدثر لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار، والشعار ما يلي الجسد. وفي الحديث: «الأنصار شعار والناس دثار». وسيف داثر بعيد العهد بالصقال، ومنه قيل للمنزل الدارس دثر لذهاب أعلامه اهـ.

قوله: (أدغمت التاء) أي بعد قلبها دالاً وتسكينها، وقوله: أي المتلفف بثيابه أي من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك، وقوله: عند نزول الوحي أي جبريل عليه السلام اهـ شيخنا.

عند نزول الوحي عليه ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ خوِّف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ عظم عن إشراك المشركين ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ عن النجاسة، أو قصرها، خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء،

قوله: ﴿قم فأنذر﴾ أي: قم من مضجعك واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله له وهو الإنذار اهـ خطيب.

قوله: ﴿وربك فكبر﴾ أي: وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء عقداً وقولاً. روي أنه لما نزلت كبّر رسول الله ﷺ وأيقن أنه الوحي، وذلك أن الشيطان لا يأمر بذلك، والفاء فيه وفيما بعده لإفادة معنى الشرط وكأنه قال: ومهما يكن من شيء فكبِّر ربك أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبّر ربه أي: ينزهه عن الشرك والتشبيه، فإن أول ما يجب معرفة الصانع، وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به اهـ بيضاوي.

وعبارة الكرخي: ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وأياً ما كان فلا تدع تكبيره أي: أي شيء حدث ووقع فلا تدع تكبيره، ونحوه قولك: زيداً فاضربه. قال النحاة: تقديره تنبه فاضرب زيداً، فالفاء لجواب الأمر إما على أنه مضمن معنى الشرط، وإما على أن الشرط بعده محذوف على الخلاف الذي فيه عندهم اهـ.

قوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ أي: من النجاسات، لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة لا تصح إلا بها وهي الأولى، والأحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثاً. قال الرازي: إذ حملنا التطهير على حقيقته ففي الآية ثلاث احتمالات، الأول: قال الشافعي المقصود من الآية الإعلام بأن الصلاة لا تجوز إلا في ثياب طاهرة من الأنجاس. وثانيها: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله تعالى أن يصون ثيابه عنها. وثالثها: روي أنهم ألقوا على رسول الله ﷺ قذراً فقيل له: وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات، وقيل: هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول، وذلك مما لا يؤمن معه إصابة النجاسة. قال ﷺ: «إزار المؤمن إلى إنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار» فجعل ﷺ الغاية في لباس الإزار الكعب وتوعد على ما تحته بالنار، فما بال رجال يرسلون أذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بأيديهم، وهذه حالة الكبر. وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى من جرَّ ثوبه خيلاء»، وفي رواية: «من جرَّ إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». قال أبو بكر: يا رسول الله أن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أني أتعهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: «لست ممن يصنعه خيلاء». وقيل: هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من العادات، يقال: فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذي إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق، وفلان دنس الثياب للغادر، وذلك لأن الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه، فكنى به عنه. ألا ترى إلى قولهم: أعجبني زيد ثوبه كما تقول أعجبني زيد عقله وخلقه، ويقولون: المجد في ثوبه والكرم تحت حلته، ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاه اعتنى بتطهير ظاهره وتنقيته. وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وثيابك فطهر﴾ فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر، والعرب تقول في وصف الرجل

فربما أصابتها نجاسة ﴿وَالرُّجْزَ﴾ فسره النبي ﷺ بالأوثان، ﴿فَاهْجُرْ ۝٥﴾ أي دم على هجره ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ بالرفع حال، أي لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به ﷺ لأنه مأمور

بالصدق والوفاء طاهر الثياب، ويقولون لمن غدر إنه دنس الثياب، وقال أبي بن كعب: لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على إثم، البسهما وأنت برّ طاهر، وقال الحسن والقرطبي: وخلقك فحسن، وقال سعيد بن جبير: وقلبك وبيتك فطهر، وقال مجاهد، وابن زيد: وعملك فأصلح، وروى منصور عن أبي رزين قال، يقول: وعملك أصلح. قال: وإذا كان الرجل خبيث العمل قالوا إن فلاناً خبيث الثياب، ومنه قوله ﷺ: «يحشر المرء في ثوبيه يعني اللذين مات عليهما يعني عمله الصالح والطالح» ذكره الماوردي، وقيل: المراد بالثياب الأهل أي: طهر عن الخطايا بالموعظة والتأديب والعرب تسمي الأهل ثوباً ولباساً وإزاراً. قال تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [البقرة: ١٨٧] وقيل: المراد به الدين أي: ودينك فطهر. جاء في الصحيح أنه ﷺ قال: «رأيت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك ورأيت عمر بن الخطاب وعليه إزار يجره» قالوا: يا رسول الله: فما أولت ذلك؟ قال: «الدين» اهـ خطيب.

قوله: (فربما أصابتها النجاسة) تعليل لقوله أو قصرها أي: لأنه ربما أصابتها النجاسة لو لم تقصرها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والرجز﴾ بضم الراء وكسرها سبعيتان والزاي متقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين السين والزاي ومعناهما واحد اهـ من الخطيب.

قوله: (بالأوثان) على حذف مضاف أي: بعبادة الأوثان. وفي القاموس: الرجز بالكسر ويضم القذر، وعبادة الأوثان والعذاب والشرك اهـ.

قوله: ﴿ولا تمنن﴾ المن الإنعام وبابه ردّ أي: لا تنعم بشيء مستكثراً، وقوله تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أي: لا تعط مستكبراً أي: رائياً لما تعطيه كثيراً، بل اجعله خالصاً لله تعالى ولا تطلب عوضاً أصلاً، ومعنى تستكثر أي: طالباً للكثرة كارهاً أن ينقص المال بسبب العطاء، فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان ليكون عطاؤه ﷺ خالياً عن انتظار العوض والتفات النفس إليه. وقيل: لا تعط شيئاً طالباً للكثرة نهي عن الاستعراض وهو أن يهب شيئاً ويطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب، وهذا جائز. ومنه الحديث: «المستعوض يثاب من هبته». وفي هذا النهي وجهان، أحدهما: أن يكون نهياً خاصاً برسول الله ﷺ وهو ظاهر الآية، لأن الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق. والثاني: أنه نهي تنزيه لا تحريم، وقيل: إنه تعالى لما أمره بأربعة أشياء إنذار القوم، وتكبير الرب، وتطهير الثياب، وهجر الرجز ثم قال: ولا تمنن تستكثر أي: لا تمنن على ربك بهذه الأعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله، وقال ابن عباس: لا تمنن بما تعلمهم من أمر الدين والوحي مستكثراً، فإنك إنما فعلت ذلك بأمر الله تعالى فلا منة لك عليهم اهـ خطيب.

قوله: (لتطلب أكثر منه) أي: فالسين والتاء للطلب أي ولا أقل منه ولا مثله، فالمراد النهي عن طلب العوض مطلقاً ليكون عطاؤه ﷺ خالياً عن انتظار العرض والتفات النفس إليه اهـ شيخنا.

بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ على الأوامر والنواهي ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ نفخ في الصور وهو القرن النفخة الثانية ﴿فَذَٰلِكَ﴾ أي وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مما قبله المبتدأ، وبني لإضافته إلى غير متمكن؛ وخبر المبتدإ ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ والعامل في إذا، ما دلّت عليه الجملة، أي اشتد الأمر ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أي في

قوله: (وهذا) أي: النهي الذي هو للتحريم خاص به ﷺ إذ يحرم عليه أن يعطي شيئاً وينتظر عوضه، وأما أمته فليس حراماً في حقهم اهـ شيخنا.

قوله: (لأنه مأمور بأجمل الأخلاق الخ) أي: وليس منها أن يعطي شيئاً وينتظر عوضه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ لما ذكر تعالى ما يتعلق بإرشاد النبي ﷺ ذكر بعده وعيد الأشقياء بقوله: فإذا نقر أي نفخ في الناقور أي: في الصور وهو القرن النفخة الثانية فاعول من النقر وهو القرع الذي هو سبب الصوت، واستعمل هنا في مسببه وهو التصويت أي: فإذا صوت إسرافيل في الصور والفاء للسببية كأنه قال: اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك ويلقى أعداؤك عاقبة كفرهم اهـ خطيب مع تصرف.

ونقر من باب نصر اهـ مصباح.

قوله: (وهو القرن) أي: الذي هو مستطيل، وسعة فمه كما بين السماء والأرض، وفيه ثقب بعدد الأرواح كلها وتجمع الأرواح في تلك الثقب فيخرج بالنفخة الثانية من كل ثقبة روح إلى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حياً بإذن الله تعالى اهـ من الخطيب.

قوله: (أي وقت النقر) أي: الذي هو معنى إذا، وقوله: بدل مما قبله وهو اسم الإشارة، وقوله: وبني أي: يوم، وقوله: إلى غير متمكن وهو إذ وتنوينها عوض عن الجملة أي: يوم إذ نفخ في الصور، وقوله: وخبر المبتدأ يوم عسير أي: يوم من قوله يوم عسير، وعسير صفة أولى للخبر، وغير يسير صفة أخرى اهـ شيخنا.

قوله: (ما دلت عليه الجملة) أي: جملة الجزاء وهي الجملة الاسمية، فقد دلت على جملة فعلية فعلها عامل في إذا، فالناصب لها مدلول جوابها لا نفسه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على الكافرين﴾ متعلق بعسير، وقوله: فيه دلالة أي: في التقييد بهذا الجار والمجرور دلالة على أنه يسير الخ أشار به إلى جواب ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه، وإيضاحه: كما في الكشاف أنه لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم. قال: غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم، ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا اهـ كرخي.

وعبارة الخطيب: لما كان العسر قد يطلق على الشيء وفيه يسر من بعض الجهات بين أنه ليس كذلك بقوله غير يسير، فجمع بين إثبات الشيء ونفي ضده تحقيقاً لأمره ودفعاً للمجاز عنه اهـ.

قوله: (أي في عسره) أي: في حال عسره أي يسير على المؤمنين في وقت عسره على الكافرين،

عسره ﴿ذَرْنِي﴾ اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ عطف على المفعول أو مفعول معه ﴿وَحِيدًا ۝١١﴾ حال من أو من، أو من ضميره المحذوف من خلقت، أي منفرداً بلا أهل ولا مال، هو الوليد بن المغيرة المخزومي ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢﴾ واسعاً متصلاً من الزروع والضروع والتجارة ﴿وَبَنِينَ﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا ۝١٣﴾ يشهدون المحافل وتسمع شهادتهم ﴿وَمَهَّدتُّ﴾ بسطت ﴿لَهُ﴾ في

وقال الرازي: ويحتمل أنه عسير على المؤمنين إلا أنه على الكافرين أشد اهـ.

وما قاله الرازي يفهمه التقييد بالجار والمجرور إن جعل متعلقاً بيسير وإن كان مضافاً إليه لأنه قد أجازه بعضهم كما ذكره السمين اهـ.

قوله: (حال من من أو من ضميره) أي: عائده المحذوف من خلقت أي: خلقته، أو حال من ضمير النصب في ذرني، أو من التاء في خلقت أي: خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، فأنا أهلكه ولا أحتاج إلى نصير اهـ كرخي.

قوله: (هو الوليد بن المغيرة المخزومي) أي: لأنه كان يزعم أنه وحيد قومه لرئاسته ويساره وتقدمه في الدنيا وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقالته، لأن هذا لقب شهّر به، وقد يلقب الإنسان بما لا يتصف به، وإذا كان لقباً فنصبه على الذم على معنى أنه وحيد في الكفر كما أعربه بعضهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿وجعلت له﴾ معطوف على خلقت، وكذا قوله: ومهدت فصلات الموصول ثلاث اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مالاً ممدوداً﴾ قال ابن عباس: هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الإبل والغنم والجنان والعبيد والجواري، واختلفوا في مبلغه، فقال مجاهد، وسعيد بن جبير: ألف دينار، وقال قتادة: ستة آلاف دينار، وقال سفيان الثوري: مرة أربعة آلاف دينار، ومرة ألف دينار، وقال ابن عباس: تسعة آلاف مثقال فضة، وقال الرازي: الممدود هو الذي يكون له مورد يأتي منه الجزء بعد الجزء دائماً، ولذلك فسره عمر بغلة شهر بعد شهر، وقال النعمان: الممدود الزائد كالزروع والضروع وأنواع التجارات، وقال مقاتل: كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفاً اهـ خطيب.

قوله: (متصلاً) أي: بالثمار والربح، وقوله: والضروع أي: المواشي اهـ شيخنا.

قوله: (عشرة) أي: من الذكور وهم الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس هكذا ذكر عددهم الخازن وأبو السعود، لكنهما لم يذكر إلا سبعة كما رأيت، وقوله: أو أكثر قيل: اثنا عشر كما في الخطيب، وقيل ثلاثة عشر، وقيل: سبعة عشر كما في أبي السعود. قال الخطيب: وعلى كل قول فقد أسلم منهم ثلاثة خالد الذي من الله على المسلمين بإسلامه فكان سيف الله وسيف رسوله، وهشام، وعمارة اهـ. ومثله الخازن والبيضاوي.

وتعقب الشهاب البيضاوي في قوله: وعمارة، ونقل عن ابن حجر في الإصابة أن عمارة مات كافراً وذكر بدله الوليد بن الوليد، فهم خالد وهشام والوليد اهـ شيخنا.

العيش والعمر والولد ﴿تَمۡهِيدٗا ١٤﴾ ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥﴾ ﴿كَلَّآۖ﴾ لا أزيده على ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا﴾ أي القرآن ﴿عَنِيدٗا ١٦﴾ معانداً ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ﴾ أكلفه ﴿صَعُودًا ١٧﴾ مشقة من العذاب، أو جبلاً

قوله: ﴿شهوداً﴾ جمع شاهد بمعنى حاضر، والمراد الحضور مع أبيهم لعدم احتياجهم للسفر، فيكون كناية عن كثرة النعم والخدم أو مع الناس في المحافل فهو عبارة عن رئاسة بنيه كأبيهم اهـ شهاب.

وقوله: يشهدون المحافل أي: مجامع الناس لوجاهتهم بين الناس، وقوله: وتسمع شهادتهم أي: كلامهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومهدت له تمهيداً﴾ أي: وبسطت له الرئاسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد أي: باستحقاق الرئاسة والتقدم اهـ.

يعني أن التمهيد في الأصل التسوية والتهيئة ويتجوز به عن بسط المال والجاه وهو المراد هنا، والريحان، في الأصل نبت معروف فتجوز به عن الرزق الطيب والولد الحسن اهـ شهاب.

وفي الكرخي: قال في الكشاف: وبسطت له الجاه العريض والرئاسة في قومه فأتممت عليه نعمتي المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا. قال الطيبي: يريد أن قوله ومهدت له تمهيداً تكميل، فعلم من الأول أنه أوتي المال والولد، وقد لا يحصل بهما الجاه فتمم وكمل بقوله: ومهدت له تمهيداً، وإليه أشار بقوله واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا، وقوله: عند أهل الدنيا تتميم للثانية لأنه عند أهل الآخرة نقصان اهـ.

وكلام الشيخ المصنف يرجع إليه فليتأمل.

قوله: ﴿ثم يطمع﴾ معطوف على جعلت ومهدت، وقوله: على ذلك أي: المذكور من المال والبنين والتمهيد اهـ شيخنا.

قوله: (لا أزيده على ذلك) أي: بل أنقصه، فقد ورد أنه بعد نزول هذه الآية ما زال في نقصان ماله وولده حتى هلك فقيراً اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾ تعليل للردع المفاد بكلا على وجه الاستئناف التحقيقي، فإن معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفرانها مع شيوعها مما يوجب الحرمان بالكلية، وإنما أوتي استدراجاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿عنيداً﴾ قال قتادة أي: جاحداً، وقال مقاتل: معرضاً، وقال مجاهد: إنه المجانب للحق وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف، والعنيد في معنى المعاند والعناد كما قال الماوردي ينشأ من كبر في النفس ويبس في الطبع أو شراسة في الأخلاق أو خبل في العقل، وقد جمع ذلك كله إبليس، لأنه خلق من النار وهي من طبعها اليبوسة وعدم الطواعية. وفي الآية إشارة إلى أن الوليد كان معانداً في أمور كثيرة، منها: أنه كان يعاند في دلائل التوحيد وصحة النبوة وصحة البعث، ومنها: أن كفره كان عناداً لأنه كان يعرف هذه الأشياء بقلبه وينكرها بلسانه وكفر العناد أفحش أنواع الكفر، ومنها أن قوله تعالى كان يدل على أن هذه حرفته من قديم الزمان اهـ خطيب.

من نار يصعد فيه ثم يهوي أبداً ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وَقَدَّرَ ۝١٨﴾ في نفسه ذلك ﴿فَقُتِلَ﴾ لعن وعذب ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾ على أي حال كان تقديره ﴿ثُمَّ قُتِلَ

قوله: (يصعد فيه) أي: سبعين عاماً كلما وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، وقوله: ثم يهوي أي: سبعين عاماً أيضاً وهو من باب رمى، قوله: أبداً راجع لكل من الصعود والهوي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنه﴾ أي هذا العنيد فكر أي: ردد فكره وأداره تابعاً لهواه لأجل الوقوف على شيء يطعن به في القرآن أو النبي ﷺ، وهذه الجملة تعليل للوعيد واستحقاقه وقدّر أي أوقع تقدير الأمور التي يطعن بها وقاسها في نفسه ليعلم أيها أقرب إلى القبول، وذلك أن الله تعالى لما أنزل على النبي ﷺ ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ [غافر: ١] إلى قوله: ﴿إليه المصير﴾ قام النبي ﷺ في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم، فقال: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام البشر ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه، ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش: صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم، فقام أبو جهل وقال: أنا أكفيكموه فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزيناً فقال له الوليد: مالي أراك حزيناً يا بن أخي؟ قال: وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك، ويزعمون أنك زينت كلام محمد، وأنك داخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة تسأل من فضل طعامهم، فغضب الوليد وقال: ألم تعلم أني من أكثرهم مالاً وولداً وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل، ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يحنق قط؟ قالوا: اللهم لا. قال: تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن؟ فقالوا: اللهم لا. قال: تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط؟ قالوا: اللهم لا. قال: تزعمون أنه كذب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا: اللهم لا. وكان رسول الله ﷺ يسمى الأمين قبل النبوة من صدقه، فقالت قريش للوليد: فما هو فتفكر في نفسه وقدر ما أسر اهـ خطيب.

قوله: ﴿وقدر﴾ (في نفسه ذلك) أي: ما يقول في القرآن.

قوله: ﴿فقتل﴾ أي: في الدنيا، وقوله: ثم قتل أي: فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة، فثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى فهي للتفاوت في الرتبة اهـ خطيب.

بل للتراخي في الزمان أيضاً كما يظهر من تقديره وقوله: ثم نظر الخ هي في هذه المواضع الثلاثة للتراخي في الزمان كما ذكره الخطيب أيضاً، فقوله: فقتل هذه جملة، وقوله: كيف قدر جملة أخرى، وكيف منصوبة على الحال من الضمير في قدر وهي للاستفهام، والمقصود منه توبيخه والاستهزاء به والتعجيب من تقديره، وقوله: ثم قتل قد عرفت أن هذه الجملة مغايرة للتي قبلها، وقوله: كيف قدر هذه الجملة مؤكدة لنظيرتها المتقدمة عليها، فتلخص أن جملتي كيف قدر متحدتان، وإنما كررتا للتأكيد اهـ شيخنا.

﴿كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾ ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١﴾ في وجوه قومه، أو فيما يقدح به فيه ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قبض وجهه وكلحه ضيقاً بما يقول ﴿وَبَسَرَ ۝٢٢﴾ زاد في القبض والكلوح ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤﴾ ينقل عن السحرة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥﴾ كما قالوا: إنما يعلمه بشر ﴿سَأُصْلِيهِ﴾ أدخله ﴿سَقَرَ ۝٢٦﴾ جهنم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا

قوله: ﴿ثم نظر﴾ (في وجوه قومه) أي: نظر بعينيه غضباً مما قالوه فيه وهو أنه مال لمحمد لأجل أن يستفيد منه شيئاً من المال، وقوله: أو فيما يقدح به فيه أي: في القرآن أي: فالنظر بمعنى التأمل، وعلى هذا فتكرر هذه الجملة مع قوله إنه فكر وقدر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم عبس وبسر﴾ عبس من باب جلس، وبسر من باب دخل كما في المختار فيهما، وفي السمين قوله: ثم عبس يقال عبس يعبس عبساً وعبوساً أي: قطب وجهه، والعبس ما يبس في أذناب الإبل من البعر والبول. وقوله: وبسر يقال بسر يبسر بسراً وبسوراً إذا قبض ما بين عينيه كراهية للشيء واسود وجهه منه يقال: وجه باسر أي: منقبض أسود، وأهل اليمن يقولون بسر المركب وأبسر إذا وقف، وأبسرنا أي: صرنا إلى البسور، وقال الراغب: البسر استعجال الشيء قبل أوانه نحو: بسر الرجل حاجته طلبها في غير أوانها، وماء بسر متناول من غدير قبل سكونه، ومنه قيل للذي لم يدرك من الثمر بسر، وقوله تعالى: ﴿عبس وبسر﴾ أي: أظهر العبوس قبل أوانه، وقيل: وقته. قال: فإن قيل فقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ باسرة﴾ [القيامة: ٢٤] ليس يفعلون ذلك قبل الوقت وقد قلت إن ذلك فيما يقع قبل وقته. قيل: أشير بذلك إلى حالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار، فخص لفظ البسر تنبيهاً على أن ذلك مع ما ينالهم بعدما يجري مجرى التكلف ومجرى ما يفعل قبل وقته ويدل على ذلك قوله: ﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ [القيامة: ٢٥] اهـ.

قوله: (وكلحه ضيقاً الخ) عبارة الخطيب: لأنه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما جاء به النبي ﷺ مطعناً اهـ.

وكلح من باب خضع كما في المختار، وفي صنيع الشارح نظر، لأن كلح لازم ففي القاموس: كلح كمنع كلاحاً وكلوحاً بضمها تكسر في عبوس كتكلح وأكلح وأكلحته اهـ.

قوله: ﴿واستكبر﴾ عطف مساوٍ في المعنى كما يعلم من تقريره فهو تأكيد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فقال﴾ أي: عقب ما جره إليه طبعه الخبيث من الكفر القائم به اهـ خطيب.

قوله: ﴿إلا سحر﴾ أي: أمور تخييلية لا حقائق لها وهي لدقتها بحيث تخفي أسبابها أمور تمويهية اهـ خطيب.

وقوله: ينقل من السحرة أي: كمسيلمة وأهل بابل اهـ خطيب.

قوله: ﴿سأصليه سقر﴾ هذا بدل من قوله: ﴿سأرهقه صعوداً﴾ [المدثر: ١٧] قال الزمخشري: فإن كان المراد بالصعود المشقة، فالبدل واضح، وإن كان المراد صخرة في جهنم كما جاء في بعض التفاسير فيعسر البدل، ويكون فيه شبه من بدل الاشتمال لأن جهنم مشتملة على تلك الصخرة اهـ سمين.

سَقَرُ ﴿٢٧﴾ تعظيم لشأنها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ شيئاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ محرقة لظاهر الجلد ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ ملكاً خزنتها، قال بعض الكفار

قوله: (جهنم) أي: فسقر اسم من أسمائها وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث اهـ خطيب.

قوله: ﴿وما أدراك﴾ ما مبتدأ، وأدراك: خبره أي: أي شيء أعلمك، وقوله: ما سقر ما مبتدأ وسقر خبره أو بالعكس، والجملة سادة مسد المفعول الثاني لأدري اهـ أبو السعود.

وأفاده الشارح في سورة الحاقة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ حال فيها معنى التعظيم، والجملتان بمعنى واحد فالعطف للتوكيد هذا ما يقتضيه صنيع الشارح. وفي السمين: قوله: لا تبقي فيها وجهان، أحدهما: أنها في محل نصب على الحال والعامل فيها معنى التعظيم قاله أبو البقاء يعني أن الاستفهام في قوله ما سقر للتعظيم، فالمعنى استعظموا سقر في هذه الحال، ومفعول تبقي وتذر محذوف أي: لا تبقى ما ألقي فيها ولا تذره بل تهلكه، وقيل: تقديره لا تبقي على من ألقي فيها، ولا تذر غاية العذاب إلا وصلته إليه. والثاني: أنها مستأنفة اهـ.

قوله: ﴿لواحة للبشر﴾ خبر مبتدأ محذوف حال أخرى أو مستأنفة، والوجهان يجريان في قوله: ﴿عليها تسعة عشر﴾ وفي السمين قوله: لواحة للبشر قرأ العامة بالرفع خبر مبتدأ مضمر أي: هي لواحة، وهذه القراءة مقوية للاستئناف في لا تبقي. وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة، وزيد بن علي، وعطية العوفي بنصبها على الحال، وفيها ثلاثة أوجه، أحدها: أنها حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم كما تقدم. والثاني: أنها حال من لا تبقي. والثالث: من لا تذر. وجعل الزمخشري نصبها على الاختصاص للتهويل، وجعله الشيخ حالاً مؤكدة قال: لأن النار التي لا تبقي ولا تذر لا تكون إلا مغيرة للأبشار ولواحة بناء مبالغة وفيها معنيان، أحدهما: من لاح يلوح أي: ظهر أي: أنها تظهر للبشر وهم الناس، وإليه ذهب الحسن وابن كيسان. والثاني: وإليه ذهب جمهور الناس أنها من لوحه أي: غيره وسوده، وقيل: اللوح شدة العطش. يقال: لاحه العطش ولوحه أي: غيره، واللوح بالضم الهواء بين السماء والأرض، والبشر إما جمع بشرة أي: مغيرة للجلود، وإما أن يكون المراد به الإنس واللام في للبشر كهي في ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ [يوسف: ٤٣] وقراءة النصب في لواحة مقوية لكون لا تبقي في محل الحال، وقوله: عليها تسعة عشر هذه الجملة فيها الوجهان المتقدمان، أعني: الحالية والاستئناف اهـ.

قوله: ﴿تسعة عشر﴾ (ملكاً) أي: مالك ومعه ثمانية عشر، وقيل: تسعة عشر نقيباً وقيل: تسعة عشر ألف ملك اهـ خطيب.

والقول الثاني: هو الموافق لقوله الآتي ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قلت: والصحيح إن شاء الله إن هؤلاء التسعة عشرهم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ وقد ثبت في الصحيح. عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام

وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي فلا يطاقون كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ضلالاً ﴿لِّلَّذِينَ

سبعون ألف ملك يجرونها» اهـ.

قال ابن جريج: نعت النبي ﷺ لخزنة جهنم، فقال: أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي أي: قرون البقر، وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألف مرة فيرميهم حيث شاء من جهنم اهـ خطيب.

وخص هذا العدد بالذكر لأنه موافق لعدد أسباب فساد النفس الإنسانية وهي القوى الإنسانية والطبيعية إذ القوى الإنسانية اثنتا عشرة، الخمسة الظاهرة، والخمسة الباطنة، والشهوة، والغضب. والقوى الطبيعية، سبعة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والعادية والنامية والمولدة والمجموع تسعة عشر اهـ كرخي.

قوله: (خزنتها) أي: يتولون أمرها ويتسلطون على أهلها اهـ أبو السعود.

فإن قيل: ثبت في الأخبار أن الملائكة مخلوقون من النور، فكيف تطيق المكث في النار؟ أجيب: بأن الله تعالى قادر على كل الممكنات، فكما أنه لا استبعاد في أنه يبقي أهل النار في مثل ذلك العذاب الشديد أبد الآباد ولا يموتون، فكذا لا استبعاد في إبقاء الملائكة هناك من غير ألم اهـ خطيب.

قوله: (قال بعض الكفار) وهو أبو الأشد بن كلدة بن خلف الجمحي، قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم محمد يخبر أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الشجعان أفتعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم، فقال أبو الأشد: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري، وسبعة على بطني واكفوني أنتم اثنين ويروى أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي اليمين، وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة، فأنزل الله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي: لم نجعلهم رجالاً فتغالبونهم، وإنما جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنسي الفريقين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرحمة، ولأنهم أشد بأساً وأقوى بطشاً فقوتهم أعظم من قوة الإنس والجن، ولذلك جعل رسول البشر من جنسهم ليكون له رأفة ورحمة بهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿إلا فتنة﴾ مفعول ثان على حذف مضاف أي إلا سبب فتنة، وللذين صفة لفتنة وليست فتنة مفعولاً له اهـ سمين.

قال الرازي: إنما صار هذا العدد سبباً لفتنة الكفار من وجهين، الأول: أن الكفار يستهزئون ويقولون لم لا يكونون عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد. والثاني: أن الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكون وافياً بتعذيب أكثر العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله تعالى إلى قيام الساعة؟

كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لم كانوا تسعة عشر؟ ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ ليستبين ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في كتابهم ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقاً لموافقة ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من

وأجيب عن الأول بأن هذا السؤال لازم عن كل عدد يفرض، وبأن أفعال الله لا تعلل فلا يقال فيها لم وتخصيص هذا العدد لحكمه اختص الله بها، وعن الثاني بأنه لا يبعد أن الله تعالى يعطي ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك، فقد اقتلع جبريل عليه السلام مدائن قوم لوط على أحد جناحيه ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها، وأيضاً فأحوال القيامة لا تقاس بأحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال اهـ خازن وخطيب.

قوله: ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ متعلق بجعلنا الثانية، وفي البيضاوي: وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر، فعبر بالأثر وهو الفتنة عن المؤثر وهو خصوص التسعة عشر تنبيهاً عن أنه لا ينفك عنه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم واستبعادهم، وأن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين، ولعل المراد الجعل ليحسن بالقول تعليله بقوله: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد ﷺ، وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقاً لما في كتابهم اهـ.

وقوله: ولعل المراد الخ جواب عما يقال كيف يصح جعلهم في نفس الأمر على هذا العدد معللاً باستيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين واستبعاد أهل الشك والنفاق، وليس إيجادهم تسعة عشر سبباً لشيء من ذلك، وإنما السبب لما ذكر هو الاخبار عن عددهم بأنه تسعة عشر. وتقرير الجواب أن الجعل يطلق على معنيين، أحدهما: جعل الشيء متصفاً بصفة في نفس الأمر. وثانيهما: الإخبار باتصافه بها، ويقال له الجعل بالقول أي وما جعلنا عدتهم بالإخبار عنها إلا عدداً يقتضي فتنتهم لاستيقان أهل الكتاب الخ أي: وقلنا ذلك وأخبرنا به لاستيقان الخ، وعبّر عن الإخبار بالجعل لمشاكلة قوله: وما جعلنا أصحاب النار الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿ولا يرتاب الذين﴾ الخ فإن قيل: قد أثبت الاستيقان لأهل الكتاب وزيادة الإيمان للمؤمنين، فما فائدة قوله: ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون؟ أجيب: بأن الإنسان إذا اجتهد في أمر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك، فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك، ففائدة هذه الجملة نفي ذلك الشك، وأنه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقبه شك البتة اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الإيمان ونفي لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة اهـ.

ولكن تقرير الشارح يقتضي التغاير حيث فسر الذين أوتوا الكتاب أولاً باليهود، وفسّر المؤمنين أولاً بمن آمن من اليهود وقيد الذين أوتوا الكتاب ثانياً، والمؤمنين ثانياً بقوله: من غيرهم أي من غير اليهود فالذين أوتوا الكتاب من غيرهم هم النصارى والمؤمنون من غيرهم بقية المسلمين تأمل.

غيرهم في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك بالمدينة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بمكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سموه لغرابته بذلك وأعرب حالاً ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة في قوّتهم وأعوانهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ﴾ أي سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى ألا ﴿وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ﴾ بفتح الذال

قوله: (بالمدينة) حال من الذين أي: حال كونهم بالمدينة، وهذا من الله إخبار بما سيقع لأن السورة نزلت قبل الهجوة بمكة، ومن رسول الله إخبار بالغيب فهو معجزة له حيث أخبر وهو بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة اهـ خطيب.

قوله: ﴿ماذا أراد الله﴾ مجموع الكلمتين استفهام فذا ملغاة أي شيء أراد الله، وهذا الاسم المركب مفعول مقدم، وقوله: وأعرب أي مثلاً حالاً أي من هذا، والمعنى على المشابهة أي هذا حال كونه مشابهاً للمثل وبين وجه الشبه بقوله لغرابته، ويصح أن تكون ما مبتدأ وذا موصول خبره وأراد الله صلة الموصول اهـ شيخنا.

قوله: (لغرابته) قال الرازي: إنما سموه مثلاً لأنه لما كان هذا العدد عدداً عجيباً ظن القوم أنه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه ما أشعر به ظاهره، بل جعله مثلاً لشيء آخر وتنبيهاً على مقصود آخر اهـ خطيب.

قوله: (أي مثل إضلال الخ) أشار به إلى أن الكاف في كذلك في محل نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي يضل إضلالاً مثل ذلك اهـ زاده.

قوله: (وهدى مصدقه) بوزن رمى بفتح أوله وسكون ثانيه، وبضم أوله وفتح ثانيه كعلي. قال في القاموس: هداه هداية وهدى وهدياً اهـ.

فالمصادر ثلاثة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر، والمعنى أن الخزنة تسعة عشر، ولهم أعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار اهـ خازن.

قوله: (في قوتهم) فقد ورد عن النبي ﷺ أن لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي الجبل عليهم اهـ أبو السعود.

قوله: (أي سقر) قال الخطيب: ثم رجع إلى ذكر سقر فقال: وما هي إلا ذكرى للبشر، وفي السمين: قوله: وما هي إلا ذكرى للبشر يجوز أن يعود الضمير على سقر أي وما سقر إلا تذكرة، وأن يعود على الآيات المذكورة فيها أو النار لتقدمها أو الجنود، أو نار الدنيا وإن لم يجر لهم ذكر أو العدة وللبشر مفعول بذكرى واللام فيه مزيدة اهـ.

قوله: ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ أي يتذكرون بها ويعلمون كمال قدرته تعالى، وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار اهـ شيخنا.

﴿أَدۡبَرَ ۝٣٣﴾ جاء بعد النهار، وفي قراءة إذ أدبر بسكون الذال بعدها همزة، أي مضى ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤﴾ ظهر ﴿إِنَّهَا﴾ أي سقر ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥﴾ البلايا العظام ﴿نَذِيرٗا﴾ حال من إحدى، وذكر

قوله: (استفتاح بمعنى ألا) وعلى هذا فالوقف على البشر تام ويستأنف بقوله: كلا والقمر الخ، فالوقف على كلا ليس يحسن اهـ كرخي.

وفي القرطبي: قال الفراء: كلا صفة للقسم، والتقدير: أي والقمر، وقيل: المعنى حقاً والقمر فلا يوقف على كلا على هذين التقديرين، وأجاز الطبري الوقف عليها وجعلها رداً للذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم، أي: ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار، ثم أقسم على ذلك جل وعز بالقمر وبما بعده اهـ.

وعبارة الكرخي: قوله: استفتاح بمعنى ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام المفيدة للتنبيه على تحقق ما بعدها، وقال النضر بن شميل: حرف جواب بمعنى أي ونعم وهو مذهب البصريين، وجعلها الزمخشري في الآية للإنكار أو الردع. قال الكافيجي: ولا منافاة بينه وبين كلام البصريين، فإن مدار كلامهم ما يتبادر من ظاهر القول ومدار كلامه على أساس البلاغة والاعجاز وهو أحسن اهـ.

وما سلكه الشيخ المصنف هو إلى ما استحسنه أقرب اهـ.

قوله: ﴿إذا أدبر﴾ قرأ نافع وحفص وحمزة إذ ظرفاً لما مضى من الزمان أدبر بزنة، أكرم والباقون إذا ظرفاً لما يستقبل دبر بزنة ضرب والرسم محتمل لكل منهما، فالصورة الخطية لا تختلف، واختار أبو عبيد قراءة إذا قال لأن بعده إذا أسفر قال: وكذلك هي في حرف عبد الله. قلت: يعني أنه مكتوب بألفين بعد الذال إحداهما ألف إذا، والأخرى همزة أدبر، واختار ابن عباس أيضاً إذ ويحكى عنه أنه لما سمع دبر قال: إنما يدبر ظهر البعير، واختلفوا هل دبر وأدبر بمعنى أو لا؟ فقيل: هما بمعنى واحد. يقال: دبر الليل والنهار وأدبر، وقبل وأقبل ومنه قولهم أمس الدابر، وأما أدبر الراكب وأقبل فرباعي لا غير هذا قول الفراء والزجاج، وقال يونس: دبر انقضى وأدبر تولى ففرق بينهما. وقال الزمخشري: ودبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل، وقيل: هو من دبر الليل النهار إذا خلفه، وقرأ العامة أسفر بالألف، وعيسى بن المفضل وابن السميقع سفر ثلاثياً، والمعنى طرح الظلمة من وجهه على وجه الاستعارة اهـ سمين.

وفي المختار: ودبر النهار ذهب وبابه دخل وأدبر مثله قال الله تعالى: ﴿والليل إذا أدبر﴾ [المدثر: ٣٣] أي تبع النهار وقرىء أدبر اهـ.

قوله: ﴿إنها لأحدى الكبر﴾ جواب القسم، وقوله: نذيراً للبشر فيه أوجه، أحدها: أنه تمييز عن إحدى لما تضمنه من معنى التعظيم، كأنه قيل: أعظم الكبر إنذاراً فنذير بمعنى الإنذار كنكير بمعنى الإنكار. والثاني: أنه مصدر بمعنى الإنذار أيضاً، ولكنه نصب بفعل مقدر قاله الفراء. الثالث: أنه فعيل بمعنى مفعل وهو حال من الضمير في إنها قاله الزجاج. الرابع: أنه حال من الضمير في إحدى لما تضمنت من معنى التعظيم، كأنه قيل: أعظم الكبر منذرة. الخامس: أنه حال من فاعل قم فأنذر أول

لأنها بمعنى العذاب ﴿لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من البشر ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير أو الجنة بالإيمان ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ إلى الشرّ أو النار بالكفر ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ وهم المؤمنون فناجون منها كائنون ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾

السورة. السادس: أنه مصدر منصوب بأنذر أول السورة. السابع: أنه حال من الكبر. الثامن: أنه حال من ضمير الكبر. التاسع: هو حال من إحدى الكبر قال ابن عطية. العاشر: أنه منصوب بإضمار أعني. وقيل: غير ذلك اهـ سمين.

قوله: ﴿أن يتقدم أو يتأخر﴾ أي أن يسبق أو يتخلف، وعبارة البيضاوي: أي نذيراً للمتمكنين من السبق إلى الخير والتخلف عنه اهـ.

ونظيره قوله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ [الحجر: ٢٤] أي في الخير، ولقد علمنا المستأخرين أي عنه قال الحسن: هذا وعيد وتهديد وإن خرج مخرج الخبر كقوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩] اهـ قرطبي.

قوله: ﴿كل نفس﴾ أي كافرة كانت أو مؤمنة عاصية أو غير عاصية، فالاستثناء متصل لأن المستثنى هو المؤمنون الخالصون من الذنوب، وقوله: رهينة أي على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رهينة﴾ (مرهونة) كالنطيحة، وهذا تبع فيه اختيار أبي حيان، ولهذا لما كان خبراً عن المؤنث أتى بالتاء، وأشار في الكشاف إلى أنه مصدر كالشتيمة أطلق، وأريد به المفعول كالرهن ولو كان صفة لقيل رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما كانت مرهونة لأن الله تعالى جعل تكليف عباده كالدين عليهم ونفوسهم تحت استيلائه وقهره، فهي مرهونة فمن وفي دينه الذي كلف به خلص نفسه من عذاب الله تعالى الذي نزل منزلة علامة الرهن، وهو أخذه في الدين ومن لم يوف عذب، وعلم مما تقرر أن الاستثناء متصل وهو أحد الرأيين في الآية، والثاني: أنه منقطع إذ المراد بهم الأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها أو الملائكة اهـ كرخي.

وهذا يقتضي أن الرهن في الدنيا في مدة حياة المكلف لكنه لا يلاقي كلام الشارح حيث قال: رهنية في النار أي: محبوسة في النار لتعذب بما عملت في الدنيا، وهذا يقتضي أن الاستثناء منقطع لأن أهل اليمين لم يحبسوا في النار تأمل. قوله: (مأخوذة بعملها) إشارة إلى أن ما مصدرية وإلى أن الكسب بمعنى العمل اهـ شيخنا.

قوله: (وهم المؤمنون) أي الخالصون من الذنوب، وقوله: فناجون أي فهم ناجون، وقوله: في جنات متعلق بمحذوف كما قدره هو خبر عن هذا المبتدأ المقدر أي هم في جنات، وهذه الجملة مستأنفة في جواب سؤال نشأ من الاستثناء، كأنه قيل: فما شأنهم وحالهم. وقوله: يتساءلون خبر آخر للمبتدأ أو مستأنف اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: في جنات يجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي هم في جنات، وأن يكون حالاً من أصحاب اليمين، وأن يكون حالاً من فاعل يتساءلون ذكرهما أبو البقاء ويجوز أن يكون ظرفاً

بينهم ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ وحالهم ويقولون لهم بعد إخراج الموحد من النار ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أدخلكم ﴿فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في الباطل ﴿مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ البعث والجزاء ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ الموت ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم ﴿فَمَا﴾

ليتساءلون وهو أظهر من الحالية من فاعله، ويتساءلون يجوز أن يكون على بابه أي يسأل بعضهم بعضاً، وأن يكون بمعنى يسألون أي يسألون غيرهم اهـ.

قوله: ﴿يتساءلون﴾ التفاعل على بابه أي يسأل بعضهم بعضاً كما أشار له بقوله بينهم، وقوله: عن المجرمين المراد بهم الكافرون أي عن حال المجرمين، فالكلام على حذف المضاف كما أشار له بقوله وحالهم، وهذا التساؤل فيما بينهم قبل أن يروا المجرمين، فلما يرونهم يسألونهم ويقولون في سؤالهم ما سلككم الخ، فالسؤال فيما بينهم عن حال المجرمين غير سؤالهم لهم مشافهة، فقوله: ما سلككم معمول لمحذوف قدره بقوله: ويقولون، وهذا السؤال في حال كون المؤمنين في الجنة والمجرمين في النار على حد قوله: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ [الأعراف: ٤٤] الآية، وقوله: بعد إخراج الخ لعل التقييد بلا لئلا ينكسر خاطر هؤلاء الموحدين لو وقع السؤال، وهم في النار فيظنون أنهم من جملة المخاطبين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما سلككم﴾ ما استفهامية مبتدأ والاستفهام لتوبيخهم والتعجب من حالهم، وإلاَّ فالمؤمنون عالمون بسبب دخولهم النار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ أي نعطيه ما يجب علينا إعطاؤه له كنذر وكفارة وزكاة اهـ خطيب.

قوله: ﴿وكنا نخوض﴾ أي نشرع في الباطل مع الخائضين، فنقول في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، وغير ذلك من الأباطيل لا نتورع عن شيء من ذلك ولا نقف مع عقل ولا نرجع إلى صحيح نقل، فمن هذا يحذر الذين يبادرون بالجواب في كل ما يسألون عنه من أنواع العلم من غير تثبت اهـ خطيب.

قوله: ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ أخره لتعظيمه، وهذا تخصيص بعد تعميم لأن الخوض في الباطل عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره أي: وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم القيامة، والصحيح أن الآية في الكفار أي لم نكن من أهل الصلاة، وكذلك البقية ولا تصح منهم هذه الطاعات، وإنما يتأسفون على فوات ما ينفع وقال القاضي: فيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع، فقول صاحب الكشاف يحتمل أن يدخل بعضهم النار بمجموع ذلك وهو ترك الصلاة وترك الإطعام والخوض في الباطل مع الخائضين والتكذيب بيوم القيامة، وبعضهم بمجرد ترك الصلاة أو ترك الإطعام تخيل منه، كما قال صاحب الانتصاف: إن تارك الصلاة يخلد في النار اهـ كرخي.

قوله: ﴿حتى أتانا اليقين﴾ غاية في الأمور الأربعة اهـ شيخنا.

قوله: (والمعنى لا شفاعة لهم) أي فالنفي مسلط على المقيد وقيده، وليس المراد أن ثم شفاعة

مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ حال من الضمير، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ وحشية ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ أسد أي هربت منه أشد الهرب ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ أي من

نافعة كما يتوهم من ظاهر اللفظ من حيث إن الغالب في النفي إذا دخل على مقيد بقيد أن يتسلط على القيد فقط اهـ شيخنا.

قوله: (انتقل ضميره) أي ضمير هذا المحذوف أي الضمير الذي كان مستكناً فيه، وقوله: إليه أي إلى هذا الخبر الذي هو الجار والمجرور، وهذا على القاعدة في الجار والمجرور إذا وقع خبراً وحذف متعلقه اهـ شيخنا.

قوله: (حال من الضمير) ظاهره أنه الضمير المستكن في الخبر، وبه صرح السمين وغيره، والظاهر أنه لا يصح لأن المستكن في الخبر عائد على ما، وهي عبارة عن شيء وسبب، ومعرضين وصف للأشخاص أنفسهم فلا يصح كونه وصفاً لأسباب الإعراض على القاعدة في أن الحال وصف لصاحبها، فالصحيح المتعين أنه حال من الضمير المجرور باللام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كأنهم حمر﴾ حال من الضمير المستكن في معرضين فهي حال متداخلة، والمعنى على المشابهة أي حال كونهم مشابهين للحمر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مستنفرة﴾ قرىء في السبع بكسر الفاء وفتحها، فالأولى: بمعنى أنها نافرة، والثاني: بمعنى نفرها الأسد أو الصياد، فقول الشارح وحشية ليس تفسير المستنفرة كما يتوهم من صنيعه، فكان الأولى له تقديمه على مستنفرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من قسورة﴾ وفي المختار: القسور والقسورة الأسد اهـ، وقيل: القسورة الجماعة الرماة الذين يصطادونها لا واحد له من لفظه، والقسورة بين القسر أي القهر، وعند العرب كل ضخم شديد فهو قسورة أي يطلق عليه هذا اللفظ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل يريد كل امرىء منهم﴾ الخ إضراب انتقالي عن محذوف هو جواب الاستفهام السابق، كأنه قيل: فلا جواب لهم عن هذا السؤال أي لا سبب لهم في الإعراض، بل يريد الخ اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وذلك أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا: يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك، ونظيره: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً تقرؤه، وعن ابن عباس: كانوا يقولون إن كان محمد صادقاً ليصبحن عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار، وقال الكلبي: إن المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوباً عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك، وقالوا: إذا كانت ذنوب الإنسان تكتب عليه فما لنا لا نرى ذلك اهـ.

قوله: ﴿منهم﴾ قال المفسرون: أي من كفار قريش اهـ خازن.

الله تعالى باتباع النبي كما قالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ أي عذابها ﴿كَلَّآ﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ عظة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ قرأه فاتعظ به ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بأن يتقى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

قوله: ﴿منشرة﴾ أي منشورة أي غير مطوية أي طرية لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها، وهذا من زيادة تعنتهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿منشرة﴾ أي مبسوطة غير مطوية يقرؤها كل من رآها.

قوله: (كما قالوا) أي ونظير ذلك ما قالوا الخ كما تصرح به عبارة الخطيب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ إضراب انتقالي لبيان سبب هذا التعنت والاقتراح، وعبارة الخازن: والمعنى أنهم لو خالفوا النار لما اقترحوا هذه الآية بعد قيام الأدلة، لأنه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة إنما هو تعنت اهـ.

قوله: (استفتاح) أي بمعنى ألا الاستفتاحية أي أو ردع لمن أنكرها أو إنكار لأن يتذكروا بها قاله القاضي كالكشاف اهـ كرخي.

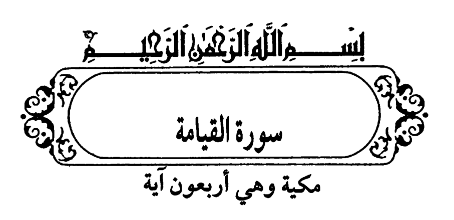
قوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ من شرطية وشاء شرطها وذكره جوابها اهـ شيخنا.

قوله: (بالياء) أي مراعاة لمعنى من قوله: والتاء أي على سبيل الالتفات وهما سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ قال في الكشاف: يعني إلا أن يقسرهم على الذكر. قال الإمام: إنه تعالى نفى الذكر مطلقاً، واستثنى منه حال المشيئة المطلقة فيلزم أنه متى حصلت المشيئة يحصل الذكر، فحيث لم يحصل الذكر علمنا أنه لم تحصل المشيئة وتخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر، وقال: وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿هو أهل التقوى﴾ أي أن يتقيه عباده ويحذروا غضبه بكل ما تصل قدرتهم إليه وأهل المغفرة أي: وحقيق أن يطلب غفرانه للذنوب لا سيما إذا اتقاه المذنب، لأن له الجمال واللطف وهو القادر ولا قدرة لغيره فلا ينفعه شيء ولا يضره. روى أحمد والترمذي والحاكم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية «هو أهل التقوى وأهل المغفرة» يقول الله تعالى أنا أهل أن أتقى فمن اتقى أن يشرك بي غيري فأنا أهل أن اغفر له اهـ خطيب والله أعلم.

قوله: (بأن يتقى) أشار بهذا إلى أن التقوى مصدر الفعل المبني للمجهول أي هو حقيق بأن يتقى عقابه، وقوله: بأن يغفر أشار به إلى أن المغفرة مصدر الفعل المبني للفاعل أي هو حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه اهـ.



سورة القيامة

مكية وهي أربعون آية

﴿لَآ﴾ زائدة في الموضعين ﴿أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ التي تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف أي لنبعثن دلّ عليه ﴿أَيَحۡسَبُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (لا زائدة في الموضعين) عبارة الخطيب، واختلف في لا في قوله: لا أقسم على أوجه، أحدها: أنها نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث أي ليس الأمر كما زعموا، ثم ابتدأ أقسم بيوم القيامة. قال القرطبي: إن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالرد عليهم كقولك: لا أفعل فلا رد لكلام قد قضي كقولك: لا والله إن القيامة لحق كأنك أكذبت قوماً أنكروه. والثاني: أنها مزيدة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب، واعترضوا هذا بأنها إنما يزاد في وسط الكلام لا في أوله. وأجيب: بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض يدل على ذلك أنه قد يجيء ذكر الشيء في سورة، ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ [الحجر: ٦] وجوابه في سورة أخرى: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ وإذا كان كذلك كان أول هذه السورة جارياً مجرى الوسط، ورد هذا بأن القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا في أن تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز. الثالث: قال الزمخشري: إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم، وفائدتها توكيد القسم، وقرأ ابن كثير: بخلاف عن البزي بغير ألف بعد اللام والهمزة مضمومة، والباقون بالألف ويعبر عن قراءة ابن كثير بالقصر، وعن قراءة الباقين بالمد ولا خلاف في قوله تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ في المد، والكلام في لا هنا كالمتقدم، وجرى الجلال المحلي على زيادتها في الموضعين اهـ.

قوله: (التي تلوم نفسها) أي في الدنيا، وقوله: وإن اجتهدت أي سواء اجتهدت في الإحسان أي الطاعة أو قصرت، وإذا اجتهدت تلوم نفسها على عدم الزيادة، وإذا قصرت تلوم نفسها على التقصير اهـ شيخنا.

وقد روي أنه عليه السلام قال: «ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة. إن عملت خيراً قالت كيف لم أزدد، وإن عملت شراً قالت ليتني أقصرت عن الشر» وضمها إلى يوم القيامة في القسم بهما، لأن المقصود من إقامة القيامة مجازاة النفوس اهـ بيضاوي.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي الكافر ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ للبعث والإحياء ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ وهو الأصابع، أي نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه بأن مقدرة، أي أن يكذب ﴿أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ أي يوم القيامة دلّ عليه

فهو من بديع القسم لتناسب الأمرين المقسم بهما حيث أقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقيقة البعث والجزاء اهـ زاده.

قوله: ﴿أيحسب الإنسان﴾ الخ استفهام تقريع وتوبيخ. قوله: ﴿ألن نجمع﴾ تكتب موصولة هنا، فليس بين الهمزة واللام نون في الرسم كما ترى اهـ خطيب.

وإن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولن وما في حيزها في موضع الخبر، والفاصل هنا حرف النفي وإن المخففة وما في حيزها سادة مسد مفعولي حسب أو مفعوله على الخلاف اهـ سمين.

أي في أنه يتعدى لمفعولين أو لواحد، ولا يصح أن تكون مصدرية لئلا يلزم عليه دخول الناصب على مثله اهـ.

قوله: ﴿قادرين﴾ حال من فاعل الفعل المقدر المدلول عليه بحرف الجواب كما قدره الشارح بقوله: تجمعها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: بلى إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام، والعامة على نصب قادرين وفيه قولان، **أشهرهما**: أنه منصوب على الحال من فاعل الفعل المقدر المدلول عليه بحرف الجواب، أي: بل نجمعها قادرين. والثاني: أنه منصوب على خبر كان مضمرة أي بلى كنا قادرين في الابتداء وهذا ليس بواضح، وقرأ ابن أبي عبلة: قادرون رفعاً على خبر ابتداء مضمر أي بلى نحن قادرون اهـ.

قوله: ﴿بنانه﴾ جمع أو اسم جمع لبنانة، قولان اهـ شيخنا.

وفي المختار: البنانة واحد البنان وهي أطراف الأصابع، ويقال: بنان مخضب لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء فإنه يؤنث ويذكر اهـ.

قوله: (كما كانت) أي: في الدنيا اهـ.

قوله: ﴿بل يريد الإنسان﴾ الخ بل لمجرد الاضراب الانتقالي من غير عطف أضرب عن الكلام الأول وأخذ في آخر، ويصح أن تكون عاطفة. قال الزمخشري: بل يريد عطف على أيحسب، فيجوز أن يكون مثله استفهاماً، وأن يكون إيجاباً اهـ سمين.

قوله: (ونصبه بأن مقدرة) أي والمصدر المنسبك منه ومن أن مفعول يريد، وقوله: أي أن يكذب أي بالبعث، وقوله: أمامه منصوب على الظرف وأصله اسم مكان فاستعير هنا للزمان والضمير للإنسان اهـ سمين.

وتصح الظرفية على أن المعنى بل يريد الإنسان ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان لا يبرح عن هذا الفجور ولا يتوب اهـ من الخطيب.

﴿ يَسْئَلُ أَيَّانَ ﴾ متى ﴿ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ ﴾ بكسر الراء وفتحها، دهش وتحير لما رأى مما كان يكذب به ﴿ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ ﴾ أظلم وذهب ضوؤه ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ ﴾ فطلعا من المغرب أو ذهب ضوؤهما، وذلك في يوم القيامة ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ ﴾ الفرار ﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿ لَا وَزَرَ ۝١١ ﴾ لا ملجأ يتحصن به ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

وفي زاده: ومفعول يريد محذوف، والمعنى بل يريد الإنسان الثبات على ما هو عليه من عدم التقييد بقيد الإيمان والطاعة ليدوم على فجوره فيما بقي من عمره، وفسر ليفجر بقوله ليدوم على فجوره، لأنه في هذه الحالة ملتبس بالفجور وهو حسبان ما لا يجوز في حقه تعالى كأنه قيل: ليس إنكاره للبعث لاشتباه الأمر عليه وعدم الدليل على صحة البعث، بل يريد أن يستمر على فجوره في حال كونه سائلاً على سبيل الاستهزاء أيان يوم القيامة اهـ.

وهذا المعنى وإن كان صحيحاً لكنه لا يلاقي صنيع الشارح فإنه يقتضي أن أمامه منصوب بنزع الخافض حيث فسره بيوم القيامة، وفسر يفجر بيكذب وهو تفسير ابن عباس، وقد نقله الخطيب فقال: وقال ابن عباس: يكذب بما أمامه من البعث والحساب اهـ.

قوله: ﴿يسأل أيان﴾ الخ هذه الجملة مستأنفة، وقال أبو البقاء: تفسير ليفجر فتكون مفسرة مستأنفة أو بدلاً من الجملة قبلها، ون التفسير يكون بالاستئناف وبالبدل اهـ سمين.

وأيان: خبر مقدم، ويوم القيامة مبتدأ مؤخر اهـ.

قوله: ﴿فإذا برق البصر﴾ قرأ نافع برق بفتح الراء، والباقون بالكسر، فقيل: هما لغتان في التحير والدهشة، وقيل: برق الكسر تحير فزعاً. قال الزمخشري: وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. قال غيره: كما يقال أسد وبقر إذا رأى أسداً وبقراً كثيرة فتحير من ذلك، وبرق بالفتح من البريق أي لمع من شدة شخوصه اهـ سمين.

فقول الشارح: دهش وتحير راجع للقراءتين اهـ.

والأول من باب طرب، والثاني من باب دخل كما في المختار. قوله: (فطلعا من المغرب) قال ابن عباس، وابن مسعود: قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران في النار اهـ خطيب.

قوله: (وذلك) أي: المذكور من الأمور الثلاثة في يوم القيامة اهـ شيخنا.

لكن فيه أن طلوع الشمس والقمر من مغربهما ليس في يوم القيامة بل قبله بمائة وعشرين سنة، إلا أن يقال: المراد بيوم القيامة ما يشمل وقت مقدماته من الأمور العظام اهـ.

قوله: ﴿يقول الإنسان﴾ جواب إذا، وقوله: يومئذ أي: يوم إذ برق البصر الخ. وقوله: أين المفر أي: من الله أو من النار احتمالان اهـ خطيب.

وأين خبر والمفر مبتدأ. قوله: (لا ملجأ يتحصن به) أي: من جبل أو حصن أو سلاح وخبر لا

﴿ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ مستقر الخلائق فيحاسبون ويجازون ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ بأول عمله وآخره ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾ شاهدة تنطق جوارحه بعمله، والهاء للمبالغة، فلا بدّ من جزائه

محذوف أي: لا وزر له اهـ سمين.

قوله: ﴿إلى ربك يومئذ﴾ أي: يوم إذ كانت هذه الأمور المذكورة وقوله: المستقر مبتدأ خبره الجار قبله، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الاستقرار، وأن يكون مكان الاستقرار، ويومئذ منصوب بفعل مقدر ولا ينتصب بمستقر، لأنه إن كان مصدراً فلتقدمه عليه وإن كان مكاناً فلا عمل له البتة اهـ سمين.

وفي البيضاوي: إلى ربك يومئذ المستقر إليه وحده استقرار العباد، أو إلى حكمه استقرار أمرهم، أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار اهـ.

ومعنى كون استقرارهم إليه أنه لا ملجأ غيره اهـ.

قوله: ﴿ينبأ﴾ أي: يخبر الإنسان يومئذ، أي: يوم إذ كانت هذه الأمور الثلاثة اهـ خطيب.

قوله: (بأول عمله الخ) عبارة البيضاوي: بما قدم وأخر أي: بما قدم من عمل عمله، وبما أخر منه لم يعمله، أو بما قدم من عمل عمله، وبما أخر من سيئة عمل بها بعده، أو بما قدم من مال تصدق به، وبما أخر فخلفه، أو بأول عمله وآخره اهـ.

قوله: ﴿بل الإنسان﴾ مبتدأ، وبصيرة خبر، وقوله: تنطق جوارحه يشير بهذا إلى أن المراد بالإنسان الجوارح، وهو قول ذكره السمين ونصه: قوله بصيرة يجوز فيها أوجه، أحدهما: أنه خبر عن الإنسان وعلى نفسه متعلق ببصيرة، والمعنى بل الإنسان بصيرة على نفسه وعلى هذا فلأي شيء أنث الخبر. وقد اختلف النحويون في ذلك فقال بعضهم: الهاء فيه للمبالغة، وقال الأخفش: هو كقولك فلان عبرة وحجة، وقيل: المراد بالإنسان الجوارح، فكأنه قال بل جوارحه بصيرة أي: شاهدة. والثاني: أنها مبتدأ وعلى نفسه خبرها، والجملة خبر عن الإنسان وعلى هذا ففيها تأويلات، أحدها: أن تكون بصيرة صفة لمحذوف أي: عين بصيرة، الثاني: أن المعنى جوارح بصيرة، الثالث: أن المعنى ملائكة بصيرة، والتاء على هذا للتأنيث، وقال الزمخشري: بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ [النمل: ١٣] قلت: هذا إذا لم تجعل عبارة عن الإنسان، أو يجعل دخول التاء للمبالغة، أما إذا كانت للمبالغة فنسبة الإبصار إليها حقيقة. الثالث: من الأوجه السابقة: أن يكون الخبر الجار والمجرور، وبصيرة فاعل به وهو أرجح مما قبله لأن الأصل في الإخبار الإفراد اهـ.

قوله أيضاً: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ لما قال ينبأ الإنسان يومئذ الخ قال بعده: بل الإنسان على نفسه بصيرة أي فلا يحتاج إلى أن يخبر بذلك، بل هو شاهد على نفسه بذلك ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [النور: ٢٤] اهـ زاده.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ جمع معذرة على غير قياس، أي لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه قال تعالى لنبيه ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ خوف أن ينفلت منك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ قراءتك إياه، أي جريانه على لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ استمع قراءته، فكان ﷺ يستمع ثم يقرؤه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾

قوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ الجملة حالية من الفاعل المستكن في بصيرة ولو شرطية، فلذلك قدر الشارح جوابها اهـ شيخنا.

والمعاذير جمع معذرة على غير قياس كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر. وللنحويين في مثل هذا قولان أحدهما: أنه جمع للملفوظ به وهو لقحة. والثاني: أنه جمع لغير ملفوظ به بل مقدر أي: ملقحة ومذكار. وقال الزمخشري: فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن يجمع على معاذر بدون الياء لا على معاذير؟ قلت: المعاذير ليست جمع معذرة بل اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر. قال الشيخ: وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع، وإنما هو من أبنية جموع التكسير اهـ وهو صحيح.

وقيل: معاذير جمع معذار وهو الستر، فالمعنى ولو أخرى ستوره، والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك والسدي، وقال الزمخشري: فإن صح أن المعاذير الستور فلأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة الذنب، قلت: هذا القول منه يحتمل أن يكون بياناً للمعنى الجامع بين كونه المعاذير الستور أو الاعتذارات، وأن يكون بياناً للعلاقة المسوغة للتجوز اهـ سمين.

قوله: (أي لو جاء بكل معذرة الخ) أي: فشبه المجيء بالعذر بإلقاء الدلو في البئر للاستقاء به، فيكون فيه تشبيه لذلك بالماء المزيل للعطش اهـ شهاب.

قوله: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ عبارة البيضاوي: لا تحرك يا محمد به بالقرآن لسانك قبل أن يتم وحيه، لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة أن يتفلت منك إن علينا جمعه في صدرك وقرآنه وإثبات قراءته في لسانك وهو تعطيل للنهي، فإذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه قراءته، وكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك، ثم إن علينا بيانه ما أشكل عليك من معانيه، وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة، لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره اهـ.

قوله: ﴿لتعجل به﴾ أي: بقراءته وحفظه، وقوله: إن علينا الخ تعليل للنهي عن العجلة اهـ خطيب.

قوله: ﴿وقرآنه﴾ مصدر مضاف للمفعول كما أشار له الشارح.

قوله: ﴿فإذا قرأناه﴾ أي: شرعنا في قراءته بدليل قوله: فاتبع قرآنه على تفسير الشارح له فاستمع والإسناد مجازي من قبيل إسناد ما هو للمأمور للآمر فهو قريب من قولهم من قبيل الإسناد إلى المسبب، وقد بيَّن الشارح حقيقة الإسناد بقوله بقراءة جبريل اهـ شيخنا.

قوله: (فاستمع قرآنه) فسره غيره بقوله فاقرأ أنت بعد فراغنا من القراءة وكرر قراءتك ليرسخ في

بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها، أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى ألا ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ الدنيا، بالياء والتاء في الفعلين ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ فلا يعملون لها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي في يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ حسنة مضيئة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ كالحة شديدة العبوس ﴿تَظُنُّ﴾ توقن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ داهية عظيمة تكسر فقار الظهر ﴿كَلَّا﴾

ذهنك تأمل. قوله: (بالتفهيم) أي: تفهيم ما أشكل عليك من معانيه اهـ بيضاوي.

قوله: (والمناسبة بين هذه الآية) أي: قوله لا تحرك الخ، والمراد بالآية الجنس وإلا فالمذكور ثلاث آيات وقوله: وما قبلها وهو قوله: ﴿أيحسب الإنسان﴾ إلى قوله: ﴿معاذيره﴾ وقوله: تضمنت الخ أي: لأنها في منكر البعث وهو كافر معرض عن القرآن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل يحبون العاجلة﴾ الضمير راجع للإنسان المذكور في قوله: أيحسب الإنسان وفي قوله: بل يريد الإنسان، وجمع الضمير لأن المراد بالإنسان الجنس اهـ شيخنا.

قوله: (بالياء والتاء) فالياء على سبيل الالتفات والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ وجوه مبتدأ وناضرة خبر، ويمئذ منصوب بالخبر، وسوغ الابتداء بالنكرة هنا العطف عليها، وكون الموضع موضع تفصيل كقوله:

فثوبا لبست وثوباً أجر

وناظرة: خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف، وإلى ربها متعلق بناظرة. وعبارة السمين: قوله: وجوه يومئذ ناضرة فيه وجهان، أحدهما: أن يكون وجوه مبتدأ وناضرة نعت له، ويومئذ منصوب بناضرة، وناظرة خبره وإلى ربها متعلق بالخبر، والمعنى أن الوجوه الحسنة يوم القيامة ناظرة إلى الله تعالى، وهذا معنى صحيح وتخريج سهل، والناضرة من النضرة وهي التنعم ومنه غصن ناضر. الثاني: أن يكون وجوه مبتدأ أيضاً، وناضرة خبره، ويومئذ منصوب بالخبر كما تقدم، وسوغ الابتداء هنا بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل، ويكون ناظرة نعتاً لوجوه أو خبر ثانياً أو خبر لمبتدأ محذوف، وإلى ربها متعلق بناظرة كما تقدم اهـ.

قوله: (أي في يوم القيامة) تفسير لمعنى الظرفية، وأما ما عوض عنه التنوين في إذ فلم يبينه، وقد بينه الخطيب بقوله: يومئذ تقوم القيامة اهـ.

قوله: (فقار الظهر) بفتح الفاء كما في القاموس وهو جمع فقارة بفتح الفاء، وفي المصباح: فقرت الداهية الرجل فقراً من باب قتل نزلت به فهو فقير فعيل بمعنى مفعول، وفقارة الظهر بالفتح الخرزة والجمع فقار بحذف الهاء مثل سحابة وسحاب، قال ابن السكيت: ولا يقال فقارة بالكسرة والفقرة لغة في الفقارة، وجمعها فقر وفقرات مثل سدرة وسدر وسدرات اهـ.

وفي القاموس: والفقر بالكسر والفقرة والفقارة بفتحهما ما يتصل من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب اهـ.

بمعنى ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس ﴿ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ عظام الحلق ﴿وَقِيلَ﴾ قال من حوله ﴿مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾﴾ يرقيه ليشفى ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ فراق الدنيا ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ أي

قوله: ﴿إذا بلغت﴾ (النفس) أي: نفس المحتضر مؤمناً كان أو كافراً، وإنما أضمرت وإن لم يجر لها ذكر لأن السياق يدل عليها، وقوله: التراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر يميناً وشمالاً ولكل إنسان ترقوتان اهـ خطيب.

فقول الشارح: عظام الحلق فيه مسامحة، ولعله أضافها إليها لقربها منه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقيل من راق﴾ هذا الفعل وما بعده من الفعلين معطوف على بلغت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من راق﴾ مبتدأ وخبر، وهذه الجملة هي القائمة مقام الفاعل، وهذا الاستفهام يجوز أن يكون على بابه، وأن يكون استبعاداً وإنكاراً، وراق اسم فاعل إما من رقى يرقي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع من الرقية وهي كلام معد للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى، وفي الحديث: «وما أدراك أنها رقية» يعني الفاتحة وهي من أسمائها، وإما من رقي يرقى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع من الرقي وهو الصعود أي أن الملائكة تقول من يصعد بهذه الروح يقال رقي بالفتح وبالكسر من الرقية من الرقي اهـ سمين.

وفي القرطبي: وعن ابن عباس وأبي الجوزاء: أنه من رقي يرقى إذا صعد، والمعنى من يرقى بروحه إلى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب، وقيل: إن ملك الموت يقول من راق أي: من يرقى بهذه النفس أي يقول ملك الموت يا فلان اصعد بها اهـ.

وقوله أملائكة الرحمة، قيل: إن هذا لا يناسب قوله بعد، فلا صدق ولا صلى الخ يدفعه أن الضمير للإنسان، والمراد به الجنس وكذا ما قبله من تقسيم الوجوه إلى الناضرة والباسرة، والاقتصار بعده على أحوال بعض الفريقين لا ينافي عموم ما قبله اهـ شهاب.

قوله: (أيقن من بلغت نفسه الخ) وسمي اليقين ظناً لأن الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فإنه يطمع في الحياة لشدة حبه لها ولا ينقطع رجاؤه منها، وقوله: أنه أي: ما نزل به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والتفت الساق﴾ أي: التصقت واختلطت، وفي القرطبي: والتفت الساق بالساق أي: اتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة قاله ابن عباس والحسن وغيرهما، وقال الشعبي وغيره: المعنى التفت ساق الإنسان عند الموت من شدة الكرب، وقال قتادة: أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى، وقال سعيد بن المسيب، والحسن أيضاً: هما ساقا الإنسان إذا التفتا في الكفن، وقال زيد بن أسلم: التفت ساق الميت بساق الكفن، وقال الحسن أيضاً: مات رجلاه ويبست ساقاه فلم يحملاه، ولقد كان عليهما جوالاً، وقال النحاس: القول الأول أحسنها. روي عن ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: والتفت الساق بالساق قال: آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله أي: شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، وقال الضحاك، وابن زيد: اجتمع عليه أمران شديدان الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه اهـ.

إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو التفت شدَّة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ أي السوق، وهذا يدل على العامل في إذا، المعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١﴾ أي لم يصدق ولم يصل ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣﴾ يتبختر في مشيته إعجاباً ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ فيه التفات

قوله: (بشدة إقبال الآخرة) أي: لما فيه من الأهوال اهـ.

قوله: ﴿إلى ربك يومئذ﴾ التنوين عوض عن جمل أربع أي: إذا بلغت الروح التراقي الخ. وقوله: المساق أي السوق إلى حكمه تعالى، فقد انقطعت عنه أحكام الدنيا، فإما أن تسوقه الملائكة إلى سعادة وإما إلى شقاوة اهـ خطيب.

قوله: (وهذا) أي: قوله: إلى ربك يومئذ المساق، وقوله: يدل على العامل في إذا أي: الذي هو جوابها، وقد بيّنه بقوله تساق إلى حكم ربها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فلا صدق﴾ معطوف على قوله: أيحسب الإنسانُ أن لن نجمع عظامه، وقوله: يسأل أيان يوم القيامة أي: فصدق التصديق كما يشير له الشارح. أي: فلا صدق بالقرآن ودخلت لا على الماضي وهو صحيح عند بعضهم وقوله: ولا صلى أي: الصلاة الشرعية فهو ذم له بترك العقائد والفروع، ولما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه، وبيَّن أن المراد منه خصوص التكذيب، فقال: ولكن كذب وتولى ولم يستدرك على نفي الصلاة لأنه لا يصدق إلا بصورة واحدة فلم يحتج للاستدراك عليه اهـ شيخنا.

وقيل: صدق من التصديق، والمعنى فلا صدق بشيء يدخره عند الله تعالى اهـ قرطبي.

قوله أيضاً: ﴿فلا صدق﴾ (الإنسان) يريد أن فاعل صدق هو الإنسان المذكور في أول السورة عند قوله: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بدليل قوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ لأنه تكرير للمعنى بعد طول الكلام، فعلى هذا الفاء عطفت هذه الجملة على جملة قوله: يسأل أيان يوم القيامة تعجيباً من حال الإنسان الكافر يعني يسأل عن يوم القيامة، فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى أي: يسأل وما استعد له إلا بما يوجب دماره وهلاكه، وأما قوله: فإذا برق البصر فجواب عن السؤال. وقوله: لا تحرك به لسانك تخلص إلى ما استطرد من أحوال النبي ﷺ أقحم الجواب بين المعطوف والمعطوف عليه لشدة الاهتمام والاستدراك هنا واضح لأنه لا يلزم من نفي التصديق والصلاة التكذيب والتولي، لأن كثيراً من المسلمين كذلك، فاستدرك ذلك بأن سببه التكذيب والتولي، ولهذا يضعف أن يحمل نفي التصديق على نفي تصديق النبي ﷺ لئلا يلزم التكرار فتقع لكن بين متوافقين ولا يجوز اهـ كرخي.

قوله: ﴿ثم ذهب﴾ قال الإمام: هذا ذكر لما يتعلق بدنياه بعد ذكر ما يتعلق بدينه، وثم للاستبعاد لأن من صدر عنه مثل ذلك ينبغي أن يخاف من حلول غضب الله به فيمشي خائفاً متطامناً لا فرحاً متبختراً اهـ شهاب.

عن الغيبة، والكلمة اسم فعل، واللام للتبيين، أي وليك ما تكره ﴿فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ أي فهو أولى بك من غيرك ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ تأكيد ﴿أَيَحْسَبُ﴾ يظن ﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ هملاً لا يكلف

قوله: ﴿يتمطى﴾ جملة حالية من فاعل ذهب، وقد يجوز أن يكون بمعنى شرع في التمطي. وتمطى فيه قولان، أحدهما: أنه من المطا والمطا الظهر، ومعناه يتبختر أي: يمد مطاه ويلويه تبختراً في مشيته. والثاني: أن أصله يتمطط من تمطط أي: تمدد، ومعناه أنه يتمدد في مشيته تبختراً، ومن لازم التبختر ذلك فهو يقرب من معنى الأول ويفارقه في مادته إذ مادة المطا م ط و، ومادة الثاني م ط ط، وإنما أبدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الأمثال، والمطيطاء التبختر ومد اليدين في المشي، والمطيط الماء الخاثر أسفل الحوض لأنه يتمطط أي: يمتد فيه اهـ سمين.

قوله: (والكلمة اسم فعل) أي: مبنية على السكون لا محل لها من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر يعود على ما يفهم من السياق وهو كون هذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه، وقوله: للتبيين أي: تبيين المفعول وهي في المعنى زائدة على حد سقيا لك، وقوله: أي وليك بيان الفعل الذي سمي، ودل عليه بأولى لك، والكاف مفعول به، وقوله: ما تكره بيان للفاعل الذي هو ضمير مستتر يعود على ما تقدم، وقوله: فهو أولى بك أي: بالكلمة الثانية أفعل تفضيل، فدلت الأولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه، ودلت الثانية على الدعاء عليه بأن يكون الثانية أفعل تفضيل، فدلت الأولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه، ودلت الثانية على الدعاء عليه بأن يكون أقرب إليه من غيره هذا ما سلكه الشارح في تقرير هذا المقام وانفرد به عن غيره من المفسرين وهو حسن جداً اهـ شيخنا.

وتقدم في سورة القتال عن السمين كلام مبسوط فراجعه اهـ.

قوله: (أي وليك) أي: قرب منك ما تكره أي: المكروه، وقوله: من غيرك في نسخة من غيره.

وقال محيي السنة: وقيل: معناه أنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به، وقيل: هو أفعل من الولي وهو القرب. قال الأصمعي: معناه قاربه ما يهلكه. قال ثعلب: لم يقل أحد في أولى أحسن، وأصح مما قاله الأصمعي وكرره مراراً بقوله فأولى، ثم أولى لك فأولى مبالغة في التهديد والوعيد فهو تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد، كما أشار إليه بقوله: تأكيد، وقال في غرة التزيل: اللفظة مشتقة من ولي يلي إذا قرب منه قرب مجاور، فكأنه قيل: الهلاك قرب منك قرب مجاور لك بل هو أولى وأقرب، وأما تكرير اللفظ فالأول يراد به الهلاك في الدنيا، والثاني في الأخرى اهـ كرخي.

قوله: (تأكيد) أي الكلمة الأولى من هاتين تأكيد للأولى، والثاني تأكيد للثاني اهـ.

قوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ أي: مهملاً لا يكلف ولا يجازى، وهو يتضمن تكرير إنكاره للحشر والدلالة عليه من حيث إن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح، والتكليف لا يتحقق إلا بالمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿سدى﴾ حال من فاعل يترك ومعناه مهملاً، يقال: إبل سدى أي: مهملة، وأسديت حاجتي أي: ضيعتها، ومعنى أسدى إليه معروفاً أنه جعله بمنزلة الضائع عند المسدى إليه لا يذكره ولا يمن به عليه اهـ سمين.

بالشرائع، أي لا يحسب ذلك ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ أي كان ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ بالياء والتاء تصب في الرحم ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ المنيّ ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ الله منها الإنسان ﴿فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ عدل أعضاءه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ من المنيِّ الذي صار علقة أي قطعة دم، ثم مضغة أي قطعة لحم ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الفعال لهذه الأشياء ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ قال ﷺ: بلى.

وفي المصباح: والسدي وزان الحصى من الثوب خلاف اللحمة وهو ما يمد طولاً في النسج، وأسديت الثوب أقمت سداه، والسدي أيضاً ندى الليل وبه يعيش الزرع، وسديت الأرض فهي سدية من باب تعب كثر سداها، وسدا الرجل سدوا من باب قال مديده نحو الشيء، وسدا البعير سدواً مدَّ يده في السير، وأسديته بالألف تركته سدى أي: مهملاً، وأسديت إليه معروفاً اتخذته عنده اهـ.

قوله: (لا يحسب ذلك) أي: لا ينبغي له ولا يليق منه هذا الحسبان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألم يك نطفة﴾ الخ استدلال على قوله سابقاً: قادرين على أن نسوي بنانه، وقوله: أي كان أي فالاستفهام إنكاري اهـ شيخنا.

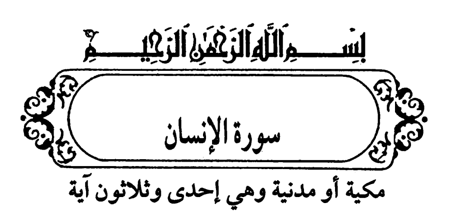
قوله: ﴿يمنى﴾ فائدته بعد قوله: من مني الإشارة إلى حقارة حاله، كأنه قيل: إنه مخلوق من المني الذي يجري على مخرج النجاسة اهـ خطيب.

قوله: (أي قطعة دم) أي: أحمر شديد الحمرة.

قوله: (النوعين) أي: لا خصوص الفردين، وإلاَّ فقد تحمل المرأة بذكرين وأنثى أو بالعكس اهـ شيخنا.

قوله: (يجتمعان تارة) أي: في الرحم. قوله: (ﷺ الخ) عبارة الخطيب: روي أنه ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك اللهم بلى» رواه أبو داود والحاكم، وقال ابن عباس: من قرأ سبح اسم ربك الأعلى إماماً كان أو غيره فليقل سبحان ربي الأعلى، ومن قرأ: لا أقسم بيوم القيامة إلى آخرها فليقل: سبحانك اللهم بلى إماماً كان أو غيره. وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله»، انتهت.

وقوله: إماماً كان أو غيره يقتضي أن هذه الكلمة وهي بلى لا تبطل الصلاة وهو كذلك، لأنها ذكر وتقديس وتنزيه لله تعالى اهـ شيخنا.



مكية أو مدنية وهي إحدى وثلاثون آية

﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾ آدم ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ أربعون سنة ﴿لَمْ يَكُن﴾ فيه ﴿شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة هل أتى، وسورة الأمشاج، وسورة الدهر اهـ خطيب.

ومناسبة هذه السورة لما قبلها قوله: فيما قبلها ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [القيامة: ٤٠] اهـ شيخنا.

وعبارة الخطيب: ولما تم الاستدلال على البعث والقدرة عليه أتبعه بهذا الاستفهام وهو ﴿هل أتى على الإنسان﴾ الخ والغرض منه الاستدلال على البعث بطريق آخر. قوله: (مكية أو مدنية) وعبارة الخطيب واختلف فيها هل هي مكية أو مدنية فقال ابن عباس، ومقاتل، والكلبي: مكية وجرى عليه البيضاوي، والزمخشري، وقال الجمهور: مدنية، وقال المحلي: مكية أو مدنية ولم يجزم بشيء، وقال الحسن، وعكرمة: هي مدنية إلا آية وهي: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ [الإنسان: ٢٤] وقيل: فيها مكي من قوله: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ [الإنسان: ٢٣] إلى آخرها ما قبله مدني، انتهت.

قوله: (قد) ﴿أتى﴾ أي: فليست هل للاستفهام لأن الاستفهام محال على الله تعالى، وقال بعضهم: إن هل للاستفهام والجواب مقدر تقديره فيقال: نعم وما سلكه الشارح أنسب اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: في هل هذه وجهان، أحدهما: أنها على بابها من الاستفهام المحض، وقال مكي في تقدير كونها على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير وهو تكرير لمن أنكر البعث، فلا بد أن يقول قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه، فيقال له: من أحدثه بعد أن لم يكن وكونه بعد عدمه كيف يمتنع عليه بعثه وإحياءه بعد موته وهو معنى قوله: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ [الواقعة: ٦٢] أي: فهلا تذكرون فتعلمون أن من أنشأ شيئاً بعد أن لم يكن قادر على إعادته بعد موته وعدمه اهـ.

فقد جعلها للاستفهام التقريري لا للاستفهام المحض، وهذا هو الذي يجب أن يكون، لأن الاستفهام لا يرد من الله تعالى إلا على هذا النحو وما أشبه. والثاني: أنها بمعنى قد اهـ.

قوله: ﴿حين من الدهر﴾ أي: طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود اهـ بيضاوي.

كان فيه مصوراً من طين لا يذكر، أو المراد بالإنسان الجنس، وبالحين مدة الحمل ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط، أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين

وقال الشهاب أي: طائفة محدودة هو تفسير للحين وهو شامل للكثير والقليل، لأنها إما مدة الحمل إن أريد النطفة أو هي مدة مادة آدم المخمرة طيناً. على الخلاف فيها هل هي أربعون سنة أو مائة وعشرون كما في الآثار إن أريد العنصر، وقوله: الزمان الممتد الغير المحدود تفسير للدهر، فإنه عند الجمهور يقع على مدة العالم جميعها وعلى كل زمان طويل غير معين اهـ.

قوله: (أربعون سنة) أي: مرت عليه قبل أن تنفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف، وعن ابن عباس في رواية الضحاك: أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة، ثم من صلصال فأقام أربعين سنة، ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح. وحكى الماوردي، عن ابن عباس: أن الحين المذكور هنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره، وقال الحسن: خلق الله تعالى كل الأشياء ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر في الأيام الست التي خلق الله تعالى فيها السموات والأرض، وآخر ما خلق آدم عليه السلام فهو قوله تعالى: ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ فإن قيل: إن الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه لم يكن إنساناً، والآية تقتضي أنه مضى على الإنسان حال كونه إنساناً حيناً من الدهر مع أنه في ذلك الحين ما كان شيئاً مذكوراً؟ أجيب: بأن الطين والصلصال إذا كان مصوراً بصورة الإنسان وكان محكوماً عليه بأنه ستنفخ فيه الروح ويصير إنساناً صح تسميته بأنه إنسان. روى الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض: بل كان جسداً مصوراً تراباً أو طيناً لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً. قال ابن سلام: لم يكن شيئاً لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعد حيواناً اهـ خطيب.

قوله: ﴿لم يكن﴾ في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها في موضع نصب على الحال من الإنسان أي: هل أتى عليه حين في هذه الحالة. والثاني: أنها في موضع رفع نعتاً لحين بعد نعت، وعلى هذا فالعائد محذوف تقديره حين لم يكن فيه شيئاً مذكوراً، والأول أظهر لفظاً ومعنى اهـ سمين.

وصنيع الشارح يشير للثاني حيث قدر العائد بقوله فيه أي: في ذلك الحين اهـ.

قوله: ﴿لا يذكر﴾ أي: بالإنسانية.

قوله: ﴿إنا خلقنا الإنسان﴾ أي: بعد خلق آدم من نطفة أي: مادة هي شيء يسير جداً من الرجل والمرأة وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة اهـ خطيب.

وفي المصباح: نطف الماء ينطف من باب قتل سال، وقال أبو زيد: نطفت القربة تنطف وتنطف يعني من بابي ضرب نطفاناً إذا اقطرت من وهي، والنطفة ماء الرجل والمرأة وجمعها نطف ونطاف مثل برمة وبرم وبرام، والنطفة أيضاً الماء الصافي قلّ أو كثر ولا فعل للنطفة أي: لا يستعمل فيها فعل من لفظها اهـ.

قوله: ﴿أمشاج﴾ نعت لنطفة ووقع الجمع صفة لمفرد لأنه في معنى الجمع أو جعل كل جزء من

الممتزجين ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره بالتكليف، والجملة مستأنفة أو حال مقدَّرة، أي مريدين ابتلاءه حين تأهله ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بينا له طريق الهدى

النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصف بالجمع، والأمشاج والأخلاط واحدها مشج بفتحتين، أو مشج كعدل وأعدال أو مشيج كشريف وأشراف اهـ سمين.

وفي المختار: مشج بينهما خلط وبابه ضرب، والشيء مشيج، والجمع أمشاج كيتيم وأيتام، ويقال: نطفة أمشاج لماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها اهـ.

وفي القرطبي: والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وكل عنهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف في الرقة والثخن والقوام والخواص تجتمع من الأخلاط وهي العناصر الأربعة، ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له. وعن ابن عباس قال: يختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو رقيق أصفر فيخلق منهما الولد، فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة. قوله: ﴿تبتليه﴾ يجوز في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها حال من فاعل خلقنا أي: خلقناه حال كوننا مبتلين له. والثاني: أنها حال من الإنسان، وصح ذلك لأن في الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذي الحال، ثم هذه الحال يجوز أن تكون مقارنة إن كان المعنى نبتليه بتصريفه في بطن أمه نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس، وأن مقدرة إن كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لأنه وقت خلقه غير مكلف، وفيما يختبر به وجهان، أحدهما: قال الكلبي نختبره بالخير والشر، والثاني: قال الحسن نختبر شكره في السراء والضراء وصبره في الفقر، وقيل: نبتليه نكلفه بالعمل بعد الخلق قاله مقاتل، وقيل: نكلفه ليكون مأموراً بالطاعة ومنتهياً عن المعاصي اهـ خطيب.

قوله: (أي مريدين ابتلاءه) جواب عن سؤال تقديره: أن الابتلاء بمعنى الاختبار بالتكاليف إنما يكون بعد جعله سميعاً بصيراً لا قبله، فكيف يترتب عليه قوله ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾؟ فأجاب: بأنه حال مقدرة مؤول بقوله: مريدين ابتلاءه اهـ شهاب.

قوله: ﴿فجعلناه﴾ (بسبب ذلك) أي بسبب إرادتنا ابتلاءه حين تأهله سميعاً بصيراً ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات، وفي كلامه إشارة إلى جواب عن سؤال كيف عطف على نبتليه ما بعده بالفاء مع أن الابتلاء متأخر عنه؟ ومحصل الجواب أن المعطوف عليه هو إرادة الابتلاء لا الابتلاء، وفيه رد على من قال: إن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره فجعلناه سميعاً بصيراً نبتليه، ووجه الرد أنه لا حاجة إلى دعوى التقديم والتأخير مع صحة المعنى بدونه اهـ كرخي.

وفي الخطيب: فجعلناه سميعاً بصيراً أي عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآيات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه، وقدم السمع لأنه أنفع في المخاطبات، ولأن الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية، وخصهما بالذكر لأنهما أنفع الحواس ولأن البصر يفهم البصيرة وهي تتضمن الجميع، وقال بعضهم: في الكلام تقديم وتأخير، والأصل إنا جعلناه سميعاً بصيراً نبتليه أي جعلنا له ذلك للابتلاء، وقيل: المراد بالسميع المطيع لقوله:

ببعث الرسل ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي مؤمناً ﴿وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ حالان من المفعول، أي بينا له في حال شكره أو كفره المقدرة، وإما لتفصيل الأحوال ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا﴾ يسحبون بها في النار ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ في أعناقهم تشد فيها السلاسل ﴿وَسَعِيرًا ۝٤﴾ ناراً مسعرة أو مهيجة يعذبون بها ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع برّ أو بارّ وهم المطيعون ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ هو إناء شرب الخمر وهي فيه، والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل، ومن للتبعيض ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾

سمعاً وطاعة، وبالبصير العالم يقال لفلان بصر في هذا الأمر أي علم اهـ.

قوله: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ تعليل لقوله نبتليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ لما كان الشكر قل من يتصف به قال شاكراً، ولما كان الكفر كثيراً من يتصف به ويكثر وقوعه من الإنسان بخلاف الشكر قال كفوراً بصيغة المبالغة اهـ من النهر.

أو هو مراعاة لرؤوس الآي اهـ.

قوله: (حالان من المفعول) وهو الهاء في هديناه.

قوله: ﴿إنا اعتدنا للكافرين﴾ الخ وقوله: ﴿إن الأبرار﴾ الخ لف ونشر مشوش اهـ شهاب.

قوله: (سلاسل) بمنع الصرف كمساجد وبالصرف لمناسبة، وأغلالاً فهما قراءتان سبعيتان، وقوله: يسحبون بها أي بعد عقدها في الغل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأغلالاً﴾ (في أعناقهم) أي فتجمع أيديهم إلى أعناقهم، ولما أوجز في جزاء الكافرين أتبعه جزاء الشاكرين وأطنب تأكيداً للترغيب، فقال: إن الأبرار الخ اهـ خطيب.

قوله: (جمع بر) ومعناه المتوسع في الطاعة فهو كرب وأرباب، وقوله: أو بار بوزن شاهد وإشهاد، وقوله: وهم المطيعون أي المؤمنون الصادقون في إيمانهم المطيعون لربهم اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وهم الصادقون في إيمانهم المطيعون لربهم الذين سمت همتهم عن المحقرات فظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة، وروي عن عمر أن النبي ﷺ قال: «إنما سماهم الله تعالى الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالديك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حقاً» وقال الحسن: البر الذي لا يؤذي الذر، وقال قتادة: الأبرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر، وفي الحديث: «الأبرار الذين لا يؤذون أحداً» اهـ.

قوله: (وهي فيه) فإن لم تكن فيه فهو إناء، وقوله: والمراد من خمر ولعل الحامل على ذلك قوله: ﴿كان مزاجها كافوراً﴾ إذ الكافور لا يمزج بالكأس، وإنما يخرج بما فيه من الخمر اهـ زاده.

فإن قلت: الكافور غير لذيذ وشربه مضر، فما وجه مزج شرابهم به؟ قلنا: قال أهل المعاني: أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرودته، لأن الكافور لا يشرب، وقال ابن عباس: هو اسم عين في الجنة، والمعنى أن ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافوراً ولا يكون في ذلك ضرر، لأن أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون، وقيل: هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس

ما تمزج به ﴿كَافُورًا ۝٥﴾ ﴿عَيْنًا﴾ بدل من كافوراً فيها رائحته ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ منها ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ في طاعة الله ﴿وَيَخَافُونَ

فيه مضرة وليس ككافور الدنيا، ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم من المألوفات لكم في تحصيل أسباب تلك العطايا اهـ خازن.

قوله: (بدل من كافوراً) أي على حذف مضاف أي ماء عين، لأن العين التي هي منبع الماء لا تبدل من نفس الماء إلا بتقدير مضاف اهـ زاده.

وفي السمين: قوله: عيناً في نصبها أوجه، أحدها: أنها بدل من كافوراً لأن ماءها في بياض الكافور في رائحته وبرودته. الثاني: أنها بدل من محل من كأس قاله مكي، ولم يقدر حذف مضاف، وقدر الزمخشري على هذا الوجه حذف المضاف قال: كأنه قيل يشربون خمراً خمر عين، وأما أبو البقاء فجعل المضاف مقدراً على وجه البدل من كافوراً، فقال: والثاني بدل من كافورا أي ماء عين أو خمر عين وهو معنى حسن. الثالث: أنها مفعول يشربون أي يشربون عيناً من كأس. الرابع: أن ينتصب على الاختصاص. الخامس: أنه، منصوب بيشربون مقدراً يفسره ما بعده قاله أبو البقاء، وفيه نظر، لأن الظاهر أنه صفة لعيناً فلا يصح أن يفسر. السادس: أنه منصوب بإضمار يعطون. السابع: على الحال من الضمير في مزاجها قاله مكي، والمزاج ما يمزج به أي يخلط، يقال: مزجه يمزجه مزجاً أي خلطه يخلطه خلطاً، والمزاج كالقوام اسم لما يقام به الشيء. والكافور طيب معروف وكأن اشتقاقه من الكفر وهو الستر لأنه يغطي الأشياء برائحته، والكافور أيضاً كمام الشجر التي تغطي ثمرتها. ومفعول يشربون إما محذوف أي يشربون ماء أو خمراً من كأس، وإما مذكور وهو عيناً كما تقدم، وإما من كأس ومن مزيدة فيه، وقال الزمخشري فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً وبحرف الإلصاق آخراً؟ قلت: لأن الكأس مبدأ شربه وأول غايته، وأما العين فيها يمزجون شرابهم، فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل اهـ.

قوله: ﴿يشرب بها عباد الله﴾ في الباء أوجه، أحدها: أنها مزيدة يشربها، ويدل له قراءة ابن أبي عبلة يشربها معدى إلى الضمير بنفسه. الثاني: أنها بمعنى من. الثالث: أنها حالية أي ممزوجة بها. الرابع: أنها متعلقة بيشرب، والضمير يعود على الكأس أي يشربون العين بذلك الكأس، والباء للالصاق كما تقدم في قول الزمخشري. الخامس: أنه على تضمين يشربون معنى يتلذذون بها شاربين. السادس: أنه على تضمينه معنى يرتوي أي يرتوي بها عباد الله، ويحتمل أن تكون بمعنى من الجملة من قوله يشرب بها في محل نصب صفة لعيناً إن جعلنا الضمير في بها عائداً على عينا، ولم نجعله مفسراً للناصب كما قاله أبو البقاء، وقرأ عبد الله قافوراً بالقاف بدل الكاف، وهذا من التعاقب بين الحرفين اهـ سمين.

قوله: (منها) أشار به إلى أن الباء بمعنى من، ومن هذه ابتدائية لأن الشرب مبتدأ منها أي مبتدأ من العين بدون كأس اهـ زكريا.

قوله: (أولياؤه) وقيل: المراد بعباد الله المؤمنين فكل عباد الله يشربون منها، والكفار لا يشربون

﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ منتشراً ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي الطعام وشهوتهم له ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيراً

منها بالاتفاق، فدل على أن لفظ عباد الله مختص بأهل الإيمان اهـ كرخي.

قوله: (يقودونها) أي فهي سهلة لا تمنع عليهم اهـ كرخي.

وعبارة القرطبي: يفجرونها تفجيراً فيقال: إن الرجل منهم يمشي في بيوته ويصعد إلى قصوره وبيده قضيب يشير به إلى الماء فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره، وذلك قوله تعالى: عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً يقودونها حيث شاؤوا وتتبعهم فحيثما مالوا مالت معهم اهـ.

قوله: ﴿يوفون بالنذر﴾ جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: بم استحقوا هذا النعيم، وقد قدره الفراء على إضمار كان أي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا اهـ كرخي.

وفي الخازن: لما وصف الله تعالى ثواب الأبرار في الآخرة وصف أعمالهم في الدنيا حتى استوجبوا هذا الثواب فقال: يوفون بالنذر الخ اهـ.

قوله: (طاعة الله) أي من الصلاة والحج وغيرهما، وفيه مبالغة في وصفهم بالتوفيق على أداء الواجبات، لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما أوجب الله عليه أوفى اهـ كرخي.

وفي الخطيب: والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات، لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما أوجبه الله تعالى عليه أو في، وقال الكلبي: يوفون بالنذر أي يتممون العهود لقوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله﴾ [النحل: ٩١] وقوله: ﴿أوفوا بالعقود﴾ [المائدة: ١] أمروا بالوفاء بهما لأنهم عقدوهما على أنفسهم باعتقادهم الإيمان. قال القرطبي: والنذر حقيقة ما أوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله، وإن شئت قلت في حده هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه، وروي أنه ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» اهـ.

قوله: ﴿ويخافون يوماً﴾ الخ فيه إشارة لحسن عقيدتهم واجتنابهم المعاصي اهـ كرخي.

قوله: ﴿كان شره﴾ أي شدائده مستطيراً أي فاحشاً منتشراً غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار. قال قتادة: كان شره فاشياً في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة ونسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء اهـ خطيب.

وفي السمين: قوله: كان شره مستطيراً في موضع نصب صفة ليوم والمستطير المنتشر يقال: استطار يستطير استطارة فهو مستطير وهو استفعل من الطيران، وقال الفراء: المستطير المستطيل. قلت: كأنه يريد أنه مثله في المعنى لا أنه أبدل من اللام راء، والفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب، ومستطير وهو الصادق لانتشاره في الأفق اهـ.

قوله: ﴿ويطعمون الطعام﴾ الخ هذا الوصف من باب التكميل، فقد وصفهم أولاً بالجود والبذل،

﴿وَيَتِيمًا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا ۝﴾ يعني المحبوس بحق ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ لطلب ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝﴾ شكراً فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولان ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه أي كريه المنظر لشدّته ﴿قَمْطَرِيرًا ۝﴾ شديداً في

وكمله بأن ذلك عن اخلاص لا رياء فيه اهـ.

قال عطاء: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، وذلك أنه أجر نفسه ليلة ليسقي نخلاً بشيء من شعير حتى أصبح وقبض الشعير وطحنوا ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة، فلما تم نضجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم صنع الثلث الثاني فلما تم نضجه أتى يتيم فأطعموه، ثم الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك، فأنزل الله فيهم هذه الآيات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على حبه﴾ مصدر مضاف للمفعول اهـ كرخي.

قوله: (وشهوتهم له) أي الطعام تفسير لقوله على حبه، وعلى بمعنى مع على هذا، ويصح رجوع الضمير لله أي على حب الله أي لوجهه وابتغاء مرضاته، والأول أمدح لأن فيه الإيثار على النفس والطعام محبوب للفقراء والأغنياء، وأما على الثاني فقد يفعله الاغنياء أكثر اهـ أبو حيان.

قوله: ﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ خص هؤلاء الثلاثة بالذكر، لأن المسكين عاجز عن الاكتساب بنفسه لما يكفيه، واليتيم مات من يكتسب له وبقي عاجزاً عن الكسب لصغره، والأسير لا يملك لنفسه نصراً ولا حيله اهـ خطيب.

قوله: (يعني المحبوس بحق) ومثله المحبوس باطلاً بالأولى، ولذلك لم يذكر هذا القيد غيره من المفسرين اهـ شيخنا.

قوله: (فيه علة الاطعام) أي بيان سبب الاطعام، وفي نسخة فيه على الاطعام وهي ركيكة اهـ شيخنا.

قوله: (وهل تكلموا بذلك) أي منعاً لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر، وقوله قولان، أرجحهما: عند سعيد بن جبير ومجاهد. الثاني: ودل هذا على إثبات الكلام النفسي اهـ كرخي.

قوله: (وهل تكلموا بذلك) أي: فيكون على إضمار القول أي يقولون بلسان المقال أو لسان الحال إنما نطعمكم أيها المحتاجون الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنا نخاف من ربنا﴾ أي: فلذلك نحسن إليكم ولا نطلب المكافأة منكم، وهذا تعليل لقوله إنما نطعمكم الخ اهـ شهاب.

قوله: ﴿عبوساً﴾ وصف اليوم بالعبوس مجاز في الإسناد كما يقال نهاره صائم، والمراد أهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من طوله وشدته اهـ خازن.

وقوله: تكلح بابه خضع. قوله: (شديداً في ذلك) أي العبوس اهـ.

ذلك ﴿فَوَقَىٰهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ حسناً وإضاءة في وجوههم ﴿وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾

قوله: ﴿فوقاهم الله﴾ الفاء سببية أي فسبب خوفهم وقاهم الله أي دفع عنهم شر ذلك اليوم أي بأسه وشدته وعذابه، ولقاهم أي آتاهم وأعطاهم حين رأوا نضرة أي حسناً وسروراً أي حبوراً. قال الحسن: ومجاهد: نضرة في وجوههم وسروراً في قلوبهم. وفي النضرة ثلاثة أوجه، أحدها: أنها البياض والنقاء قاله الضحاك. الثاني: الحسن والبهاء قاله ابن جبير. الثالث: أنها أثر النعمة قاله ابن زيد اهـ قرطبي.

وعبارته في التذكرة باب ما ينجي المؤمن من أهوال يوم القيامة وكربه. روي عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال: «إني رأيت البارح عجباً رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله تعالى فخلصه من بينهم، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً كلما ورد منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون قعود حلقاً حلقاً كلما دنا لحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمه فهو متحير فيها، فجاءه حجة وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلموه فإنه كان واصلاً للرحم فكلموه وصافحوه، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشرارها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلاً على رأسه، ورأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده وأدخله على الله، ورأيت رجلاً من أمتي قد أهوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي كان بكاها من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن الظن بالله تعالى فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته عليّ فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب كلها وأدخلته الجنة». قلت: هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة والله أعلم.

وروى الطبراني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقم أخاه لقم حلوى صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة». وفي التنزيل تحقيقاً لهذا الباب وجامعاً له، قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ إلى قوله: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ مع قوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن

﴿وَجَزَٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أدخلوها ﴿وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ ألبسوه ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من مرفوع أدخلوها المقدر ﴿فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السرور في الحجال ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ لا يجدون حال ثانية ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ أي لا حراً ولا برداً، وقيل الزمهرير القمر فهي مضية من غير شمس ولا

عملاً﴾ [الكهف: ٣٠] مع قوله في غير موضع بعد ذكر الأعمال الصالحة ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [الأحقاق: ١٣] اهـ بحروفه.

قوله: ﴿نضرة﴾ أي بدل العبوس وسروراً أي فرحاً في قلوبهم بدل الخوف اهـ شيخنا.

قوله: (بصبرهم عن المعصية) أشار به إلى أن ما مصدرية وجنة مفعول ثان أي جزاهم جنة بصبرهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿جنة﴾ أي بستاناً يأكلون منه فهو إشارة إلى أنه ليس المراد بالجنة ما يقابل النار وهي دار الكرامة حتى يقال أي حاجة إلى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة، مع أنها مشتملة عليه في جملة ما أعد فيها للمؤمنين، بل المراد بها بستان المأكولات اهـ بيضاوي وزاده.

قوله: (حال من مرفوع ادخلوها) عبارة السمين: متكئين حال من مفعول جزاهم، وقرأ علي رضي الله عنه وجازاهم، وجوز أبو البقاء أن يكون متكئين صفة لجنة، وهذا لا يجوز عند البصريين لأنه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هي له، وقد منع مكي أن يكون متكئين صفة لجنة لما ذكرته من عدم بروز الضمير، وممن ذهب إلى كون متكئين صفة لجنة الزمخشري، فإنه قال: ويجوز أن يكون متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات وهو مردود بما ذكرته، ولا يجوز أن يكون متكئين حالاً من فاعل صبروا لأن الصبر كان في الدنيا واتكاؤهم إنما هو في الآخرة، قال معناه مكي ولقائل أن يقول إن لم يكون المانع إلا هذا فاجعلها حالاً مقدرة لأن مآلهم بسبب صبرهم إلى هذا الحال وله نظائر اهـ.

قوله: ﴿فيها﴾ أي الجنة. قوله: (في الحجال) واحده حجلة بفتحتين وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور اهـ مختار.

قوله: (حال ثانية) من المقدر المذكور أو من المفعول وهي حال مقدرة اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: لا يرون الخ فيه أوجه، أحدها: أنها حال ثانية من مفعول جزاهم. الثاني: أنها من الضمير المرفوع المستكن من متكئين فتكون حالاً متداخلة. الثالث: أن تكون صفة لجنة كمتكئين عند من يرى ذلك وقد تقدم أنه قول الزمشخري اهـ.

قوله: ﴿شمساً ولا زمهريراً﴾ فيه ذكر الملزوم وإرادة اللام كما أشار له الشارح، لأن المقصود توصيف الجنة باعتدال هوائها اهـ زاده.

قوله: (وقيل الزمهرير القمر) أي لأجل المقابلة، وقوله: من غير شمس ولا قمر أي بل بنور العرش وهو أقوى من نور الشمس والقمر اهـ شيخنا.

وفي المختار: الزمهرير شدة البرد. قلت: وقال ثعلب الزمهرير أيضاً القمر في لغة طيىء، وبه

قمر ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة عطف على محل لا يرون أي غير رائين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ منهم ﴿ظِلَٰلُهَا﴾ شجرها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ فيها

فسر قوله تعالى: لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً أي فيها من الضياء والنور ما لا يحتاجون معه إلى شمس ولا قمر اهـ.

قوله: ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ فإن قيل: كيف يوصف ظلها أي ظل ما فيها من الأشجار مع أن الظل إنما يوجد حيث توجد الشمس ولا شمس في الجنة حتى يظل أهلها ما فيها من الأشجار؟ فالجواب: أن المراد أن أشجار الجنة تكون بحيث لو كانت هناك شمس لكان ظل تلك الأشجار قريباً منهم اهـ كرخي.

قوله: (عطف على محل لا يرون) عبارة السمين: ودانية العامة على نصبها وفيها أوجه، أحدها: أنها عطف على محل لا يرون. الثاني: أنها معطوفة على متكئين فيكون فيها ما فيها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم، كأنه قيل: وجزاهم جنة جامعين فيها بين السلامة من الحر والقر ودنو الظلال عليهم. الثالث: أنها صفة لمحذوف أي وجنة دانية قاله أبو البقاء. الرابع: أنها صفة لجنة الملفوظ بها قاله الزجاج اهـ.

قوله: (منهم) أشار إلى أن على بمعنى من تقول قربت من كذا، وإنما لم يقل منهم لأن الظلال عالية عليهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿ظلالها﴾ أي الجنة وهو على حذف مضاف أي ظلال شجرها كما قدره الخازن، وتخلص الشارح من هذا بحمل الظلال على الأشجار نفسها اهـ.

قوله: ﴿وذللت﴾ معطوف على دانية فهو منصوب على الحال أي مذللة وجعلت فعلية للإشارة إلى أن التظليل أمر دائم لا يزول لأنها شمس لا فيها بخلاف التذليل فإنه أمر متجدد اهـ شهاب.

وقوله: قطوفها جمع قطف بالكسر وهو العنقود أو هم اسم للثمار المقطوفة أي المجنية اهـ خطيب.

قوله: (أدنيت ثمارها) عبارة الخطيب: أي سهل تناولها تسهيلاً عظيماً لكل أحد على أي حالة كانت من اتكاء وغيره، فإن كانوا قعوداً أو مضطجعين تدلت إليهم وإن كانوا قياماً وكانت على الأرض ارتفعت إليهم اهـ.

قوله: ﴿ويطاف عليهم﴾ لما وصف تعالى طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم بقوله: ويطاف عليهم أي يدور على هؤلاء الأبرار إذا أرادوا الشراب الخدم بآنية الخ اهـ خطيب.

وقال هنا: يطاف بالبناء للمفعول، وقال فيما بعد: ويطوف بالبناء للفاعل، لأن المقصود في الأول ما يطاف به لا الطائفون بقرينة قوله بآنية من فضة، والمقصود في الثانية الطائفون فذكر في كل منهما ما يناسبه كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أقداح بلا عرى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾﴾ ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ أي أنها من فضة يرى

قوله: ﴿بآنية﴾ هذا هو القائم مقام الفاعل لأنه هو المفعول به في المعنى، ويجوز أن يكون عليهم والآنية جمع إناء والأصل أأنية بهمزتين الأولى مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية ألفاً وجوباً هذا نظير كساء وأكسية وغطاء وأغطية، ونظيره في صحيح اللام حمار وأحمرة اهـ سمين.

قوله: (من فضة) بيان للآنية، وقوله: وأكواب من عطف الخاص عل العام، وقوله: أقداح بلا عرى أي فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند التناول إلى إدارته. قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء إذ الذي في الجنة أشرف وأعلى ولم تنف الآية آنية الذهب، بل المعنى يسقون في الأواني الفضة، وقد يسقون في الأواني الذهب كما قال سرابيل تقيكم الحر أي والبرد فنبه بذكر إحداهما على الآخر اهـ خطيب.

قوله: ﴿كانت قواريرا﴾ معناه تكونت لا أنها كانت قبل قوارير فهي من قوله تعالى كن فيكون، فتكوين الله سبحانه تفخيماً لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين، وكذا كان مزاجها كافوراً اهـ كرخي.

وقوارير جمع قارورة وهي ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل إناء رقيق صاف، وقيل: هو خاص بالزجاج ولما كان رأس آية وكان التعبير بالقوارير بما أفهم أنها من الزجاج وكان في الزجاج من النقص سرعة الانكسار لافراط الصلابة قال تعالى معيداً للفظ أول الآية الثانية للاتصاف بالصالح من أوصاف الزجاج، وبيانه لنوعها قوارير من فضة أي فجمعت صفتي الجوهرين المتباينين صفاء الزجاج وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشرفها ولينها اهـ خطيب.

واختلف القراء في هذين الحرفين بالنسبة إلى التنوين وعدمه في الوقف بالألف وعدمها كما تقدم في سلاسل. واعلم أن القراءة فيها على خمس مراتب، إحدها: تنوينهما معاً والوقف عليهما بالألف لنافع والكسائي وأبي بكر. الثانية: مقابلة هذه وهي عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالألف لحمزة وحده. الثالثة: عدم تنوينهما والوقف عليهما بالألف لهشام وحده. الرابعة: تنوين الأول دون الثاني والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها لابن كثير وحده. الخامسة: عدم تنوينهما معاً والوقف على الأول بالألف، وعلى الثاني بدونها لأبي عمرو وابن ذكوان وحفص، فأما من نونهما فلما مرَّ في تنوين سلاسل لأنهما صيغتا منتهى الجمع ذاك على مفاعل وذا على مفاعيل والوقف بالألف التي هي بدل من التنوين وفيه موافقة المصاحف المذكورة، فإنهما مرسومان فيها بالألف على ما نقل أبو عبيد، وأما عدم تنوينهما وعدم الوقف بالألف فظاهر جداً، وأما من نون الأول دون الثاني فإنه ناسب بين الأول وبين رؤوس الآي، ولم يناسب بين الثاني وبين الأول والوجه في وقفه على الأول بالألف وعلى الثاني بغير ألف ظاهر، وقد روى أبو عبيد أنه كذلك في مصاحف أهل البصرة. وأما من لم ينونهما ووقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها فلأن الأول رأس آية فناسب بينه وبين رؤوس الآي في الوقف بالألف، وفرق بينه وبين الثاني لأنه ليس برأس آية، وأما من لم ينونهما ووقف عليهما بالألف فلأنه ناسب بين الأول وبين رؤوس الآي، وناسب بين الثاني وبين الأول وحصل مما تقدم في سلاسل،

باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿قَدَّرُوهَا﴾ أي الطائفون ﴿تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ على قدر ريّ الشاربين من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألذُّ الشراب ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ ﴿عَيْنًا﴾ بدل من زنجبيلا ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي

وفي هذين الحرفين أن القراء منهم من وافق مصحفه ومنهم من خالفه لاتباع الأثر، وتقدم الكلام على قوارير في سورة النمل. وقال الزمخشري: وهذا التنوين بدل من حرف الاطلاق لأنه فاصلة، وفي الثاني لإتباعه الأول يعني أنهم يأتون بالتنوين بدلاً من حرف الإطلاق الذي للترنم. وفي انتصاب قوارير وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنه خبر كان. والثاني: أنها حال وكان تامة أي كونت فكانت. قال أبو البقاء: وحسن التكرير لما اتصل به من بيان أصلهما ولولا التكرير لم يحسن أن يكون الأول رأس آية لشدة اتصال الصفة بالموصوف، وقرأ الأعمش: قوارير بالرفع على إضمار مبتدأ أي هي قوارير، ومن فضة صفة لقوارير اهـ سمين.

قوله: (علي قدر ري الشاربين) أي: شهوتهم إذ لا عطش في الجنة، والري بكسر الراء وفتحها اهـ شيخنا.

وفي المختار: وروي من الماء بالكسر روى بوزن رضا وريا أيضاً بكسر الراء وفتحها وارتوى وتروى كله بمعنى اهـ.

قوله: (وذلك ألذ الشراب) أي: لكونه على مقدار الحاجة لا يفضل عنه ولا يعجز، وعن ابن عباس: قدروها على ملء الكف حتى لا تؤذيهم بثقل أو إفراط صغر اهـ خطيب.

قوله: ﴿ويسقون﴾ أي: يسقيهم من أرادوه من خدمهم الذين لا يحصون كثرة فيها أي: في الجنة أو الأكواب اهـ خطيب.

قوله: ﴿تسمى﴾ أي: تلك العين لسهولة إساغتها ولذة طعمها وسمو وصفها اهـ خطيب.

قوله: ﴿سلسبيلا﴾ السلسبيل ما سهل انحداره في الحلق، وقال الزجاج: هو في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة، وقال الزمخشري يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة، وقال ابن الإعرابي: لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن، وقال مكي: هو اسم أعجمي نكرة فلذلك صرف، ووزن سلسبيل مثل دردبيس، وقيل: فعفليل لأن الفاء مكررة، وقرأ طلحة سلسبيل دون تنوين ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث لأنها اسم لعين بعينها، وعلى هذا فكيف صرفت في قراءة العامة؟ ويجاب: بأنها سميت بذلك لا على جهة العلمية بل على جهة الإطلاق المجرد أو يكون من باب تنوين سلاسل وقوارير وقد تقدم اهـ سمين.

قوله: (يعني أن ماءها كالزنجبيل الخ) أي: وليس كزنجبيل الدنيا يلذع الحلق فتصعب أساغته، والسلسبيل ما كان في غاية السلاسة من الشراب زيدت فيه الباء زيادة في المبالغة في هذا المعنى، وقال مقاتل، وابن حيان: سميت سلسبيلاً لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش

تستلذ به العرب سهل المساغ في الحلق ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ بصفة الولدان لا يشيبون ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ من سلكه أو من صدفه، وهو أحسن منه في غير ذلك ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ أي وجدت الرؤية منك في الجنة ﴿ رَأَيْتَ ﴾ جواب إذا

من جنة عدن إلى أهل الجنان. قال البغوي: وشراب الجنة فيه برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع، وقال مقاتل: يشربها المقربون صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة اهـ خطيب.

قال ابن عباس: كان ما ذكر الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا شبيه إلا في الاسم، وذلك لأن زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا إلا في الاسم اهـ خازن.

وكذلك سائر ما في الجنان من الأشجار والقصور والمأكول والمشروب والملبوس والثمار لا يشبه ما في الدنيا إلا في مجرد الاسم، لكن الله سبحانه وتعالى يرغب الناس ويطمعهم بأن يذكر لهم أحسن شيء وألذه وأطيبه مما يعرفونه في الدنيا لأجل أن يرغبوا ويسعوا فيما يوصلوا إلى هذا النعيم المقيم اهـ.

قوله: ﴿ويطوف عليهم﴾ أي: بالشراب، وقوله: ولدان بكسر الواو باتفاق السبعة كما تقدم في سورة الواقعة أي: غلمان هم في سن من هو دون البلوغ. قال بعض المفسرين: هم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين، وقال بعضهم: أطفال المؤمنين لأنهم ماتوا على الفطرة، وقال ابن برجان: وأرى والله أعلم أنهم من علم الله تعالى إيمانه من أولاد الكفار يكونون خدماً لأهل الجنة كما كانوا في الدنيا لنا سبياً وخدماً، وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم تأنساً وسروراً بهم اهـ خطيب.

وعبارة الخازن: في سورة الواقعة والصحيح الذي لا معدل عنه إن شاء الله تعالى أنهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور ولم يولدوا ولم يخلقوا عن ولادة، انتهت.

قوله: ﴿منثوراً﴾ أي: متفرقاً وفي المصباح: نثرته نثراً من بابي قتل وضرب رميت به متفرقاً فانتثر اهـ.

قوله: (وهوأحسن منه في غير ذلك) جواب عما يقال ما الحكمة في تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم؟ وإيضاح الجواب: أنه تعالى أراد تشبيههم في حسنهم وانتشارهم في الجنة باللؤلؤ الذي لم يثقب وهو أشد صفاء وأحسن منظراً مما ثقب، لأنه إذا ثقب نقص صفاؤه وما دام لم يثقب لا يكون إلا منثوراً اهـ كرخي.

وفي الخازن: واللؤلؤ إذا انتثر على البساط كان أصفى منه منظوماً اهـ.

قوله: ﴿وإذا رأيت﴾ خطاب للنبي ﷺ أو لكل من يدخل الجنة اهـ خازن.

وثم ظرف مكان مختص بالبعد، وفي انتصابه هنا وجهان، أظهرهما: أنه منصوب على الظرف ومفعول الرؤية غير مذكور لأن القصد وإذا صدرت منك رؤية في ذلك المكان رأي كيت وكيت فرأيت. الثاني: جواب إذا، وقال الفراء: ثم مفعول به لرأيت، وقال الفراء أيضاً: وإذا رأيت تقديره ما ثم فحذفت ما وقامت ثم مقام ما اهـ سمين.

﴿نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ واسعاً لا غاية له ﴿عَالِيَهُمْ﴾ فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خبر المبتدإ بعده، وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ، وما بعده خبره، والضمير المتصل به للمعطوف عليهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ حرير ﴿خُضْرٌ﴾ بالرفع ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالجر ما غلظ من الديباج فهو

قوله: ﴿رأيت نعيماً﴾ النعيم سائر ما يتنعم به اهـ قرطبي.

قوله: (لا غاية له) أي: لا زوال له، وذلك أن النعمة إذا كانت في معرض الزوال لا يتلذذ بها صاحبها ولا يستبشر بها الاستبشار التام، وإنما فسر الكبير بالواسع، والمراد به امتداده في الطول والعرض لإطلاقه فاعتبر من جهة اللفظ والمعنى، وفي الحديث: «أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه» وقال سفيان الثوري: بلغنا أن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم، وقيل: تكون التيجان على رؤوسهم كما تكون على رؤوس الملوك وأعظمهم منزلة من ينظر إلى وجه ربه كل يوم اهـ خطيب.

قوله: ﴿عاليهم﴾ بفتح الياء وضم الهاء لتحرك ما قبلها، وقوله وفي قراءة أي: سبعية بسكون الياء أي: وكسر الهاء لسكون ما قبلها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ نافع وحمزة بسكون الياء وكسر الهاء، والباقون بفتح الياء وضم الهاء لما سكنت الياء كسرت الهاء ولما تحركت ضمت على ما تقرر في هاء الكناية أول هذا الموضوع. فأما قراءة نافع وحمزة ففيها أوجه، أظهرها: أن يكون خبراً مقدماً وثياب مبتدأ مؤخر. والثاني: أن عاليهم مبتدأ وثياب مرفوع على جهة الفاعلية وإن لم يعتمد الوصف وهذا قول الأخفش. والثالث: أن عاليهم منصوب وإنما سكن تخفيفاً قاله أبو البقاء، وإذا كان منصوباً فسيأتي فيه أوجه وهي واردة هنا، إلا أن تقديره الفتحة من المنقوص لا يجوز إلا في ضرورة أو شذوذ، وهذه القراءة متواترة فلا ينبغي أن يقال به فيها. وأما قراءة من نصب ففيها أوجه، أحدها: أنه ظرف خبراً مقدماً وثياب مبتدأ مؤخر كأنه قيل فوقهم ثياب. قال أبو البقاء: لأن عاليهم بمعنى فوقهم وقال ابن عطية: ويجوز في النصب أن يكون على الظرف لأنه بمعنى فوقهم. قال الشيخ: وعالي وعالية اسم فاعل فيحتاج في كونهما ظرفين إلى أن يكون منقولاً من كلام العرب عاليك أو عاليتك ثوب. قلت: قد وردت ألفاظ من صيغ أسماء الفاعلين ظروفاً نحو خارج الدار وداخلها وباطنها وظاهرها تقول: جلست خارج الدار وكذلك البواقي: فكذلك هذا. والثاني: أنه حال من الضمير في عليهم. الثالث: أنه حال من مفعول حسبتهم. الرابع: أنه حال من مضاف مقدر أي: رأيت أهل نعيم وملك كبير عاليهم، فعاليهم حال من أهل المقدر ذكر هذه الأوجه الثلاثة الزمخشري، فإنه قال: وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير عليهم في يطوف عليهم أو من حسبتهم أي: يطوف عليهم ولدان عالياً المطوف عليهم ثياب، أو حسبتهم لؤلؤاً عالياً لهم ثياب ويجوز أن يراد أهل نعيم اهـ.

قوله: ﴿ثياب سندس﴾ الإضافة على معنى من، والسندس مارق من الحرير اهـ شيخنا.

وقوله: فهو البطائن جمع بطانة، وقوله: الظهائر جمع ظهارة اهـ

البطائن والسندس الظهائر، وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما، وفي أخرى برفعهما، وفي أخرى بجرِّهما ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع آخر من ذهب، للإيذان بأنهم يحلون من النوعين معاً ومفرقاً ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ مبالغة في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾

قوله: (عكس ما ذكر) أي بجر خضر ورفع استبرق فجر خضر نعت لسندس، لأن المراد به الجنس إذ السند يكون أخضر وغير أخضر، كما أن الثياب تكن سندساً وغيره، وأما رفع استبرق فبالعطف على ثياب على حذف مضاف أي وثياب إستبرق، وأمّا جر إستبرق فهو معطوف على سندس لأن المعنى ثياب من سندس، وثياب من إستبرق اهـ شيخنا.

فالقراءات وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: (وفي أخرى بجرهما) استشكل على هذه القراءة وكذا على قراءة جر الأول ورفع الثاني بوقوع خضر الذي هو جمع نعتاً لسندس الذي هو مفرد، والجواب: أن السندس اسم جنس واحده سندسة ووصف اسم الجنس بالجمع شائع فصح على حد وينشىء السحاب الثقال اهـ سمين.

قوله: ﴿وحلوا﴾ عطف ماض لفظاً مستقبل معنى وأبرزه بلفظ الماضي لتحققه اهـ كرخي.

قوله: (وفي موضع آخر الخ) عبارة الخطيب تنبيه قال هنا: قوله: ﴿أساور من فضة﴾ وفي سورة فاطر: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ [الكهف: ٣١] وفي سورة الحج ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً﴾ [الحج: ٢٣ فاطر: ٣٣] فقيل في وجه الجمع حلى الرجال الفضة، وحلى النساء الذهب، وقيل: تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة، وقيل: يجمع في يدي أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ لتجتمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب، وقيل: يعطى كل واحد ما يرغب فيه وتميل نفسه إليه، وقيل أسورة الفضة إنما تكون للولدان وأسورة الذهب للنساء، وقيل: هذا للنساء والصبيان، وقيل: هذا بحسب الأوقات والأعمال اهـ.

قوله: ﴿وسقاهم ربهم﴾ الخ إن قلت أي شرف لتلك الدار مع أنه سقاهم ذلك في الدنيا كما قال: ﴿وأسقيناكم ماءاً فراتاً﴾ [المرسلات: ٢٧] أي: عذباً؟ فالجواب: أن المراد أنه سقاهم من غير واسطة بل مباشرة، وأيضاً فشتان ما بين الشرابين والآنيتين والمنزلتين. قال القاضي: شراباً طهوراً يريد به نوعاً يفوق على النوعين المتقدمين، لذلك أسند سقيه إلى الله تعالى ووصفه بالطهورية، فإنه يطهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله متلذذاً بلقائه باقياً ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين اهـ كرخي.

قوله: ﴿شراباً طهوراً﴾ أي: طاهراً من الأقذار والادران لم تمسه الأيدي ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا، وقيل: إنه لا يستحيل بولاً ولكنه رشحاً من أبدانهم كرشح المسك، وذلك أنهم يؤتون بالطعام ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم، ويكون ما أكلوه رشحاً يخرج من جلودهم أطيب من المسك الأذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم اهـ خازن.

قوله: (مبالغة) أي: صيغة أي: طهور صيغة مبالغة في طهارته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن هذا كان﴾ الخ أي: يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها إن هذا كان

النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ خبر إن، أي فصلناه ولم ننزله جملة واحدة ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي الكفار ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ أي عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة قالا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر ويجوز أن يراد كل آثم وكافر، أي لا تطع أحدهما أياً كان فيما دعاك

لكم جزاء في علم الله قد أعده الله لكم إلى هذا الوقت فهو لكم بأعمالكم اهـ خازن.

وقوله: النعيم أي: المتقدم من قوله ولقاهم الخ اهـ.

قوله: ﴿مشكوراً﴾ أي: مرضياً مقبولاً مقابلاً بالثواب اهـ كرخي.

قوله: ﴿تأكيد لاسم إن﴾ الخ أي أو مبتدأ ونزلناه خبره والجملة خبر إن اهـ سمين.

قوله: (خبر إن) أي: سواء جعلنا نحن تأكيداً أو فصلاً اهـ كرخي.

قوله: (أي فصلناه الخ) أي: لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين، والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله ﷺ وشرح صدره وإن الذي أنزل عليه وحي ليس بكهانة ولا سحر لتزول الوحشة الحاصلة له من قول الكفار إنه كهانة أو سحر اهـ خازن.

قوله: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ (عليك الخ) على هذا المراد بالحكم تكليفه بالتبليغ وإيجابه عليه، وقال ابن عباس: اصبر على أذى المشركين ثم نسخ بآية القتال اهـ قرطبي.

قوله: (أي عتبة بن ربيعة الخ) أشار به إلى أن المراد بالآثم عتبة فإنه كان راكباً للمآثم متعاطياً لأنواع الفسوق، وأن المراد بالكفور الوليد فإنه كان غالياً في الكفر شديد الشكيمة في العتو مع أن كليهما آثم وكافر اهـ كرخي.

وفي السمين: قال الزمخشري: فإن قلت: كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله: آثماً أو كفوراً؟ قلت: معناه لا تطع منهم راكباً لما هو إثم داعياً لك إليه أو فاعلاً لما كفر داعياً لك إليه لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر فنهي أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث اهـ.

قوله: (أرجع عن هذا الأمر) وهو أنهم ادعوا أنه إنما ادعى الرسالة لتحصيل النساء والأموال. وعبارة الخازن: وذلك أنهما قالا للنبي: إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر، وقال عتبة: أنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك من غير مهر، وقال الوليد: أنا أعطيك المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر فأنزل الله هذه الأية هـ.

قوله: (أي لا تطع أحدهما الخ) فأفاد التعبير بأو النهي عن طاعتهما معاً بالاولى ولو عطف بالواو لأفهم جواز طاعة أحدهما وليس مراداً. قال الزجاج: أو هنا أوكد من الواو لأنك لو قلت: لا تطع زيداً وعمراً فأطاع أحدهما كان غير عاص، فإذا أبدلتها بأو فقد دللت على أن كل واحد منهما أهل لأن يعصى اهـ كرخي.

إليه من إثم أو كفر ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ يعني الفجر والظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ صلِّ التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ شديداً أي يوم القيامة لا يعملون له ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ﴾ قوّينا ﴿أَسْرَهُمْ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا

قوله: (في الصلاة) أشار به إلى أن المراد بالذكر الصلاة، ولو قال أي: صل لكان أوضح، وعبارة الخازن: والمعنى وصلّ لربك الخ وفي الشهاب: ومعنى صل دم على الصلاة لأنه يترك الصلاة حتى يؤمر بها، وتناول الأصيل للعصر ظاهر، وأما تناوله للظهر فباعتباره آخره إذ الزوال وما يقرب منه لا يسمى أصيلاً اهـ.

قوله: ﴿ومن الليل﴾ من تبعضيه أي: وأسجد أي: صلّ له بعض الليل وباقية تستريح فيه بالنوم اهـ.

وقوله: فاسجد له الفاء دالة على معنى الشرطية. والتقدير مهما يكن من شيء فصل من الليل وهو يفيد أيضاً بتأكيده الاعتناء التام اهـ شهاب.

قوله: ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ فيه دليل على عدم صحة ما قاله بعض أهل علم المعاني والبيان أن الجمع بين الحاء والهاء مثلاً يخرج الكلمة عن فصاحتها وجعلوا من ذلك قوله:

كـريـم متـى أمـدحـه أمـدحـه والـورى معـي وإذا مـا لمتـه لمتـه وحـدي

البيت لأبي تمام، ويمكن أنه يفرق بين ما أنشدوه وبين الآية الكريمة بأن التكرار في البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الآية فإنه لا تكرار فيها اهـ سمين.

قوله: ﴿أن هؤلاء﴾ أي: أهل مكة يحبون العاجلة هذا تعليل لما قبله من النهي والأمر في قوله: ولا تطع إلى هنا فكأنه قال لا تطعهم واشتغل بالأهم من العبادة، لأن هؤلاء تركوا الآخرة للدنيا فاترك أنت الدنيا وأهلها للآخرة، فالأول علة للنهي عن طاعة الآثم والكفور، والثاني علة للأمر بالطاعة اهـ شهاب.

قوله: ﴿يوماً ثقيلاً﴾ مفعول بيذرون لا ظرف ووصفه بالثقل على المجاز لأنه من صفات الأعيان لا المعاني ووراء هنا بمعنى قدام وهو حال من المفعول مقدم عليه قال مكي: وسمي وراء لتواريه عنك فظاهر هذا أنه حقيقة والصحيح أنه استعير لقدام، وقيل: بل هو باق على بابه أي: وراء ظهورهم لا يعبئون وفيه تحوز اهـ سمين.

قوله: (قوينا) ﴿أسرهم﴾ يشير به إلى أنه لا ينافي قوله في النساء وخلق الأنسان ضعيفاً لقول ابن عباس وغيره المراد به ضعف عن الصبر عن النساء، فلذلك أباح الله له نكاح الأمة، وإيضاحه: أن معنى قوله وشددنا أسرهم ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب، أو المراد بالأسر عجب الذنب لأنه لا يتفتت في القبر اهـ كرخي.

وفي القاموس: الأسر الشدة والغضب وشدة الخلق والخلق، وشددنا أسرهم أي مفاصلهم اهـ.

﴿بَدَّلْنَا﴾ جعلنا ﴿أَمْثَالَهُمْ﴾ في الخلقة بدلاً منهم بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلًا ۝٢٨﴾ تأكيد، ووقعت إذا موقع إن نحو ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ لأنه تعالى لم يشأ ذلك وإذا لما يقع ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩﴾ طريقاً بالطاعة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا ۝٣٠﴾ في فعله ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ جنته وهم المؤمنون ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدر أي أوعد يفسره ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١﴾ مؤلماً وهم الكافرون.

وفي المختار: أسره من باب ضرب أي: شده بالاسار بوزن الإزار وهو القد بالكسر وهو سير يقد من جلد غير مدبوغ، ومنه سمي الأسير وكانوا يشدونه بالقد فسمي كل مأخوذ أسير وإن لم يشد به، وأسره الله خلقه وبابه ضرب، ومنه وشددنا أسرهم أي: خلقهم والأسر بالضم احتباس البول كالحصر في الغائط وأسرة الرجل رهطه لأنه يتقوى بهم اهـ.

قوله: ﴿أمثالهم مفعول أول، والثاني محذوف بينه بقوله بدلاً منهم، وقولهم: بأن نهلكهم تفسير لبدلنا اهـ شيخنا.

قوله: (ووقعت إذا الخ) رد لقول الزمخشري، وحقه أن يؤتي بإن لا بإذا كقوله: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم إن يشأ يذهبكم﴾ [التوبة: ٣٩] اهـ خطيب.

ومحصل الرد أن إذا تستعمل في المحقق وإن تستعمل في المحتمل ومشيئة الله التبديل لما لم تقع كانت غير محققة فكان المقام لإن فقوله: لأنه تعالى لم يشأ ذلك أي: فلم يقع، فكان غير محقق هذا تمام العبارة تأمل اهـ.

قوله: (عظة للخلق) أي: لأن في تصفحها تنبيهات للغافلين، وفي تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه وأحضر قلبه، وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى إليه سمعه اهـ خطيب.

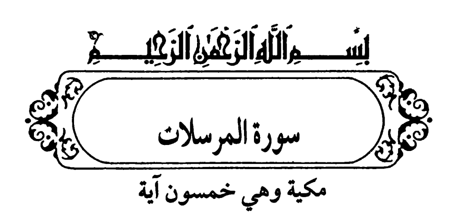
قوله: ﴿فمن شاء اتخذ﴾ الخ أي: لأنا بينا الأمور غاية البيان وكشفنا اللبس وأزلنا جميع موانع الفهم، فلم يبق مانع من استطراق الطريق غير مشيئة العبد اهـ خطيب.

قوله: (بالتاء) أي: التفاتاً عن الغيبة في خلقناهم إلى الخطاب في تشاؤون، وقوله: والياء أي: لمناسبة قوله خلقناهم اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ منصوب على الظرفية وأصله إلا وقت مشيئة الله اهـ سمين.

أي: ما تشاؤون الطاعة والتقرب بها وقتاً من الأوقات إلا وقت أن يشاء الله اتخاذ السبيل اهـ زاده.

قوله: (أي وأعد) وهذا المقدر يلاقي المذكور في المعنى فهو على حد زيداً مررت به اهـ شيخنا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المرسلات

مكية وهي خمسون آية

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ أي الرياح متتابعة، كعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً، ونصبه على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وفي نسخة سورة والمرسلات. قال ابن مسعود: نزلت والمرسلات عرفاً على النبي ﷺ ليلة الجن ونحن معه نسير حتى أوينا إلى غار منى فنزلت، فبينما نحن نتلقاها منه وإن فاه رطب بها إذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيتم شرها كما وقيت شركم» اهـ.

والغار المذكور مشهور في منى يسمى غار المرسلات، وعن كريب مولى ابن عباس قال: قرأت سورة والمرسلات عرفاً فسمعتني أم الفضل امرأة العباس فبكت وقالت: والله يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعته من رسول الله ﷺ يقرأ بها في صلاة المغرب اهـ خطيب.

قوله: ﴿والمرسلات عرفاً﴾ الخ أقسم تعالى بصفات خمسة موصوفها محذوف، فجعله بعضهم الريح في الكل، وبعضهم جعله الملائكة في الكل، وبعضهم غاير فجعله تارة الرياح وتارة الملائكة لا على الوجه الذي ذكره الشارح والوجه الذي سلكه الشارح لم يسلكه غيره من المفسرين. وحاصل صنيعه أنه جعل الصفات الثلاث الأول لموصوف واحد وهو الرياح، وجعل الرابعة لموصوف ثان وهو الآيات، وجعل الخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة، وعلى صنيعه فالتغاير بين الصفات الأول الثلاث من حيث إن المرسلات المراد بها رياح للعذاب لأنه شاع استعمال الإرسال في ريح العذاب وإن العاصفات المراد بها الرياح العديدة كما قال: وإن الناشرات المراد بها الرياح تنشر المطر، فالموصوف في الثلاثة وإن كان رياح لكنها قد اختلفت باختلاف صفاتها. وعبارة النهر: ولما كان للمقسم به موصوفات قد حذفت وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تلك الموصوفات، والذي يظهر أن المقسم به شيئان، ولذلك جاء العطف بالواو في ﴿والناشرات﴾ والعطف بالواو يشرع بالتغاير، وأما العطف بالفاء إذا كان في الصفات فيدل على أنها راجعة لموصوف واحد، وإذا تقرر هذا فالظاهر أنه أقسم أولاً بالرياح، ويدل عليه عطف الصفة بالفاء، والقسم الثاني فيه ترق إلى أشرف من المقسم به الأول وهم الملائكة، ويكون قوله: ﴿فالفارقات﴾ ﴿فالملقيات﴾ من صفاتهم والقاؤهم للذكر وهو ما أنزل الله تعالى إسناده إليهم، وما ذكر من اختلاف المفسرين في المراد بهذه الأوصاف ينبغي أن يحمل على التمثيل لا على التعيين وجواب القسم: وما عطف عليه إن ما توعدون وما موصولة بمعنى: الذي

الحال ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢﴾ الرياح الشديدة ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ الرياح تنشر المطر ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤﴾ أي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل، الحلال والحرام ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ أي الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء أو الرسل يلقون الوحي إلى الأمم ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ أي للإعذار والإنذار من الله تعالى، وفي قراءة بضم ذال نذراً، وقرىء بضم ذال عذراً ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾

والعائد محذوف أي إن الذي توعدونه وهي اسم إن وقوله لواقع خبرها اهـ.

وعبارة البيضاوي: أقسم تعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن الله بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره، ونشرن الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فألقين إلى الأنبياء ذكراً عذراً للمحقين أو نذراً للمبطلين أو بأيات القرآن المرسلة بكل معروف إلى محمد ﷺ فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب ، ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الابدان لاستكمالها، فعصفن ما سوى الحق ونشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه، فيرون كل شيء هالكاً إلا وجهه، فألقين ذكراً بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله تعالى، أو برياح عذاب أرسلن فعصفن ورياح رحمة أرسلن فنشرن السحاب في الجو ففرقن فألقين ذكراً أي: تسببن له، فإن العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته، وعرفاً إما نقيض النكر وانتصابه على العلة أي: أرسلن للإحسان والمعروف، أو بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال اهـ.

قوله: (أي الرياح) أي: رياح العذاب، فلا بد من ملاحظة هذا الوصف ليغاير هذا القسم قوله: ﴿فالعاصفات﴾ اهـ.

قوله: (ونصبه على الحال) أي: من الضمير المستكن في المرسلات، والمعنى على التشبيه أي: حال كونها عرفاً أي: شبيهة بعرف الفرس من حيث تتابعها وتلاحقها كما أنه كذلك ، وقد أشار لوجه الشبه بقوله يتلو بعضه بعضاً والمراد بالتلو الاتصال اهـ شيخنا.

وفي القاموس : والعرف بالضم شعر عنق الفرس اهـ.

ثم قال: والمعرفة كمرحلة موضع العرف من الفرس اهـ.

قوله: ﴿فالعاصفات﴾ من العصف بمعنى الشدة، وفي المصباح: عصفت الريح عصفاً من باب ضرب وعصوفاً أيضاً اشتدت اهـ.

وقوله: تنشر المطر أي تفرقه حيث شاء الله وبابه نصر كما في المختار، وقوله تفرق بين الحق والباطل بابه نصر كما في المختار أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذكراً﴾ مفعول به للملقيات، وقوله: عذراً منصوباً على المفعول لأجله كما ذكره الشارح والمعلل بهما هو الملقيات، والمراد بالإعذار إزالة أعذار الخلائق على حد قوله: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾ [النساء: ١٦٥] لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي وحواشيه ما نصه: والإعذار محو الإساءة، والإنذار التخويف أي: ولأجل

أي كفار مكة من البعث والعذاب ﴿لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ كائن لا محالة ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ محي نورها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ شقت ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾ فتتت وسيرت ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١﴾ بالواو

الإعذار للمحقين ولأجل الإنذار للمبطلين أي: لمحو ذنوب المحقين المعتذرين إلى الله بالتوبة وتخويف المبطلين المصرين على الذنوب اهـ.

والمعنى الأول أظهر كما لا يخفى اهـ.

قوله: (وفي قراءة بضم ذال نذراً) أي: سبعية على أنهما جمعان لعذير بمعنى المعذرة، ونذير بمعنى الإنذار أي: بمعنى العاذر والمنذر اهـ بيضاوي.

وقوله: وقرىء أي: شاذاً ليعقوب من العشرة اهـ شيخنا.

وفي السمين: ويجوز في كل من المثقل بضم ثانيه والمخفف بتسكينه أن يكون مصدراً وأن يكون جمعاً سكنت عينه تخفيفاً اهـ.

قوله: ﴿إنما توعدون﴾ ما إسم موصول والقاعدة أنها إذا كانت كذلك ترسم مفصولة من أن ورسمت هنا موصولة بها اتباعاً لرسم المصحف الإمام اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: إنما توعدون جواب القسم، وما بمعنى الذي وتكتب موصولة بإن ولا تكون ما مصدرية هنا ولا كافة، والعائد محذوف أي أن الذي توعدونه وهي اسم إن اهـ.

قوله: (أي كفار مكة) أي: إما ندائية فينصب ما بعدها وإما تفسيرية للواو فيرفع ما بعدها اهـ قاري.

قوله: ﴿فإذا النجوم طمست﴾ النجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين غير الأخفش وبالابتداء عند الكوفيين والأخفش. وفي جواب إذا قولان، أحدهما: أنه محذوف تقديره فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون لدلالة قوله إنما توعدون لواقع أو بان الأمر. والثاني: أنه لأي يوم أجلت على إضمار القول أي: يقال لأي يوم الخ فالفعل في الحقيقة هو الجواب، وقيل: الجواب ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ [المرسلات: ١٥] نقله مكي وهو غلط، لأنه لو كان جواباً للزمته الفاء لكونه جملة اسمية اهـ سمين.

قوله: (وسيرت) أي: بعد التفتيت أي: سيرتها الرياح، وعبارة في سورة طه فقل ينفسها ربي نسفاً أي: بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالريح اهـ.

وفي المصباح: نسفت الريح التراب نسفاً من باب ضرب اقتلعته وفرقته اهـ.

قوله: ﴿وقتت﴾ قال مجاهد والزجاج: المراد بهذا التأقيت تبين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على أممهم، والوقت الأجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر إليه، فالمعنى جعل لها وقت وأجل للفصل والقضاء وبين الأمم اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: أقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله فإنه لا

والهمز بدلاً منها، أي جمعت لوقت ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ﴾ ليوم عظيم ﴿أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾﴾ للشهادة على أممهم بالتبليغ ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾ بين الخلق ويؤخذ منه جواب إذا أي وقع الفصل بين الخلائق ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾ تهويل لشأنه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ هذا وعيد لهم ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾

يتعين لهم قبله أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره اهـ.

وقوله: فإنه لا يتعين لهم قبله جواب عما يقال كيف يكون تعين ذلك الوقت لهم من مقدمات القيامة وأماراتها كالثلاثة المتقدمة مع أن الرسل قد تبين لهم ذلك الوقت في الدنيا، وتقرير الجواب: أن ما بيّن لهم في الدنيا ليس إلا أنهم يجمعون يوم القيامة ويسألون ماذا أجبتم ولم يبين لهم فيها ذلك الوقت بعينه اهـ زاده.

وعبارة الخازن: ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ أي: جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم اهـ.

قوله: (بالواو) أي: على الأصل أنه من الوقت وهي لأبي عمرو، وقوله: وبالهمز وهي للجمهور أي لأن الواو لما انضمت جعلت همزة اهـ شيخنا.

وقوله: أي جمعت لوقت تفسير لكل من القراءتين اهـ.

واللام بمعنى في والوقت هو يوم القيامة.

قوله: ﴿لأي يوم﴾ متعلق بأجلت أي أجلت الرسل وأمورها لأي يوم، والجملة مستأنفة على ظاهر تقريره، وقوله: ليوم الفصل بدل من قوله: لأي يوم بإعادة العامل اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: قوله: لأي يوم أجلت الجملة مقول قول مضمر أي يوم يقال لأي يوم الخ، وذلك القول المضمر منصوب على الحال من مرفوع أقتت، والمعنى ليوم عظيم أخرت إليه أمور الرسل وهو تعذيب الكفرة وتعذيب المؤمنين، وظهور ما كانت الرسل تذكره من أحوال الآخرة وأهوالها اهـ.

وعبارة السمين: قوله: لأي يوم متعلق بأجلت، وهذه الجملة معمولة لقول مضمر أي: يقال وهذا القول المضمر يجوز أن يكون جواباً لإذا كما تقدم وأن يكون حالاً من مرفوع أقتت أي: مقولاً فيها لأي يوم أجلت، وقوله ليوم الفصل بدل من لأي يوم بإعادة العامل، وقيل: بل يتعلق بفعل مقدر أي: أجلت ليوم الفصل ، وقيل: اللام بمعنى إلى ذكرهما مكي، انتهت.

قوله: (ليوم عظيم) أشار به إلى أن هذا الاستفهام للتهويل والتعظيم، وعبارة أبي السعود: والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله اهـ.

قوله: (ويؤخذ منه) أي: من قوله ليوم الفصل، وقوله: جواب إذا أي: المحذوف كما قدره بقوله أي: وقع الفصل وهو العامل في إذا اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما ادراك﴾ ما استفهامية مبتدأ، وجملة أدراك خبرها والكاف مفعول أول، وقوله ما يوم الفصل جملة من مبتدأ وهو ما الاستفهامية وخبر سادة مسد المفعول الثاني اهـ شيخنا.

بتكذيبهم أي أهلكناهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧﴾ ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل

والاستفهام الأول للاستبعاد والإنكار، والثاني للتعظيم والتهويل، والمعنى: أنت الآن في الدنيا لا تعلم ما يوم الفصل أي لا تعلم عظمه وأهواله على سبيل التفصيل وأن كنت تعلمها إجمالاً فقول الشارح تهويل بشأنه بيان للاستفهام الثاني، وأما الأول فلم يبينه وقد عرفته.

قوله: ﴿ويل يومئذ﴾ أي: يوم إذ يفصل بين الخلائق، وقوله: للمكذبين أي: بذلك اليوم اهـ شيخنا.

وويل مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء، وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف وقعت النكرة مبتدأ في قوله ﴿ويل﴾ قلت: هو في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله، ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات معنى الهلاك ودوامه للمدعو عليهم ونحوه سلام عليكم، ويجوز ويلاً بالنصب ولكنه لم يقرأ به، قلت: هذا الذي ذكره ليس من المسوغات التي عدها النحويون، وإنما المسوغ ما ذكرته لك من كونه دعاء، وفائدة العدول إلى الرفع ما ذكره ويومئذٍ ظرف للويل قال أبو البقاء: ويجوز أن يكون صفة لويل وللمكذبين خبره اهـ سمين.

وكررت هذه الجملة في هذه السورة عشر مرات والتكرار في مقام الترغيب والترهيب مستحسن لا سيما تغايرت الآيات السابقة على المراد المتكررة كما هنا اهـ كرخي.

وفي الخطيب: قال القرطبي: ويل عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسله وكتبه وبيوم الفصل وهو وعيد، وكرره في هذه السورة عند كل آية كأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم، فإن لكل مكذب بشيء عذاباً سوى عذاب تكذيبه بشيء آخر ورب شيء كذب به هو أعظم جرماً من تكذيبه بغيره لأنه أقبح في تكذيبه وأعظم في الرد على الله تعالى، وإنما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو ﴿قوله تعالى﴾ ﴿جزاء وفاقا﴾ [النبأ: ٢٦] وروي عن النعمان بن بشير قال: ويل واد في جهنم فيه ألوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره، وروي أنه ﷺ قال «عرضت عليَّ جهنم فلم أر فيها وادياً أعظم من الويل». وروي أيضاً أنه مجمع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم، وإنما يسيل الشيء فيما سفل من الأرض، وقد علم العباد في الدنيا أن شر المواضع ما استنقع فيها مياه الأدناس والأقذار والغسالات والجيف وماء الحمامات، فذكر أن الوادي مستنقع صديد أهل الكفر والشرك ليعلم العاقل أنه لا شيء أقذر منه قذارة ولا أنتن منه نتناً.

قوله: ﴿الأولين﴾ أي: من آدم إلى زمن محمد كقوم نوح وعاد وثمود اهـ خطيب.

ويكون المراد بالآخرين أمة محمد، وقوله: أي: أهلكناهم أشار إلى أن الاستفهام إنكاري وهو داخل على نفي ونفي النفي إثبات اهـ.

ويعبر عنه بالاستفهام التقريري، والمراد به طلب الإقرار بما بعد النفي.

قوله: ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ العامة على رفع العين استئنافاً أي: ثم نحن نتبعهم. كذا قدره أبو البقاء وقال: وليس بمعطوف لأن العطف يوجب أن يكون المعنى أهلكنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك، وليس كذلك لأن هلاك الآخرين لم يقع بعد. قلت: ولا حاجة في وجه الاستئناف إلى

فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل فنهلكهم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾ تأكيد ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ ضعيف وهو المنيّ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١﴾ حريز وهو الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢﴾ وهو وقت الولادة ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾ نحن

تقدير مبتدأ قبل الفعل بل يجعل الفعل معطوفاً على مجموع الجملة من قوله: ألم نهلك، ويدل على هذا الاستئناف قراءة عبدالله ثم سنتبعهم بسين التنفيس. وقرأ الأعرج، والأعمش، عن أبي عمرو وبتسكينها فيها وجهان، أحدهما: أنه تسكين للمرفوع تخفيفاً فهو مستأنف كالمرفوع لفظاً. والثاني: أنه معطوف على المجزوم، والمعنى بالآخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى، وبالأولين قوم نوح وعاد وثمود اهـ سمين.

قوله: (فنهلكهم) أي: في الدنيا كوقعة بدر بعد الهجرة اهـ شيخنا.

قوله: (تأكيد) وقال البيضاوي: ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وأنبيائه فليس تكراراً، وكذا إن أطلق التكذيب أو علق في الموضعين بواحد، لأن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا للإهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد شائع في كلام العرب اهـ.

قوله: ﴿ألم نخلقكم﴾ الخ هذا نوع آخر من تخويف الكفار وهو من وجهين، الأول: أنه تعالى ذكرهم عظيم إنعامه عليهم وكل من كانت نعمه تعالى عليه أكثر كانت خيانته في حقه تعالى أقبح وأفحش. والثاني: أنه تعالى ذكرهم أنه قادر على الابتداء والقادر على الابتداء قادر على الإعادة، فلما أنكروا هذه الدلالة الظاهرة لا جرم قال تعالى في حقهم: ويل يومئذ للمكذبين، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ [السجدة: ٨] اهـ خطيب.

قوله: (ضعيف) أي: نطفة قذرة منتنة ذليلة اهـ قاري.

قوله: (حريز) أي: يحفظ فيه المني من الآفات المفسدة له كالهواء، وفي المصباح: والحرز المكان الذي يحفظ فيه الشيء والجمع أحراز مثل حمل وأحمال، وأحرزت المتاع جعلته في الحرز، ويقال: حرز حريز للتأكيد كما يقال حصن حصين اهـ.

قوله: ﴿إلى قدر معلوم﴾ أي: إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة اهـ بيضاوي.

وفي المختار: قدر الشيء مبلغة. قلت: وهو بسكون الدال وفتحها ذكره في التهذيب والمجمل وقدر الله وقدره بمعنى في الأصل مصدر قال الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الأنعام: ٩١] أي: ما عظموه حق عظمته، والقدر بالفتح لا غير ما يقدره الله من القضاء اهـ.

قوله: ﴿فقدرنا﴾ قرأ نافع والكسائي بالتشديد من التقدير وهو موافق لقوله: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ [عبس: ١٩] والباقون بالتخفيف من القدرة ويدل عليه فنعم القادرون، ويجوز أن يكون المعنى على القراءة الأولى فنعم القادرون على تقديره، وإن جعلت القادرون بمعنى المقدرون كان جمعاً بين اللفظين ومعناهما واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾ [الطارق: ١٧] اهـ سمين.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾ ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۝٢٥﴾ مصدر كفت بمعنى ضم أي ضامّة ﴿أَحۡيَآءٗ﴾ على ظهرها ﴿وَأَمۡوَٰتٗا ۝٢٦﴾ في بطنها ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ جبالاً مرتفعات ﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ۝٢٧﴾ عذباً ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾ ويقال للمكذبين يوم القيامة ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ﴾ من العذاب

وفي القرطبي: قرأ نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد وخفف الباقون، وهما لغتان بمعنى فقدرنا بالتخفيف بمعنى قدرنا بالتشديد، ومنه قول النبي ﷺ في الهلال إذا غم عليكم فاقدروا له أي: قدروا له السير والمنازل اهـ.

وفي المصباح: قدرت الشيء قدراً من بابي ضرب وقتل، وقدرته تقديراً بمعنى والاسم القدر بفتحتين، وقوله: فاقدروا له أي: قدروا عدد الشهر فكملوا شعبان ثلاثين اهـ.

قوله: (على ذلك) أي: الخلق والتصوير.

قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي: بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة اهـ خطيب.

قوله: ﴿كفاتاً﴾ منصوب على أنه مفعول ثان لنجعل لأنها للتصيير، وقوله: أحياء وأمواتاً منصوبان على أنهما مفعولان به لكفاتاً اهـ سمين.

قوله: (مصدر كفت) فيه نظر لأن كفت من باب ضرب فالحق أنه اسم مكان، ففي المختار كفته إليه وبابه ضرب، والكفات الموضع الذي يكفت فيه شيء أي: يضم، ومنه قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ اهـ.

وفي القاموس: الكفات بالكسر الموضع يكفت فيه الشيء أي: يضم ويجمع والأرض كفات لنا اهـ.

وفي السمين: الكفات اسم للوعاء الذي يكفت فيه أي يجمع يقال: كفته يكفته أي: جمعه وضمه إلى أن قال، وقيل: كفاتاً جمع كافت كصيام وقيام في جمع صائم وقائم، وقيل: بل هو مصدر كالكتاب والحساب اهـ.

قوله: ﴿أحياء ومواتاً﴾ يعني تكفتهم على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم، وتكفتهم أمواتاً في بطنها في قبورهم، ولذلك تسمى الأرض أمّاً لأنها تضم الناس كالأم تضم ولدها اهـ خازن.

قوله: (جبالاً مرتفعات) عبارة الخطيب: رواسي أي جبالاً لولاها لمادت بأهلها. شامخات: أي مرتفعات جمع شامخ وهو المرتفع جداً ومنه شمخ بأنفه إذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثني العطف وتصعير الخد كما قال لقمان لابنه: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾. [لقمان: ١٨] قوله: ﴿وأسقيناكم﴾ أي بما لنا من العظمة ماء أي من الأنهار والعيون والغدران والآبار وغير ذلك ﴿فراتاً﴾ أي عذباً تشربون منه أنتم ودوابكم وتسقون منه زرعكم، وهذه الأمور أعجب من البعث. روي أن في الأرض من الجنة سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة اهـ.

قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي بأمثال هذه النعم اهـ خطيب.

قوله: (من العذاب) بيان لما.

﴿تُكَذِّبُونَ ۝٢٩﴾ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ۝٣٠﴾ هو دخان جهنم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمته ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ كنين يظلهم من حرّ ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾ يرد عنهم شيئاً ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١﴾ النار ﴿إِنَّهَا﴾ أي النار ﴿تَرۡمِي بِشَرَرٖ﴾ هو ما تطاير منها ﴿كَٱلۡقَصۡرِ ۝٣٢﴾ من البناء في عظمه وارتفاعه ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ جمع جمالة، جمع جمل، وفي قراءة جمالة ﴿صُفۡرٞ ۝٣٣﴾ في هيئتها ولونها، وفي

قوله: ﴿انطلقوا إلى ظل﴾ هو توكيد لانطلقوا الأول، وقوله: لا ظليل صفة لظل ولا متوسطة بين الصفة والموصوف لافادة النفي، وجيء بالصفة الأولى اسما، وبالثانية فعلاً دلالة على نفي ثبوت هذه الصفة ونفي التجدد والحدوث للاغناء عن اللهب اهـ سمين.

قوله: ﴿ذي ثلاث شعب﴾ أي فرق شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه، وشعبة عن يساره اهـ بيضاوي.

وفي الخطيب: ذي ثلاث شعب هذا شأن الدخان العظيم إذا ارتفع يصير ثلاث شعب، وقيل: يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون في ظل العرش، وقيل: إن الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين لأنها أوصاف النار اهـ.

قوله: ﴿لا ظليل﴾ هذا تهكم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل اهـ بيضاوي.

أي لأن الظل لا يكون إلا ظليلاً فنفيه عنه للدلالة على أنه جعله ظلاً تهكماً بهم، ولأنه ربما يتوهم أن فيه راحة لهم، فنفي هذا الاحتمال بقوله لا ظليل كما مر في قوله: ﴿وظل من يحموم لا بادر ولا كريم﴾ [الواقعة: ٤٣] اهـ شهاب.

قوله: (كنين) أي ساتر.

قوله: ﴿إنها﴾ أي إن جهنم لأن السياق كله لأجلها، وقرأ العامة بشرر بفتح الشين وعدم ألف بين الراءين، وورش يرقق الراء الأولى لكسر التي بعدها، وقرأ ابن عباس، وابن مقسم بكسر الشين وألف بين الراءين، وعيسى كذلك إلا أنه فتح الشين، فقراءة ابن عباس يجوز أن تكون جمعاً لشررة وفعلة يجمع على فعال نحو رقبة ورقاب ورحبة ورحاب، وأن تكون جمعاً لشر لا يراد به أفعل التفضيل يقال: رجل شر ورجال شرار ورجل خير ورجال خيار، ويؤنثان فيقال امرأة شرة وامرأة خيرة فإن أريد بها التفضيل امتنع ذلك فيهما واختصار بأحكام مذكورة في كتب النحويين أي: ترمى بشرار من العذاب أو بشرار من الخلق، وأما قراءة عيسى فهي جمع شرارة بالألف وهي لغة تميم، والشرارة والشررة ما تطاير من النار متفرقاً اهـ سمين.

قوله: ﴿كأنه﴾ أي: الشرر فهو تشبيه ثان شبهه اولاً بالقصر في عظمه وكبره. وثانياً بالجمال في الهيئة واللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة اهـ من البيضاوي.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية جمالة، وعبارة السمين: قرأ الأخوان وحفص جمالة والباقون جمالات فالجملة فيها وجهان، أحدهما: أنه جمع صريح والتاء جمع لتأنيث الجمع يقال جمل وجمال

الحديث: «شرار النار أسود كالقير» والعرب تسمي سود الإبل صفراً لشوب سوادها بصفرة، فقيل: صفر في الآية بمعنى سود لما ذكر، وقيل: لا، والشرر جمع شررة، والشرار جمع شرارة، والقير القار ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤﴾ ﴿هَٰذَا﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥﴾ فيه بشيء ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العذر ﴿فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ عطف على يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز

جمل وجمالة نحو ذكر وذكار وذكارة وحجر وحجار وحجارة. والثاني: أنه اسم جمع كالذكارة والحجارة قاله أبو البقاء، والأول قول النحاة. وأما جمالات فيجوز أن يكون جمعاً لجمالة هذه وأن يكون جمعاً لجمال فيكون جمع الجمع، ويجوز أن يكون جمعاً لجمل المفرد كقوله: رجالات قريش اهـ.

قوله: (هيئتها ولونها) بيان لوجه الشبه وقوله: وفي الحديث الخ غرضه بهذا التفسير، وقوله: صفر أنه على المجاز، وأن المراد بالصفرة السواد اهـ شيخنا.

قوله: (لشوب) أي: اختلاط سوادها الخ، وقوله: فقيل الخ تفريع على الحديث، وصنيع العرب وقوله: لما ذكر أي: من الحديث، وصنيع العرب وقوله وقيل: لا أي: ليس صفر بمعنى سود بل هو باق على حقيقة اهـ شيخنا.

قوله: (الشرر) أي: الذي في الآية، وقوله: والشرار أي الذي في الحديث وكل منها بفتح الشين، وأما الشرار بكسر فهو جمع شررة أيضاً كرقبة ورقاب ورحبة ورحاب، فشررة يجمع على شرار بكسر الشين وعلى شرر كما قال، والشرر جمع شررة وقوله: القار أي: الزفت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي: بأن هذه أوصاف النار اهـ خطيب.

قوله: (أي يوم القيامة) أي: المدلول عليه بقوله: انطلقوا إلى ظل الخ، وعبارة أبي السعود: هذا إشارة إلى وقت دخولهم النار.

قوله: ﴿لا ينطقون﴾ أي: في بعض المواقف، فإن يوم القيامة يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت، ولذلك ورد الأمران في القرآن الكريم ففي بعضها يختصمون ويتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون اهـ خطيب.

وفي الكرخي: ولا ينافي ذكر ما دل عليه قوله: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ [غافر: ٥٢] ومن وقوع الاعتذار منهم لأن يوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في آخر كما مرت الإشارة إليه، والجواب بأن المراد بتلك الآية الظالمون من المسلمين، وبما هنا الكافرون ضعيف لتعقيب تلك الآية بقوله: ﴿ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ [الرعد: ٢٥] اهـ.

قوله: (من غير تسبب عنه) جواب عما يقال إن العطف بالفاء أو الواو على المنفي يقتضي نصب المعطوف فلم رفع في الآية، وحاصل الجواب: أنه إنما ينصب إذا كان متسبباً عن النفي نحو لا يقضى عليهم فيموتوا، أما إذا لم يكن متسبباً كما هنا، وإنما قصد توجه النفي إلى كل من المعطوف والمعطوف عليه فإنه يرفع اهـ شيخنا.

النفي، أي لا إذن فلا اعتذار ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾ ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعاً ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ ٣٩﴾ فافعلوها ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ﴾ أي تكاثف أشجار، إذ لا شمس يظل من حرها ﴿وَعُيُونٖ ٤١﴾ نابعة من الماء ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢﴾

وفي السمين: وفي رفع فيعتذرون وجهان، أحدهما: أنه مستأنف أي: فهم يعتذرون. قال أبو البقاء: ويكون المعنى أنهم لا ينطقون نطقاً ينفعهم أو ينطقون في بعض المواقف ولا ينطقون في بعضها. والثاني: أنه معطوف على يؤذن فيكون منفياً ولو نصب لكان مسبباً عنه، وقال ابن عطية: ولم ينصب في جواب النفي لتشابه رؤوس الآي، والوجهان جائزان اهـ.

فقد جعل امتناع النصب مجرداً لمناسبة اللفظية، وظاهر هذا مع قوله والوجهان جائزان أنهما بمعنى واحد، وليس كذلك بل المرفوع له معنى غير معنى المنصوب اهـ.

قوله: (فلا اعتذار) لو عبر بالواو لكان أوضح لصراحتها في الدلالة على عدم التسبب.

قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي: الذين لا تقبل معذرتهم اهـ خطيب.

أو المكذبين بهذا اليوم اهـ.

قوله: ﴿هذا يوم الفصل﴾ أي: بين المحق والمبطل اهـ سمين.

وقوله: جمعناكم تقرير وبيان للمفصل اهـ بيضاوي.

أي: لأنه لا يفصل بين المحق والمبطل إلا إذا جمع بينهم، وقوله: والأولين معطوف على الكاف أو مفعول معه وهـذا معمول لقول محذوف، وعبارة القرطبي: أي: ويقال لهم هذا يوم يفصل فيه بين الخلائق اهـ.

قوله: (حيلة) تسميتها كيداً بهم وتقريع وتوبيخ لهم اهـ شيخنا.

وقوله: فافعلوها عبارة الخطيب فكيدون أي: فاحتالوا لأنفسكم وقاووني ولم تجدوا ذلك وهذا تقريع لهم على كيدهم لدين الله وأهله، وقيل: هذا من قول النبي ﷺ، فيكون كقول هود عليه السلام: ﴿فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون﴾ [هود: ٥٥] اهـ.

قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي: بالبعث.

قوله: ﴿إن المتقين﴾ الخ لما ذكر في سورة هل أتى على الإنسان أحوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار وأطنب في أحوال المؤمنين فيها ذكر في هذه السورة أحوال الكفار على الإطناب وأحوال المؤمنين على سبيل الإيجاز، فوقع بذلك التعادل بين السورتين اهـ من البحر.

قوله: (أي تكاثف أشجار) من إضافة الصفة للموصوف أي: أشجار متكاثفة اهـ شيخنا.

وعبارة الكازروني: في ظلال أي: تحت أشجار اهـ.

وفي المختار: التكاثف الغلظ اهـ.

فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب، ويقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا﴾ حال أي متهنئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ من الطاعات ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزينا المتقين ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿كُلُوا

قوله: ﴿وعيون﴾ أي: من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى: ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ [محمد: ١٥] اهـ خطيب.

قوله: ﴿مما يشتهون﴾ راجع للعيون والفواكه، كما أشار له بقوله: (فيه إعلام بأن المأكل) الخ قوله: (بحسب شهواتهم) أي: فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة، فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما في أنواع فاكهة الدنيا، وقوله: فيه إعلام أي: في تعليق الأمر بشهـوتهم ومحبتهم إعلام، وقوله: فبحسب ما يجد الناس في الأغلب أي: فإن الناس في الدنيا إنما يشتهون الموجود دون المعدوم في الأغلب، ومن غير الغالب قد يشتهي الإنسان كالمريض الشيء المعدوم. ومحصل هذا الكلام أن فاكهة الجنة بسائر أنواعها موجودة دائماً وأبداً، وأن فاكهة الدنيا توجد في بعض الأوقات دون بعض اهـ.

قوله: (ويقال لهم) أي: من قبل الله تعالى والقائل لهم الملائكة إكراماً لهم اهـ شيخنا.

يعني أن جملة كلوا واشربوا الخ في موضع نصب على أنها مفعول لقول مضمر منصوب على أنه حال من المنوي في قوله: في ظلال أي: هم مستقرون في ظلال حال كونهم مقولاً لهم ذلك اهـ زاده وسمين.

وقال أبو حيان في البحر: هو خطاب للمؤمنين في الآخرة، ويدل عليه قوله: ﴿بما كنتم تعلمون﴾ والباء سببية وما موصولة اهـ.

قوله: (أي: كما جزينا المتقين) أي: بالضلال والعيون والفواكه، وفيه أنه لا مغايرة بين المتقين والمحسنين، وعلى تقدير أن أحدهما أخص فلا يلائمه التشبيه مع أن جزينا بصيغة الماضي غير ظاهر، فالصواب أي: مثل الجزاء نجزي المحسنين أي: في العقيدة والتكرار يكون باعتبار الوصفين، وإشعار بأن الإحسان في مقابلة الإحسان اهـ قاري.

قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي: يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين اهـ خطيب.

قوله: (خطاب للكفار في الدنيا) فهو راجع إلى ما قبل قوله إن المتقين اهـ قرطبي.

قوله: (من الزمان) أي: فقليلاً منصوب على الظريفة، وقوله: وغايته إلى الموت أي: وهو زمان قليل لأنه زائل مع قصر مدته في مقابلة مدة الآخرة. قال بعض العلماء: التمتع بالدنيا من أفعال الكافرين والسعي لها من أفعال الظالمين والاطمئنان إليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الإذن، والأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين، والإعراض عنها من أفعال الزاهدين، وأهل الحقيقة أجل خطراً من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها اهـ خطيب

قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي: حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل اهـ خطيب.

﴿وَتَمَتَّعُوٓا۟﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ من الزمان وغايته إلى الموت، وفي هذا تهديد لهم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لا يصلون ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لهؤلاء المجرمين من أي قائل كان اهـ خطيب.

وهذا إما أن يتصل بقوله للمكذبين كأنه قيل: ويل للذين كذبوا والذين إذا قيل لهم اركعوا الخ، أو بقوله إنكم مجرمون على الالتفات كأنه قيل هم أحقاء بأن يقال لهم كلوا وتمتعوا الخ، ثم علله بكونهم مجرمين وكونهم إذا قيل لهم صلوا لا يصلون كذا في الكشف نقلاً عن الكواشي اهـ شهاب.

وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة اهـ خطيب.

قوله: (صلوا) أي: فسميت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع، وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع والطاعة، ولأنه خاص بصلاة المسلمين اهـ خطيب.

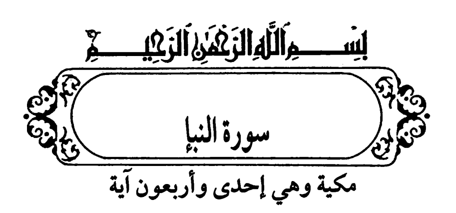
قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي: بما أمروا به ونهوا عنه اهـ خطيب.

قوله: ﴿فبأي حديث﴾ متعلق بيؤمنون أي: لم يؤمنوا بالقرآن فيؤمنون بأي شيء اهـ شيخنا.

قال الرازي: أنه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة إلى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة، وحثوا على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار، وبيّن إنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل القطعية مع تجليها ووضوحها لا يؤمنون بغيرها، انتهى خطيب.

قوله: (لاشتماله على الإعجاز الخ) ومن جملة وجوه إعجازه اشتماله على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة اهـ بيضاوي.

وهذا التعليل لا ينتج ما ادعاه من عدم الإمكان، إذ يجوز أن يكون يؤمنوا بغيره مع عدم إعجازه ويكذبوا بالقرآن المعجز، فلو قال الشارح في التعليل لأن القرآن مصدق للكتب القديمة موافق لها في أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لأن ما في غيره موجود فيه فلا يمكن الإيمان بغيره مع تكذيبه كان أولى.



مكية وهي إحدى وأربعون آية

﴿عَمَّ﴾ عن أي شيء ﴿يَتَسَآءَلُونَ ①﴾ يسأل بعض قريش بعضاً ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ②﴾ بيان لذلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة النبأ العظيم كما في بعض النسخ، وفي الخازن، وفيه أيضاً: وتسمى سورة عم، وفي الخطيب: وتسمى سورة عم يتساءلون اهـ.

قوله: ﴿عم﴾ قد تقدم أن البزي يدخل هاء السكت عوضاً من ألف ما الاستفامية في الوقت، ونقل عن ابن كثير أنه يقرأ عمه بالهاء وصلاً أجرى الوصل مجرى الوقف، وقرأ عبدالله وأبي وعكرمة وعيسى عما بإثبات الألف، وقد تقدم أنه يجوز ضرورة أو في قليل من الكلام اهـ سمين.

والظاهر أن عم متعلق بيتساءلون، وتم الكلام عند قوله: يتساءلون وعن النبأ بيان لذلك الشيء، فليس صفة ليتساءلون لأن عم صلته بل هو صلة لمحذوف مستأنف للبيان، وهذا الاستفهام لا يمكن حمله على حقيقته لأن المطلوب به لا بد أن يكون مجهولاً عند الطالب، فلذا جعل مجازاً عن الفخامة لأنه ورد على طريق مخاطبات العرب، فالاستفهام بالنسبة إلى الناس اهـ شهاب.

روي أنه عليه الصلاة والسلام لما بعث جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون: ما الذي أتى به ويتجادلون فيما بعث به، فنزلت هذه السورة، ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما ذكر في قوله: ﴿فبأي حديث بعده﴾ [الأعراف: ١٨٥] أي: بعد هذا الحديث وهو القرآن كانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه، فقال: ﴿عم يتساءلون﴾ والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب اهـ نهر.

قوله: (بيان لذلك الشيء) أي: المعبر عنه بما الاستفهامية، والظاهر أن مراده بالبيان عطف البيان النحوي ولا مانع منه عقلاً ولا صناعة، وحمل الشهاب له على البيان الاستئنافي الذي هو جملة واقعة في جواب سؤال مقدر بعيد صناعة، إذا لا يظهر تقدير سؤال يكون هذا جوابه، لأن السؤال مصرح به وهو عم يتساءلون، فكيف يقدر مع وجوده اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: قوله: عن النبأ العظيم جواب عن السؤال يعمّ على منهاج قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] وقيل: قبل عن الثانية استفهام مضمر كأنه قيل: عم يتساءلون أعن النبأ العظيم اهـ.

الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن المشتمل على البعث وغيره ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ تأكيد، وجيء فيه بثم للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من

قوله: (والاستفهام لتفخيمه) عبارة الخطيب: ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال: عن أي شيء يتساءلون ونحوه كقوله: زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينة وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك، فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول وما العنقاء تريد أي: شيء هو من الأشياء هذا أصله، ثم جرد العبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية، انتهت.

قوله: ﴿الذي﴾ صفة للنبأ، وهم مبتدأ ومختلفون خبره وفيه متعلق بمختلفون، والجملة صلة الذي اهـ سمين.

وقد حمل الشارح الواو في يتساءلون على قريش، والضمير الذي هو هم على الأعم من المؤمنين والكافرين، وعلى صنيعه يكون في الكلام نوع قلاقة من حيث إن الظاهر تساوي الواو وهم ما صدقاً، وعلى صنيعه ليسا متساويين كما علمت اهـ شيخنا.

وما سلكه تلفيق بين قولين، وفي الخطيب: وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين جميعاً وكانوا جميعاً يتساءلون عنه، أما المسلم فليزداد خشية، وأما الكافر فليزداد استهزاء اهـ.

قوله: ﴿مختلفون﴾ أي: في ثبوته وإنكاره كما أشار له المفسر اهـ.

قوله: (ردع) أي: فيه معنى الوعيد والتهديد بدليل قوله بأن الوعيد الثاني أشد من الأول، وعبارة الشهاب: قوله: ردع أي عن التساؤل فالردع بكلا والوعيد عليه من سيعلمون، وقوله: ما يحل بهم مفعول به ليعلمون أي: ما يحل بهم عند النزع أو في القيامة لأنه يكشف لهم الغطاء حينئذ، انتهت.

وفي المصباح: وحل العذاب يحل ويحل بالكسر والضم هذه وحدها بالوجهين اهـ.

وقوله: على إنكارهم له أي: القرآن اهـ.

قوله: (تأكيد) أي: لفظي كما زعمه ابن مالك، ولا يضر توسط حرف العطف، والنحويون يأبون هذا ولا يسمونه إلا عطفاً وإن أفاد التأكيد اهـ سمين.

وقيل: الأول عند النزع، والثاني: في القيامة، وقيل: الأول للبعث، والثاني: للجزاء اهـ بيضاوي.

قوله: (للإيذان) بأن الوعيد الثاني أشد من الأول، وبهذا الاعتبار صار كأنه مغاير لما قبله ولذا عطف عليه بثم شهاب.

وقال زاده: ثم موضوعة للتراخي الزماني، وقد استعمل في التراخي الرتبي كما هنا تشبيهاً لتباعد الرتبة بتباعد الزمان اهـ.

الأول، ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ فراشاً كالمهد ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد، والاستفهام للتقرير ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ راحة لأبدانكم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ ساتراً بسواده ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ وقتاً للمعايش ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدَادًا ۝١٢﴾ جمع شديدة أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ منيراً ﴿وَهَّاجًا ۝١٣﴾ وقاداً

قوله: (ثم أومأ تعالى) أي: أشار إلى القدرة على البعث أي إلى الأدلة الدالة عليها وذكر منها تسعة، ووجه الدلالة أن يقال إنه تعالى حيث كان قادراً على هذه الأشياء فهو قادر على البعث اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: ثم أومأ تعالى الخ أشار بهذا وبما قدمه من قوله السابق ومن القرآن المشتمل على البعث الخ إلى جواب كيف اتصل وارتبط قوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ بما قبله وإيضاحه: أنه لما كان النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه هو البعث والنشور وكانوا ينكرونه، قيل لهم: ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال قدرته وغاية قهره وأن جميع الأشياء طوع إرادته ووفق مشيئته، فما وجه إنكاركم قدرته على البعث، لأنه قد تقرر أن الأجسام متساوية الأقدار في قبول الصفات و الأعراض، وهذا الجعل بمعنى الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أنه مختص بالإنشاء التكويني، وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة اهـ.

قوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ الأول مفعول أول ومهاداً مفعول ثان، لأن الجعل بمعنى التصيير، ويجوز أن يكون بمعنى الخلق فيكون مهاداً حالاً مقدرة وأوتاداً كذلك، وأما سباتاً فالظاهر كونه مفعولاً ثانياً اهـ سمين.

قوله: (فراشاً كالمهد) أي: للصبي وهو ما يمهد له لينام عليه، وسمي المهمود بالمهد تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير اهـ خطيب.

قوله: (للتقرير) أي: بما بعد النفي.

قوله: ﴿سباتاً﴾ في المختار: السبات النوم وأصله الراحة، ومنه قوله تعالى: ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ وبابه نصر اهـ.

وفي المصباح: والسبات بالضم كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة. يقال منه: سبت يسبت من باب قتل وسبت بالبناء للمفعول غشي عليه وأيضاً مات اهـ.

قوله: (ساتراً بسواده) أي: ظلمته فشبه الليل باللباس لأن كلاً منهما ستر فهو استعارة اهـ.

قوله: (وقتاً للمعايش) أي: تتصرفون فيه في حوائجكم يعني أنه مصدر ميمي بمعنى المعيشة وهي الحياة وقع هنا ظرفاً كما يقال: آتيك طلوع الفجر، لأنه لم يثبت مجيئه في اللغة اسم زمان، إذ لو ثبت لم يحتج لتقدير المضاف اهـ شهاب.

قوله: ﴿وهاجاً﴾ الوهاج المضيء المتلألىء من قولهم: وهج الجوهر أي: تلألأ، ويقال: وهج يوهج كوجل يوجل ووهج يهج كوعد يعد اهـ سمين.

يعني الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التي دنت من الحيض ﴿مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ صباباً ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا ۝١٥﴾ كالتبن ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا ۝١٦﴾ ملتفة جمع لفيف كشريف وأشراف ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧﴾ وقتاً للثواب والعقاب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ إسرافيل ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ جماعات مختلفة ﴿وَفُتِحَتِ

قوله: (التي حان لها أن تمطر) في البيضاوي: من المعصرات السحابات إذا عصرت أي: شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر، كقولك: أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد، ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض اهـ.

قوله: (الجارية) المارد بها متعلق الأنثى اهـ.

وقوله: التي دنت أي: قربت من الحيض اهـ.

قوله: ﴿ماء ثجاجاً﴾ الثج الانصباب بكثرة وشدة، وفي الحديث: «أحب العمل إلى الله العج والثج» فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج إراقة دماء الهدي يقال: ثج الماء بنفسه أي انصب وثججته أنا أي: صببته ثجاً وثجوجاً فيكون لازماً ومتعدياً اهـ سمين.

وفي المختار: ثج الماء والدم سال وبابه رد ومطر ثجاج أي: منصب جداً، أيضاً سيلان دماء الهدي وهو لازم تقول منه ثج الدم يثج بالكسر ثجا بالفتح. قلت: وقد نقل الأزهري عن أبي عبيد مثل هذا اهـ.

قوله: ﴿حبا ونباتاً﴾ عبارة البيضاوي: ما يقتات به وما يعلف من التبن والحشيش اهـ.

قوله: (جمع لفيف) عبارة السمين، قال الزمخشري: ألفافاً ملتفة لا واحد له، والثاني: أنه جمع لف بكسر اللام فيكون نحو سِر وأسرار، الثالث: أنه جمع لفيف قاله الكسائي ومثله شريف وأشراف وشهيد وأشهاد اهـ.

قوله: ﴿إن يوم الفصل﴾ الخ لما أثبت الله البعث بالأدلة التسعة المتقدمة كأن سائلاً سأل عن وقته ما هو فقال: إن يوم الفصل الخ وأكده بإن لأنه مما ارتابوا فيه اهـ شهاب.

قوله: ﴿كان ميقاتاً﴾ أي: كان في علمه وحكمه، لأن ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضي لأنه أمر مقدر قبل حدوث الزمان، فلذلك قيد بعلم الله أو حكمه، ولعل المراد بالحكم القضاء والتقدير الأزلي وهو غير العلم عند الأشاعرة، لأنه عبارة عن الإرادة الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال اهـ كرخي.

قوله: (وقتا للثواب والعقاب) أشار به إلى أن الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله به من الثواب والعقاب اهـ كرخي.

قوله: ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ أي: النفخة الثانية تنفخ الأرواح التي في القرن فتطير كل روح من ثقبها إلى جسدها لأن فيه ثقباً بعدد الأرواح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فتأتون﴾ أي: إلى موضع العرض أفواجاً أي: أمماً مع كل أمة إمامهم، وقيل: زمراً

﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ بالتشديد والتخفيف شققت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩﴾ ذات أبواب ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ ذهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠﴾ هباء، أي مثله في خفة سيرها ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ

وجماعات الواحد فوج. وروي من حديث معاذ بن جبل: قلت: يا رسول الله أرأيت قوله الله تعالى: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾؟ فقال النبي ﷺ: «يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم» ثم أرسل عينيه باكياً قال: «يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم ووجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عمي مترددون وبعضهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدروهم يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من قطران لاصقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس، وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا، وأما العمي فهم من يجوز في الحكم، وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقُصّاص الذين يخالف قولهم فعلهم، وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران، وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم، وأما الذين يلبسون الجلاليب فأهل الكبر والفخر والخيلاء» اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وفتحت السماء﴾ عطف على فتأتون وإيثار الماضي لتحقق الوقوع أو حال أي: فتأتون والحال أنها قد فتحت اهـ قاري.

قوله: بالتشديد والتخفيف سبعيتان. قوله: (شققت لنزول الملائكة) أي: لأنهم يموتون بالنفخة الأولى ويحيون بين النفختين وينزلون جميعاً يحيطون بأطراف الأرض وجهاتها يسوقون الناس إلى المحشر اهـ شيخنا.

وأشار الشارح بهذا إلى أن المراد بالفتح ليس ما عرف من فتح الأبواب وهو موافق لقوله: ﴿إذا السماء انشقت﴾ [الانشقاق: ١] ﴿إذا السماء انفطرت﴾ [الانفطار: ١] فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً وعبّر عن التشقيق بالفتح إشارة إلى كمال قدرته، حتى كأن تشقيق هذا الجرم العظيم كفتح الباب سهولة وسرعة اهـ شهاب.

وقوله: فكانت أي: صارت من كثرة الشقوق أبواباً اهـ.

قوله: ﴿وسيرت الجبال﴾ أي: في الهواء كالهباء الذي هو الغبار أي: رفعت من مكانها بعد تفتيتها اهـ.

قوله: ﴿فكانت سراباً﴾ تفسير السراب بالهباء الذي سلكه الشارح ليس له مستند في اللغة، فالأولى إبقاؤه على ظاهره على سبيل التشبيه، والمعنى فكانت مثل السراب من حيث إن المرئي خلاف

﴿مِرْصَادًا ۝٢١﴾ راصدة أو مرصدة ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مَـَٔابًا ۝٢٢﴾ مرجعاً لهم فيدخلونها ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ حال مقدرة أي مقدر لبثهم ﴿فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ دهوراً لا نهاية لها، جمع حقب بضم أوّله ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نوماً فإنهم لا يذوقونه ﴿وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ ما يشرب تلذذاً

الواقع فكما يرى السراب كأنه ماء، فكذلك ترى الجبال كأنها جبال وليست كذلك في نفس الأمر، وفي البيضاوي: وسيرت الجبال أي: في الهواء كالهباء، فكانت سراباً أي: مثل سراب إذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها اهـ.

قوله: (أي مثله في خفة سيرها) عبارة الخطيب: فكانت سراباً أي لا شيء كما أن السراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء قال الرازي: إن الله تعالى ذكر أحوال الجبال بوجوه مختلفة، ويمكن الجمع بينها بأن تقول: أول أحوالها الاندكاك وهو قوله تعالى: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ [الحاقة: ١٤] والحالة الثانية أن تصير كالعهن المنفوش، والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء وهو قوله تعالى: ﴿وبست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً﴾ [الواقعة: ٥] الحالة الرابعة: أن تنسف لأنها مع أحوالها المتقدمة قارة في مواضعها فترسل عليها الرياح فتنسفها عن وجه الأرض فتطير في الهواء وهو قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ [طه: ١٥] الحالة الخامسة: أن تصير هباء أي: لا شيء كما يرى السراب من بعد، انتهت.

قوله: ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ لما فرغ من الأحوال العامة للقيامة كقوله: ﴿إن يوم الفصل﴾ [الدخان: ٤٠ النبأ: ١٧] الخ شرع يصف أهوال جهنم وأحوالها فقال: إن جهنم الخ اهـ رازي.

قوله: (راصدة أو مرصدة) أشار إلى أن مرصاداً من رصدت له أعددت له، والمرصاد الطريق والممر، فالمؤمن يمر عليها ليدخل الجنة والكافر يدخلها اهـ كرخي.

قوله: ﴿للطاغين﴾ متعلق بمرصاد اهـ.

قوله: (حالة مقدرة) أي: من الضمير المستتر في للطاغين اهـ سمين.

وقوله: ﴿حقاباً﴾ بظرف للاثنين اهـ.

قوله: (لا نهاية لها) أي: لمجموعها وإن كان كل منها متناهياً، وإنما قال لا نهاية لها ليوافق قوله تعالى: ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾ [المائدة: ٣٧] اهـ شيخنا.

قوله: (جمع حقب بضم أوله) أي: وسكون ثانيه، وعبارة الخازن: أحقاباً جمع حقب وهو ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة. يروى ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل: الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة.

فإن قلت: الأحقاب وإن طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فما معنى قوله أحقاباً؟

قلت: ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها: ما روي عن الحسن قال: إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال: ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل حقب إلى الأبد، وليس للأحقاب مدة إلا الخلود،

﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَمِيمًا﴾ ماء حاراً في غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار فإنهم يذوقونه، جوزوا بذلك ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ موافقاً لعملهم فلا

وروي عن عبد الله بن مسعود قال: لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا.

الوجه الثاني: أن لفظ الأحقاب لا يدل على نهاية، والحقب الواحد متناه والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً، فهذا توقيت لأنواع العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها.

والوجه الثالث: أن الآية منسوخة لقوله: ﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ [النبأ: ٣٠] يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل اهـ.

قوله: ﴿لا يذوقون﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه مستأنف أخبر عنهم بذلك. الثاني: أنه حال من الضمير في لابثين أي لابثين غير ذائقين فهي حال متداخلة. الثالث: أنه صفة لأحقاباً اهـ سمين.

قوله: (نوماً) سمي النوم برداً لأنه يبرد صاحبه. ألا ترى أن العطشان إذا نام سكن عطشه اهـ زاده.

وإطلاق البرد على النوم لغة هذيل وسمي بذلك لأنه يقطع سورة العطش اهـ سمين.

وفي القرطبي: لا يذوقون فيها أي: في الأحقاب برداً ولا شراباً البرد النوم في قول أبي عبيدة وغيره، والعرب تقول: منع البرد البرد يعني: أذهب البرد النوم قلت: قد جاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل في الجنة نوم؟ فقال: «لا النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها وكذلك النار وقد قال تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ [فاطر: ٣٦] «وقال ابن عباس: البرد برد الشراب، وعنه أيضاً: البرد النوم والشراب الماء، وقال الزجاج: أي لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل نوم، فجعل البرد برد كل شيء له راحة وهذا برد ينفعهم، فأما الزمهرير فهو بدر يتأذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله أعلم به، وقال الحسن، وعطاء، وابن زيد: برداً أي: روحاً وراحة اهـ.

قوله: ﴿إلا حميماً﴾ الخ قضية كلامه أن الاستثناء منقطع، وذلك من تفسير البرد بالنوم ووصفه الشراب بما ذكر، ويوافقه قول الكشاف لا يذوقون فيها برداً ينفس عنهم حر النار ولا شراباً يسكن عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميماً، وقال أبو حيان: الظاهر أنه متصل من قوله: ﴿ولا شراباً﴾ وقضية كلام الكواشي تجويز الأمرين، وقيل: إنه بدل من شراباً وهو الأحسن لأن الكلام غير موجب اهـ كرخي.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان.

قوله: ﴿جزاء وفاقاً﴾ مصدر منصوب بمحذوف قدره الشارح بقوله: جوزوا بذلك الخ. وهذا المحذوف مستأنف اهـ شيخنا.

قوله: (موافقاً لعملهم) أشار به إلى أن وفاقاً صفة لجزاء تأويله باسم الفاعل، ويصح أن يكون على جزاء حذف مضاف أي: ذا وفاق أو باق على مصدريته لقصد المبالغة اهـ شيخنا.

ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ لإنكارهم البعث ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن ﴿كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ تكذيباً ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ كتباً في اللوح المحفوظ لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن ﴿فَذُوقُوا۟﴾ أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ فوق عذابكم ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ مكان فوز في الجنة

قوله: ﴿إنهم كانوا﴾ تعليل لقوله وفاقاً وقوله: حساباً أي محاسبة، وقوله: وكذبوا علة ثانية معطوفة على العلة قبلها، وقوله: كذاباً بالتشديد باتفاق السبعة اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ العامة كاذباً بتشديد الذال، وقرأ علي، والأعمش، وأبو رجاء، وعيسى البصري بالتخفيف وهو مصدر لهذا الفعل الظاهر على حذف الزوائد اهـ.

قوله: ﴿كذاباً﴾ هذه لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال اهـ خازن.

قوله: ﴿وكل شيء﴾ منصوب على الاشتغال أي: وأحصينا كل شيء أحصيناه هذه الجملة معترضة بين السبب ومسببه، فإن قوله: فذوقوا مسبب عن تكذيبهم وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله: جزاء وفاقاً اهـ زاده.

قوله: ﴿كتاباً﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه مصدر من معنى أحصيناه أي: إحصاء فالتجوز في نفس المصدر. والثاني: أنه مصدر لأحصينا لأنه في معنى كتبنا، فالتجوز في نفس الفعل. قال الزمخشري: لالتقاء الإحصاء والكتب في معنى الضبط والتحصيل. الثالث: أن يكون منصوباً على الحال بمعنى مكتوباً في اللوح اهـ سمين.

قوله: (في اللوح المحفوظ) وقيل: كتباً في صحف الحفظة على بني آدم، وفي القرطبي، وقيل: أراد ما كتب على العباد من أعمالهم، فهذه الكتابة صدرت من الملائكة الموكلين بالعباد بأمر الله تعالى إياهم بالكتابة دليله قوله تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين﴾ [الانفطار: ١٠] اهـ.

قوله: (لنجازي عليه) أي: إن خيراً فخير وإن شراً فشر اهـ.

وقوله: من ذلك أي: كل شيء.

قوله: ﴿فذوقوا﴾ أمر إهانة وتحقير، والجملة معمولة لقول مقدر كما أشار له الشارح. قوله: ﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ قيل: هذه أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه اهـ خازن.

وقال الرازي: وفي هذه الآية مبالغات منها: التأكيد بلن، ومنها الالتفات، ومنها إعادة قوله تعالى: فذوقوا بعد ذكر العذاب اهـ خطيب.

قوله: (مكان فوز) حمله على أنه مصدر ميمي بمعنى المكان، ويصح أن يكون بمعنى الحدث أي: نجاة من كل مكروه وظفراً بكل محبوب اهـ.

وفي الخازن: إن للمتقين مفازاً أي فوزاً أي نجاة من العذاب، وقيل: فوزاً بما طلبوه من نعيم

﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتين بدل من مفازاً، أو بيان له ﴿وَأَعْنَبًا ﴿٣٢﴾﴾ عطف على مفازاً ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جواري تكعبت ثديهنَّ، جمع كاعب ﴿أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ على سن واحد، جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ خمراً مالئة محالها، وفي القتال وأنهار من خمر ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال ﴿لَغْوًا﴾ باطلاً من القول ﴿وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾

الجنة، ويحتمل أن يفسر الفوز بالأمرين جميعاً لأنهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم، ثم فسره فقال حدائق الخ اهـ.

وفي المختار: الفوز النجاة والظرف بالخير وهو الهلاك أيضاً وبابهما قال اهـ.

وعلى هذا فاطلاق المفازة على الفلاة الخالية من الماء حقيقي لأنها مهلكة، ومن معاني الفوز الهلاك كما رأيت، وفي القاموس: الفوز النجاة والظفر بالخير والهلاك ضد فاز مات وبه ظفر ومنه نجا اهـ سمين.

قوله: (بدل من مفازاً) أي: بدل بعض، والرابط مقدر أي: حدائق هي حالة فيه اهـ سمين.

قوله: (عطف على مفازاً) وذكرت بعد الحدائق تنويهاً بعظم شأنها وإلاَّ فهي من جملة الحدائق قال القاري: وهذا بعيد جداً والظاهر عطفه على حدائق وكذا كواعب وكأساً اهـ.

وفي أبي السعود: حدائق وأعناباً أي: بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة وكروماً بدل من مفازاً اهـ.

قوله: (تكعبت ثديهن) أي: استدارت مع ارتفاع يسير فصارت كالكعب، وهو يكون في سن البلوغ وثديهن بضم المثلثة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء التحتية جمع ثدي اهـ شيخنا.

وفي المختار: وكعبت الجارية من باب دخل بدا ثديها للنهود فهي كعاب بالفتح كسحاب وكاعب والجمع كواعب اهـ.

قوله: (خمراً مالئة محالها) فسر الكأس بالخمر والدهاق بالمالئة، ولو أبقى الكأس على ظاهرها وفسر الدهاق بالممتلئة لكان أولى. وفي المختار: أدهق الكأس ملأها وكأس دهاق أي: ممتلئة اهـ.

وفي القاموس: دهق الكأس كجعل ملأها والإناء أفرغه إفراغاً شديداً ضد كأدهقه فيهما ودهق لي دهقة من المال أعطاني منه صدراً والشيء كسره وقطعه أو غمزه شديداً وفلاناً ضربه وكأس دهاق ككتاب ممتلئة أو متتابعة وماء دهاق كثير اهـ.

وفيه أيضاً: والكأس الإناء يشرب فيه أو ما دام الشراب فيه مؤنثة مهموزة والشراب والجمع أكؤس وكؤوس وكأسات وكئاس اهـ.

قوله: ﴿لا يسمعون﴾ حال من المتقين. قوله: (وغيرها) هكذا في بعض النسخ والضمير عائد على الشرب، وكأن تأنيثه لاكتساب الشرب التأنيث من المضاف إليه وهو الخمر، فإنها تذكر وتؤنث، وفي بعض النسخ وغيره وهو ظاهر. وفي الخطيب: لا يسمعون فيها أي: الجنة في وقت ما عند شرب الخمر وغيره من الأحوال اهـ.

بالتخفيف أي كذباً، وبالتشديد أي تكذيباً من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَآءً﴾ بدل من جزاء ﴿حِسَابًا ٣٦﴾ أي كثيراً من قولهم: أعطاني فأحسبني أي أكثر علي حتى قلت حسبي ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالجر والرفع ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ كذلك وبرفعه مع جر رب ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي الخلق ﴿مِنْهُ﴾

قوله: (بالتخفيف) بوزن كتاب مصدر كذب المخفف ككتب كتاباً، وقوله: وبالتشديد مصدر كذب المشدد، وإنما اتفق السبعة على القراءة بالتشديد في قوله: ﴿وكذبوا بآياتنا كذاباً﴾ للتصريح بفعله المشدد المقتضي لعدم التخفيف في كذاباً، وأما هنا فقرأ السبعة بالتخفيف والتشديد لعدم التصريح بفعله اهـ من الرازي.

قوله: ﴿جزاء من ربك﴾ أي: بمقتضى وعده، وقوله: عطاء أي: تفضلاً منه إذ لا يجب عليه شيء اهـ بيضاوي.

وقوله: بمقتضى وعده جواب عما يقال إنه تعالى جعل ما وعده للمتقين جزاء وهو كالجمع بين المتنافيين، لأن كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق بسبب العمل، وكونه عطاء يستدعي عدم ثبوته. وتقرير الجواب أن ذلك تفضل وعطاء في نفس الأمر وجزاء مبني الاستحقاق من حيث إنه تعالى وعده لأهل الطاعة اهـ زاده.

قوله: (بدل من جزاء) أي: بدل كل من كل وفي إبداله: منه نكتة لطيفة وهي الدلالة على أن بيان كونه عطاء وتفضلاً منه هو المقصود، وبيان كونه جزاء وسيلة له اهـ زاده.

قوله: ﴿حساباً﴾ صفة لعطاء، والمعنى كافياً فهو مصدر أقيم مقام الوصف، أو باق على مصدريته مبالغة، أو هو على حذف مضاف اهـ سمين.

وفي القاموس: وحسبك درهم كفاك وشيء حساب كاف ومنه عطاء حساباً وأحسبه أرضاه اهـ.

وعبارة المصباح وأحسبه كفاه اهـ.

قوله: (بالجر) أي: جر ربِّ على البدلية من ربك، والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هو رب، وقوله: كذلك أي بالجر والرفع فمن جره فعلى البدل من رب الأول أو على التبعية لرب الثاني، ومن رفعه فعلى أنه خبر مبتدأ محذوف وتكون جملة لا يملكون مستأنفة أو الرحمن مبتدأ، وجملة لا يملكون خبره، وقوله: وبرفعه مع جر ربِّ أي: رفع الرحمن والإعراب كما تقدم اهـ سمين.

قوله: (أي الخلق) أي: من أهل السموات وأهل الأرض، وقوله: من ابتدائية متعلقة بلا يملكون لأن مبدأ الملك منه وهو عام خص منه ما بعده من الإذن في الشفاعة أي: لا يملكهم الله ذلك، كما تقول: ملكت منه درهماً إشارة إلى أن مبدأ الملك منه اهـ شهاب.

ويصح أن تكون بمعنى اللام متعلقة بخطاباً أي: لا يملكون خطاباً له أي: خطابه والكلام معه، وعبارة البيضاوي: والواو لأهل السموات والأرض أي: لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب لأنهم مملكون على الإطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضاً وذلك لا ينافي الشافعة بإذنه، انتهت.

تعالى ﴿خِطَابًا ۝٣٧﴾ أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفاً منه ﴿يَوْمَ﴾ ظرف للا يملكون ﴿يَقُومُ الرُّوحُ﴾ جبريل أو جند الله ﴿وَالْمَلَٰئِكَةُ صَفًّا﴾ حال أي مصطفين ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي الخلق ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا ۝٣٨﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الثابت وقوعه وهو يوم القيامة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ۝٣٩﴾ مرجعاً أي رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي عذاب يوم القيامة الآتي، وكل آت قريب ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لعذاباً بصفته ﴿يَنظُرُ

قوله: (أو جند الله) أي: جند من جنود الله، فقد روى ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «الروح في هذه الآية جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام على صورة بني آدم كالناس وليسوا بناس». وفي القرطبي: واختلف في الروح على أقوال ثمانية، **الأول**: أنه ملك من الملائكة. قال ابن عباس: ما خلق الله مخلوقاً بعد العرش أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً وقامت الملائكة كلهم صفاً فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم، ونحوه عن ابن مسعود قال: الروح ملك أعظم من في السموات السبع ومن في الأرضين السبع ومن الجبال، وهو في السماء الرابعة يسبح الله تعالى كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً فيجيء يوم القيامة وحده صفاً. الثاني: أنه جبريل عليه السلام قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير. الثالث: روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «الروح في هذه الآية جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام» ثم قرأ ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ فإن هؤلاء جند وهؤلاء جند، وهذا قول أبي صالح ومجاهد، وعلى هذا فهم خلق على صورة بني آدم كالناس وليسوا بناس. الرابع: أنهم أشراف الملائكة قاله مقاتل وابن حيان. الخامس: أنهم حفظة على الملائكة قاله ابن أبي نجيح. السادس: أنهم بنو آدم قاله الحسن وقتادة فالمعنى ذو الروح، وقال العوفي، وقتادة: هذا مما كان يكتمه ابن عباس قال: الروح خلق من خلق الله على صورة بني آدم وما نزل ملك من السماء إلا ومعه واحد منهم. السابع: أرواح بني آدم تقوم صفاً وتقوم الملائكة صفاً وذلك بين النفختين قبل أن ترد إلى الأجساد قاله ابن عطية. الثامن: أنه القرآن قاله زيد بن أسلم وقرأ ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢] اهـ.

قوله: ﴿لا يتكلمون﴾ الخ تقرير وتأكيد لقوله: لا يملكون فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صواباً كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه فكيف يملكه غيرهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا﴾ الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف وقوله: إلى ربه أي: إلى ثوابه وهو متعلق بمآباً كأنه قيل: وإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء أن يتخذ مرجعاً إلى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالإيمان والطاعة، وتعلق الجار به لما فيه من مغنى الإفضاء والإتصال اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: مآبا أي: سبيلاً يرجع إليه وهو طاعة الله وما يتقرب به إليه اهـ.

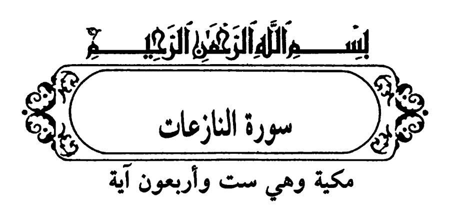
﴿ٱلْمَرْءُ﴾ كل امرىء ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى﴾ حرف تنبيه ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ يعني فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كوني تراباً.

قوله: (كل امرىء) أي: مسلماً كان أو كافراً وهذا العموم أخذه من أل الاستغراقية اهـ.

والنظر يعني الرؤية أي: يرى كل ما قدمه مثبتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً.

قوله: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾ عبارة البيضاوي: أي في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو في هذا اليوم فلم أبعث، وقيل: تحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد تراباً فيود الكافر حالها اهـ.

قوله: (عندما يقول الله للبهائم الخ) أي: وأما الجن فقال أبو الزياد يعودون تراباً أيضاً، وقال عمر ابن عبد العزيز ومجاهد وغيرهما: مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها، والذي عليه الأكثرون أنهم مكلفون مثابون ومعاقبون، فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار كبني آدم اهـ خطيب والله أعلم.



سورة النازعات

مكية وهي ست وأربعون آية

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا ۝١﴾ نزعاً بشدة ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وفي بعض النسخ سورة النازعات بغير واو.

قوله: ﴿والنازعات﴾ الخ صفة لموصوف محذوف كما أشار له الشارح بقوله الملائكة، وإنما جاءت هذه الأقسام بلفظ التأنيث والكل وصف للملائكة مع أنهم ليسوا إناثاً، وذلك لأن المقسم به طوائف من الملائكة، فكأنه قيل: وطوائف الملائكة النازعات الخ. والطوائف جمع طائفة وهي مؤنثة، وعبارة الخازن: اختلفت عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد أم لأشياء مختلفة على أوجه، واتفقوا على أن المراد بقوله: ﴿فالمدبرات أمراً﴾ وصف لشيء واحد وهم الملائكة.

الوجه الأول: في قوله تعالى ﴿والنازعات غرقاً﴾ يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الإغراق أي: والنازعات إغراقاً، وقال ابن مسعود: إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل، فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء. ﴿والناشطات نشطاً﴾ الملائكة تنشط نفس المؤمن أي: تحلها حلاً رفيقاً فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير، وإنما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لأن بينها فرقاً، فالنزع جذب بشدة، والنشط جذب برفق. ﴿والسابحات سبحاً﴾ يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلاً رفيقاً ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة، وقيل: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد إذا أسرع في جريه يقال له سابح. ﴿فالسابقات سبقاً﴾ يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح، وقيل: هم الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

الوجه الثاني: في قوله: ﴿والنازعات غرقاً﴾ يعني: النفوس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج ﴿والناشطات نشطاً﴾ قال ابن عباس: هي نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لأنه يعرض عليه مقعده من الجنة قبل أن يموت، وقال علي بن أبي طالب:

. . . .

هي أرواح الكفار تنشط بين الجلد والأظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم ﴿والسابحات سبحاً﴾ يعني أرواح المؤمنين حين تسبح في الملكوت ﴿فالسابقات سبقاً﴾ يعني استباقها إلى الحضرة المقدسة.

الوجه الثالث: في قوله تعالى: ﴿**والنازعات غرقاً**﴾ يعني النجوم تنزع من أفق إلى أفق ثم تطلع ثم تغيب ﴿**والناشطات نشطاً**﴾ يعني النجوم تنشط من أفق إلى أفق أي: تذهب ﴿**والسابحات سبحاً**﴾ يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك ﴿**فالسابقات سبقاً**﴾ يعني النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير.

الوجه الرابع: في قوله تعالى: ﴿**والنازعات غرقاً**﴾ يعني خيل الغزاة تنزع من أعنتها وتفوق في غرقها وهي الناشطات نشطاً لأنها تخرج بسرعة إلى ميدانها وهي السابحات في جريها وهي السابقات سبقاً لاستباقها إلى الغاية.

الوجه الخامس: في قوله تعالى: ﴿**والنازعات**﴾ يعني الغزاة حين تنزع في قسيها في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله تعالى: ﴿**غرقاً**﴾ ﴿**والناشطات نشطاً**﴾ أي: السهام في الرمي. قوله: ﴿**والسابحات سبحاً**﴾ فالسابقات سبقاً يعني الخيل والإبل حين يخرجها أصحابها إلى الغزو.

الوجه السادس: ليس المراد بهذه الكلمات شيئاً واحداً، فقوله: والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقاً حتى يبلغ بها الغاية، والنشاطات نشطاً يعني النفس تنشط القدمين بمعنى الجذب، والسابحات سبحاً يعني السفن، والسابقات سبقاً يعني: سابقة نفوس المؤمنين إلى الخيرات والطاعات، أما قوله تعالى: فالمدبرات أمراً فأجمعوا على أنهم الملائكة. قال ابن عباس: هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط: يدبر الأمر في الدنيا أربعة، جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل. فأما جبريل فهو موكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو ينزل عليهم بالأمر من الله تعالى، وليس في الملائكة أقرب منه وبينه وبين العرش خمسمائة عام. أقسم الله بهذه الأشياء لشرفها ولله أن يقسم بما يشاء من خلقه، أو يكون التقدير: ورب هذه الأشياء، وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن، وقيل جوابه: ﴿**إن في ذلك لعبرة لمن يخشى**﴾ [النازعات: ٢٦] وقيل هو قوله: ﴿**قلوب يومئذ واجفة**﴾ اهـ.

قوله: ﴿**غرقاً**﴾ يجوز فيه أن يكون مصدراً على حذف الزائد بمعنى إغراقاً وانتصابه بما قبله لملاقاته له في المعنى، وأما على الحال أي: ذوات إغراق. يقال: أغرق في الشيء يغرق فيه إذا أوغل وبلغ أقصى غايته ومنه اغرق النازع في القوس أي: بلغ غاية المد اهـ سمين.

وفي القرطبي: وغرقاً بمعنى إغراقاً، وإغراق النازع في القوس أي: يبلغ غاية المد حتى ينتهي إلى النصل. يقال: أغرق في القاموس: أي استوفي مدها وذلك أن ينتهي إلى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه، والاستغراق الاستيعاب اهـ.

قوله: ﴿**والنشاطات نشطاً**﴾ نشطاً وسبحاً وسبقاً كلها مصادر، والنشط الربط، والإنشاط الحل.

الملائكة تنشط أرواح المؤمنين، أي تسلها برفق ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أي تنزل ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف أي لتبعثن يا كفار مكة وهو عامل في ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦﴾ النفخة الأولى بها يرجف كل شيء أي يتزلزل فوصفت بما يحدث منها ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة، والجملة

يقال: نشط البعير ربطه وأنشطه حله، ومنه كأنما انشط من عقال فالهمزة للسلب ونشط ذهب بسرعة، ومنه قيل لبقر الوحش نواشط وأنشطت الحبل أنشطه أنشوطة عقدته وأنشطته مددته ونشط كأنشط، وقال الزمخشري: تنشط الأرواح أي: تخرجها من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها اهـ سمين.

قوله: (تنشط أرواح المؤمنين) بفتح أوله وكسر ثالثه من باب ضرب إذا كان متعدياً كما هنا، وفي القاموس: ونشط الدلو من باب ضرب نزعها بلا بكرة اهـ.

وأما إذا كان لازم فهو من باب تعب، وفي المصباح: نشط في عمله ينشط من باب تعب خف وأسرع نشاطاً وهو نشيط، ونشطت الحبل نشطاً من باب ضرب عقدته بأنشوطه والأنشوطة بضم الهمزة ربطة دون العقدة إذا مدت بأحد طرفيها انفتحت، وأنشطت الأنشوطة بالألف حللتها، وأنشطت العقال حللته، وأنشطت البعير من عقاله أطلقته والشفعة كنشطة العقال تشبيه لها بذلك في سرعة بطلانها بالتأخير اهـ.

وقوله: أي تسلها برفق من باب رد.

قوله: ﴿والسابحات سبحاً﴾ في المختار: السباحة بالكسر العوم وقد سبح يسبح بالفتح والسبح الفراغ والسبح أيضاً التصرف في المعاش وبابه قطع وقتل اهـ.

قوله: (تسبح من السماء بأمره) أي: بمأموره أي: بما أمره به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فالسابقات سبقاً﴾ صفة للنازعات والناشطات، فيكون في قول الشارح تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة اكتفاء أي: وبأرواح الكفار إلى النار، وقوله: فالمدبرات صفة للسابحات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فالسابقات سبقاً * فالمدبرات أمراً﴾ الفاء فيهما للدلالة على ترتبهما بغير مهلة وهو من عطف المقسم به والمعطوف بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض، والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي للإشعار بأن كل واحدة من الأوصاف المعدودة من معظمات الأمور حقيقي بأن يكون على حياله مناطاً لاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام بالأقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخر إليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿فالمدبرات أمراً﴾ نسبة التدبير إليها مجاز كما أشار له (بقوله: تنزل بتدبيره الخ)، وأمراً مفعول قوله: ﴿يوم ترجف﴾ في المختار: الرجفة الزلزلة وقد رجفت الأرض من باب نصر اهـ.

قوله: (فوصف بما يحدث منها) أشار به إلى أن الإسناد إليها مجازي لأنها سببه أو التجوز في

حال من الراجفة، فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ خائفة قلقة ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩﴾ ذليلة لهول ما ترى ﴿يَقُولُونَ﴾ أي أرباب القلوب والأبصار استهزاء وإنكاراً للبعث ﴿أَإِنَّا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ أي أنرد بعد الموت إلى الحياة؟

الظرف بجعل سبب الرجف راجفاً. قيل: ولو فسرت الراجفة بالمحركة جاز وكان حقيقة لأن رجف يكون بمعنى حرك وتحرك اهـ شهاب.

وفي القرطبي: وأصل الرجفة الحركة. قال الله تعالى: يوم ترجف الأرض، وليست الرجفة ههنا من الحركة فقط، بل من قولهم رجف الرعد يرجف رجفاً ورجيفاً أي: أظهر الصوت والحركة، ومنه سميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها وإفاضة الناس بها اهـ.

قوله: ﴿تتبعها الرادفة﴾ في القاموس: وردفه كسمعه ونصره تبعه كأردفه اهـ.

قوله: (فاليوم واسع للنفختين) جواب عن إيراد، وفي السمين: قال الزمخشري، فإن قلت: كيف جعل يوم ترجف ظرفاً للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الأولى؟ قلت: المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان، وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأولى، ودل على ذلك أن قوله: تتبعها الرادفة جعل حال من الراجفة اهـ.

قوله: (فصح ظرفيته) أي كونه ظرفاً للبعث أي المقدر جواباً للقسم عاملاً في الظرف.

قوله: ﴿قلوب﴾ مبتدأ، ويومئذ منصوب بواجفة، وواجفة صفة لقلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وأبصارها مبتدأ ثان، وخاشعة خبره وهو وخبره خبر الأول، وفي الكلام حذف مضاف تقديره أبصار أصحاب القلوب اهـ سمين.

وفي المختار: وجف الشيء يجف بالكسر وجيفاً اضطراب وقلب واجف اهـ.

قوله: ﴿أبصارها﴾ أي أبصار القلوب، والمراد أبصار أصحابها فهو من الاستخدام اهـ خطيب.

قوله: ﴿يقولون﴾ خبر لمبتدأ محذوف وهو حكاية حالهم في الدنيا، والمعنى هم يقولون الخ، وقوله: أئنا لمردودون في الحافرة استبعاد ثم زادوا في الاستبعاد بقولهم: أئذا كنا عظاماً نخرة اهـ قاري.

قوله: (وادخال ألف بينهما) أي وترك الادخال، فالقراءات أربعة في كل من الموضعين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في الحافرة﴾ الحافرة الطريق التي يرجع الإنسان فيها من حيث جاء، يقال: رجع في حافرته وعلى حافرته، ثم يعبر عن الرجوع في الأحوال من آخر الأمر إلى أوله، وأصله أن الإنسان إذا رجع في طريقه أثرت قدماه فيها حفراً. وقال الراغب: وقوله في الحافرة مثل لمن يرد من حيث جاء أي انرد إلى الحياة بعد أن يموت، وقيل: الحافرة الأرض التي قبورهم فيها، ومعناه أئنا لمردودون ونحن

والحافرة اسم لأول الأمر ومنه رجع فلان في حافرته إذا رجع من حيث جاء ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ وفي قراءة ناخرة بالية متفتتة نحيا ﴿قَالُواْ تِلْكَ﴾ أي رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذًا﴾ إن صحت ﴿كَرَّةٌ﴾ رجعة ﴿خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ ذات خسران، قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ أي الرادفة التي يعقبها البعث ﴿زَجْرَةٌ﴾ نفخة ﴿وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ فإذا نفخت ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي كل الخلائق ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ بوجه الأرض

في الحافرة أي في القبور، وقوله في الحافرة على هذا في موضع الحال، وقيل: رجع فلان على حافرته ورجع الشيخ إلى حافرته أي هرم كقوله تعالى: ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ [النحل: ٧٠ و الحج: ٥] والحافرة قيل فاعلة بمعنى مفعولة، وقيل: على النسب أي: ذات حفر، والمراد الأرض والمعنى أئنا لمردودون في قبورنا أحياء، وقيل: الحافرة جمع حافر بمعنى القدم أي: أنمشي أحياء على أقدامنا ونطأ بها الأرض، وقيل: هي أول الأمر، وقوله: في الحافرة يجوز تعلقه بمردودون أو بمحذوف على أنه حال كما تقدم اهـ سمين.

قوله: (إلى الحياة) إشارة إلى أن بمعنى إلى، وأن الحافرة بمعنى الحياة.

قوله: ﴿أئذا كنا﴾ الخ تأكيد لإنكار الرد ونفيه بنسبته إلى حالة منافية له، والعامل في إذا مضمر يدل عليه مردودون أي: أئذا كنا عظاماً بالية ترد ونبعث مع كوننا أبعد شيء عن الحياة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿نخرة﴾ من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الأجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: نخر العظم نخراً من باب تعب بلي وتفتت فهو نخر وناخر اهـ.

قوله: ﴿قالوا تلك﴾ الخ حكاية لكفر آخر متفرع على كفرهم السابق، ولعل توسيط قالوا بينهما للإيذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره إلى ما أنكروه من الرد في الحافرة مشعر بغاية بعدها من الوقوع اهـ أبو السعود.

وتلك: مبتدأ مشار بها إلى الرجفة، والرد في الحافرة، وكرةٌ خبرها، وخاسرةٌ صفة أي: ذات خسران أو أسند إليها الخسار، والمراد أصحابها مجازاً، والمعنى إن كان رجوعنا إلى القيامة حقاً فتلك الرجعة رجعة خاسرة، وهذا أفادته إذاً فإنها حرف جواب وجزاء عند الجمهور، وقيل: قد لا تكون جواباً، وعن الحسن أن خاسرة بمعنى كاذبة اهـ سمين.

قوله: ﴿إذاً﴾ أي: إذا رددنا إلى الحافرة أي رددنا وصح ذلك أي: قالوا ذلك لتكذيبهم بالبعث اهـ من البحر.

قوله: ﴿فإنما هي﴾ الخ معمول لقول مضمر قدره المفسر بقوله قال تعالى، وعبارة الخطيب: فإن قيل: بم يتعلق فإنما هي زجرة واحدة؟ أجيب: بأنه متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى، فإنما هي سهلة هينة في قدرته تعالى، انتهت.

قوله: (نفخة) الذي في اللغة أن الزجرة المنع والنهي، وسميت هذه النفخة زجرة لأنه يفهم منها

أحياء بعدما كانوا ببطنها أمواتاً ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ عامل في ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ اسم الوادي بالتنوين وتركه فقال تعالى ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ تجاوز الحد في

النهي عن التخلف والمنع منه، في الخطيب: فإنما هي أي: الرادفة التي يتبعها زجرة أي: صيحة بانتهار تتضمن الأمر بالقيام والسوق إلى المحشر والمنع من التخلف، وعبر بالزجرة لأنها أشد من النهي لأنها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلاً اهـ.

قوله: ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ جواب شرط محذوف كما قدره. وفي الخطيب: فإذا هم أي: فتسبب عن تلك النفخة وهي الثانية أن كل الخلائق يصيرون بالساهرة أي: عليها أي على وجه الأرض بعد أن كانوا في جوفها، والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة لأن سالكها لا ينام من أجل الخوف.

قوله: (بوجه الأرض) فالساهرة هي وجه الأرض، والفلاة وصفت بما يقع فيها وهو السهر لأجل الخوف، وقيل: أرض من فضة يخلقها الله تعالى، وقيل: جبل بالشام يمده الله تعالى يوم القيامة لحشر الناس عليه، وقيل: أرض قريبة من بيت المقدس، وقيل: أرض مكة، وقيل: جهنم لأنه لا نوم فيها، وقيل الأرض السابعة يأتي بها الله ليحاسب عليها الخلائق اهـ بحر.

قوله: (أحياء) خبر عن هم أي: هم أحياء وقوله: بالساهرة متعلق بإحياء ولو قدم قوله أحياء كان أظهر، وعبارة الكازروني: فإذا هم أحياء بالساهرة اهـ.

ويصح أن يكون حالاً وبالساهرة هو الخبر.

قوله: ﴿هل أتاك﴾ كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله ﷺ أي: أليس قد أتاك حديث موسى فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم وهو فرعون، فإنه كان أقوى أهل الأرض بما كان له من كثرة الجنود، فلما أصر على التكذيب ولم يرجع ولا أفاده التأديب أغرقناه، وقوله: ولم نبق منهم أحداً وقد كانوا لا يحصون عدداً، فقد قيل: إن طليعته كانت على عدد بني إسرائيل ستمائة ألف فكيف بقومك الضعاف اهـ من الخطيب.

وهل بمعنى قد كما في القرطبي: ونصه: أي: قد جاءك وبلغك حديث موسى الخ اهـ.

وهذا المعنى مبني على أن يكون قد أتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام، وأما إذا لم يكن أتاه قبل ذلك، فحينئذ يكون الاستفهام لحمل المخاطب على طلب الإخبار إذ لا وجه لحمله على الإقرار حينئذ اهـ زاده.

قوله: (عامل في) ﴿إذ ناداه﴾ أي: فإذ معمول لحديث لا لأتاك لاختلاف وقتيهما. قوله: (المقدس) أي المطهر غاية الطهر بتشريف الله تعالى له بإنزال النبوة فيه المفيضة للبركات اهـ خطيب.

قوله: (اسم الوادي) وسمي طوى لأنه طوى فيه الشر عن بني إسرائيل، ومن أراد الله من خلقه ونشر فيه بركات النبوة على جميع أهل الأرض المسلم بإسلامه وغيره برفع عذاب الاستئصال عنه، فإن العلماء قالوا: إن عذاب الاستئصال ارتفع حين أنزلت التوراة وهو واد بالطور بين أيلة ومصر اهـ خطيب.

الكفر ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ أدعوك ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ وفي قراءة بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته

وفي القرطبي: في سورة طه: وذكر المهدوي عن ابن عباس أنه قيل له طوى لأن موسى طواه بالليل إذ مرَّ به فارتفع إلى أعلى الوادي اهـ.

قوله: (بالتنوين وتركه) سبعيتان. وفي القرطبي: في سورة طه قال الجوهري: وطوى اسم موضع بالشام تكسر طاؤه وتضم ويصرف ولا يصرف، فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة اهـ.

قوله: ﴿اذهب إلى فرعون﴾ معمول لقول مضمر كما أشار له المفسر، ويجوز أن يكون تفسيراً للنداء، وفي السمين: قوله: اذهب يجوز أن يكون تفسيراً للنداء، ويجوز أن يكون على إضمار القول، وقيل: هو على حذف أن أي: أن اذهب، ويدل له قراءة عبد الله اذهب، وأن هذه الظاهرة أو المقدرة يحتمل أن تكون تفسيرية وأن تكون مصدرية أي: ناداه بكذا اهـ.

قوله: ﴿إلى فرعون﴾ كان طوله أربعة أشبار اهـ خطيب.

وقيل: إن قبضة لحيته كانت أطول منه وكانت خضراء وأنه أول من اتخذ القبقاب ليمشي فيه خوفاً من أن يمشي على لحيته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنه طغى﴾ تعليل للأمر ولوجوب امتثاله اهـ أبو السعود.

قال الرازي: ولم يبين أنه طغى في أي شيء، فقيل: تكبر على الله وكفر به، وقيل: تكبر على الخلق واستعبدهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿فقل هل لك﴾ أي: هل لك سبيل ورغبة الخ أمر عليه السلام أن يخاطبة بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف ويستنزله بالمدارة من عتوه، وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ طه: ٤٤] اهـ أبو السعود.

أي: لأنه دعاء في صورة العرض والمشورة كقولك للضيف: هل لك أن تنزل عندنا اهـ شهاب.

قوله: (أدعوك) أراد به تفسير قوله هل لك أي فلفظ هل لك معناه أدعوك فصح الإتيان بإلى، وهذا لا يفيد حل الإعراب وتفكيك التركيب، ولذلك قال غيره: إن هل لك خبر مبتدأ محذوف وإلى أن تزكى متعلق بذلك المبتدأ، والتقدير: هل لك سبيل أو ميل إلى التزكية. وفي السمين: قوله: هل لك خبر مبتدأ مضمر، وإلى أن تزكى متعلق بذلك مبتدأ وهو حذف سائغ، والتقدير: هل لك سبيل إلى التزكية، ومثله هل لك في الخير يريدون هل لك رغبة في الخير، وقال أبو البقاء: لما كان المعنى أدعوك جاء بإلى وهذا لا يفيد شيئاً في الإعراب اهـ.

وفي أبي السعود: هل لك رغبة وتوجه إلى أن تزكى. قوله: (وفي قراءة بتشديد الزاي) أي: سبعية، وقوله: بإدغام التاء الثانية أي: على التشديد، وأما على التخفيف فبحذف إحدى التاءين اهـ كرخي.

قوله: (أدلك على معرفته بالبرهان) أشار به إلى تقدير مضاف فيه لأنه الهداية إلى معرفته هداية

بالبرهان ﴿فَتَخۡشَىٰ ۝١٩﴾ فتخافه ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠﴾ من آياته التسع وهي اليد أو العصا ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَىٰ ۝٢١﴾ الله تعالى ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسۡعَىٰ ۝٢٢﴾ في الأرض بالفساد

له، وقوله: فتخشى الفاء تعليل لتقدير المضاف وهو المعرفة اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: فتخشى جعل الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر، فإذا خشيء الإنسان ربه أتى منه كل خير اهـ.

وروى السلمي، عن ابن عطاء: الخشية أتم من الخوف لأنها صفة العلماء في قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] أي: العلماء به، وعن الواسطي: أوائل العلم الخشية ثم الإجلال ثم التعظيم ثم الهيبة ثم الفناء، وعن بعضهم: من تحقق الخوف ألهاه خوفه عن كل مفروح به وألزمه الكمد إلى أن يظهر له الأمن من خوفه، وهذا كالتفصيل لقوله: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ [طه: ٤٤] لأنه بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ الفاء عاطفة على محذوف يعني فذهب فأراه اهـ خطيب.

والضمير المستتر في فأراه عائد على موسى، والبارز عائد على فرعون وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني الآية الكبرى، وقوله: من آياتنا التسع من للتبعيض اهـ شيخنا.

قوله: (والعصا) هو الأولى لأنه ليس في اليد إلا انقلاب لونها، وهذا حاصل في العصا لأنها لما انقلبت حية لا بد وأن يتغير لونها، فإذا كل ما في اليد فهو حاصل في العصا وأمور أخرى وهي الحياة في الجرم الجمادي وتزايد أجزائه وحصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة وابتلاعها أشياء كثيرة، وزوال الحياة والقدرة عنها، وذهاب تلك الأجزاء التي عظمت، وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حية، وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزاً مستقلاً في نفسه اهـ خطيب.

ولا مساغ لحمل الآية على مجموع معجزاته، فإن ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع إنما ظهر على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما في سورة الأعراف، ولا ريب في أن هذا مطلع القضية وأمر السحرة مترقب بعده أبو السعود.

وفي الكرخي: قوله: أو العصا الأكثرون على أنه أراهما له، وأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحادهما معنى، أو أراد بالكبرى العصا وحدها لأنها كانت مقدمة على الأخرى، ولا ينافي هذا قوله في الآية الأخرى، ولقد أريناه آياتنا كلها وكل آياته كبرى لأن الإخبار هنا عما أراه له أول ملاقاته إياه وهو العصا واليد، ثم أردف ذلك برؤية الكل اهـ.

قوله: ﴿فكذب﴾ (فرعون موسى) أي: في كون هذه الآية من عند الله اهـ خازن.

وقوله: وعصى الله أي: بعد ما رأى الآيات وظهرت له، وقوله: ثم أدبر أي: ولى وأعرض عن الإيمان، وأتى بثم لأن إبطال الإيمان ونقضه يقتضي زماناً طويلاً اهـ شهاب.

وقوله: يسعى حال الضمير في أدبر اهـ.

﴿فَحَشَرَ﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ لا ربّ فوقي ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالغرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي هذه الكلمة ﴿وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ أي قوله قبلها: ما علمت لكم من إله غيري، وكان بينهما أربعون سنة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ الله تعالى

قوله: (جمع السحرة) أي: للمعارضة وقوله: وجنده أي: للقتال اهـ خطيب.

وكان السحرة اثنين وسبعين، اثنان من القبط، والسبعون من بني إسرائيل، وهذا أقل ما قيل في عددهم، وكانت عدة بني إسرائيل ستمائة ألف وسبعين ألفاً، وعدة جيش فرعون ألف ألف وستمائة ألف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فنادى﴾ أي: في محفله بنفسه أو بمناديه، وقوله: فقال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ أي: قال هذه المقالة بعد ما قال له موسى ربي أرسلني إليك لئن آمنت بربك تكون أربعمائة سنة في النعيم والسرور، ثم تموت فتدخل الجنة، فقال: حتى أستشير هامان فاستشاره فقال: أتصير عبداً بعد ما كنت رباً فعند ذلك جمع السحرة والجنود، فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال: أنا ربكم الأعلى اهـ خطيب.

قوله: ﴿نكال الآخرة والأولى﴾ أي: العقوبة على هاتين الكلمتين، فالآخرة والأولى صفتان لكلمتي فرعون، وإضافة النكال من إضافة المسبب إلى سببه، فإن كل واحدة من الكلمتين سبب لما أضيف إليه من النكال اهـ زاده.

وحذف الموصوف للعلم به، ونكال منصوب على أنه مصدر لأخذ، والتجوز إما في الفعل أي: نكل بالأخذ نكال الآخرة والأولى، وإما في المصدر أي: أخذه أخذ نكال، ويجوز أن يكون مفعولاً له أي: لأجل نكاله اهـ سمين.

وفي أبي السعود: النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو العذاب الذي ينكل من رآه وسمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي إليه، ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اهـ.

وفي المصباح: ونكل به ينكل من باب قتل نكلة قبيحة أصابه بنازلة، ونكّل به بالتشديد مبالغة والاسم النكال اهـ.

وفي الخطيب: فأخذه الله نكال الآخرة الخ، والمعنى أمهله الله في الأولى ثم أخذه في الآخرة فعذبه بالكلمتين اهـ.

قوله: (أي هذه الكلمة) وهي قوله: أنا ربكم الأعلى اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ (المذكور) أي: ما فعله فرعون من التكذيب والعصيان والإدبار والحشر والنداء وقوله: أنا ربكم الأعلى وما فعل به من أخذ الله له وإهلاكه بالإغراق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لمن يخشى﴾ أي: لمن كان من شأنه الخشية وفسّر بذلك لأن من كان في خشية وخوف لا يحتاج للاعتبار، وقيل: إنه لقصد التعميم ليشمل من يخشى بالفعل ومن كان من شأنه ذلك اهـ شهاب.

﴿ءَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه أي منكرو البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أشد خلقاً ﴿بَنَىٰهَا ۝٢٧﴾ بيان لكيفية خلقها ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء، أي جعل سمتها في جهة العلو رفيعاً، وقيل سمكها سقفها ﴿فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨﴾ جعلها

قوله: ﴿أأنتم﴾ استفهام تقريع وتوبيخ، وعبارة الخطيب: ثم خاطب تعالى منكري البعث فقال: أأنتم أيها الأحياء مع كونكم خلقاً ضعيفاً أشد خلقاً أي أخلقكم بعد الموت أشد في تقديركم واعتقادكم، أم السماء أي: فمن قدر على خلق السماء مع عظمها من السعة والكبر والعلو والمنافع يقدر على الإعادة؟ والمقصود من الآية الاستدلال على منكري البعث اهـ.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: مع الإدخال وتركه هاتان قراءتان، فجملة القراءات في هذه الكلمة خمسة وكلها سبعية وقوله: وإبدال الثانية ألفاً أي: ممدودة مداً لازماً، وقوله: والأخرى وهي الأولى المحققة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أشد خلقاً﴾ أي: أصعب خلقاً بالنسبة لاعتقاد المخاطبين اهـ شهاب.

قوله: ﴿أم السماء﴾ عطف على أأنتم، فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها ونظيره: ما مر في الزخرف ﴿أآلهتنا خير أم هو﴾ [الزخرف: ٥٨] اهـ سمين.

وقوله: أشد خلقاً أشار به إلى أن أم السماء مبتدأ خبره محذوف كما ذكره العمادي، ومعنى الآية كما قال الخازن: أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء عندكم، وفي تقديركم فإن كلا الأمرين بالنسبة لقدرة الله تعالى واحد، لأن خلق الإنسان على ضعفه وصغره إذا أضيف إلى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيراً فبين الله تعالى أن خلق السماء أعظم، وإذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى، فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بأنه خلق السموات والأرض ولا تنكرون ذلك اهـ.

قوله: ﴿رفع سمكها﴾ السمك: غلظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السفلى الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها اهـ ابن جزي.

فهو بمعنى الثخن. وفي البيضاوي: رفع سمكها أي: جعل مقدار ارتفاعها عن الأرض أو ثخنها في العلو رفيعاً مسيرة خمسمائة عام اهـ.

قوله: (أي جعل سمتها) أي: جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مسافة خمسمائة عام اهـ قاري.

وكأنه أراد بالسمت السمك، وإلاّ فمعاني السمت المذكورة في اللغة لا تناسب هنا فليتأمل.

قوله: (وقيل سمكها سقفها) فمعنى رفع سمكها على هذا أعلى سقفها، وعلى الأول بمعنى جعل كما أشار له العمادي اهـ شيخنا.

ولينظر ما المراد بسقفها، ويمكن أن يقال سقف كل سماء هو السماء التي فوقها كما أن السماء الدنيا سقف للأرض تأمل. قوله: (جعلها مستوية) أي: جعلها ملساء مستوية ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض اهـ.

مستوية بلا عيب ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل لأنه ظلها، والشمس لأنها سراجها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل

قوله: ﴿وأغطش﴾ أي: أظلم بلغة أنمار، يقال: غطش الليل وأغطشه الله، وليل أغطش وليلة غطشاء. قال الراغب: وأصله من الأغطش وهو الذي في عينه عمش، والتغاطش التعامي اهـ.

ويقال أغطش الليل قاصراً كأظلم فأفعل فيه متعد ولازم اهـ سمين.

وفي القاموس: غطش الليل يغطش من باب ضرب أظلم كأغطش وأغطشه الله اهـ.

قوله: (أظلمه) أي: جعله مظلماً بمغيب شمسها فأخفى ضوءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه، فصار لا يهتدي معه إلى ما كان في حال الضياء اهـ خطيب.

قوله: (أبرز نور شمسها) فسّر الضحى بالنور، وأشار لتقدير مضاف كما ذكره وأضيف إليها لأدنى ملابسة ومراده بنور الشمس النهار لوقوعه في مقابلة الليل فكني بالنور عن النهار اهـ شهاب.

وإنما عبّر عن النهار بالضحى لأن الضحى أكمل أجزاء النهار بالنور والضوء اهـ خطيب.

قوله: ﴿لأنه ظلها﴾ أي: لأنه أول ما يظهر عند الغروب من أفق السماء، وقوله: لأنها أي: الشمس سراجها أي: السماء اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتها، ويجوز أن تكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس أي: أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لأنها وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها اهـ.

وفي القرطبي: وأضاف الضحى إلى السماء كما أضاف إليها الليل، لأن فيها سبب الظلام والضياء وهو غروب الشمس وطلوعها اهـ.

قوله: (لأنها سراجها) هذا يقتضي أن سلطان الشمس وضوئها يظهر في السماء والمقرر خلافه وهو أن نورها إنما يظهر في الأرض، وأن نور السموات إنما هو بنور العرش وهو أعظم جداً من نور الشمس بحيث أن نور الشمس في جانبه كنسبة نور النجوم إلى نور الشمس فليتأمل.

قوله: ﴿والأرض﴾ منصوب على الاشتغال وقوله: بعد ذلك أي: بألفي عام، وقوله: دحاها بابه عدا كما في المختار، وفي السمين؟ يقال: دحا يدحو دحواً ودحى يدحي دحياً أي: بسط ومد فهو من ذوات الواو والياء فيكتب بالألف والياء والأرض والجبال منصوبان بفعل مضمر يفسره ما بعده اهـ.

قوله: (وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو) أي: فلا معارضة بين ما هنا وبين آية فصلت، لأنه خلق الأرض غير مدحوة، ثم خلق السماء ثم دحى الأرض اهـ سمين.

وعبارة الخازن: فإن قلت: ظاهر الآية يقتضي أن الأرض خلقت بعد السماء، فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما؟ قلت: خلق الله الأرض أولاً، ثم سمك السماء ثانياً، ثم دحى الأرض ثالثاً، فحصل بهذا الجمع بين الآيتين. قال ابن عباس: خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل

السماء من غير دحو ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار قد، أي مخرجاً ﴿مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن ﴿مَتَٰعًا﴾ مفعول له لمقدر، أي فعل ذلك متعة أو مصدر تمتيعاً ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ النفخة الثانية ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ بدل من إذا ﴿مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ في

السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحى الأرض بعد ذلك، انتهت.

وتقدم لهذا مزيد بسط في سورة البقرة عند قوله: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ [البقرة: ٢٩] الخ فارجع إليه إن شئت. قوله: (حال بإضمار قد) أي: وهو قول الجمهور اهـ خطيب.

قوله: ﴿ومرعاها﴾ المرعى في الأصل مكان أو زمان أو مصدر، وهو هنا مصدر بمعنى المفعول وهو في حق الآدميين استعارة اهـ سمين.

قوله: (ما ترعاه النعم) أي: تأكله، وقوله: والعشب هو الكلأ الرطب كما في المختار اهـ شيخنا.

قوله: (وإطلاق المرعى عليه) أي: على ما يأكله الناس استعارة أي مجاز، فاستعمل المرعى في مطلق المأكول للإنسان وغيره، فهو مجاز مرسل من باب استعمال المقيد في المطلق اهـ شهاب.

أو هو استعارة تصريحية حيث شبه أكل الناس برعي الدواب أو فيه بين الحقيقة والمجاز اهـ قاري.

وفي الكرخي: قوله: وإطلاق المرعى عليه استعارة يعني استعير الرعي والرتع لتناول الإنسان الطعام، كما يستعار المرسن للأنف والمشفر للشفة، ويجوز أن يكون استعارة معنوية، والظاهر أنه تغليب لأن قوله: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ وارد عليه ومن حقه أن تغلب ذوو العقول على الأنعام فعكس تجهيلاً، لأن الكلام مع منكري الحشر بشهادة قوله: أأنتم أشد خلقاً كما مرّ كأنه قيل فيها أيها المعاندون الداخلون في زمرة البهائم الملزوزن، وفي قرنها في تمتعكم بالدنيا وذهولكم عن الأخرى اهـ.

قوله: (مفعول له لمقدر) أي: لفعل مقدر، وقوله: أي فعل ذلك أي: الذي أخرج من الأرض، وقوله: منفعة في نسخة متعة أي بلغة لكم ولأنعامكم اهـ شيخنا.

وقوله: أو مصدر أي: تمتيعاً كالسلام بمعنى التسليم، وفي زاده: وانتصابه إما على أنه مصدر لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام أي متعناكم بها تمتيعاً، أو على مفعول له أي: فعلنا ذلك تمتيعاً لكم اهـ.

قوله: ﴿ولأنعامكم﴾ أي: مواشيكم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ أي: الداهية التي تطم على الدواهي أي: تعلو عليها، فهي

الدنيا من خير وشر ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أظهرت ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ لكل راء، وجواب

أكبر الطامات أي: الدواهي، فهي أعظم من كل عظيم، وحينئذ فالوصف بالكبرى تأسيس لا تأكيد فهي أكبر من داهية فرعون، وهي قوله: أنا ربكم الأعلى اهـ شيخنا.

وهذا شروع في بيان أحوال معادهم أثر بيان أحوال معاشهم الذي بينه بقول: متاعاً لكم ولأنعامكم، والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها كما ينبيء عنه لفظ المتاع اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: وخص ما هنا بالطامة موافقة لما قبله من داهية فرعون وهي قوله: أنا ربكم الأعلى، ولذلك وصفت الطامة بالكبرى موافقة لقوله تعالى: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ [النازعات: ٢٠] بخلاف ما في عبس فإنه لم يتقدمه شيء من ذلك، فخصت بالصاخة وإن شاركت الطامة في أنها النفخة الثانية لأنه الصوت الشديد، والصوت يكون بعد الطم، فناسب جعل الطم للسابقة، والصخ للاحقة اهـ.

وفي المختار: جاء سيل فطم الركية أي: دفنها وسواها، وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم من باب رد، يقال فوق كل طاقة طامة، ومنه سميت القيامة طامة، والطم بالكسر البحر يقال: جاء بالطم والرم أي: بالماء الكثير اهـ.

وفي المصباح: والركية البئر والجمع ركايا مثل عطية وعطايا اهـ.

قوله: (بدل من إذا) أي: بدل كل أو بعض، وإذا كان بدل بعض كان العائد محذوفاً تقديره يتذكر فيه وما واقعة على العمل، ولذا بينه بقوله من خير وشر، وما مصدرية أو موصولة اهـ شهاب.

وعلى كونها موصولة فالعائد محذوف أي: ما سعاه أي: ما كسبه اهـ.

قوله: ﴿وبرزت﴾ عطف على جاءت، والعامة على بنائه للمفعول مشدداً ولمن يرى بياء الغيبة، وزيد بن علي وعائشة وعكرمة مبيناً للفاعل مخففاً وترى بتاء من فوق فجوزوا في تاء ترى أن تكون للتأنيث، وفي ترى ضمير الجحيم كقوله: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ [الفرقان: ١٢] وأن تكون للخطاب أي: ترى أنت يا محمد، وقرأ عبد الله رأى فعلاً ماضياً اهـ سمين.

وقوله: أظهرت أي: إظهاراً بيناً مكشوفاً اهـ خطيب.

قوله: ﴿لمن يرى﴾ يريد لمن كان له بصر وهو مثل في الأمر المنكشف الذي لا يخفى على أحد، لكن الناجي لا ينصرف بصره إليها فلا يراها كما قال: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء: ١٠٢] اهـ خطيب.

قوله: (لكل راء) أي: من كل من له من عين وبصر منه المؤمنين والكفار، إلا أن الجحيم مكان الكفار ومأواهم والمؤمنون يمرون عليها، وهذا تفسير مؤيد بقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] إلى قوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] ولا ينافيه قوله في الشعراء: ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ [الشعراء: ٩١] لأنها برزت للغاوين بالمكث فيها وللمؤمنين بمرورهم عليها اهـ رازي.

قال زاده: هذا العموم مستفاد من لفظ من لأنها من ألفاظ العموم ويرى منزل منزلة اللازم، وهذا

إذا ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧﴾ كفر ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨﴾ باتباع الشهوات ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ مأواه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمّارة ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾ المردي باتباع الشهوات ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ وحاصل الجواب فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي كفار مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢﴾ متى وقوعها وقيامها؟ ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿أَنتَ

العموم لا ينافيه قوله: وبرزت الجحيم للغاوين، لأن إظهارها إنما هو لتهديد الغاوين خاصة لكونها مثواهم اهـ.

قوله: (وجواب إذا) ﴿فأما من طغى﴾ الخ على حد قوله: إذا جاء بنو تميم فأما العاصي فأهنه وأما الطائع فأكرمه اهـ شيخنا.

وفي هذا نوع تساهل لأن قوله: فأما من طغى الخ بيان لحال الناس في الدنيا، وقوله: ﴿فإذا جاءت الطامة﴾ [النازعات: ٣٤] بيان لحالهم في الآخرة، فالأولى ما سلكه غيره من أن الجواب محذوف يدل عليه التفصيل المذكور، فقدره بعضهم: دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة، وقدره بعضهم بقوله: كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون اهـ.

قوله: (باتباع الشهوات) أي: المحرمات. قوله: (مأواه) أي: فأل عوض عن الضمير العائد على من طغى هذا رأي الكوفيين، وأما البصريون فيقدرون هي المأوى له، ولا بد من أحد هذين التأويلين في الآية لأجل العائد من الجملة الواقعة خبراً عن المبتدأ الذي هو من طغى، وحسن عدم ذكر ذلك العائد كون الكلمة وقعت فاصلة ورأس آية اهـ سمين.

قوله: ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أي: لعلمه بالمبدأ والمعاد. قال الرازي: وهذان الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين فقوله: وأما من خاف مقام ربه ضد قوله: فأما من طغى، وقوله: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ ضد قوله: ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ فكما دخل في ذينك الوصفين جميع القبائح دخل في هذين جميع الطاعات اهـ خطيب.

قوله: (قيامه بين يديه) يعني أن المقام إنما هو للعبد لا لله لتنزهه عن المكان، وأضيف إليه تعالى لملابسته له تعالى من حيث كونه بين يديه ومقاماً لحسابه اهـ زاده.

قوله: ﴿عن الهوى﴾ (المردي) أي: المهلك اهـ قاري.

وقوله: باتباع الشهوات متعلق بالمردي، والباء سببية. وفي المختار: وردى من باب صدى هلك، وأراده غيره أهلكه اهـ.

قوله: (وحاصل الجواب الخ) فكأنه قيل: فإذا جاءت الخ فإن الطاغين مأواهم الجحيم وغيرهم في النعيم المقيم وزيادة، أما في الجواب لا تضر فليست للتفصيل هنا بل جيء بها لتوكيد ترتب الجزاء على الشرط، وبيان أن الحكم ثابت البتة، فاندفع ما قيل إنه لم يسبق في الكلام مجمل حتى تكون إما تفصيلاً له اهـ زاده وشهاب.

قوله: ﴿أيان مرساها﴾ تفسير لسؤالهم عن الساعة، وفي البيضاوي: متى إرساؤها أي: إقامتها

﴿مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ أي ليس عندك علمها حتى تذكرها ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ منتهى علمها لا يعلمه غيره ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ يخافها ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في قبورهم ﴿إِلَّا

وإثباتها أو منتهاها ومستقرها، من مرسى السفينة وحيث تنتهي إليه وتستقر فيه اهـ.

قوله: ﴿فيم أنت﴾ استفهام إنكار كما أشار له الشارح، وفيم خبر مقدم، وأنت مبتدأ مؤخر ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر، والمعنى أنت في أي شيء من ذكراها أي: ما أنتم من ذكراها لهم وتبين وقتها في شيء اهـ سمين.

وفي أبي السعود: فيم أنت من ذكرها إنكار ورد لسؤال المشركين عنها أي: في أي شيء أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم بها حتى يسألونك بيانها، كقوله تعالى: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي: ما أنت من ذكراها لهم وتبين وقتها في شيء لأن ذلك فرع علمك به، وأنى لك ذلك وهو مما استأثر به علام الغيوب وقيل: فيم إنكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للإنكار وبيان لبطلان السؤال، أي: فيم هذا السؤال ثم ابتدىء فقيل: أنت من ذكراها أي: إرسالك وأنت خاتم الأنبياء المبعوث في نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب، فحسبهم هذه المرتبة من العلم اهـ.

وقوله: وقيل فيم إنكار الخ أي: فيم ليس خبراً مقدماً لما بعده بل هو خبر مبتدأ محذوف أي: فيما هذا السؤال الواقع من الكفرة أي: في أمر عظيم لا ينبغي أن يسأل عنه فتم الكلام عنده ثم استأنف بجملة أنت من ذكراها بياناً لسبب الإنكار عن سؤالهم، كأنه قيل: إنها قريبة غير بعيدة لأنك علامة من علاماتها، فإرسالك يكفيهم دليلاً على دنوها والاهتمام بتحصيل الاعتداد فلا معنى لسؤالهم عنها اهـ زاده.

فمعنى أنت من ذكراها أنت من مذكراتها وعلاماتها اهـ شهاب.

قوله: ﴿إلى ربك منتهاها﴾ مستأنف، وقوله لا يعلمه أي المنتهى غيره أي الله اهـ.

قوله: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ أي: والإنذار لا يناسب تعيين الوقت، إذ لا مدخل لتعيين وقتها في الإنذار، فإن محض الإنذار لا يتوقف على علم المنذور بوقت قيامها فقصّر حاله على الإنذار فلا يتعداه إلى علم الوقت اهـ زاده.

والعامة على إضافة الصفة لمعمولها تخفيفاً. وقرأ عمر بن عبد العزيز، وأبو جعفر، وطلحة، وابن محيصن بالتنوين، قال الزمخشري: وهو الأصل والإضافة تخفيف، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال اهـ سمين.

قوله: (يخافها) أي: يخاف هولها وتخصيص من يخشاها بالذكر لأنه المنتفع بالإنذار اهـ بيضاوي.

وأشار له الجلال بقوله: إنما ينفع إنذارك اهـ.

عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ أي عشية يوم أو بكرته وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة، إذ هما طرفا النهار، وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

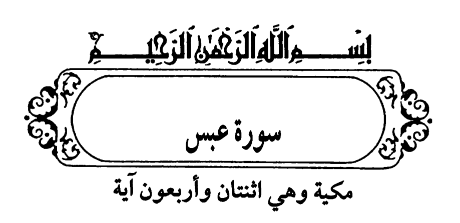
قوله: ﴿كأنهم﴾ أي: كفار قريش يوم يرونها الخ ما بين كونه مبعوثاً لمجرد الإنذار بالساعة وشدائدها بين أن شدتها بحيث إنهم يوم يعاينونها يستقصرون مدة لبثهم في قبورهم أو في الدنيا، ويزعمون أنهم لم يلبثوا إلا آخر يوم أو أوله، ويوم ظرف لما في كأن من معنى التشبيه اهـ زاده.

قوله: ﴿إلا عشية﴾ هي من الزوال إلى غروب الشمس، وقوله: أو ضحاها أي ضحى عشية من العشايا وهو البكرة إلى الزوال والعشية من بعد ذلك، والمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره لم يستكملوا نهاراً تاماً ولم يجمعوا بين طرفيه اهـ خطيب.

قوله أيضاً: ﴿إلا عشية﴾ بالنصب والتنوين عوض عن المضاف إليه وهو يوم، وقوله: أو ضحاها أي: ضحى العشية، فأضاف الظرف إلى ضمير الظرف الآخر تجوز لما بينهما من الملابسة اهـ سمين.

ولما ورد أن يقال ما وجه إضافة الضحى إلى ضمير العشية والعشية لا ضحى لها وإنما الضحى لليوم، وأشار المفسر إلى جوابه بقوله أي: عشية يوم فهو بالنصب تفسير لعشية، فكان المناسب أن يقدمه على قوله: أو ضحاها كما فعل البيضاوي: ومعنى قوله: أو ضحاها أي ضحى ذلك اليوم الذي أضيف إليه العشية إلا أن الضحى والعشية لما كانتا من يوم واحد كان بينهما ملابسة مصححة لإضافة إحداهما إلى الأخرى اهـ زاده.

قوله: (وقوع الكلمة فاصلة) أي: من الفواصل أي: رؤوس الآية اهـ قاري.



سورة عبس

مكية وهي اثنتان وأربعون آية

﴿عَبَسَ﴾ النبي كلح وجهه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ أعرض لأجل ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ عبد الله بن أم

وتسمى سورة السفرة اهـ خطيب.

وسورة الأعمى كما في الخازن.

قوله: ﴿عبس وتولى﴾ الخ جيء في هذه المواضع بضمائر الغائب إجلالاً له عليه الصلاة والسلام ولطفاً به لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى اهـ من البحر.

قوله: (كلح وجهه) في المختار: الكلوح تكسر في عبوس وبابه خضع اهـ.

قوله: ﴿أن جاءه الأعمى﴾ في محل المفعول لأجله كما أشار له الشارح، وناصبه إما تولى وهو قول البصريين، وإما عبس وهو قوله الكوفيين، والمختار مذهب البصريين لعدم الإضمار في الثاني اهـ سمين.

قوله: (عبد الله بن أم مكتوم) أي: ابن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، وأم مكتوم أم أبيه واسمها عاتكة بنت عامر المخزومي، وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديماً بمكة اهـ من الخطيب.

ونص أبو السعود أيضاً: على أن أم مكتوم أم أبيه ولينظر لماذا نسب لها. قوله: (فقطعه عما هو مشغول به) ما واقعة على القوم والنفر بدليل بيانها بقوله: ممن يرجو إسلامه. فمن بيانية والتقدير وهم فريق يرجى إسلامه، وبين ذلك البيان بقوله: من أشراف قريش، وغاية ما في العبارة إطلاق ما على العاقل وهو مذهب سيبويه، وإن كان المشهور خلافه الذي هو مذهب الجمهور، وعليه يلتمس لإطلاقها على العاقل هنا وجه وضرب من التجوز ككونهم بمنزلة غير العاقل لعدم إيمانهم. وعبارة الخطيب: وذلك أنه جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الإسلام ويسلم بإسلامهم أتباعهم فتعلو كلمة الله تعالى، فقال: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغل النبي ﷺ بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد

مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذي هو حريص على إسلامهم، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: علمني مما علمك الله، فانصرف النبي ﷺ إلى بيته، فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» ويبسط له رداءه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣﴾ فيه إدغام التاء في

إنما اتبعه العميان والعبيد والسفلة، فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، انتهت.

فأن قيل: إن ابن أم مكتوم قد استحق التأديب والزجر لأنه وإن كان لا يرى القوم لكنه لشدة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول معهم، ويعرف بذلك شدة اهتمامه بشأنهم فيكون إقدامه على قطع كلام رسول الله ﷺ إيذاء له وهو معصية، وأيضاً الأهم مقدم على المهم، لأن إسلامهم سبب لإسلام جمع عظيم، فكان الاشتغال بهم وتقديم الدلائل لهم أهم، فكيف عاتب الله تعالى رسوله على التولي عنه؟ أجيب: بأن ما فعله يوهم ظاهره تقديم الأغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء، وليس ذكره بلفظ الأعمى مقتضياً لتحقيره، بل لبيان عذره في الاقدام على قطع كلام رسول الله ﷺ والدلالة على أنه أحق بالرأفة والرفق اهـ زاده.

قوله: (الذي هو حريص على إسلامه) نعت لأشراف قريش، وكان الظاهر التعبير بالذين، فكأنه جاء على الاستعمال القليل من استعمال الذي في الجمع على حد وخضتم كالذي خاضوا تأمل. قوله: (فناداه) أي: وكرر ذلك، وقوله: مما علمك الله وهو القرآن والإسلام. قوله: (يبسط له رداءه) أي: ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان من المهاجرين الأولين. وقيل: قتل شهيداً بالقادسية. قال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء اهـ من الخازن.

قوله: ﴿وما يدريك﴾ فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، وإلاَّ لقال وما يدريه، وما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره، والكاف مفعول أول، وجملة الترجي سادة مسد المفعول الثاني. وفي البحر، لعله يزكى أي: لعل الأعمى، فالضمير في لعله عائد عليه، والظاهر أن جملة الترجي في محل نصب ليدري، والمعنى لا ندري ما هو مترجي منه من ترك أو تذكر اهـ.

فجملة الترجي سادة مسدة المفعول الثاني، والترجي راجع إلى ابن أم مكتوم لا إلى النبي ﷺ، فإنه غير مناسب للسياق اهـ سمين.

وفي الشهاب: وفي الدر المصون أن الترجي أجري مجرى الاستفهام في كونه للطلب، فعلق به فعل الدارية، فقوله: لعله يزكى ساد مسد مفعوليه، والتقدير لا ندري ما هو مرجى منه من التزكية والتذكرة، وقيل: مفعوله مقدر أي: ما يدريك أمره وعاقبة حاله ويطلعك عليه، وقوله: لعله يزكى ابتداء كلام وفي كلام المصنف ميل لهذا، وقوله: يتطهر الخ أي: فالترجي راجع إلى ابن مكتوم لا إلى النبي ﷺ، فإنه غير مناسب للسياق، وفيه إشارة إلى أن مجرد رجاء مثله كاف في امتناع الإعراض والعبوس اهـ.

الأصل في الزاي، أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ العظة المسموعة منك، وفي قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥﴾ بالمال ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تقبل وتعرض ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ يؤمن ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾ حال من فاعل جاء ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ فيه حذف التاء الأخرى في الأصل أي تتشاغل ﴿كَلَّآ﴾ لا تفعل مثل ذلك ﴿إِنَّهَا﴾ أي السورة أو الآيات

قوله: (أي يتطهر من الذنوب) أي: لا من الشرك لأنه أسلم قديماً بمكة كما تقدم بخلاف قوله: وما عليك ألا يزكى، فإن المراد به أن يتطهر من الشرك فإنه كان مشغولاً ومحرضاً على إيمانهم فقال له الله تعالى: وما عليك ألا يزكى أي أنت لا تقدر على إيمانهم إن عليك إلا البلاغ اهـ بحر.

قوله: ﴿أو يذكر﴾ عطف على يزكّى وقوله: فتنفعه بالرفع عطفاً على أو يذكر اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية بنصب تنفعه، وقوله: جواب الترجي حال أي: حال كونه جواب الترجي.

قوله: ﴿أما من استغنى﴾ أي: عن الله والإيمان. وقال أبو السعود: أي عن الإيمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن اهـ.

قوله: ﴿فأنت له تصدى﴾ الجار والمجرور متعلق بتصدى وقدم عليه رعاية للفاصلة اهـ شيخنا.

وتصدى فيه قراءتان التثقيل والتخفيف ومعناه تتعرض، يقال: تصدى أي تعرض، وأصله تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك، فأبدل أحد الأمثال حرف علة نحو: تقضى البازي. وقيل: هو من الصدى وهو الصوت المسموع في الأماكن الخالية والأجرام الصلبة، وقيل: من الصدى وهو العطش، والمعنى على التعرض اهـ سمين.

قوله: (تقبل) أي: بالإصغاء إلى كلامه، وقوله: وتتعرض أي له بالإقبال عليه اهـ.

قوله: ﴿ألا يزكى﴾ مبتدأ خبره عليك أي: ليس عليك بأس في عدم تزكيته بالإسلام اهـ سمين.

وفي البحر: أي: وأي شيء عليك في كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر فما استفهامية للإنكار أو نافية، والجملة حال من الضمير في تصدى اهـ.

قوله: ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ أي: يسرع ويمشي في طلب الخير والمعالي اهـ.

وقوله: حال من فاعل يسعى أي: فهي متداخلة، وقوله: وهو الأعمى تفسير لمن. قوله: (أي تتشاغل) أي: بدعاء صناديد قريش إلى الإسلام اهـ شيخنا.

وهذا تفسير للتلهي لأنه من لهى بكذا يلهي أي تشاغل به وليس هو من اللهو في شيء ولم يجعل من اللهو، لأنه مسند إلى ضمير النبي ولا يليق بمنصبه الكريم أن ينسب إليه الفعل من اللهو بخلاف الاشتغال، فإنه يجوز أن يصدر منه في بعض الأحيان، ولا ينبغي أن يعتقد غير هذا اهـ سمين.

﴿ تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ عظة للخلق ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ حفظ ذلك فاتعظ به ﴿ فِى صُحُفٍ ﴾ خبر ثان لأنها وما قبله اعتراض ﴿ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ عند الله ﴿ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ في السماء ﴿ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ ﴾ منزهة عن مسّ الشياطين ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ ﴿ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ مطيعين الله تعالى وهم

وفي القاموس: لها لهواً لعب كالتهى وألهـاه ذلك ولهي به كرضي أحبه وعنه سلا وغفل وترك ذكره، ولها كدعا لهياً ولهياناً وتلهى اهـ.

قوله: (لا تفعل مثل ذلك) أي: تلهيك عمن جاءك يسعى وتصديك لمن استغنى. روي أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذكره﴾ أي: التذكرة، وذكر الضمير لأن التذكرة بمعنى التذكير والوعظ اهـ.

قوله: ﴿صحف﴾ أي: مثبت في صحف فمتعلقه خاص، والصحف إما الصحف المنزلة على الأنبياء، أو التي مع الملائكة منقولة من اللوح المحفوظ، وأما كونها عبارة عن اللوح نفسه فغير ظاهر، وكذا كونها صحف المسلمين على أنه إخبار بالغيب، فإن القرآن بمكة لم يكن في صحف ومثله يحتاج لنقل اهـ شهاب.

وقوله: أو التي مع الملائكة الخ قد ذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] وفي قوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥] أن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ومعنى هذا الإنزال أن جبريل أملاه من اللوح المحفوظ على ملائكة السماء الدنيا، فكتبوه كله في ليلة القدر، وبقيت تلك الصحف عندهم في السماء الدنيا، فصار جبريل ينزل منها بالآية والآيتين على النبي ﷺ حتى استكمل إنزال القرآن في ثلاث وعشرين سنة اهـ.

فيمكن حمل الصحف في الآية على الصحف التي بأيدي الملائكة. وفي القرطبي: وقيل: إن القرآن أثبت للملائكة في صحف يقرؤونها فهي مكرمة مرفوعة مطهرة اهـ.

قوله: (وما قبله اعتراض) أي: بين الخبرين. قوله: (عن مس الشياطين) أي: عن مس أيدي الشياطين اهـ.

وفيه أن الصحف بأيدي الملائكة في السماء والشياطين لا يصلون إلى السماء، فلا يظهر مدح الصحف بتطهيرها عن مسهم فليتأمل. قوله: (كتبة) أي: من الملائكة يتسخون الصحف من اللوح المحفوظ على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب اهـ أبو السعود.

وفي السمين: بأيدي سفرة جمع سافر وهو الكاتب، ومثله كاتب وكتبة، وسفرت بين القوم أسفر سفارة أصلحت بينهم، وأسفرت المرأة كشفت نقابها اهـ.

وفي المختار: وسفر الكتاب كتبه وبابه ضرب اهـ.

قوله: ﴿كرام﴾ أي: مكرمين معظمين عنده فهو من الكرامة بمعنى التوقير اهـ شهاب.

والبرره: جمع بار مثله كافر وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة. قال: بر وبار إذا كان أهلاً

الملائكة ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ لعن الكافر ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ استفهام توبيخ، أي ما حمله على الكفر ﴿مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ استفهام تقرير ثم بينه فقال ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه

للصدق، ومنه بر فلان في يمينه أي صدق وفلان بر خالقه ويتبرره أي يطيعه، فمعنى مطيعين الله صادقين لله في أعمالهم اهـ.

قوله: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ اهـ بيضاوي.

وفي الكرخي: وقوله: لعن الكافر يشير به إلى أنه دعاء بأشنع الدعوات، فإن قيل: الدعاء على الإنسان إنما يليق بالعاجز والقادر على الكل كيف يليق ذلك به، والتعجب أيضاً إنما يليق بالجاهل بسبب الشيء والعالم به كيف يليق به ذلك؟ فالجواب: أن ذلك ورد على أسلوب كلام العرب لبيان استحقاقه لأعظم العقاب حيث أتى بأعظم القبائح، كقولهم: إذا تعجبوا من شيء قاتله ما أخبثه أخزاه الله ما أظلمه اهـ.

وفي القرطبي: قتل الإنسان ما أكفره قتل أي: لعن، وقيل: عذب والإنسان الكافر وروى أبو صالح، عن ابن عباس: ما أكفره أي شيء أكفره، وقيل: ما تعجب وعادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا قاتله الله ما أخبثه وأخزاه الله ما أظلمه، والمعنى اعجبوا من كفر الإنسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا، وقيل: ما أكفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه على التعجب أيضاً. قال ابن جريج: أي ما أشد كفره، وقيل: ما استفهام أي: أي شيء دعاه إلى الكفر وهو استفهام توبيخ اهـ.

قوله: (استفهام توبيخ) الظاهر أنه تعجب من إفراط كفره، والتعجب بالنسبة للمخلوقين إذ هو مستحق في حق الله تعالى أي: هو ممن يقال فيه ما أكفره اهـ من البحر.

قوله: (أي ما حمله على الكفر) أي: أي شيء دعاه وحمله على الكفر.

قوله: ﴿من أي شيء خلقه﴾ شروع في بيان ما أنعم به عليه بعد المبالغة في وصفه بكفران نعم خالقه اهـ شهاب.

قوله: (استفهام تقرير) أي: أو تحقير له، والأول أظهر لأن الاستفهام ذكروا من معانيه التقرير، لكن التحقير أخص بالمقام بل جمع بينهما بعض مشايخنا، فقال في تفسيره هنا الاستفهام لتقرير التحقير فمن ذكر التقرير أراد المعنى ومن ذكر التحقير أراد التقرير به كما ينزل عليه خصوص المقام، لأن التقرير إيقاف المخاطب على حاله وهي هنا التحقير وتعريفه بقدره حين تكبر اهـ كرخي.

وذكر الجواب لا يقتضي أنه حقيقي كما توهم، لأن المراد بالجواب ما هو على صورة الجواب، لأنه بدل من قوله من أي شيء خلقه، ولو قيل: إنه للتقرير والتحقير مستفاد من شيء المنكر لكان له وجه اهـ شهاب.

قوله: ﴿فقدره﴾ أي: قدره أطواراً اهـ بيضاوي.

ولهذا قال الشارح علقة الخ، وهذا تفصيل لما أجمل في قوله من نطفة خلقه، والفاء للترتيب في الذكر اهـ زاده.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي طريق خروجه من بطن أمه ﴿يَسَّرَهُۥ ۝٢٠﴾ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾ جعله في قبر يستره ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ للبعث ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ لم يفعل ﴿مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ به ربّه ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾

قوله: ﴿ثم السبيل﴾ منصوب على الاشتغال بفعل مقدر تقديره ثم يسر السبيل يسره فالضمير في سره للسبيل أي سهل السبيل للإنسان اهـ سمين.

ولم يقل ثم سبيله بإضافته إلى ضمير الإنسان بل عرفه باللام للإشعار بأنه سبيل عام اهـ شهاب.

وفي السمين: قوله: ثم السبيل يسره يجوز أن يكون الضمير للإنسان، والسبيل ظرف أي: يسر للإنسان الطريق أي طريق الخير أو الشر، كقوله: ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد: ١٠] وقال أبو البقاء: ويجوز أن ينتصب بأنه مفعول ثان ليسره، والهاء للإنسان أي: يسره السبيل أي هداه له. قلت: فلا بد من تضمينه معنى أعطى حتى ينصب اثنين أو بحذف حرف الجر أي يسره للسبيل، ولذلك قدره بقوله: هداه له، ويجوز أن يكون السبيل منصوباً على الاشتغال بفعل مقدر، والضمير له تقديره ثم يسر السبيل يسره أي: سهله للإنسان كقوله: ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه: ٥٠] وتقدم مثله في قوله: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ [الإنسان: ٣].

قوله: (أي طريق خروجه من بطن أمه) أشار بهذا إلى أن السبيل بمعنى الطريق، وأن أل عوض عن الضمير، والمعنى ثم سبيله أي: الإنسان أي طريق خروجه من بطن أمه يسره الله له وسهل عليه خروجه منه. قال بعضهم: إن رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجليه من تحت فهو في بطن أمه على الانتصاب، فإذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله تعالى اهـ من الرازي.

قوله: ﴿ثم أماته﴾ الخ عد الآماتة من النعم لأنها وصلة في الجملة إلى الحياء الأبدية والنعيم المقيم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فأقبره﴾ لم يقل فقبره لأن القابر هو الدافن بيده والمقبر هو الله تعالى. يقال: قبر الميت إذا دفنه بيده، وأقبره إذا أمر غيره أن يجعله في قبره، وقوله: جعله في قبر يستره أي: ولم يجعله ممن يلقى للطير والسباع، فإن القبر مما أكرم به ابن آدم وقوله: ثم إذا شاء أنشره أي إذا شاء انشاره أنشره فمفعول المشيئة محذوف، وعبر بإذا إشعاراً بأن وقت المشيئة غير معلوم، وأما سائر الأحوال المذكور قبل ذلك، فإنها تعلم أوقاتها من بعض الوجوه فلم تفوض إلى مشيئته تعالى اهـ من الرازي.

قوله: ﴿كلَّا﴾ ردع وزجر للإنسان عما هو عليه من التكبر والتجبر والترفع والإصرار على إنكار التوحيد وإنكار البعث والحساب اهـ خازن.

وقوله: ﴿لما يقض﴾ بيان لسبب الردع والزجر اهـ أبو السعود.

قال بعضهم: ما لابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بينهما حامل عذرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لما يقض ما أمره﴾ أي: لم يفعل الإنسان من أول مدة تكليفه إلى حين إقباره، وقوله: ما أمره الله به أي: مما فرضه عليه، فالضمير في يقض للإنسان اهـ من البحر.

نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ كيف قدّر ودبّر له ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾ من السحاب ﴿صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ كالحنطة والشعير ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ هو القت الرطب ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾﴾ ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ بساتين كثيرة الأشجار ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ ما ترعاه

وقال أبو السعود: كلا بمعنى حقاً كما قاله الشارح فيكون متعلقاً بما بعده أي: حقاً لم يفعل ما أمره به ربه اهـ شيخنا.

وقال الكرخي: وقال ابن الأنباري: الوقف على كلاّ قبيح وعلى أمره وأنشره جيد اهـ.

قوله: ﴿ما أمره﴾ (به ربه) أشار إلى أن ما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف كما قدره تبعاً لأبي البقاء اهـ كرخي.

وقال الرازي: الضمير في يقض عائد إلى المذكور السابق وهو الإنسان في قوله: قتل الإنسان ما أكفره، وليس المراد من الإنسان هنا جميع الناس بل الإنسان الكافر اهـ.

قوله: ﴿فلينظر الإنسان﴾ الخ لما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال: فلينظر الإنسان إلى طعامه أي فلينظر كيف خلق الله طعامه الذي جعله سبباً لحياته، والمعنى إلى تكونه وكيفية حدوثه وهو موضع الاعتبار اهـ من الواحدي.

قال أبو السعود: وهذا شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اهـ.

قوله: ﴿أنا صببنا الماء صباً﴾ قرأ الكوفيون أنا بالفتح على البدل من طعامه، فيكون في محل جر بدل اشتمال بمعنى أن صب الماء سبب في إخراج الطعام فهو مشتمل عليه، أو بمعنى أن هذه الأشياء مشتملة على الطعام، لأن معنى قوله إلى طعامه إلى حدوث طعامه، فالاشتمال على هذا من باب اشتمال الثاني على الأول، لأن الاعتبار إنما هو في الأشياء التي يتكون منها الطعام في الطعام نفسه، وأما القراءة بكسر الهمزة فعلى الاستئناف المبين لكيفية إحداث الطعام اهـ سمين.

وقوله: ثم شققنا الخ أسند الشق إلى نفسه تعالى إسناد الفعل إلى السبب اهـ بيضاوي.

وقوله: إلى السبب تبع الزمخشري وقد رده في الإنصاف بأنه تعالى موجد الأشياء فالإسناد إليه تعالى حقيقة، وإنما ذكره الزمخشري اعتزالاً فإن أفعال العباد مخلوقة لهم عنده، ورده المدقق في الكشف بأنه ليس مبنياً على ما ذكر، بل لأن الفعل إنما يسند حقيقة لمن قام به لا لمن أوجده، فالاعتراض عليه ناشىء من قلة التدبر اهـ شهاب.

قوله: (من السحاب) أي: بعد نزوله من السماء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم شققنا الأرض﴾ أي: بالنبات الذي هو في غاية الضعف عن شق أضعف الأشياء، فكيف بالأرض اليابسة اهـ خطيب.

قوله: ﴿وعنباً﴾ عطف على حباً. قوله: (هو القت الرطب) أي: علف الدواب الرطب، وسمي قضباً لأنه يقضب أي: يقع مرة بعد أخرى اهـ.

قوله: ﴿غلباً﴾ جمع أغلب وغلباء كحمر في أحمر وحمراء. يقال: حديقة غلباء أي غليظة

البهائم، وقيل التبن ﴿مَّتَٰعٗا﴾ متعة أو تمتيعاً، كما تقدم في السورة قبلها ﴿لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢﴾ تقدم فيها أيضاً ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾ النفخة الثانية ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤﴾ ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥﴾

الشجر ملتفة، بالحدائق ذات أشجار غلاظ فهو مجاز مرسل كالمرسن بمعنى الغليظ مطلقاً، وفيه تجوز مطلقاً، وفيه تجوز في الإسناد أيضاً، لأن الحدائق نفسها ليست غليظة بل الغليظ أشجارها اهـ شهاب.

قوله: ﴿وفاكهة﴾ عطف عام فيدخل فيها رطب وعنب ورمان وأترج وتمر وزبيب وغير ذلك اهـ خطيب.

وهذا بالنظر لعطفه على عنباً، وأما إذا عطف على حدائق كما هو المتبادر فهو عطف خاص على كل عام كما لا يخفى اهـ.

قوله: ﴿وأباً﴾ مأخوذ من أبه إذا أبه أي: قصده لأنه يؤم وينتجع له، أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيىء للرعي اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: الأب المرعى الذي لم تزرعه الناس مما تأكله الدواب والأنعام اهـ.

قوله: (ما ترعاه البهائم) أي: سواء كان رطباً أو يابساً فهو أعم من القضب، وقوله: وقيل التبن وعليه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرة اهـ.

قوله: ﴿متاعاً﴾ منصوب بأنبتنا لأنه مصدر مؤكد لعامله، لأن إنباته الأشياء إمتاع لجميع الحيوانات اهـ شيخنا.

لكن هذا لا يلاقي قول الشارح كما تقدم في السورة قبلها، والذي تقدم أنه مفعول من أجله أو مطلق، والعامل فيه محذوف تقديره فعل ذلك متاعاً لكم أو متعكم بذلك تمتيعاً والأمر متقارب. قوله: (تقدم فيها أيضاً) أي: تقدم تفسير الأنعام بأنها جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم.

قوله: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ شروع في بيان أحوال معادهم أثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم، والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم، والصاخة الداهية التي تصخ لها الخلائق أي: يصيخون لها من صخ لحديثه إذا أصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصخون لها اهـ أبو السعود.

وقوله: وصفت بها أي مجازاً بناء على أن صخ بمعنى أصاخ أي: استمع فجعلت مستمعة مجازاً في الظرف أو الإسناد اهـ شهاب.

وفي المختار: الصاخة الصيحة تصم بشدتها تقول صخ الصوت من باب ردّ: ومنه سميت القيامة الصاخة اهـ.

فقوله: تصم أي: تورث الصمم أي: عدم السمع من أجل شدتها اهـ.

وفي السمين: الصاخة الصيحة التي تصخ الآذان أي تصمها لشدة وقعتها، وقيل: هي مأخوذة من صخه بالحجر أي: صكه به، وقال الزمخشري: صخ لحديثه مثل أصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازاً، لأن الناس يصخون لها، وقال ابن العربي: الصاخة التي تورث الصمم وأنها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة اهـ.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ يوم بدل من إذا، وجوابها دلّ عليه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ حال يشغله عن شأن غيره، أي اشتغل كل واحد بنفسه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مضيئة ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ فرحة وهم المؤمنون ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ غبار ﴿تَرْهَقُهَا﴾ تغشاها

قوله: ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ أي: يهرب أي تجيء الصاخة في هذا الذي يهرب فيه من أخيه أي من موالاة أخيه ومكالمته لأنه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه، كما قال بعده: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ أي: يشغله عن غيره، وقيل: إنما يفر حذراً من مطالبتهم إياه لما بينهم من التبعات، وقيل لئلا يروا ما هو فيه من الشدة، وقيل: لعلمه أنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئاً كما قال: ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾ [الدخان: ٤١] وقال عبد الله بن طاهر الأبهري يفر منه لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئاً سوى ربه تعالى اهـ قرطبي.

وسبب ذلك الفرار الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالأخ يقول لم تواسني بمالك والأبوان يقولان قصرت في برنا، والصاحبة تقول لم توفني حقي وأطعمتني الحرام، والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا اهـ خازن.

قوله: (بدل من إذا) أي: بدل كل أو بعض والعائد محذوف أي يفر فيه اهـ.

ولا يجوز أن يكون يغنيه عاملاً في إذا ولا في يوم لأنه صفة ولا يتقدم معمول الصفة على عاملها اهـ كرخي.

قوله: ﴿لكل امرىء الخ﴾ جملة مستأنفة ورادة لبيان سبب الفرار أي لكل واحد من المذكورين شغل يكفيه في الاهتمام به اهـ أبو السعود.

قوله: (أي اشتغل كل واحد بنفسه) بيان لجواب إذا المحذوف اهـ.

قوله: ﴿وجوه يومئذ﴾ الخ وجوه: وإن كان نكرة لكونها في حيزه التنويع، ومسفرة خبره، ويومئذ متعلق به، وهذا بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم إلى الأشقياء والسعداء بعد وقوعهم في داهية عظيمة اهـ أبو السعود.

قوله: (مضيئة) أي: متهللة من أسفر الصبح إذا إضاء، وعن ابن عباس: عن قيام الليل روي في الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» وعن الضحاك من آثار الوضوء، وقيل: من طول ما اغبرت في سبيل الله تعالى اهـ خطيب.

قوله: (فرحة) أي: بما تناله من كرامة الله ورضوانه، وقوله: ضاحكة أي عند الفراغ من الحساب اهـ خازن.

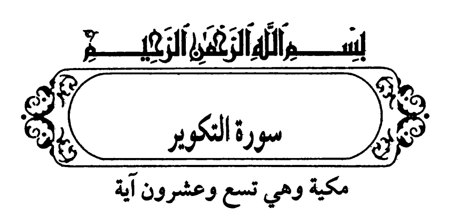
قوله: ﴿ترهقها﴾ في المختار: رهقه غشيه وبابه طرب، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ [يونس: ٢٦] وفي الحديث: «إذا صلى أحدكم على شيء فليرهقه أي: فليغشه ولا يبعد منه» اهـ.

﴿قَتَرَةٌ ۝٤١﴾ ظلمة وسواد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الحالة ﴿هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ أي الجامعون بين الكفر والفجور.

قوله: (ظلمة وسواد) هذا تفسير ابن عباس، وعليه فالفرق بين الغبار والقترة ظاهر، وقيل: القترة والغبرة معناهما واحد، وعليه فيفرق بأن القترة ما ارتفع من الغبار إلى السماء والغبرة ما انحط منه إلى الأرض تأمل. قوله: (الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر وهو الكاذب والمفتري على الله تعالى، فجمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر اهـ خطيب.

وفي القرطبي: الفاجر الكاذب المفتري على الله، وقيل: الفاسق اهـ.

وفي المختار: وفجر فسق وفجر كذب وبابهما دخل وأصله الميل والفاجر المائل اهـ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التكوير

مكية وهي تسع وعشرون آية

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ لففت وذهب بنورها ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ②﴾ انقضت وتساقطت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر بعض أهوال القيامة فيما قبلها أردفه ببعض أهوالها الآخر اهـ كازروني.

وفي الترمذي: عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلي يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت» قال: هذا حديث حسن اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ إذا ظرف في هذه المواضع الاثني عشر، وجوابها علمت نفس كما سيذكره الشارح، والشمس فاعل بفعل محذوف تقديره: إذا كورت الشمس كورت، ولا يجوز الوقف قبل علمت نفس ما أحضرت اختياراً اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: أعرب الزمخشري الشمس فاعلاً بفعل مقدر يدل عليه كورت، ومنع أن يرتفع بالابتداء، لأن إذا تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط وما منعه من وقوع المبتدأ بعدها أجازه الأخفش والكوفيون، وأجازوا إذا زيد أكرمك فأكرمه، ولكن الأولى ما ذكره وارتفاع النجوم وما بعدها كما تقدم في الشمس اهـ.

قوله: (لففت) الأظهر لفت اهـ قاري.

أي: لف بعضها ببعض ويرمي بها في البحر، وأصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض، فمعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضؤوها، وبعد رميها في البحر يرسل الله عليها ريحاً دبوراً فتضربها فتصير ناراً اهـ خازن.

وفي المصباح: كار الرجل العمامة كوراً من باب قال أدارها على رأسه وكل دور كور تسمية بالمصدر، والجمع أكوار مثل ثوب وأثواب، وكورها بالتشديد مبالغة، ومنه يقال: كورت الشيء إذا لفقته على وجه الاستدارة، وقوله تعالى: إذا الشمس كورت المراد به طويت كطي السجل اهـ.

قوله: (بنورها) أي: ضوئها. قوله: (وتساقطت) كما قال تعالى: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ [الإنفطار: ٢] والأصل في الانكدار الانصباب اهـ خطيب.

على الأرض ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثاً ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ ۝٤﴾ تركت بلا راع أو بلا حلب لما دعاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ جمعت من بعد البعث ليقتصَّ لبعض من بعض ثم تصير تراباً ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ بالتخفيف والتشديد، أوقدت فصارت ناراً ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ

قوله: ﴿سيرت﴾ أي: في الهواء أي: رفعت من مكانها بعد تفتيتها، وقوله: فصارت هباء أي بعد صيرورتها، كالعهن أي: الصوف المندوف فصيرورتها كالعهن مسبوقة بتفتيتها كالرمل السائل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإذا العشار﴾ جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها. وروي أنه ﷺ مرّ في أصحابه بعشار من النوق فغض بصره فقيل له: هذا أنفس أموالنا فلم لا تنظر إليها؟ فقال: قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ [الحجر: ٨٨ طه: ١٣١] الآية اهـ خطيب.

قوله: (تركت بلا راع) أي: تركت مهملة بلا راع لها وهو إما بعد البعث أو قبيل قيام القيامة حتى لا يلتفت أحد إلى ما كان عنده اهـ شهاب.

وقال بعضهم: إن هذا على وجه المثل لأن في القيامة لا كون ناقة عشراء، والمعنى أن يوم القيامة بحالة لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه اهـ قاله القرطبي.

قوله: (أو بلا حلب) في المختار: الحلب بفتح اللام المصدر تقول منه حلب يحلب بالضم حلباً اهـ.

ويقال أيضاً: بسكون اللام من باب قتل كما في المصباح اهـ.

قوله: (وإذا الوحوش﴾ أي: دواب البر، وقوله: جمعت بعد البعث الخ أي: من كل ناحية. قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص، فإذا اقتص منها ردت تراباً فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه اهـ أبو السعود.

قوله: (أوقدت فصارت ناراً﴾ هذا أحد أقوال ذكرها القرطبي ونصه: وإذا البحار سجرت أي: ملئت من الماء فيفيض بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً وهو معنى قول الحسن، وقيل: أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت، وعن الضحاك ومجاهد: فجرت فصارت بحراً واحداً. قال القشيري: وذلك بأن يرفع الله الحاجز الذي ذكره في قوله: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ [الرحمٰن: ٢٠] فإذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار، فعمت الأرض كلها وصارت البحار بحراً واحداً، وعن الحسن أيضاً: يبست فلا يبقى من مائها قطرة، وتسير الجبال حينئذٍ وتصير الجبالَ والأرضَ طبقاً واحداً بأن يملأ مكان البحار بسراب الجبال. قال النحاس: وقد تكون الأقوال متفقة فتيبس البحار من الماء بعد أن يفيض بعضها إلى بعض ثم تقلب ناراً، وقال ابن زيد، وعطية، وسفيان، ووهب، وأبي، وعلي ابن أبي طالب، وابن عباس في رواية الضحاك عنه: أوقدت فصارت ناراً. قال ابن عباس: يكور الله

﴿زُوِّجَتْ ۝٧﴾ قرنت بأجسادها ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة ﴿سُئِلَتْ ۝٨﴾

الشمس والقمر والنجوم في البحر ثم يبعث عليها ريحاً دبوراً فتنفخه حتى يصير ناراً، وكذلك في بعض الأحاديث بأمر الله جل ثناؤه الشمس والقمر والنجوم فينثرن في البحر، ثم يبعث الله جل ثناؤه الدبور فتسجر ناراً فتلك نار الله الكبرى التي يعذب بها الكفار. قال القشيري: قيل في تفسير قول ابن عباس سجرت أوقدت يحتمل أن تكون جهنم في قعور من البحار، فهي الآن غير مسجورة لقوام الدنيا فإذا انقضت الدنيا سجرت فصارت كلها ناراً يدخلها الله أهلها، ويحتمل أن يكون تحت البحر نار، ثم يوقد الله البحر كله فيصير ناراً، وفي الخبر البحر نار في نار، وقال معاوية بن سعيد: بحر الروم وسط الأرض أسفله آبار مطبقة بنحاس يسجر يوم القيامة، وقد تكون الشمس في البحر فيكون البحر ناراً بحر الشمس، ثم جميع ما في هذه الآيات الست يجوز أن يكون قبل يوم القيامة وما بعده هذه الآيات يكون في يوم القيامة. روي عن عبد الله بن عمرو: لا تتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم، وقال أبي بن كعب: ست آيات من قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم فتحيروا ودهشوا فبينما هم كذلك إذا وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباءً منثوراً، ففزع الإنس إلى الجن والجن إلى الإنس، واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير وماج بعضها في بعض، فذلك قوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ ثم قالت الجن للإنس: «نحن نأتيكم بالخبر» فانطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تتأجج، فبينما هم كذلك انصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذا جاءتهم ريح فأماتتهم، قيل: معنى سجرت هي حمرة مائها حتى يصير كالدم مأخوذ من قولهم عين سجراء أي: حمراء اهـ.

قوله: (قرنت بأجسادها) أي ردت الأرواح إلى أجسادها، وهذا بناء على أن التزويج بمعنى جعل الشيء زوجاً والنفوس على هذا بمعنى الأرواح اهـ سمين.

وروي أن عمر سئل عن هذه الآية فقال: يقرن الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء والرجل السوء في النار، وقال قتادة: يقرن كل امرىء بشيعته، فاليهود تقرن باليهود والنصارى تقرن بالنصارى، وقال عطاء: زوجت نفوس الحور المؤمنين العين وقرنت نفوس الكفار بالشياطين اهـ خطيب.

وفي القرطبي: وعن ابن عباس قال: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت الكفار بالشياطين، وكذلك المنافقون، وعنه أيضاً: قرن كل شكل بشكله من أهل الجنة وأهل النار فيضم المبالغ في الطاعة إلى مثله والمتوسط إلى مثله وأهل المعصية إلى مثلهم، فالتزويج أن يقرن الشيء بمثله، والمعنى: وإذا النفوس قرنت إلى أشكالها في الجنة والنار، وقيل: يضم كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ [الصافات: ٢٢] قال عبد الرحمن بن زيد: جعلوا أزواجاً على حسب أعمالهم، فأصحاب اليمين زوج، وأصحاب الشمال زوج، والسابقون زوج، وقد قال جل ثناؤه: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ [الصافات: ٢٢] أي: أشكالهم، وقال عكرمة: وإذا النفوس زوجت قرنت الأرواح بالأجساد أي: ردت إليها، وقال الحسن:

تبكيتاً لقاتلها ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾ وقرىء بكسر التاء حكاية لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قتلت بلا ذنب ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ صحف الأعمال ﴿نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ بالتخفيف والتشديد، فتحت وبسطت ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ﴾ النار ﴿سُعِّرَتۡ ۝١٢﴾ بالتخفيف والتشديد أججت ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾ قربت لأهلها ليدخلوها،

ألحق كل امرىء بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد شيئاً من دون الله يلحق بعضهم بعضاً المنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنون وقيل: يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان على جهة البغض والعداوة، ويقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين، وقيل: قرنت النفوس بأعمالها فصار انضمامها لها كالتزويج اهـ.

قوله: (الجارية) المراد بها مطلق البنت، وقوله: والحاجة أي الفقر كان الرجل في الجاهلية إذا ولد له بنت، فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية أي: بنت ست سنين يقول لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى احمائها وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فيذهب بها إلى البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالتراب، وقال ابن عباس: كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت عن رأس تلك الحفرة، فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإذا ولدت ولداً أبقته اهـ خطيب.

قوله: (تبكيتا لقاتلها) لمن دفنها في القبر وهي حية، وهذا جواب عما يقال ما معنى سؤال الموؤدة، مع أن الظاهر أن يسأل القاتل عن قتله إياها، وتقرير الجواب أن هذه الطريقة أفظع في ظهور جناية القاتل والزام الحجة عليه، فإنه إذا قيل للموؤدة إن القتل لا يجوز إلا لذنب عظم فما ذنبك وبأي ذنب قتلت؟ كان جوابها: إني قتلت بغير ذنب فيفتضح القاتل ويصير مبهوتاً اهـ زاده.

قوله: (وقرىء بكسر التاء) أي: الثانية على أنها تاء المؤنثة المخاطبة والفعل مبني للمفعول بوزن ضربت مبنياً للمفعول، وهذه القراءة شاذة وهي مع قراءة الجمهور على أن سئلت بالبناء للمفعول، وقرىء شاذاً سألت بالبناء للفاعل مع قتلت بضم التاء للمتكلم وبسكونها على للتأنيث، فالقراءات الشاذة ثلاثة اهـ شيخنا.

قوله: (صحف الأعمال) أي: فإنها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب اهـ بيضاوي.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان، وقوله: فتحت وبسطت أي: بعد أن كانت مطوية. قوله: (نزعت عن أماكنها) أي: أزيلت وعدمت بالمرة، وفي القرطبي: فالكشط قلع عن شدة النزاق فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره، والقشط لغة فيه، وفي قراءة عبد الله وإذا السماء قشطت وكشطت البعير كشطاً نزعت جلده، ولا يقال سلخته لأن العرب لا تقول في البعير إلا كشطته أو جلدته وانكشط أي: ذهب، فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء، وقيل: تطوي كما قال: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فكان المعنى قلعت فطويت اهـ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان، وقوله: أججت أي: أوقدت للكفار وزيد في احمائها:

وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو

يقال: سعرت النار وأسعرتها وقال قتادة: سعرها غضب الله وخطايا بني آدم اهـ قرطبي.

قوله: (قربت لأهلها) وقال الحسن: إنهم يقربون منها لا أنها تزول عن موضعها، وكان عبد الرحمن بن زيد يقول: زينت والزلفى في كلام العرب القربة قال الله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ [الشعراء: ٩٠ ق: ٣١] وتزلف فلان تقرب اهـ قرطبي.

قوله: (أول السورة) أي: الواقعة أول السورة، وقوله: وما عطف عليها وهو أحد عشر. قال الزجاج: التقدير إذا كانت هذه الأشياء علمت كل نفس ما أحضرت من خير أو شر تجزى به أي فلا وقف من أولها إلى هنا اختياراً، وقال صاحب الكشاف: هذه اثنتا عشرة خصلة من قوله: ﴿إذا الشمس﴾ إلى قوله: ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ كلها مضافة إلى الجمل لم يتم بها الكلام، وإنما إتمامها بما عمل فيها من قوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ فهي جملة من فعل وفاعل، ثم ابتدأ وأقسم فقال: فلا أقسم وتمامه آخر السورة لأن قوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ جواب القسم اهـ.

وإنما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة، ست منها في مبادىء قيام الساعة قبل فناء الدنيا وهي قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ إلى قوله: ﴿وإذا البحار سجرت﴾ وست بعده وهي من قوله: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ إى قوله: ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ لأن المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وقال الحسن: إذا الشمس كورت إلى قوله وإذا الجنة أزلفت اثنتا عشرة خصلة، ست في الدنيا، وست في الآخرة، وقد بيّنّا الستة الأول في قول أبي بن كعب اهـ.

قوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ أي من خير وشر، قال الرازي: ومعلوم أن العمل لا يمكن احضاره، فالمراد حينئذ ما أحضرته في صحائفها أو ما أحضرته عند المحاسبة، وعند الميزان من آثار تلك الأعمال اهـ خطيب.

وفي أبي السعود: علمت نفس ما أحضرت جواب إذا على أن المراد بها أي بإذا زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها، وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه أي الزمن الواحد النفخة الأولى، ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق، لكن لا بمعنى أنها تعلم في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع كل داهية من تلك الدواهي، بل عند نشر الصحف، إلا أنه لما كان بعض تلك الدواهي من مبادئه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك إلى زمان وقوع كلها تهويلاً للخطب وتفظيعاً للحال، والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر، وبحضورها إما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها، وإما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة، حتى أن الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى: ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [التوبة: ٤٩ العنكبوت: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ [النساء: ١٠] وكذا قوله عليه الصلاة والسلام في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة:

يوم القيامة ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ من خير وشرّ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ١٥﴾ ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦﴾ هي النجوم الخمسة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، تخنس بضم النون أي ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كرَّ راجعاً إلى أوله، وتكنس بكسر النون

«إنما يجرجر في بطنه نار جهنم» ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة، وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة، فتوضع في الميزان، وأياً ما كان فإسناد إحضارها إلى النفس مع أنها تحضر بأمر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] الآية لأنها لما عملتها في الدنيا فكأنها أحضرتها في الموقف، ومعنى علمها بها حينئذ أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة، فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة، وإن كانت سيئة فإنها تشاهد على خلاف ما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأنها كانت مزينة لها موافقة لهواها اهـ.

قوله: (أي كل نفس) أي فالتنكير في نفس مثله في تمرة خير من جرادة، وأورد عليه أنها هنا في سياق الإثبات وهي فيه تكون للإفراد أو النوعية، والمقام إنما يناسبه العموم لأن العلم بما أحضرت حاصل لكل نفس لقوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] الخ ومحصل الجواب: أن ما ذكر أكثري لا كلي فلا ينافي أنه قد يقصد بها العموم بمعونة المقام اهـ زاده.

وفيه أنها هنا في سياق الشرط، وسياق الشرط كسياق النفي في أن النكرة للعموم إذا وقعت في كل منهما اهـ.

قوله: (وهو) أي وقت هذه المذكورات يوم القيامة. قوله: ﴿ما أحضرت﴾ أي ما أحضرته في صحيفة عملها وما أحضرته في موقف المحاسبة وعند الميزان، لأن الأعمال أعراض لا يمكن إحضارها اهـ زاده.

قوله: (هي النجوم) أي السيارة غير الشمس والقمر، وقوله: تخنس بضم النون أي من باب دخل كما في المختار، وقوله: أي ترجع في مجراها أي بعد أن جرت في الفلك أي ترجع من آخر الفلك القهقرى إلى أوله كما قرر ذلك الشارح اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان، أحدهما: لأنها تستقبل الشمس قاله بكر بـن عبد الله المزني. الثاني: لأنها تقطع المجرة قاله ابن عباس، وقال الحسن وقتادة: هي النجوم التي تخنس بالنهار وتظهر بالليل، وتكنس في وقت غروبها أي تتأخر عن البصر لخفائها فلا ترى، وفي الصحاح: والخنس الكواكب كلها لأنها تخنس في المغيب ولأنها تخفى نهاراً، ويقال: هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس الجواري الكنس﴾ [التكوير: ١٥] إنها النجوم الخمس زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لأنها تخنس في مجراها وتكنس كما تكنس الظباء في المغار اهـ.

قوله: (إذ كرّ راجعاً) هو العامل في بينما، وقوله: إلى أوله أي البرج، وقوله: بكسر النون أي

تدخل في كناسها أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾﴾ أقبل بظلامه أو أدبر ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ امتدَّ حتى يصير نهاراً بيناً ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾﴾ على الله تعالى وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي شديد القوى ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي الله تعالى ﴿مَكِينٖ ﴿٢٠﴾﴾ ذي مكانة متعلق به عند ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي تطيعه الملائكة في السماوات

فبابه جلس كما في المختار، وقوله: تدخل في كناسها أي فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: وكناس الظبي بالكسر بيته، وكنس الظبي كنوساً من باب نزل دخل كناسه اهـ.

قوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ مناسبته لقرينه ظاهرة على التفسيرين، لأن ما قبله إن كان للاقبال فهو أول الليل وهذا أول النهار، وإن كان للادبار فهذا ملاصق له فبينهما مناسبة الجوار، فلا وجه لما قيل من أنه على الأول أنسب اهـ شهاب.

قوله: ﴿إذا تنفس﴾ يقال للصبح إذا زاد تنفس، ومعنى التنفس خروج النفس من الجوف، وفي كيفية المجاز قولان، الأول: أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له على المجاز، فقيل: تنفس الصبح. الثاني: أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي حبس بحيث لا يتحرك، فإذا تنفس وجد راحة وههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبّر عنه بالنفس اهـ خطيب.

قوله: ﴿كريم﴾ (على الله) أي فكريم صفة تقتضي نفي المذام كلها وإثبات صفات المدح اللائقة به، وقوله: أمين أي مقبول القول يصدق فيما يقوله مؤتمن على ما يرسل به من الوحي اهـ من البحر.

قوله: ﴿ذي قوة﴾ كان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة ألقاه إلى أقصى جبل الهند، وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف اهـ خازن.

قوله: (ذي مكانة) أي مكانة إكرام وتشريف لا مكانة جهة اهـ خطيب.

قوله: (متعلق به عند) أي فهو حال من مكين وأصله الوصف، فلما قدم نصب حالاً، وقوله: ثم ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع اهـ سمين.

قال الحسن: فرض الله على أهل السموات طاعة جبريل عليه السلام، كما فرض على أهل الأرض طاعة محمد ﷺ اهـ خطيب.

ومن طاعة الملائكة لجبريل أنهم فتحوا له أبواب السموات ليلة المعراج وفتح خزانة الجنة أبوابها اهـ خازن.

قوله: (أي تطيعه الملائكة) تفسير لقوله مطاع، وقوله في السموات تفسير لقوله ثم اهـ.

﴿أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ على الوحي ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ محمد ﷺ عطف على إنه إلى آخر المقسم عليه ﴿بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ كما زعمتم ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ البيِّن، وهو الأعلى بناحية الشرق ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بمتهم، وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فيقتنص شيئاً منه

قوله: (عطف على إنه) أي إنه لقول رسول كريم: يعني: سيقت الآيات لبيان شأن الكتاب حيث جعل إنه لقول رسول كريم مقسماً عليه بالأقسام السابقة، فذكر محمد صلوات الله وسلامه عليه وجبريل عليه السلام تابع لذكره، وقال الإمام ما معناه: كما أنه سبحانه وتعالى أجرى على جبريل هذه الصفات ههنا أجرى على نبينا ﷺ صفات في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥] فإفراد أحد الشخصين بالذكر وإجراء صفاته عليه لا يدل على انتفاء تلك الصفات عن الآخر، وقال القاضي: واستدل به على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام حيث عدّ فضائل جبريل، واقتصر على نفي الجنون عن النبي ﷺ وهو ضعيف. إذ المقصود منه قولهم إنما يعلمه بشر افترى على الله كذباً أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما اهـ.

ثم إنك إذا أمعنت النظر وقفت على أن إجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله ﷺ، وأنه بلغ من المكانة وعلو المنزلة عند ذي العرش بأن جعل السفير بينه وبينه مثل هذا الملك المقرب المطاع الأمين، فالقول في هذه الصفات بالنسبة إلى رسول الله ﷺ رفعة منزلة له كالقول في قوله: ذي العرش بالنسبة إلى رفعة منزلة جبريل عليه السلام كما سبق والله أعلم اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد رآه﴾ معطوف أيضاً على قوله: إنه لقول رسول كريم فهو من جملة المقسم عليه اهـ زاده.

وهذه الرؤية هي الرؤية الواقعة في غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والأرض في صورة له ستمائة جناح، وقيل: هي الرؤية التي رآه فيها عند سدرة المنتهى، وقوله: بناحية المشرق أي لأنه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس اهـ شيخنا.

وعبارة المفسر في سورة النجم: ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ [النجم: ٧] أفق الشمس أي عند مطلعها على صورته التي خلق عليها فرآه النبي ﷺ وكان بحراء قد سد الأفق الأعلى إلى المغرب فخرَّ مغشياً عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فواعده بحراء فنزل جبريل عليه السلام له على صورة الأميين انتهت.

قوله: ﴿على الغيب﴾ متعلق بظنين أو بضنين اهـ سمين.

وعلى على الأول بمعنى في، وعلى الثاني بمعنى الباء.

قوله: (وفي قراءة بالضاد) أي سبعية، وقوله: أي ببخيل أي فلا يبخل به عليكم بل يخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً. واختار أبو عبيدة القراءة الأولى لوجهين،

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ مرجوم ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الإنس والجن ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ باتباع الحق ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الخلائق استقامتكم عليه.

أحدهما: أن الكفار لم يبخلوه وإنما اتهموه فنفي التهمة أولى من نفي البخل، والآخر قوله: على الغيب فإن البخل وما في معناه لا يتعدى بعلى وإنما يتعدى بالباء اهـ زاده.

وفي المصباح: والظنة بالكسر التعمة وهي اسم من ظننته من باب قتل إذا اتهمته فهو ظنين فعيل بمعنى مفعول، وفي السبعة: وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم اهـ.

وفيه أيضاً ضن بالشيء يضن من باب تعب ضناً وضنة بالكسر وضنانة بالفتح بخل فهو ضنين من باب ضرب لغة اهـ.

قوله: ﴿وما هو بقول الشيطان﴾ هذا نفي لقولهم إنه كهانة وسحر اهـ بيضاوي.

أي بل هو قول ملك، وقوله: مرجوم أي مطرود ومبعد عن الرتبة اهـ خطيب.

قوله: ﴿فأين تذهبون﴾ أين منصوب بتذهبون لأنه ظرف مكان مبهم لا مختص اهـ سمين.

وأشار لذلك الشارح بقوله: فأي طريق تسلكون أي أمن نسبته للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر اهـ شيخنا.

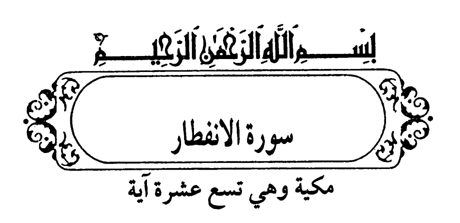
وهذا استضلال لهم فيما يسلكون في أمر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الطريق الجادة بعد ظهورها: هذا الطريق الواضح فأين تذهب؟ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أن يستقيم﴾ أي أن يتحرى الحق وملازمة الصواب، وقوله: وما تشاؤون، وقوله: إلا أن يشاء الله مفعول كل من الفعلين محذوف كما قدره الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما تشاؤون﴾ الخطاب هنا ليس للخاطبين في قوله: فأين تذهبون، بل هو لمن عبّر عنهم بقوله: لمن شاء منكم أن يستقيم اهـ زاده.

قوله: ﴿إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ قال مكي: أن وما معها موضع خفض بإضمار الباء أي إلا بأن والباء للمصاحبة أو للسببية، وهذا عندي أقرب الأعاريب اهـ شهاب.

وعبارة البيضاوي: وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها إلا أن يشاء الله إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم اهـ.



مكية وهي تسع عشرة آية

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ انشقت ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ انقضت وتساقطت ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣﴾ فتح بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً واختلط العذب بالملح ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿إذ السماء انفطرت﴾ السماء فاعل بفعل محذوف يدل عليه المذكور اهـ شيخنا.

واعلم أن المراد من هذه الآيات أنه إذا وقعت هذه الأشياء التي هي أشراط الساعة فهناك يحصل الحشر والنشر، وهي ههنا أربعة، اثنان منها يتعلقان بالعلويات، واثنان يتعلقان بالسفليات، والمراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكاليف والسماء كالسقف والأرض كالبناء، ومن أراد تخريب دار فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف، ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب، ثم بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الأرض من البحار، ثم بعد ذلك تخرب الأرض التي فيها الأموات، وأشار لذلك بقوله: ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ ثم إن قوله: ﴿ما قدمت وأخرت﴾ يقتضي فعلاً وتركاً، فإن كان قد قدم الكبائر وأخر العمل الصالح فمأواه النار، وإن كان قد قدم العمل الصالح وأخر الكبائر فمأواه الجنة، فيحصل العلم الإجمالي في أول زمان الحشر، لأن المطيع يرى آثار السعادة في أول الأمر، وأما العلم التفصيلي فلا يحصل إلا عند قراءة الكتب والمحاسبة اهـ من الرازي.

قوله: (انشقت) أي لنزول الملائكة، ويوم تشقق السماء بالغمام، ونزل الملائكة تنزيلاً اهـ أبو السعود.

قوله: (انقضت وتساقطت) فالانتثار لإزالة الكواكب حيث شبهت بجواهر سلكها وهي مصرحة أو مكنية اهـ شهاب.

قوله: ﴿فجرت﴾ العامة على بنائه للمفعول مثقلاً، وقرأ مجاهد مبنياً للفاعل مخففاً من الفجور نظراً إلى قوله: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ [الرحمن: ٢] فلما زال البرزخ بغياً، وقال مجاهد أيضاً والربيع بن خيثم، والزعفراني والثوري: مبنياً للمفعول مخففاً اهـ سمين.

قوله: (فتح بعضها) أي من أعلاها أو من أسفلها، وفي بمعنى إلى، وعبارة أبي السعود: فتح

بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾ قلب ترابها وبعث موتاها، وجواب إذا وما عطف عليها ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ أي كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا قَدَّمَتۡ﴾ من الأعمال ﴿وَ﴾ ما ﴿وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ منها فلم تعمله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ حتى عصيته ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم

بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالإجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز، وصارت البحار بحراً واحداً، وروي أن الأرض تنشف بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن، وقيل: إن مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فإذا تفجرت تفرقت وذهبت انتهت.

قوله: (قلب ترابها) أي الذي أهيل على الموتى وقت الدفن يعني أزيل التراب الذي ملئت به، وكان حثي على موتاها فانفتحت وخرج من دفن فيها، وهذا معنى البعثرة وحقيقتها تبديد التراب ونحوه، وهو إنما يكون لإخراج شيء تحته فقد يذكر ويراد معناه ولازمه معاً، وقد يتجوز به عن البعث والإخراج كما يأتي في العاديات حيث فسره بالبعث، والفارق بينهما أنه أسند هنا للقبور فكان على حقيقته، وأسند ثمة لما فيها فكان مجازاً عما ذكر، ومن لم يقف على مراد المصنف زعم أنه مشترك بين النبش والإخراج اهـ شهاب.

وفي المختار: بحثره فتبحثر أي بدّده فتبدد، وقال الفراء: بحثر متاعه وبعثره أي فرقه وقلب بعضه على بعض، وقال أبو الجراح: بحثر الشيء وبعثره أي أستجرجه وكشفه اهـ.

وفي السمين: قوله: بعثرت أي قلبت. يقال: بعثره وبحثره بالعين والحاء، قال الزمخشري: وهما مركبان من البعث والبحث مضموماً إليهما راء، يعني: أنهما مما اتفق معناهما لا أن الراء مزيدة فيهما، إذ ليست من حروف الزيادة اهـ.

قوله: (وقت هذه المذكورات) أي الأربعة، وقوله: وهو يوم القيامة وعلمها بذلك عند نشر الصحف، لأن المراد به زمن واحد ممتد متسع مبدؤه النفخة الأولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا أزمنة متعددة بحسب تعدد إذا، وإنما كررت إذا لتهويل ما في حيزها من الدواهي، ومعنى علم النفس بما قدمت وأخرت العلم التفصيلي كما تقدم في سورة التكوير اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: فإن قيل: أي وقت من القيامة يحصل هذا العلم؟ قال الرازي: أما العلم إجمالاً فيحصل في أول زمن الحشر، لأن المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة في أول الأمر، وأما العلم التفصيلي فإنما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة اهـ.

قوله: ﴿يا أيها الإنسان﴾ الخ أعلم أنه لما أخبر في الآية الأولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلاً على وقوعه اهـ.

وقوله: الكافر هذا أحد تفسيرين والآخر أن المراد به ما يشمل الكافر والمؤمن العاصي اهـ.

قال الشهاب: والثاني ارجح كما في الكشف وغيره اهـ.

قوله: ﴿ما غرك﴾ العامة على غرك ثلاثياً، وما استفهامية في محل رفع بالابتداء، وقرأ ابن جبير،

نكن ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ بالتخفيف والتشديد،

والأعمش: ما أغرك فاحتمل أن تكون استفهامية، وأن تكون تعجبية، ومعنى أغره أدخله في الغرة أو جعله غاراً اهـ سمين.

وفي البيضاوي: ما غرك بربك الكريم أي: أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه، وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار، فإن محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي، فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره؛ فإنه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحداً ولا يعاجل بالعقوبة، والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغتراراً بكرمه اهـ خطيب.

فإن قيل: كونه كريماً يقتضي أن يغتر الإنسان بكرمه لأنه جواد مطلق، والجواد الكريم يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاغترار، كما يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن صاح بغلام له ثلاث مرات فلم يلبه، فنظر فإذا هو بالباب فقال: لم لا تجيبني؟ فقال: لثقتي بحلمك وأمني عقوبتك، فاستحسن جوابه وأعتقه، وقالوا أيضاً: من كرمه ساء أدب غلمانه وإذا ثبت أن كرمه يقتضي الاغترار به، فكيف جعله ههنا مانعاً من الاغترار؟ أجيب: بأن حق الإنسان أن لا يغتر بتكرم الله تعالى عليه حيث خلقه حياً وتفضل عليه، فهو من كرمه لا يعاجل بالعقوبة بسطاً في مدة التوبة وتأخيراً للجزاء إلى أن يجمع الناس للجزاء، والحاصل أن تأخير العقوبة لأجل الكرم، وذلك لا يقتضي الاغترار بهذا التفضل، فإنه منكر خارج عن حد الحكمة، ولهذا قال رسول الله ﷺ لما تلاها «غره جهله» وقال عمر: غره حمقه وجهله، وقال الحسن: غره والله شيطانه الخبيث أي زين له المعاصي وقال له: افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أولاً وهو متفضل عليك آخراً حتى ورطه. وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة وقال: ما غرك بربك الكريم ماذا تقول له؟ قال: أقول غرني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ والاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية، ويروون عن أئمتهم إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم، وقال مقاتل: غره عفو الله حيث لم يعاقبه أول مرة، وقال السدي: غره رفق الله تعالى، وقال قتادة: سبب غرور ابن آدم تسويل الشيطان، وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله تعالى به يوم القيامة، فيقول له: ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين اهـ.

قوله: (حتى عصيته) أي بالكفر وجحد الرسل وإنكار الحشر والنشر اهـ رازي.

قوله: ﴿الذي خلقك﴾ أي أوجدك، وهذه صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة لكرم الله منبهة على أن من قدر على ذلك بدءاً قدر عليه إعادة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فسواك﴾ عبارة البيضاوي: التسوية جعل الأعضاء سليمة مسواة مهيأة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء اهـ.

فالحاصل أن التسوية ترجع إلى عدم النقصان في الأعضاء والتعديل يرجع إلى عدم التخالف فيها. قوله: ﴿فعدلك﴾ قرأ الكوفيون: عدلك مخففاً والباقون مثقلاً، فالثقيل بمعنى جعلك متناسب

جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء، ليست يد أو رجل أطول من الأخرى ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا﴾ زائدة ﴿شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى ﴿بَلۡ تُكَذِّبُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ بالجزاء على الأعمال ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ من الملائكة لأعمالكم ﴿كِرَامٗا﴾

الأعضاء فلم يجعل إحدى يديك أو رجليك أطول، ولا إحدى عينيك أوسع فهوَ من التعديل، وقراءة التخفيف تحتمل هذا أي عدل بعض أعضائك ببعض، ويحتمل أن يكون من العدول أي صرفك إلى ما شاء مـن الهيئات والأشكال والأشباه اهـ سمين.

قوله: ﴿في أي صورة﴾ يجوز فيه أوجه، أحدها: أن يتعلق بركبك وما مزيدة على هذا وشاء صفة لصورة ولم يعطف ركبك على ما قبله بالفاء كما عطف ما قبله لأنه بيان لقوله: فعدلك، والتقدير: فعدلك ركبك في أي صورة من الصور العجيبة الحسنة التي شاءها، والمعنى وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة وأنوثة. الثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال أي ركبك حال كونه حاصلاً في بعض الصور. الثالث: أن يتعلق بعدلك نقله الشيخ عن بعض المتأولين ولم يعترض عليه وهو معترض بأن في أي معنى الاستفهام فلها صدر الكلام، فكيف يعمل فيها ما تقدمها اهـ سمين.

قوله: ﴿بل تكذبون بالدين﴾ إضراب انتقالي إلى بيان ما هو السبب الأصلي في اغترارهم، وقال الراغب: بل هنا لتصحيح الثاني وإبطال الأول، كأنه قيل: ليس هنا ما يقتضي أن يغرهم به تعالى شيء، ولكن تكذيبهم هو الذي حملهم على ما ارتكبوه اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: إضراب عن جملة مقدرة ينساق إليها الكلام، كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض: وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترؤون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالمعاد والبعث رأساً، أو بدين الإسلام اللذين هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالاً ولا جواباً ولا ثواباً ولا عقاباً، وقيل: كأنه قيل إنكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وإرشادي لكم بل تكذبون الخ، وقال القفال: ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بعث ولا نشور، ثم قيل: أنتم لا تتبينون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين اهـ.

قوله: (أي كفار مكة) أي ندائية أو تفسيرية.

قوله: ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ أي على أعمالكم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير، كراماً على الله، كاتبين لهذه الأعمال في الصحف كما تكتب الشهود منكم العهود ليقع الجزاء على غاية التحرير.

تنبيه:

هذا الخطاب وإن كان خطاب مشافهة إلا أن الأمة أجمعت على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين. وقوله تعالى: ﴿حافظين﴾ جمع يحتمل أن يكونوا حافظين لجميع بني آدم من غير أن يختص واحد من الملائكة بواحد من بني آدم، ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر، ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم جمعاً من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار، أو

على الله ﴿كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ لها ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ جميعه ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ جنّة ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ الكفار ﴿لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ نار محرقة ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ويقاسون حرّها ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥﴾ الجزاء ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦﴾ بمخرجين ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا

كما قيل: إنهم خمسة. واختلفوا في الكفار هل عليهم حفظة؟ فقيل: لا، لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد، **قوله تعالى**: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ [الرحمٰن: ٤١] وقيل: عليهم حفظة وهو ظاهر **قوله تعالى**: ﴿بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين﴾ **وقوله تعالى**: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ [الحاقة: ٢٥] **وقوله تعالى**: ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ [الإنشقاق: ١٠] فأخبر أن لهم كتاباً وأن عليهم حفظة، فإن قيل: فأي شيء يكتب الذي عن يمينه ولا حسنة له؟ اجيب: بأن الذي عن شماله يكتب بإذن صاحب اليمين ويكون شاهداً على ذلك وإن لم يكتب. وفي هذه الآية دلالة على أن الشاهد لا يشهد إلا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراماً كاتبين يعلمون أي على التجدد والاستمرار ما تفعلون، فدل على أنهم يكونون عالمين بها حتى أنهم يكتبونها، فإذا كتبوها يكونون عالمين عند أداء الشهادات اهـ خطيب.

قوله: ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ جملة حالية مقررة للإنكار، كأنه قيل: إنكم تكذبون بالجزاء، والكتبة يكتبون كل ما يصدر عنكم حتى التكذيب فهي حال من الواو في تكذبون أي تكذبون والحالة هذه، ويجوز أن تكون مستأنفة أخبرهم بذلك لينزجروا اهـ شهاب مع زيادة من السمين.

وتعظيم الكتبة بكونهم كراماً عند الله لتعظيم الجزاء لأن تعظيمهم يدل على تعظيم شغلهم وهو ضبط الأعمال فيدل على تعظيم جزائها، إذ لو لم يكن ما يترتب على الأعمال عظيماً لم يكن ضبطها وكتبها عظيماً اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ شروع في بيان ما يكتبون لأجله فهي جملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر تقديره لم يكتبون ذلك؟ فكأنه قيل: ليجازي الأبرار بالنعيم والفجار بالجحيم اهـ شهاب.

قوله: ﴿وإن الفجار لفي جحيم﴾ هذا اللفظ عائد على الكافرين المكذبين بيوم الدين الذين تقدم ذكرهم وليس شاملاً لعصاة المؤمنين، لأنا لا نسلم أن مرتكب الكبيرة من المؤمنين فاجر على الاطلاق، فأل في الفجار للعهد الذكري بدليل قوله: بل تكذبون بالدين اهـ شيخنا.

قوله: (الجزاء) أي الذين كانوا يكذبون به اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما أدراك﴾ أي يا محمد أي لم تعلم من تلقاء نفسك بل نحن أعلمناك اهـ شيخنا.

وما اسم استفهام مبتدأ، وجملة أدراك خبره والكاف مفعول أول ﴿ما يوم الدين﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، ويوم الدين خبره، والجملة سادة مسد المفعول الثاني، والاستفهام الأول للإنكار، والثاني للتعظيم والتهويل، والمعنى وأي شيء أدراك عظم يوم الدين وشدة هوله أي أنت لا تعلم ذلك في هذه الدار على سبيل التفصيل وإن كنت تعلمه فيها إجمالاً وعلم تفاصيله إنما يحصل في تلك الدار تأمل، قال ابن عباس: كل ما في القرآن من قوله: ما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله: وما يدريك فقد طوي عنه اهـ أبو السعود.

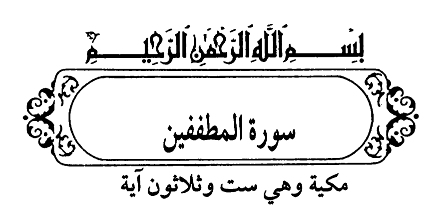
يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ تعظيم لشأنه ﴿يَوۡمَ﴾ بالرفع أي هو يوم ﴿لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ من المنفعة ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ لا أمر لغيره فيه، أي لم يكن أحداً من التوسط فيه بخلاف الدنيا.

قوله: ﴿يوم﴾ (بالرفع) أي: بالنصب مفعولاً بفعل محذوف تقديره اذكر قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع يوم على أنه خبر مبتدأ مضمر أي هو يوم، وجوز الزمخشري أن يكون بدلاً مما قبله يعني قوله يوم الدين، وقرأ أبو عمر وفي رواية يوم مرفوعاً منوناً على قطعه عن الإضافة، وجعل الجملة نعتاً له، والعائد محذوف أي: لا تملك فيه، وقرأ الباقون يوم الفتح فقيل: هي فتحة إعراب ونصبه بإضمار، أعني: أو باذكر فيكون مفعولاً به، وعلى رأي الكوفيين يكون خبراً لمبتدأ مضمر وإنما بني لإضافته للفعل وإن كان معرباً كقوله: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين﴾ [المائدة: ١١٩] اهـ سمين.

قوله: ﴿لا تملك نفس﴾ الخ أي: وملك الشفاعة لبعض الناس إذ ذاك هو بإذن الله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿شيئاً﴾ (من المنفعة) فيه إشارة إلى جواب كيف قال ذلك مع أن النفوس المقبولة الشفاعة تملك لمن شفعت فيه شيئاً وهو الشفاعة، وإيضاحه: أن المنفي ثبوت الملك بالسلطنة والاستقلال، والشفاعة ليست بطريق السلطنة فلا تدخل في النفي، ويؤيده قوله: ﴿والأمر يومئذ لله﴾ اهـ كرخي.



مكية وهي ست وثلاثون آية

﴿وَيۡلٞ﴾ كلمة عذاب أو واد في جهنم ﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى﴾ أي من ﴿ٱلنَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة المطففين، ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه تعالى لما ذكر حال السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظيم شأنه ذكر ما أعد لبعض العصاة وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية، وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئاً من تكثير المال وتنميته اهـ من البحر.

قوله: (مكية أو مدنية) عبارة القرطبي: مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل، ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل أيضاً. قال مقاتل: وهي أول سورة نزلت بالمدينة، وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثمان آيات من قوله: ﴿إن الذين أجرموا﴾ إلى أخرها فمكي. قال القرطبي، وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة. روى النسائي، عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. قال الفراء: فهم أوفى من الناس كيلاً إلى يومهم هذا، وعن ابن عباس أيضاً قال: هي أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ساعة نزل بالمدينة، وكان هذا فيهم كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح، وإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان، فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا، وقال قوم: نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة واسمه عمرو كان له صاعان يأخذ بواحد ويعطي بأخر قاله أبي هريرة رضي الله عنه اهـ.

قوله: (كلمة عذاب) أي: معلمة بشدة عذابهم في الآخرة فهو دعاء عليهم وهو ما جرى عليه الأكثر اهـ كرخي.

وويل: مبتدأ وهو نكرة وسوغ الابتداء به كونه دعاء، وللمطففين خبره، وقوله: أو واد في جهنم أي يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره اهـ من الخطيب وأبي السعود.

وفي السمين: ويل مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاء ولو نصب لجاز، وقال مكي والمختار: في ويل وشبهه إذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب، فإن كان مضافاً أو معرفاً كان الاختيار فيه النصب نحو: ويلكم لا تفتروا والمطففين خبره، والمطفف المنقص وحقيقة الآخذ في كيل أو وزن شيئاً طفيفاً أي: نزراً حقيراً، ومنه قولهم: دون الطفيف أي: الشيء التافه لقلته اهـ.

يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الكيل ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي كالوا لهم ﴿أَو وَزَنُوهُمْ﴾ أي وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

وفي الخازن: التطفيف البخس في الكيل أو الوزن، لأن ما يبخس شيء طفيف حقير. قال الزجاج: وإنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائداً ويدفع إلى غيره ناقصاً قليلاً أو كثيراً، لكن إن لم يتب منه فإن تاب قبلت توبته، ومن فعل ذلك أو أصر عليه كان مصراً على كبيرة من الكبائر، وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع، فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن. قال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق فيكون عرقهم على قدر تفاوتهم في التطفيف، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً اهـ.

وفي الحديث الصحيح: «خمس بخمس ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله فيهم إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة أي: الزنا إلا فشا فيها الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين من القحط، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿على الناس﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه متعلق باكتالوا وعلى ومن يعتقبان هنا. قال الفراء: يقال اكتلت على الناس استوفيت منهم واكتلت منهم أخذت ما عليهم، وقيل: على بمعنى من يقال اكتلت منه وعليه بمعنى والأول أوضح، وقيل: على تتعلق بيستوفون قال الزمخشري: لما كان اكتيالهم اكتيالاً يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك، ويجوز أن يتعلق بيستوفون وقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية أي: يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها اهـ.

وهو حسن اهـ سمين.

قوله: (أي كالوا لهم) فضمير هم على هذا في موضع نصب تعدى إليه الفعل وهو كالوا بنفسه بعد حذف اللام والمفعول الذي تعدى إليه الفعل بنفسه وهو المكيل والموزون محذوف أي: كالوا لهم الطعام، فما قيل من أن هم فيهما ضمير رفع مؤكد للواو فهو خطأ لرسم الواو فيها بلا ألف بعدها، فالصواب أنه مفعول كما مرّ وإنما لم يوازن بين القرينتين بأن يقال إذا اكتالوا على الناس أو اتزنوا عليهم يستوفون، كما قيل في مقابله وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون لأن المطففين كانت عادتهم أن لا يأخذوا ما يكال وما يوزن إلا بالمكيال، لأن استيفاء الزيادة بالمكيال أمكن لهم وأهون عليهم منه بالميزان، وإذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس فيهما كما أشار إليه الشيخ المصنف في التقرير، لكنه يريد أنه استغنى بذكر إحدى القرينتين عن الأخرى بدلالة عطف القرينة الآتية عليها على أن سبب النزول كما سبق في قوم مخصوصين وفي فعل مخصوص وهو الكيل اهـ كرخي.

قوله: ﴿يخسرون﴾ جواب إذا وهو يتعدى بالهمزة يقال: خسر الرجل وأخسرته اهـ خطيب.

ينقصون الكيل أو الوزن ﴿أَلَا﴾ استفهام توبيخ ﴿يَظُنُّ﴾ يتيقن ﴿أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾ ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ أي فيه وهو يوم القيامة ﴿يَوْمَ﴾ بدل من محل ليوم فنصبه مبعوثون ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ أي كتب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ قيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل هو مكان

قوله: (استفهام توبيخ) أي فلا نافية دخلت عليها همزة الاستفهام، فالتوبيخ الذي هو الإنكار مستفاد من همزة الاستفهام فألا هنا ليست استفتاحية بل هي همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت التوبيخ والإنكار اهـ رازي.

وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وفيما كان مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل اهـ خطيب.

قوله: ﴿ألا يظن أولئك﴾ إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون التطفيف ببالهم ولا يخمنون تخميناً أنهم مبعوثون مسؤولون عما يفعلون، والظن هنا بمعنى اليقين أي: ألا يوقن أولئك ولو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن، وقيل: الظن بمعنى التردد أي إن كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويبحثوا عنه ويأخذوا بالأحوط اهـ قرطبي.

وأولئك إشارة للمطففين وضعه موضع ضميرهم للإشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فإن الإشارة إلى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بالوصف، وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللإيذان بأنهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل امتياز نازلون منزلة الأمور المشار إليها إشارة حسية، وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد أي: ألا يظن الموصوف بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون اهـ أبو السعود.

قوله: (فناصبه مبعوثون) أي: المذكور مقدر مثله، لأن البدل على نية تكرار العامل. قوله: (حقاً) أي: فكلا ابتداء كلام متصل بما بعده والوقف على ما قبله على هذا القول، وقيل: إن كلا ردع وتنبيه أي: ليس الأمر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان، فعلى هذا القول تم الكلام بها اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب اهـ.

قوله: ﴿إن كتاب الفجار﴾ أظهر في موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف اهـ خطيب.

قوله: (قيل هو كتاب) أي: علم كتاب، وعبارة أبي السعود: وسجين علم على كتاب جامع وهو ديوان الشر دوّن فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم، وأصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح

أسفل الأرض السابعة؛ وهو محل إبليس وجنوده ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ ما كتاب سجين ﴿كِتَٰبٌ

كما قيل تحت الأرض السابعة في مكان مظلم موحش في مسكن إبليس وذريته، فالمعنى أن كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أي: ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين، انتهت.

وقال الشهاب: كتاب الفجار بمعنى المكتوب أو مصدر بمعنى الكتابة وفيه مضاف مقدر أي: مكتوب عملهم أو كتابة عملهم، وهذا دفع لم يتوهم من كون الكتاب ظرفاً للكتاب لأنه حينئذ ظرف للكتابة أو للعمل المكتوب فيه، مع أن الإمام قال: لا يستبعد أن يوضع أحدهما في الآخر حقيقة، أو ينقل ما في أحدهما للآخر، أو يكون من ظرفية الكل للجزاء اهـ.

وقد أشار الشارح إلى التأويل الثاني حيث فسّر الكتاب بالكتب الذي هو مصدر، وسجين منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف اهـ خطيب.

واختلفوا في نون سجين فقيل هي أصلية واشتقاقه من السجن وهو الحبس وهو بناء مبالغة فسجين من السجن كسكين من السكن، وقيل: هي بدل من اللام والأصل سجيل مشتقاً من السجل وهو الكتاب اهـ سمين.

وفي الكرخي: قوله: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة إيضاحه قول الكشاف، فإن قلت: قد أخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسَّر سجيناً بكتاب مرقوم، فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه؟ قلت: سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دوّن الله تعالى فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة، أو معلم يعلم من يراه أنه لا خير فيه، فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجيناً فعيلاً من السجن وهو الحبس والتضييق، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم اهـ.

وهذا لا ينافي كونه اسماً لجب في جهنم أو لأسفل سبع أرضين مكان أرواح الكفار لجواز الاشتراك في الاسم ومن فسره به يجعل كتاب بياناً للكتاب المذكور اهـ.

قوله: (وقيل هو) أي: سجين مكان الخ أي: فليس اسم كتاب بل اسم موضع، وعلى هذا القول يكون قوله الآتي وما أدراك ما سجين على حذف مضاف تقديره ما كتاب سجين كما ذكره الشارح والإضافة على معنى في وحينئذ فلا إشكال، وأما على القول الأول وهو أن سجيناً اسم كتاب فلا تقدير اهـ من السمين.

قال في البحر: والظاهر أن سجيناً اسم كتاب ولذلك أبدل منه كتاب مرقوم اهـ.

قوله: (وهو محل إبليس الخ) وفيه أرواح الكفار اهـ خطيب.

قوله: ﴿وما أدراك﴾ ما اسم استفهام إنكاري مبتدأ، وأدراك خبره، وما سجين مبتدأ وخبره وما استفهامية أيضاً والجملة سادة مسد المفعول الثاني، والأول للإنكار، والثاني للتفخيم والتعظيم، والمعنى ما أعلمك يا محمد عظمة سجين وفظاعته أي: أنت لا تعلمه في الدنيا تفصيلاً وإنما تعلمه في

﴿مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ مختوم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠﴾ ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝١١﴾ الجزاء بدل أو بيان للمكذبين ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحد ﴿أَثِيمٍ ۝١٢﴾ صيغة مبالغة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ الحكايات التي سطرت قديماً، جمع أسطورة بالضم، أو إسطارة بالكسر ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لقوله لهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ فغشيها ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ من المعاصي

الآخرة، أو المراد أنت لا تعلمه في الدنيا قبل نزول الوحي به عليك وإنما علمته بالوحي تأمل.

قوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ ليس تفسير السجين، بل هو بيان للكتاب المذكور في قوله: إن كتب الفجار أي: هو كتاب مرقوم أي: مسطور بين الكتابة مكتوب فيه أعمالهم مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجاوزون به، أو معلم يعلم من يراه أنه لا خير فيه، وقيل: الرقم الختم بلغة حمير، وقال قتادة: رقم عليه بشر كأنه علم بعلامة يعرف بها أنه كافر، والمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان اهـ خطيب.

وفي الكرخي: قوله: كتاب مرقوم التقدير وهو كتاب مرقوم، وقضية كلام الشيخ المصنف أنه بدل من سجين على أنه اسم موضع على حذف مضاف من سجين، وبما قدره اندفع كيف فسر سجيناً وعليين بكتاب مرقوم مع أن سجيناً اسم للأرض السابعة، وعليين اسم لأعلى الجنة أو لأعلى الأمكنة أو للسماء السابعة أو لسدرة المنتهى اهـ.

قوله: (أو بيان) أي: أو نعت.

قوله: ﴿وما يكذب به﴾ أي: بذلك اليوم الخ أخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين بثلاث صفات، ذكر أولاها بقوله: وما يكذب به الخ، وذكر الثانية بقوله: أثيم، وذكر الثالثة بقوله: إذا تتلى عليه الخ اهـ خطيب.

قوله: (ردع وزجر) أي: للمعتدي الأثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له اهـ أبو السعود.
فاللام في قول الشارح لقولهم بمعنى عن اهـ شيخنا.
وقال الحسن البصري: إن كلا هذه بمعنى حقاً اهـ قرطبي.

قوله: ﴿بل ران﴾ أي: غلب وأحاط وغطى تغطية الغيم للسماء. روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكتت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإذا زاد زاد حتى تعلو قلبه فذلكم الران ذكره الله تعالى في كتابه المبين» وقال أبو معاذ: الرين أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين، والأقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب. قال تعالى: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد: ٢٤] اهـ خطيب.

وفي السمين: وقد تقدم وقف حفص على لام بل في الكهف والرين والران الغشاوة على القلب كالصدأ على الشيء الصقيل من سيف ومرآة ونحوهما، وقال الزمخشري: يقال: ران عليه الذنب وغان ريناً وغيناً والغين الغيم، ويقال: رانت به الخمر أي: ذهبت به، وحكى أبو زيد: رين الرجل ريناً إذا وقع في أمر لم يستطع الخروج منه. قلت: ويقال ران رانا ورينا فجاء مصدره مفتوح العين وساكنها وما

فهو كالصدإ ﴿كَلَّآ﴾ حقاً ﴿إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم القيامة ﴿لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ فلا يرونه ﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ الۡجَحِيمِ ١٦﴾ لداخلو النار المحرقة ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَٰذَا﴾ أي العذاب ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ ﴿كَلَّآ﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ أي كتب أعمال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾

كانوا يكسبون هو الفاعل، وما يحتمل أن تكون مصدرية وأن تكون بمعنى الذي فالعائد محذوف اهـ.

وقوله: فهو كالصدأ أي على الشيء الصقيل. وفي المختار: الرين الطبع والدنس يقال: ران ذنبه على قلبه من باب باع وريوناً أيضاً غلب، وقال أبو عبيد: كل ما غلبك فقد ران بك ورانك وران عليك، ورين بالرجل إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به اهـ.

والصدأ بالهمز وسخ الحديد وهو شيء يعلوه كالجرب. يقال: صدىء الحديد ونحوه من باب طرب كما في المصباح اهـ.

قوله: (حقاً) وفي القرطبي: كلا أي: حقاً إنهم يعني الكفار ثم قال، وقيل: كلا زجر وردع أي ليس كما يقولون بل إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اهـ.

فعلى الأول كلا ابتداء كلام متصل بما بعده والوقف على ما قبله، وعلى الثاني تم الكلام بها فالوقف عليها.

قوله: ﴿إنهم عن ربهم﴾ أي: عن رؤية كما ذكره الشارح وعن ربهم متعلق بخبر إن وهو لمحجوبون، وكذلك يومئذ والتنوين عوض عن جملة تقديرها يومئذ يقوم الناس اهـ من السمين.

قوله: ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ ثم لتراخي الرتبة، فإن صلي الجحيم أشد من الإهانة والحرمان من الرحمة والكرامة اهـ أبو السعود.

أي ثم إنهم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لدخلوا النار اهـ.

قوله: ﴿ثم يقال﴾ (لهم) أي: من ظرف الخزنة اهـ خطيب.

وقال أبو السعود: ثم يقال لهم توبيخاً وتقريعاً من جهة الزبانية اهـ.

وقوله: ﴿كنتم به تكذبون﴾ أي: في الدنيا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كلا إن كتاب الأبرار﴾ الخ لما ذكر تعالى كتاب الفجار عقبه بذكر ضده ليبين الفرق بين الكتابين اهـ من البحر.

وقال أبو السعود: هو استئناء مسوق لبيان محل كتاب الأبرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلاً ببيان سوء حال كتابهم، وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع اهـ.

قوله: (حقاً) وقيل: هي ردع وزجر عن التكذيب اهـ.

فتلخص أن في كل واحدة من الأربعة الواقعة في هذه السورة قولين.

قوله: ﴿لفي عليين﴾ جمع علا من العلو أو هو مفرد على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه اهـ خازن.

قيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩﴾ ما كتاب عليين هو ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠﴾ مختوم ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ من الملائكة ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢﴾ جنّة ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ السرر في

قوله: (قيل هو كتاب جامع الخ) عبارة الخطيب: وعليون علم لديوان الخير الذي دوّن فيه كل ما عمله صلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن، سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيماً، وروي أن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم أنتم حفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وإنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين وقد غفرت له، وإنها لتصعد بعمل العبد فتزكيه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على قلبه وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين. وعن البراء مرفوعاً عليين في السماء السابعة تحت العرش، وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه، وقال كعب، وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى، وقال عطاء، عن ابن عباس: هو الجنة، وقال الضحاك: سدرة المنتهى، وقال بعض أهل المعاني: علو بعد علو وشرف بعد شرف، ولذلك جمع بالياء والنون. قال الفراء: هو اسم موضع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين اهـ.

قوله: (ما كتاب عليين) أي: ما الكتاب الكائن في عليين، فالإضافة على معنى في، وهذا التقدير إنما هو على الاحتمال الثاني في تفسير عليين، وأما على الأول فلا حاجة إليه كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ أي: مكتوب فيه إن فلاناً أمن من النار رقماً يا له من رقم ما أبهاه وأجمله اهـ خطيب.

قوله: ﴿يشهده المقربون﴾ أي: يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة لتعظيمه وهو صفة أخرى لكتاب اهـ كرخي.

وقال الشهاب: إذا كان بمعنى يحضرونه فهو من الشهود بمعنى الحضور ويحفظونه إشارة إلى أن الحضور عنده كناية عن حفظه في الخارج لا في العلم والذهن كما توهم، وقوله: أو يشهدون بما فيه أي: فيكون من الشهادة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإن الأبرار لفي نعيم﴾ شروع في بيان محاسن أحوالهم أثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مرّ في شأن الفجار اهـ أبو السعود.

قوله: (السرر في الحجال) قال الجوهري: جمع حجلة بالتحريك واحد حجال العروس وهو بيت يزين بالثياب والأسرة اهـ كرخي.

وفي الشهاب: الحجلة بفتحتين بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير يسمى في عرف الناس بالناموسية اهـ.

الحجال ﴿يَنظُرُونَ ۝﴾ ما أعطوا من النعيم ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝﴾ بهجة التنعم وحسنه ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَّخْتُومٍ ۝﴾ على إنائها لا يفك ختمه إلا هم ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي آخر شربه يفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝﴾ فليرغبوا

قوله: ﴿ينظرون﴾ حال من الضمير المستكن في خبر إن أو مستأنف، وعلى الأرائك متعلق بينظرون اهـ سمين.

قوله: ﴿تعرف في وجوههم﴾ الخ الخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للإيذان بحالهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اهـ أبو السعود.

يعني أنك إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض، وقيل: النضرة في الوجه والسرور في القلب اهـ خازن.

وفي السمين: وقرأ العامة تعرف على إسناد الفعل إلى المخاطب أي تعرف أنت يا محمد أو كل من تصح منه المعرفة، وقرأ أبو جعفر، وابن أبي إسحاق، وشيبة، وطلحة، ويعقوب، والزعفراني تعرف مبنياً للمفعول نضرة بالرفع على قيامها مقام الفاعل، وعلي بن زيد كذلك إلا أنه بالياء أسفل لأن التأنيث مجازي اهـ.

قوله: (خالصة من الدنس) أي: فهي بيضاء، وقال الفراء: هي الخمر الموصوفة في قوله: لا فيها غول اهـ خطيب.

قوله: ﴿مختوم﴾ (على إنائها) يعني ختم ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الأيدي إلا أن يفك ختمه الأبرار، فإن قلت: قد قال في سورة محمد ﷺ: وأنهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين؟ قلت: يحتمل أن يكون المذكور في هذه الآية في أوان مختوم عليها لشرفها ونفاستها وهي غير تلك الخمر التي في الأنهار اهـ خازن.

قوله: ﴿ختامه مسك﴾ صفة ثانية للرحيق، وقرأ الكسائي: خاتمه بفتح التاء بعد الألف، والباقون بتقديمها على الألف، ووجه قراءة الكسائي أنه جعله اسماً لما يختم به الكأس بدليل قوله مختوم، ثم بين الخاتم ما هو. وروي عن الكسائي أيضاً كسر التاء فيكون كقوله: خاتم النبيين، والمعنى خاتم رائحته مسك، ووجه قراءة الجماعة أن الختام هو الطين الذي يختم به الشيء فجعل بدله المسك، وقيل: خلطه ومزاجه، وقيل: خاتمته أي: مقطع شربه يجد فيه الإنسان ريح المسك اهـ سمين.

قوله: (يفوح منه رائحة المسك) بمعنى أن رائحة المسك تظهر في الانتهاء إذا انقطع الشرب، وإلاَّ فلا وجه للتخصيص به اهـ شهاب.

قوله: ﴿وفي ذلك﴾ الخ إشارة إلى الرحيق وهو الأنسب بما بعده، أو إلى ما ذكر من أحوالهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبتهُ وبعد منزلته، أو لكونه في الجنة أو في ذلك خاصة دون غيره اهـ أبو السعود.

وفي ذلك متعلق بقولهُ فليتنافس، وقدم للحصر أي: في ذلك لا في خمور الدنيا أو للاهتمام،

بالمبادرة إلى طاعة الله ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي ما يمزج به ﴿مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧﴾ فسر بقوله ﴿عَيۡنٗا﴾ فنصبه بأمدح مقدراً ﴿يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ أي منها أو ضمن يشرب معنى يلتذ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ كأبي جهل ونحوه ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كعمار وبلال ونحوهما ﴿يَضۡحَكُونَ ۝٢٩﴾ استهزاء بهم ﴿وَإِذَا مَرُّواْ﴾ أي المؤمنون ﴿بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾ أي يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب

لكنه استشكل ذلك العاطف حينئذ إذ لا يصح، وفليتنافس فقيل: إنه بتقدير القول أي: ويقولون لشدة التلذذ في ذلك فليتنافس الخ اهـ.

وفي المختار: ونفس الشيء من باب ظرف صار مرغوباً فيه، ونافس في الشيء منافسة ونفاساً بالكسر إذا رغب فيه على وجه المباراة في الكرم، وتنافسوا فيه أي رغبوا اهـ.

قوله: ﴿والمتنافسون﴾ أي: الذين من شأنهم المنافسة هو الذي تحرص عليه نفوس الناس وتتغالى فيه، والمنافسة في مثل هذا بكثرة الأعمال الصالحة والنيات الخالصة، وقال مجاهد: فليعمل العاملون نظيره قول تعالى: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ [الصافات: ٦١] وقال مقاتل بن سليمان: فليتسارع المتسارعون وقال عطاء: فليستبق المستبقون، وقال الزمخشري: فليرتقب المرتقبون، والمعنى في الجميع واحد وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه، وينفس به على غيره أي: يضن به اهـ خطيب.

قوله: ﴿من تسنيم﴾ هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه لأنها تأتيهم من فوق على ما روي أنها تجري في الهواء مسنمة فتصب في أواني أهل الجنة على مقدار الحاجة، فإذا امتلأت أمسكت فالمقربون يشربونها صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة اهـ خطيب.

قوله: (أي منها) أشار به إلى أن التضمين إما في الحرف أو في الفعل اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن الذين أجرموا﴾ أي: أشركوا وهم كفار قريش، واعلم أنه سبحانه وتعالى لما وصف كرامة الأبرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا، ثم بيَّن أن ذلك سينقلب على الكفار في الآخرة، والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم، فحكى الله عن الكفار أربعة أشياء من العلامات القبيحة، فأولها ضحكهم من الذين آمنوا، وآخرها قولهم: ﴿إن هؤلاء لضالون﴾ اهـ رازي.

وفي أبي السعود: إن الذين أجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيداً لذكر بعض أحوال الأبرار في الجنة وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾ إما للقصر إشعاراً بغاية شناعة ما فعلوا أي: كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله: ﴿في الله شك﴾ [إبراهيم: ١٠] أو لمراعاة الفواصل اهـ أبو السعود.

قوله: (كأبي جهل ونحوه) وهم الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وأصحابهم من أهل مكة اهـ خازن.

قوله: ﴿من الذين آمنوا﴾ أي: من أجلهم وقوله: ونحوهما كنجاب وصهيب وأصحابهم من فقراء المؤمنين اهـ خازن.

استهزاء ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١﴾ وفي قراءة فكهين معجبين بذكرهم المؤمنين ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ رأوا المؤمنين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ، قال تعالى ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ﴾ أي الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ ۝٣٣﴾ لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤﴾ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾

قوله: (رجعوا) أي من مجالسها اهـ.

قوله: ﴿انقلبوا فاكهين﴾ أي متلذذين بما كان من مكنتهم ورفعتهم التي أوصلتهم إلى الاستمخار بغيرهم، قال ابن برجان: روي عنه عليه الصلاة والسلام: «إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر» وفي أخرى «يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة» وفي أخرى «العالم فيهم أنتن من جيفة حمار والله المستعان» اهـ خطيب.

وقرأ حفص فكهين دون ألف، والباقون بها فقيل: هما بمعنى وقيل: فكهين أشرين وفكهين من التفكه، وقيل: فكهين فرحين وفاكهين ناعمين، وقيل: فاكهين أصحاب فاكهة ومزاج اهـ سمين.

قوله: (معجبين) راجع للقراءاتين أي متلذذين بذكرهم المؤمنين وبالضحك منهم، والضمير المرفوع في رأوهم عائد على المجرمين، والمنصوب عائد على المؤمنين أي: إذا رأى المجرمون المؤمنين ينسبونهم إلى الضلال وهم مخطئون في نسبتهم اهـ من البحر.

ويجوز أن يكون الضمير المرفوع عائداً على المؤمنين والمنصوب على المجرمين، وكذلك الضميران في أرسلوا عليهم اهـ سمين.

قوله: (لإيمانهم بمحمد ﷺ) أي فهم يرون أنهم على هدى، والمؤمنون على ضلال في تركهم التنعم لحاضر بسبب شيء لا يدرون هل له وجود أم لا اهـ خطيب.

قوله: ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ حال من الواو في قالوا أي قالوا ذلك، والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون أحوالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم، وهذا تهكم بهم وإشعار بما اجترؤوا عليه من القول من وظائف الرسل من جهته تعالى، وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المؤمنين كأنهم قالوا: إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين إنكاراً لصدهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام اهـ أبو السعود.

قوله: (أو لأعمالهم) هكذا في أكثر نسخ الجلال، وفي بعضها بالواو، وقد اقتصر المفسرون على هذا الثاني، وقال القاري: هو الصواب اهـ.

قوله: (حتى يردوهم إلى مصالحهم) أي بل إنما أمروا أي الكفار بإصلاح أنفسهم لا بإصلاح أعمال المؤمنين فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالاً ويقرون ما يعتقدونه حقاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاليوم﴾ منصوب بيضحكون ولا يضر تقديمه على المبتدأ لأنه لو تقدم العامل هنا لجاز، إذ لا لبس بخلاف زيد قام في الدار لا يجوز في الدار زيد قام اهـ خطيب.

وهو تفريع للدلالة على أنه جزاء سخريتهم منهم في الدنيا اهـ شهاب.

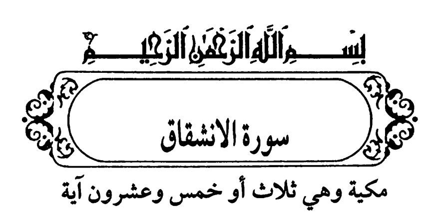
في الجنة ﴿يَنظُرُونَ ۝٣٥﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون، فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ جوزي ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾؟ نعم.

وينظرون حال من الضمير في يضحكون أي يضحكون حال كونهم ناظرين إليهم، وقال كعب: لأهل الجنة كوى ينظرون منها إلى أهل النار، وقيل: حصن شفاف بينهم يرون منه حالهم، وقوله: من الكفار متعلق بيضحكون قدم عليه لإفادة الحصر اهـ من البحر.

وفي سبب هذا الضحك وجوه، منها: أن الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضر والبؤس، وفي الآخرة يضحك المؤمنون على الكفار بسبب ما هم فيه من الصغار والهوان بعد العز والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعم والترفه، ومنها: أنهم كانوا في الدنيا على غير شيء وأنهم باعوا الباقي بالفاني، ومنها: أنهم يرون أنفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم، ومنها: أنه يقال لأهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم أبوابها، فإذا رأوها وقد فتحت أبوابها أقبلوا إليه يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم يفعل ذلك بهم مراراً فذلك سبب الضحك، ومنها: أنهم إذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الأرائك ينظرون إلى الكفار كيف يعذبون في النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضاً اهـ خطيب.

قوله: ﴿هل ثوب الكفار﴾ يجوز أن تكون الجملة الاستفهامية معلقة للنظر قبلها، فتكون في محل نصب بعد اسقاط الخافض، ويجوز أن تكون على اضمار القول أي يقولون هل ثوب اهـ سمين.

وفي القرطبي: ومعنى هل ثوب الكفار أي هل جوزوا على سخريتهم في الدنيا بالمؤمنين إذا فعل بهم ذلك، وقيل: إنه متعلق بينظرون أي ينظرون هل جوزي الكفار، فيكون موضع هل ومدخولها نصباً بينظرون، وقيل: هو استئناف لا موضع له، وقيل: هو على إضمار القول والمعنى يقول بعض المؤمنين لبعض: هل ثوب الكفار أي أثيبوا وجوزوا وهو من ثاب أي رجع فالثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله ويستعمل في الخير والشر اهـ.



سورة الانشقاق

مكية وهي ثلاث أو خمس وعشرون آية

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ ﴿وَأَذِنَتۡ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢﴾ أي حق لها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿إذا السماء انشقت﴾ فيه حذف، والتقدير إذا انشقت السماء انشقت، لأن إذا الشرطية يختص دخولها بالجمل الفعلية وما جاء من هذا ونحوه فمؤول محافظة على قادة الاختصاص، فالسماء فاعل بفعل محذوف اهـ كرخي.

قوله: ﴿انشقت﴾ أي انصدعت وتفطرت بالغمام والغمام مثل السحاب الأبيض المعترض في السماء من جانبها، وقال علي: تتشقق من المجرّة والمجرة بوزن المضرة باب السماء، وأهل الهيئة يقولون إنها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس اهـ من القرطبي والخطيب والشهاب.

وفي زاده: والمعنى أن السماء تتصدع بغمام يخرج منها قيل: يكون في ذلك الغمام ملائكة العذاب، وكان ذلك أشد وأوجل من حيث إنه جاء العذاب من موضع الخير، فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة اهـ.

قوله: ﴿وأذنت لربها﴾ أي انقادت وأذنت لتأثير قدرة الله تعالى حين تعلقت قدرته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع إذا ورد عليه أمر الآمر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة إليها للاشعار بعلة الحكم، وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] في الانباء عن كون ما نسب إلى السماء والأرض من الانشقاق المد وغيرهما جارياً على مقتضى الحكمة اهـ أبو السعود. قوله: (سمعت وأطاعت في الانشقاق) فشبهت حال السماء في انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطواع للآمر فاستعير لانقيادها لفظ الاذن والاستماع المستعمل في غايته اهـ زاده.

وفي السمين: قوله: وأذنت عطف على انشقت ومعنى أذنت أي استمعت أمره يقال: أذنت لك استعمت كلامك وفي الحديث: ما أذن الله لشيء أذنه لنبي يتغنى بالقرآن، وقال الشاعر:

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

أن تسمع وتطيع ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ زيد في سعتها كما يمد الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ عنه ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك

وقال الحجار بن حكيم: أذنت لكم لما سمعت هديركم اهـ.

وفي المختار: وأذن له استمع وبابه طرب ومنه قوله تعالى: ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ اهـ.

قوله: ﴿وحقت﴾ الفاعل في الأصل هو الله تعالى أي حق الله عليها ذلك أي سمعه وطاعته يقال هو حقيق بكذا وتحقق به، والمعنى وحق لها أن تفعل اهـ سمين.

فعلم منه أن الفاعل محذوف وهو الله تعالى، وأن المفعول هو سماعها وطاعتها وهو غير مذكور، بل الاسناد في الآية إنما هو للسماء نفسها فيحتاج إلى تقدير، والتقدير وحقت هي أي حق سمعها وطاعتها أي حقه الله تعالى عليها أي أوجبه عليه وألزمها به واقتضت حكمته وجوده منها، وأشار الشارح إلى التقدير بقوله: أي حق لها أن تسمع، فهذا من قبيل تقدير المضاف في الضمير المستكن في الفعل وأصله وحقت هي وبعد تقدير المضاف صار المعنى وحق سماعها وطاعتها، وكلام البيضاوي يقتضي أن نائب الفاعل هو ضمير السماء المستكن في الفعل من غير تقدير ونصه: وحقتْ أي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد اهـ.

قوله: ﴿وإذا الأرض مدت﴾ أي بسطت بأن تزال جبالها وآكامها اهـ خازن.

وفي القرطبي: وإذا الأرض مدت أي بسطت ودكت جبالها. قال النبي ﷺ «تمدمد الأديم لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى». وقال ابن مسعود. وابن عباس: ويزاد في سعتها كذا وكذا لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه يعني: لكثرة الخلائق فيها، وقد مضى في سورة إبراهيم أن الأرض تبدل بأرض أخرى وهي الساهرة في قول ابن عباس على ما تقدم عنه اهـ.

قوله: ﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾ أي أخرجت أمواتها وتخلت منهم، وقال ابن جبير: وألقت ما في بطنها من الموتى وتخلت مما على ظهرها من الأحياء، وقيل: ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت منها أي خلا جوفها فليس في بطنها شيء، وذلك يؤذن بعظم الأمر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة، وقيل: تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها، وقيل: ألقت ما استودعته وتخلت مما استحفظته لأن الله تعالى استودعها عباده أحياء وأمواتاً واستحفظها بلاده مزارعة وأقواتاً اهـ قرطبي.

ووصفت الأرض بذلك أي الالقاء والتخلية توسعاً وإلاَّ فالتحقيق أن المخرج لتلك الأشياء هو الله تعالى اهـ خطيب.

قوله: ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ ليس تكراراً لأن الأول في السماء وهذا في الأرض اهـ خطيب.

قوله: (وأطاعت في ذلك) أي الالقاء والتخلي وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة اهـ كرخي.

﴿ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب إذا وما عطف عليها محذوف دلّ عليه ما بعده تقديره لقي الإنسان عمله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ جاهد في عملك ﴿ إِلَىٰ ﴾ لقاء ﴿ رَبِّكَ ﴾ وهو الموت ﴿ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ ﴾ أي ملاق عملك المذكور من خير أو شرّ يوم القيامة ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ ﴾ كتاب عمله ﴿ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ ﴾ هو المؤمن ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ هو عرض عمله

قوله: (دلّ عليه ما بعده) وهو قوله فملاقيه. قوله: (تقديره لقي الإنسان عمله) وقدره الزمخشري علمت نفس وهو أحسن، فقد وقع ذلك في سورتي التكوير والانفطار أو مذكور وهو: يا أيها الإنسان بتقدير يقال أو هو فملاقيه أي فأنت ملاقيه أو هو فأما من أوتي كتابه الخ. والعامل فيها بكل تقدير جوابها، وإن جعلت غير شرطية فهي منصوبة باذكر مقدراً أو مرفوعة مبتدأ خبره إذا الثانية بزيادة الواو أي وقت انشقاق السماء ووقت امتداد الأرض اهـ كرخي.

قوله: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح﴾ المراد بالإنسان الجنس أي يا ابن آدم، وكذا روى سعيدة عن قتادة يابن آدم كدحك لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله، وقيل: هو معين فقال مقاتل: يعني الأسود بن عبد الأسد، ويقال يعني أبي بن خلف، ويقال: جميع الكفار يعني يا أيها الكافر إنك كادح، والكادح في كلام العرب العمل والكسب اهـ قرطبي.

وفي المختار: الكدح العمل والسعي والكد والكسب وهو الخدش أيضاً وباب الكل قطع، وقوله تعالى: ﴿إنك كادح إلى ربك﴾ أي ساع وبوجهه كدوح أي خدوش وهو يكدح لعياله ويكتدح أي يكتسب اهـ.

وقوله: إلى ربك إلى حرف غاية أي غاية كدح في الخير أو الشر تنتهي بلقاء ربك وهو الموت اهـ.

قوله: ﴿فملاقيه﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على كادح والسبب فيه ظاهر، وأن يكون خبر مبدأ مضمر أي فأنت ملاقيه، فعلى الأول يكون من باب عطف المفرد وعلى الثاني يكون من باب عطف الجمل اهـ سمين.

وقيل: هو جواب إذا والضمير فيه إما للرب أي ملاق حكمه لا مفر لك منه، وإما للكدح إلا أن الكدح عمل وهو لا يبقى فملاقاته ممتنعة، فالمراد جزاء كدحك من خير أو شر اهـ خطيب.

وقد أشار الشارح لجواب ذلك بقوله: أي ملاق عملك الخ، ففيه إشارة إلى أن ضمير ملاقيه للكدح الذي هو بمعنى العمل إلا أن العمل لكونه عرضاً لا يبقى يمتنع تلاقيه، فلا بد من تقدير مضاف أي ملاق حسابه وجزاءه اهـ زاده.

وقال الشهاب: فملاقيه أي ملاق كدحه بنفسه من غير تقدير لوجوده في صحفه، وعلى هذا فما بعده تفصيل له، وقوله: عملك المذكور أي الذي كدحت واجتهدت فيه اهـ.

قوله: (هو عرض عمله عليه) يعني أن الحساب اليسير هو العرض بأن تعرض أعماله ويعرض أن الطاعة منها هذه، وأن المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية، فهذا هو الحساب

عليه كما فسّر في حديث الصحيحين وفيه: من نوقش الحساب هلك، وبعد العرض يتجاوز عنه ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا ۝٩﴾ بذلك ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ هو الكافر تغل يمناه إلى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا ۝١١﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة

اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة، ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه، فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفتضح كما قال عليه الصلاة والسلام: «من نوقش الحساب فقد هلك» اهـ زاده.

فمناقشة الحساب أن يطالب بالحجة أو العذر، وأن يقال له لم فعلت كذا، وأن يحاسب على القليل والكثير بحيث لا يتجاوز عن شيء من سيئاته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وينقلب﴾ أي يرجع بنفسه من غير مزعج برغبة وقبول إلى أهله أي الذين أهل بهم في الجنة من الحور العين والآدميات والذريات إذا كانوا مؤمنين اهـ خطيب.

وقوله: سروراً حال من فاعل ينقلب قوله: (كما فسر في حديث الصحيحين) أي عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت، قال رسول الله ﷺ: «من حوسب عذب» قالت عائشة فقلت: أو ليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حساباً يسيراً؟ فقال: «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك». وفي رواية عذب، ومعلوم أن سوف من الله واجب اهـ كرخي.

قوله: (وراء ظهره) منصوب بنزع الخافض. وفي البيضاوي: وراء ظهره أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره اهـ.

يعني أن قوله تعالى في هذه السورة: وأما من أوتي كتابه وراء ظهره لا ينافي قوله في سورة الحاقة، وأما من أوتي كتابه بشماله لإمكان الجمع بينهما كما أشار إليه بقوله: وتجعل يسراه وراء ظهره بأن تخلع يده اليسرى من موضعها فتجعل وراء ظهره، قيل: ويحتمل أن يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله، وبعضهم من وراء ظهره ولما يؤتى كتابه من غير يمينه يعلم أنه من أهل النار، فيقول: واثبوراه اهـ زاده.

قوله: (وتجعل يسراه الخ) بأن تخلع يده اليسرى من موضعها فتجعل وراء ظهره، ثم إن هذا إذا كان في الكفرة وما قبله في المؤمنين المتقين فلا تعرض هنا للعصاة كما ذهب إليه أبو حيان، وقيل: إنه لا بعد في إدخالهم في أهل اليمين إما لأنهم يعطون كتبهم باليمين بعد الخروج من النار أو قبله فرقاً بينهم وبين الكفرة، كما قيل: وأوتي بمعنى يؤتى، وعبَّر بالماضي لتحقق وقوعه اهـ شهاب.

قوله: ﴿ينادي هلاكه﴾ أي يتمنى فإن نداء ما لا يعقل يراد به التمني، فالدعاء بمعنى الطلب بالنداء اهـ شهاب.

وفي المصباح: وثبر الله الكافر ثبوراً من باب قعد أهلكه وثبر هو ثبوراً هلك يتعدى ولا يتعدى اهـ.

بضم الباء وفتح الصاد واللام المشدَّدة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا ۝١٣﴾ بطراً باتباعه لهواه ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف أي إنه ﴿لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ يرجع إلى ربّه ﴿بَلَىٰٓ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ عالماً برجوعه إليه ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ هو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ جمع ما دخل عليه

قوله: (بطراً باتباعه لهواه) وقال القفال: أي منعاً مستريحاً من التعب بأداء العبادات واحتمال مشقة الفرائض من الصلاة والجهاد مقدماً على المعاصي آمناً من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه، فأبدله الله تعالى بذلك السرور غماً دائماً لا ينقطع اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنه ظن﴾ أي علم وتيقن أن لن يحور أن هذه هي المخففة كالتي في أول القيامة، ولا يصح أن تكون مصدرية لما يلزم عليه من دخول الناصب على مثله وهي سادة مسد المفعولين أو أحدهما على الخلاف، ويحور معناه يرجع يقال: حار يحور حوراً وقال الراغب: الحور التردد في الأمر، ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من التردد في الأمر بعد المضي فيه، ومحاورة الكلام مراجعته، والمحور العود الذي تجري فيه البكرة لترددها عليه اهـ سمين.

وفي المختار حار رجع وبابه قال ودخل اهـ.

فالمصدر بوزن قوله وبوزن دخول كما يقدم في القاموس.

قوله: ﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد لن وإن ربه جواب قسم مقدر اهـ سمين.

فالجملة بمنزلة التعليل لما أفادته بلى عدي.

قوله: ﴿فلا أقسم﴾ الفاء في جواب شرط مقدر أي إذا عرفت هذا أو إذا تحققت الرجوع بالبعث فلا أقسم الخ اهـ شهاب.

وأقسم تعالى بمخلوقاته تشريفاً لها وتعريضاً للاعتبار بها اهـ من النهر.

قوله: ﴿بالشفق﴾ الشفق قال الراغب: اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس والاشفاق عناية مختلطة بخوف، لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه، فإذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدي بعلى فمعنى العناية فيه أظهر، وقال الزمخشري: الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما يروى عن أبي حنيفة في إحدى الروايتين أنه البياض، وروى أسيد بن عمرو أنه رجع عنه سمى شفقاً لرقت ومنه الشفقة على الإنسان وهي رقة القلب عليه اهـ.

والشفق شفقان الشفق الأحمر والشفق الأبيض والشفق والشفقة اسمان للاشفاق اهـ سمين.

قوله: ﴿وما وسق﴾ يجوز أن تكون ما موصولة اسمية، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة وأن تكون مصدرية وعلى كونها موصولة أو نكرة فعائد الصلة أو الصفة محذوف أي جمعه اهـ شيخنا.

قوله: (جمع ما دخل عليه) أي ضم ما كان منتشراً بالنهار من الخلق والدواب والهوام، وذلك أن الليل إذا أقبل ولّى كل شيء إلى مأواه اهـ خازن.

من الدواب وغيرها ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ اجتمع وتمَّ نوره، وذلك في الليالي البيض ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، والواو لالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ حالاً بعد حال، وهو الموت ثم الحياة، وما بعدها من أحوال القيامة ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي

قوله: (من الدواب وغيرها) كالجبال والبحار والشجر إذ جميع ذلك ينضم ويسكن في الظلمة الليل اهـ من البحر.

قوله: ﴿إذا اتسق﴾ أي امتلأ. قال الفراء: وهو امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعل من الوسق وهو الضم والجمع كما تقدم، وأمر فلان متسق أي مجتمع على ما يسر اهـ سمين.

قوله: ﴿لتركبن﴾ هذا جواب القسم، وقرأ الأخوان وابن كثير بفتح الباء على خطاب الواحد، والباقون بضمها على خطاب الجمع وتقدم تصريف مثله، فالقراءة الأولى روعي فيها إما خطاب الإنسان المتقدم الذكر في قوله يا أيها الإنسان وأما خطاب غيره، وقيل: هو خطاب للرسول أي لتركبن مع الكفار وجهادهم، وقيل: التاء للتأنيث والفعل مسند لضمير السماء أي لتركبن السماء حالاً بعد حال تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتنشق وهذا قول ابن مسعود، والقراءة الثانية روعي فيها معنى الإنسان إذ المراد به الجنس، وطبقاً مفعول به أو حال وعن بمعنى بعد وهي واقعة صفة لطبقاً أي طبقاً مجاوزاً لطبق، وعلى كون طبقاً مفعولاً به يكون على حذف مضاف أي لتركبن سنن أو طريقة طبق بعد طبق، والطبق الأمة من النار على كونه مفعولاً به وعلى كونه حالاً فهو بمعنى المرتبة اهـ سمين.

قوله: (حال بعد حال) أي كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول اهـ شيخنا.

وعبارة الخطيب: قال عكرمة: رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ، وعن ابن عباس: الموت ثم البعث ثم العرض، وعن عطاء: مرة فقيراً ومرة غنياً، وقال أبو عبيدة: لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم لما روي أنه ﷺ قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا حجراً صلباً تبعتموهم». قوله: (وهو الموت) أي ما ذكر من الطباق والمراتب اهـ.

قوله: ﴿فما لهم﴾ الفاء لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهوالها الموجبة للايمان والسجود أي: إذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأي شيء ثبت لهم حال كونهم غير مؤمنين أي: أي شيء يمنعهم من الإيمان مع تعاضد موجباته اهـ أبو السعود.

وفي الشهاب، قال الإمام: وهو استفهام إنكاري ومثله يذكر بعد ظهور الحجة، وهنا قد ظهرت الحجة لأن ما أقسم به من تغيرات العلوية والسفلية يدل على خالق عظيم القدرة فيبعد ممن له عقل عدم الإيمان به والانقياد له اهـ.

وقال زاده: أقسم بالحوادث المتغيرة الطارئة على الأفلاك والعناصر على أن الناس يقون بعد البعث طبقاً بعد انبساط ضوء النهار ويتغير أحوال الحيوانات من التفرق إلى الاجتماع ومن اليقظة إلى النوم، وكذا اتساق القمر وكونه بدراً حالة حادثة بعد كونه ناقصاً، فأقسم تعالى على أنهم يركبون المشاق فالإقسام بهذه المذكرات يدل على ثبوت هذه الدعوى وهي قوله: فما لهم لا يؤمنون، فبين الإقسام بالذكورات وهذه الدعوى تناسب اهـ.

الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾ أي أيُّ مانع لهم من الإيمان؟ أو أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه؟ ﴿وَ﴾ ما لهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١﴾ يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢﴾ بالبعث وغيره ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣﴾ يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤﴾ مؤلم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ۝٢٥﴾ غير مقطوع ولا منقوص، ولا يمنُّ به عليهم.

قوله: (أي أي مانع لهم الخ) وعلى هذا التفسير فجملة لا يأمنون حال، وقوله: أو أي حجة لهم الخ، وعلى هذا فجملة لا يؤمنون على تقدير حرف الجر وأن المصدرية أي فأي حجة لهم في عدم الإيمان أشار له بقوله في تركه اهـ.

قوله: ﴿وإذا قرىء عليهم القرآن﴾ أي من أي قارىء قراءة مشروعة اهـ خطيب.

وهذا شرط وجوابه لايسجدون وهذه الجملة الشرطية في محل نصب على الحال معطوفة على الحال السابقة وهي قوله لا يؤمنون اهـ سمين.

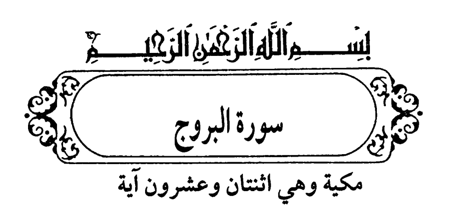
قوله: ﴿لا يسجدون﴾ أي سجوداً لغوياً كما ذكره بقوله يخضعون، وهذ أحد قولين ، والآخرين أن المراد به السجود الحقيقي الذي هو سجود التلاوة، وعبارة البيضاوي: لا يسجدون لا يخضعون أو لا يسجدون لتلاوته لما أنه ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩] فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم فنزلت اهـ.

قوله: ﴿بما يوعون﴾ قال في التقريب: وعى العلم يعيه وعياً حفظه، والله أعلم بما يوعون أي يضمرون في قلوبهم من التكذيب، ولعل بعضهم أوعى له من بعض أي أضبط اهـ.

وفي المختار: الوعاء واحد الأوعية، وأوعى الزاد والمتاع جعله في الوعاء ووعى الحديث يعيه وعياً حفظه وأذن واعية، والله يوعون أي يضمرون في قلوبهم من التكذيب اهـ.

قوله: (لكن) ﴿الذين﴾ الخ أشار به إلى أن الاستثناء منقطع لأن الموصول مبتدأ، والجملة خبره والاستثناء من قبيل المفرادات، وقيل: متصل وليس بذاك لأن الضمير راجع إلى الذين كفروا، والذين كفروا قد وضع موضع المظهر للإشعار بأنهم لا يؤمنون ولا يسجدون عند قراءة القرآن عليهم لأنهم كافرون مكذبون اهـ كرخي.

قوله: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيتهُ ومقارنته الثواب العظيم اهـ أبو السعود.



مكية وهي اثنتان وعشرون آية

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ الكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في الفرقان ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٖ﴾ يوم الجمعة ﴿وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾ يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث، فالأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وردت السورة لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وتصبرهم على أذية الكفار، وتذكرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان، وتصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلمون أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك الملعونين معذبين مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذات البروج﴾ أي ذات المنازل والمحال والطرق التي تسير فيها الكواكب السبعة. وفي البيضاوي: يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات، كما أن القصور ينزلها الأكابر والأشراف سميت بروجاً لظهورها، وأصل التركيب للظهور يعني: أن اصل معنى البروج الأمر الظاهر من التبرج، ثم صار حقيقة في العرف للقصر العالي لظهوره، ويقال لما ارتفع من سور المدينة برج أيضاً اهـ شهاب.

قوله: (للكواكب) أي التي هي منازل للكواكب. قوله: (تقدمت في الفرقان) عبارته هناك تبارك الذي جعل في السماء بروجاً اثني عشر، الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب، والزهراء ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو انتهت.

قوله: ﴿واليوم الموعود﴾ أي الموعود به كما ذكر بعد ففيه الحذف والإيصال.

قوله: ﴿وشاهد ومشهود﴾ نكرهما دون بقية ما أقسم به لاختصاصهما من بين الأيام بفضيلة ليست لغيرهما فلا يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس، وهذا جواب أيضاً عما يقال لم خصصهما بالذكر دون بقية الأيام، وإنما لم يعرفا بلام العهد لأن التنكير أدل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى: ﴿والهكم إله واحد﴾ [الكهف: ١١٠] اهـ كرخي.

موعود به، والثاني شاهد بالعمل فيه، والثالث تشهده الناس والملائكة، وجواب القسم

قوله: (كذا فسرت الثلاثة في الحديث) عبارة الخطيب: وقوله تعالى: ﴿واليوم الموعود﴾ قسم آخر وهو يوم القيامة، قال ابن عباس: وعد أهل السماء والأرض أن يجتمعوا فيه. واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وشاهد ومشهود﴾، فقال أبو هريرة، وابن عباس: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، وروى مرفوعاً «اليوم الموعد يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة» خرجه الترمذي في جامعه. قال القشيري: فيوم الجمعة يشهد على عامله بما عمل فيه. قال القرطبي: وكذا سائر الأيام والليالي لما روى أبو نعيم الحافظ عن معاوية أن النبي ﷺ قال: «ليس من يوم يأتي على العبد إلا ينادي فيه يا بن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل فيّ خيراً أشهد لك به غداً فإني إذا مضيت لم ترني أبداً، ويقول الليل مثل ذلك» حديث غريب. وحكى القشيري عن عمر أن الشاهد يوم الأضحى، وقال ابن المسيب: الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة، وروي عن علي: الشاهد يوم عرفه والمشهود يوم النحر، وقال مقاتل أعضاء الإنسان هي الشاهد لقوله تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ الآية: [النور: ٢٤] وقال الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم لقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ [البقرة: ١٤٣] الأية: وقيل: الشاهد محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ [الفتح: ٨] وقيل: آدم، وقيل: الحفظة الشاهد والمشهود أولاد آدم، وقيل: غير ذلك كل ذلك صحيح انتهت.

قوله: (وجواب القسم محذوف الخ) قضية كلامه أنه الجواب مع كونه دعاء كقوله: ﴿قتل الإنسان﴾ [عبس: ١٧] والذي ذكره غيره وأنه إذا كان دعاء لا يكون جواباً، والجواب: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ [البروج: ١٢] ومن ثم قال القاضي: والأظهر أنه دليل الجواب المحذوف وكأنه قيل: ﴿إنهم ملعونون﴾ يعني كفار مكة لعن أصحاب الأخدود، فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم، وقيل: الجواب محذوف والتقدير إن الأمر حق في الجزاء اهـ كرخي.

قوله: (محذوف صدره الخ) وإنما احتيج لهذا الحذف لأن المشهور عند النحاة أن الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام، وقد لا يجوز الاقتصار على إحداهما إلا عند طول الكلام كما في قوله: ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس: ٩] إلى قوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] أو في ضرورة اهـ شهاب وزاده.

قوله: (تقديره لقد) ﴿قتل﴾ الخ أي فحذف اللام وقد وعلى هذا فقوله قتل خبر لا دعاء اهـ سمين.

فالجملة خبرية والأصل فيها أنها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء على أنهم أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود اهـ أبو السعود.

روي عن مقاتل: كانت الأخاديد ثلاثة، واحدة بنجران باليمن، وأخرى بالشام، وأخرى بفارس حرق أصحابها بالنار، أما التي بالشام والتي بفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت

محذوف صدره تقديره لقد ﴿قُتِلَ﴾ لعن ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ الشق الأرض ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ ما توقد به ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قُعُودٌ ۝٦﴾ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله من تعذيبهم بالالقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُهُودٌ ۝٧﴾ حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل

بنجران، وذلك أن رجلاً مسلماً ممن يقرأ الإنجيل أجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل فذكرت ذلك لأبيها فسأله فلم يخبره، فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه على دينه هو وسبعة وثمانون إنساناً ما بين رجل وامرأة، وهذا بعد ما رفع عيسى إلى السماء وقبل مبعث النبي ﷺ بسبعين سنة، فسمع بذلك رجل اسمه يوسف بن ذي نواس فخدَّلهم في الأرض وأوقد لهم فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه. وروي أن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت، فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها: يا أماه إني أرى أمامك ناراً لا تطفأ يعني نار جهنم إن لم تقعي في هذه النار فلما سمعت ذلك قذفا جميعاً أنفسهما في النار فجعلهما الله في الجنة، فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون إنساناً فذلك قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ اهـ خطيب.

قوله: (الشق في الأرض) فالأخدود مفرد جمعه أخاديد والخد بفتح الخاء بمعنى الأخدود وجمعه خدوداً اهـ.

قوله: (بدل اشتمال منه) أي لأن الأخدود مشتمل على النار، وحينئذ فلا بد فيه من ضمير مقدر أي النار فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذ هم عليها قعود﴾ ظرف لقتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين عليها في مكان مشرف عليها من حافات الأخدود اهـ أبو السعود.

وعبر عن القعود على حافة النار بالقعود على نفس النار للدلالة على أنهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤوه ويخلون سبيل من شاؤوه اهـ زاده.

قوله: ﴿شهود﴾ (حضور) عبارة أبي السعود: شهود أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به وفوض إليه فهو من الشهادة أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم﴾ [النور: ٢٤] وقيل: على بمعنى: مع، والمعنى: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم، هذا هو الذي يستدعيه النظم وتنطق به الروايات المشهور، انتهت.

فقول الشارح: حضور يقتضي أن تكون على بمعنى مع قوله: (أنجى المؤمنين الملقين في النار) وكانوا سبعة وسبعين، فهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة أو أحد عشر، وقوله: إلى من ثم أي إلى من هم قعود على الأخدود وهم أصحابه ولم يرد نص بتعيين عددهم.

وقوعهم فيها وخرجت النار إلى من ثم فأحرقتهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَمِيدِ ۝﴾ المحمود ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾ أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالاحراق ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾

قوله: ﴿وما نقموا منهم﴾ الخ أي ما عابوا منهم إلا الإيمان أي إيمانهم، وإنما قال: إلا أن يؤمنوا بلفظ المستقبل مع أن الإيمان وجد منهم في الماضي لأن تعذيبهم والإنكار ليس للإيمان الذي وجد منهم في الماضي بل لدوامهم عليه في المستقبل، حتى لو كفروا في المستقبل لما عذبوهم على ما مضى فكأنه قيل: إلا أن يستمروا على إيمانهم اهـ زاده.

وهذا الاستثناء على حد قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

اهـ بيضاوي.

وفي المختار: نقم الأمر كرهه وبابه ضرب ونقم من باب فهم لغة اهـ.

قوله: ﴿الذي له ملك السموات﴾ الخ لما ذكر تعالى الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزاً غالباً قادراً يخشى عقابة حميداً منعماً يجب الحمد على نعمه ويرجى ثوابه قرر ذلك بقوله: الذي له ملك السموات الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ فيه وعد لأصحاب الأخدود ووعيد لمعذبهم، فإن علمه تعالى بجميع الأشياء التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتماً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أي حرقهم بالنار يقال: فتنت الشيء إذا حرقته، والعرب تقول: فتن فلان الدرهم والدينار إذا أدخله الكور لينظر جودته، ونظره: يومهم على النار يفتنون قال الرازي: ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك قال: وهذا أولى لأن اللفظ عام والحكم بالتخصيص ترك الظاهر من غير دليل، ولما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة، ولو طال الزمان عبر سبحانه بأداة التراخي، فقال تعالى: ثم لم يتوبوا أي عن كفرهم وعما فعلوا، فلهم عذاب جهنم أي بكفرهم، ولهم عذاب الحريق أي عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة وقيل: في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدم، ومفهوم الآية أنهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد اهـ خطيب.

وتقدم أن الذين حرقوا كانوا سبعة وسبعين، وفي المختار: الفتنة الاختبار والامتحان تقول: فتن الذهب يفتنه بالكسر فتنة وفتوناً أيضاً إذا أدخله النار لينظر جودته، ودينار مفتون قال الله تعالى: إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أي حرقهم ويسمى الصائغ الفتان وكذا الشيطان، وقال الخليل: الفتن الاحراق قال الله تعالى: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ [الذريات: ١٣] اهـ.

وفي القاموس: إن فتن بهذا المعنى من باب كتب فعلى هذا يكون له بابان. قوله: ﴿ثم لم يتوبوا﴾ أي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر، وفيه دليل على أنهم إذا تابوا وآمنوا يقبل منهم وخرجوا

بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠﴾ أي عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة، وقيل في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝١١﴾ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ بحسب إرادته ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخلق ﴿وَيُعِيدُ ۝١٣﴾

من هذا الوعيد وأن الله تعالى يقبل منهم التوبة، فإن توبة القاتل مقبولة وأنهم لو لم يتوبوا لهم العذاب المذكور اهـ خازن.

قوله: ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ هو خبر إن الذين فتنوا ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط وارتفاع عذاب على الفاعلية بالجار قبله لوقوعه خبراً وهو أحسن من ارتفاعه بالابتداء اهـ كرخي.

قوله: ﴿عذاب الحريق﴾ أي العذاب بسبب الحريق.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ الخ لما ذكر وعيد المجرمين أتبعه بذكر ما أعد للمؤمنين اهـ خطيب.

قوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي تحت أسرتها وغرفها وجميع أماكنها يتلذذون ببردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا عليه في الدنيا ويزول عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والأحزان اهـ خطيب.

قوله: ﴿ذلك الفوز الكبير﴾ الإشارة إلى كون ما ذكر لهم من حيازتهم للجنات، فإن حصولها مستلزم حيازتهم لها قطعاً أو لجنات الموصوفة وتذكير اسم الإشارة حينئذ لتأويله بالمذكور وأيّاما كان فما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجته في الفضل والشرف، فالفوز على الأول مصدر باق على مصدريته وإن جعل إشارة إلى الجنات فالفوز مصدر أطلق على المفعول مبالغة والذين آمنوا وعملوا الصالحات هم المفتونون وغيرهم، وقوله: لهم أي بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح، جنات تجري من تحتها الخ إن أريد بالجنات الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر، وإن أريد بها الأرض المشتمله على الأشجار بالتحتية باعتبار جريها ظاهر أيضاً فإن أشجارها ساترة لأرضها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ استئناف خوطب به النبي ﷺ إيذاناً بأن لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة لضميره ﷺ، والبطش الأخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: إن بطش ربك لشديد جواب القسم والبطش هو الأخذ بعنف، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف، ولما كان هذا البطش لا يتأتى إلا من كامل القدرة دلّ على كمال قدرته واختصاصه بذلك بقوله مؤكداً لما له من الإنكار إنه هو يبدىء الخ. وفي المختار: البطشة السطوة والأخذ بعنف، وقد بطش به من باب ضرب ونصره وباطشه مباطشة اهـ.

قوله: (بحسب إرادته) أشار إلى المراد على الفلاسفة القائلين أنه موجب بالذات، وقد نطق االقرآن بأنه فعال لما يريد اهـ كرخي.

فلا يعجزه ما يريد ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ المتودد إلى أوليائه بالكرامة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه ﴿ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ بالرفع المستحق لكمال صفات العلو ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ لا يعجزه شيء ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ بدل من الجنود واستغنى

قوله: ﴿إنه يبدىء ويعيد﴾ أي ومن كان قادراً على الإيجاد والإعادة إذا بطش كان بطشه في غاية الشدة، وبهذا ظهر التعليل بهذه الجملة لما سبق من شدة البطش اهـ شهاب.

قوله: ﴿وهو الغفور﴾ لما ذكر شدة بطشه ذكر كونه غفوراً سائراً لذنوب عباده ودوداً لطيفاً بهم محسناً إليهم وهاتان صفتان فعل، والظاهر أن الودود مبالغة في الود اهـ من البحر.

وقالت المعتزلة: غفور لمن تاب، وقال أصحابنا: غفور مطلقاً لمن تاب ولمن لم يتب لأن الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفوراً مطلقاً أتم، فالحمل عليه أولى ولأن الغفور صيغة مبالغة فالمناسب أن يحمل على الاطلاق اهـ زاده.

قوله: (المتودد إلى أوليائه بالكرامة) وفي البيضاوي: الودود المحب لمن أطاع، وقيل: وهو بمعنى مفعول أي يوعده عباده اهـ.

وتقدم لهذا مزيد بسط في آخر الإسراء اهـ.

قوله: ﴿المجيد﴾ (بالرفع) أي وبالجر أيضاً، وفي الخطيب: قرأ حمزة والكسائي بجر الدال على أنه نعت للعرش أو لربك في قوله: إن بطش ربك لشدة قال مكي وقيل: لا يجوز أن يكون نعتاً للعرش لأنه من صفات الله تعالى اهـ.

وهذا ممنوع لأن مجد العرش علوه وعظمه كما قاله الزمخشري، قد وصف العرش بالكريم في آخر المؤمنين، وقرأ الباقون برفع الدال على أنه خبر بعد خبر، وقيل: هو نعت لذو، واستدل بعضهم على تعدد الخبر بهذه الآية، ومن منع قال لأنها في معنى خبر واحد أي جامع بين هذه الأوصاف الشريفة أو كل منها خبراً لمبتدأ مضمر والمجد هو النهاية في الكرم والفضل، والله سبحانه موصوف بذلك وتقدم وصف عرشه بذلك اهـ خطيب.

قوله: ﴿فعّال لما يريد﴾ أتى بصيغة فعال للكثرة وختم به الصفات لأنه كالنتيجة للأوصاف السابقة ونكره لضرب من التعظيم تتلاشى عنده الأوهام والعقول اهـ كرخي.

قال القفال: أي يفعل ما يريد أن يفعل على ما يراه لا يعترض عليه أحد ولا يغلبه غالب، فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة إلى ما يشاء إلى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء فهو يفعل ما يريد، وهذه الآية دلت على أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى. قال بعضهم: ودلت على أنه لا يجب عليه شيء لأنها دالة على أن فعله بحسب إرادته اهـ خطيب.

قوله: ﴿هل أتاك﴾ الخ هل بمعنى قد وهذا استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة والعصاة والكفرة والعناة وكونه فعالاً لما يريد متضمن لتسليته ﷺ حيث أشعر بأنهُ يصيب قومه ما أصاب الجنود اهـ أبو السعود.

بذكر فرعون عن أتباعه. وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ليتعظوا ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾﴾ بما ذكر ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾ لا عاصم لهم منه ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾﴾ عظيم ﴿فِي لَوۡحٖ﴾ هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ بالجر من

قوله: (بدل من الجنود) أي كل منهما بدل، ولما لم يطابق البدل المبدل منه في الجمعية لأنه بدل كل من كل قيل هو على حذف مضاف أي جنود فرعون، قيل: المراد بفرعون هو وقومه واكتفى بذكره عنهم لأنهم أتباعه اهـ شهاب.

وإنما خص فرعون وثمود لأن ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين، وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين في الهلاك فدلّ بهما على أمثالهما اهـ كرخي.

قوله: (وحديثهم أنهم الخ) عبارة أبي السعود: والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال، والمعنى قد أتاك حديثهم فعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك شؤون الله وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم اهـ.

قوله: ﴿بل الذين كفروا﴾ أي من قومك وهذا الاضراب انتقالي للأشد كأنه قيل: ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك فإنهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزجروا، والاستفهام في هل أتاك للتعجب، وقوله: والله من ورائهم الخ فيه تعريض توبيخي للكفار بأنهم نبذوا الله وراء ظهورهم، وقوله: في تكذيب أي تكذيب شديد فإنهم سمعوا قصتهم ورأو آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم ففيه عدول عن يكذبون إلى جعلهم في التكذيب، وأنه لشدته أحاط بهم إحاطة الظرف إحاطة الظرف بمظروفه أو إحاطة البحر بالغريق فيه مع ما في تنكيره من الدلالة على تعظيمه وتهويله ففيه استعارة تبعية في كلمة في اهـ شهاب.

قوله: ﴿في تكذيب﴾ (بما ذكر) أي النبي والقرآن اهـ خازن.

قوله: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ فيه وجوه، أحدهما: أن المراد وصف اقتداره عليهم وأنهم في قبضته وحصره كالمحاط إذا أحيط به من ورائه ينسد عليه مسلكه فلا يجد مهرباً يقول الله تعالى: فهم كذا في قبضتي وأنا قادر على إهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم إياك فلا تجزع من تكذيبهم إياك فليسوا يفوتوني إذا أردت الانتقام منهم. ثانيها: أن يكون المراد من هذه الإحاطة قرب إهلاكهم كقوله تعالى: ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ فهو عبارة عن مشارفة الهلاك. ثالثها: أنه تعالى محيط بأعمالهم أي عالم بها فيجازيهم عليها اهـ خطيب.

قوله: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ إضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنهُ إلى وصف القرآن بما ذكر للإشارة إلى أنه لا ريب فيه ولا يضره تكذيب هؤلاء اهـ شهاب.

وقال زاده: معنى الاضراب فيه أن ما كذبوا به ليس مثل مُا كذب به الجنود، بل هو أي الذي كذبوا به قرآن معجز بنظمه مجيد شريف عالي الطبقة من بين الكتبْ اهـ.

أي بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى اهـ بيضاوي.

الشياطين ومن تغير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

فهو رد لكفرهم وإبطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أي ليس الأمر كما قالوا اهـ.

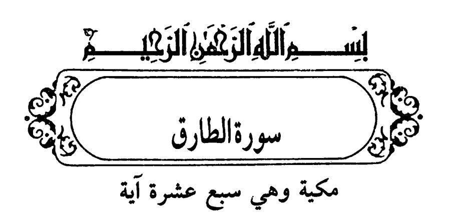
قوله: (فوق السماء السابعة) أي معلق بالعرش اهـ قرطبي.

قوله: (بالجر) أي وبالرفع أيضاً اهـ.

وفي السمين: قرأ نافع بالرفع نعتاً للقرآن، والباقون بالجر نعتاً للوح، والعامة على فتح الام، وقرأ ابن السميقع، وابن يعمر بضمها قال الزمخشري: واللوح بالضم هو الفضاء الذي فوق السماء السابعة فيه اللوح بالفتح اهـ.

قوله: (طوله ما بين السماء الخ) وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته، وقوله: وهو من درة بيضاء أي وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه النور وكتابته نور معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك اهـ خطيب.

وقيل: هو من ياقوتة حمراء اهـ قرطبي.



سورة الطارق

مكية وهي سبع عشرة آية

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ أصله كل آت ليلاً، ومنه النجوم لطلوعها ليلاً ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لأدرى وما بعد ما الأولى خبرها وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو ﴿ٱلنَّجۡمُ﴾ أي الثريا أو كل نجم ﴿ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ المضيء لثقبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿والسماء والطارق﴾ قسم أقسم الله به، وقد أكثر الله تعالى في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم، لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة، ولما كان الطارق يطلق على غير النجم أبهمه أولاً ثم عظم المقسم به بقوله: وما أدراك الخ اهـ خطيب.

قوله: (أصله كل آت ليلاً الخ) عبارة أبي السعود: الطارق في الأصل اسم فاعل من طرق طرقاً وطروقاً إذا جاء ليلاً. قال الماوردي: وأصل الطرق الدق، ومنه سميت المطرقة، وإنما سمي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه إلى طرق الباب أي دقه غالباً، ثم اتسع به في كل ما ظهر بالليل كائناً ما كان، ثم اتسع كل التوسع حتى أطلق على الصور الخالية البادية بالليل إما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود انتهت.

ثم اتسع فيه حتى استعمل في الآتي نهاراً، ومنه قوله ﷺ: «أعوذ بك من شر طارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمٰن» اهـ قرطبي.

وفي المصباح: طرقت الباب طرقاً من باب قتل، وطرقت الحديدة مددتها، وطرّقتها بالتثقيل مبالغة، وطرق النجم طروقاً من باب قعد طلع، وكل ما أتى ليلاً فقد طرق وهو طارق والمطرقة بالكسر ما يطرق به الحديد اهـ.

قوله: ﴿وما أدراك ما الطارق﴾ تنويه بشأنه إثر تفخيمه بالإقسام به وتنبيه على أن رفعة قدره بحيث لا ينالها إدراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم اهـ أبو السعود.

قوله: (وما بعدما الأولى) وهو جملة إدراك، وقوله: وفيه تعظيم أي في الاستفهام الثاني وهو قوله: ما الطارق فهو للتعظيم، وأما الأول فهو للإنكار كما تقدم غير مرة.

قوله: ﴿النجم الثاقب﴾ لم يقل والنجم الثاقب مع أنه أخصر وأظهر فعدل عنه تفخيماً لشأنه،

الظلام بضوئه وجواب القسم ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ بتخفيف ما فهي مزيدة، وإن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي إنه واللام فارقة وبتشديدها فإن نافية ولما بمعنى إلا، والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشرّ ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ من أي شيء؟ جوابه ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ ذي اندفاق من الرجل، والمرأة في رحمها ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل

فأقسم أولاً بما يشترك فيه هو وغيره وهو الطارق، ثم سأل عنه بالاستفهام تفخيماً لشأنه ثانياً، ثم فسره بالنجم إزالة لذلك الإبهام الحاصل بالاستفهام اهـ.

قوله: (أي الثريا أو كل نجم) وقيل: هو نجم في السماء السابعة وهو زحل لا يسكنها غيره من النجوم، وإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد، وفي الصحاح: الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح اهـ خطيب.

قوله: (وجواب القسم الخ) أي وما بين القسم وجوابه اعتراض جيء به لتأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها اهـ أبو السعود.

قوله: (فهي مزيدة) أي وكل مبتدأ وعليها خبر مقدم، وحافظ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر كل، ويجوز أن يكون عليها هو الخبر وحده وحافظ فاعل به، ويجوز أن يكون كل مبتدأ وحافظ خبره وعليها متعلق بحافظ وما مزيدة أيضاً، وهذا كله تفريع على قول البصريين اهـ سمين.

قوله: (واللام فارقة) أي بين المخففة والنافية اهـ.

قوله: (والحافظ من الملائكة الخ) روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «وكّل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين». والظاهر أن المراد بالحافظ هو الله كما قال وكان الله على كل شيء رقيباً، فإن الممكنات كما تحتاج إلى الواجب لذاته في وجودها تحتاج إليه في بقائها، وعدى حافظ بعلى لتضمنه معنى القيام، فإنه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على أحوالهم اهـ زاده باختصار.

وقال الشهاب: الحافظ الكاتب أو مطلق الملائكة الحفظة أو الله، والأول يدل له كلام البيضاوي حيث قال: فلا يملي على حافظه إلا ما يسره اهـ.

قوله: ﴿فلينظر الإنسان﴾ لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبع ذلك بوصية الإنسان بالنظر في أول نشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل لذلك ما يسره في عاقبته ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته اهـ من النهر.

قوله: ﴿ممّ خلق﴾ استفهام ومن متعلقة بخلق، والجملة في موضع نصب بقوله فلينظر المعلق عنها بالاستفهام وجواب الاستفهام ما بعده وهو قوله: خلق من ماء دافق اهـ من النهر.

قوله: ﴿من ماء دافق﴾ أي مدفوق من الدفق وهو الصب أي مصبوب في الرحم، ولم يقل من ماءين فإنه من ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما لامتزاجهما في الرحم فصارا كالماء

﴿وَالتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ للمرأة وهي عظام الصدر ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿لَقَادِرٌ ۝٨﴾ فإذا اعتبر أصله أن القادر على ذلك قادر على بعثه ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى﴾ تختبر وتكشف ﴿ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ لمنكر البعث ﴿مِن قُوَّةٖ﴾ يمتنع بها من

الواحد اتحادهما حين ابتدىء في خلقه اهـ خطيب.

ودافق من صيغ النسب كلابن وتامر أي ذي دفق وهو صادق على الفاعل والمفعول أو مجاز في الإسناد، فأسند إلى الماء ما لصاحبه مبالغة أو هو استعارة مكنية أو تخييلية أو مصرحة بجعله دافقاً، لأنه لتتابع قطراته كأنه يدفق بعضه بعضاً أي يدفعه كما أشار له ابن عطية اهـ شهاب.

قوله: (في رحمها) متعلق بدافق اهـ.

قوله: ﴿يخرج من بين الصلب﴾ أي للرجل وهو عظام الظهر والترائب وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة، وعن عكرمة: الترائب ما بين ثدييها، وقيل: الترائب التراقي، وقيل: أضلاع الرجل التي أسفل الصدر، وحكى الزجاج: أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، وقال ابن عادل: جاء في الحديث أن الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب، ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدم، وحكى القرطبي: أن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع في الأنثيين وهذا لا يعارضه قوله تعالى: من بين الصلب والترائب، لأنه ينزل من الدماغ إلى الصلب ثم يجتمع في الأنثيين، قال المهدوي: ومن جعل يخرج من بين الصلب صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للإنسان اهـ خطيب.

وقوله: من بين الصلب أي من بين أجزائه لأن بين إنما تضاف لمتعدد، وفي القرطبي ما يقتضي أن لفظ بين زائدة ونصه: والمعنى يخرج من الصلب والترائب، وقال الحسن: المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ومن صلب المرأة وترائب المرأة اهـ.

قوله: ﴿والترائب﴾ جمع تريبة كصحيفة وصحائف اهـ مختار.

قوله: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾ الضمير في إنه راجع لله باعتبار وصفه بالخالق كما يفهم من قوله: خلق من ماء دافق، وقوله: يوم ظرف لرجعه ولا يصح نصبه بقادر لأنه قادر في كل الأوقات لا تختص قدرته بوقت دون وقت اهـ شيخنا.

وقيل: هو معمول لمحذوف تقديره يرجع يوم أو اذكر يوم، وجوز بعضهم أن يكون العامل فيه ناصر وهو فاسد لأن ما بعد النافية وما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلهما اهـ سمين.

قوله: (بعث الإنسان بعد موته) وقيل: في معنى الآية إنه تعالى قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه، وقيل: قادر على رد الإنسان كما كان من قبل، وقيل: معناه إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة، وقيل: أنه قادر على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج، وما سلكه المفسر هو الصحيح واللائق بمعنى الآية بدليل ما بعده اهـ من الخازن.

قوله: (علم أن القادر على ذلك) أي خلقه من ماء دافق اهـ.

قوله: (ضمائر القلوب الخ) عبارة الخطيب: يوم تبلى السرائر أي تختبر، وتكشف السرائر أي ما

العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ يدفعه عنه ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١﴾ المطر لعوده كل حين ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢﴾ الشق عن النبات ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣﴾ يفصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾

أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرهما وما أخفي من الأعمال وذلك يوم القيامة وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث، وقال عطاء بن رباح: السرائر فرائض الأعمال كالصلاة والصوم والوضوء والغسل من الجنابة، فإنها سرائر بين الله وبين العبد، ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها، وقال ابن عمر: يبدي الله تعالى كل سر فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه، يعني: فمن أداها كان وجهه مشرقاً ومن لم يؤدها كان وجهه أغبر اهـ.

وفي المختار: السر الذي يكتم وجمعه أسرار والسريرة مثله والجمع سرائر اهـ.

قوله: ﴿فما له من قوة﴾ أي منعة في نفسه يمتنع بها، ولا ناصر ينصره من عذاب الله فيدفعه عنه اهـ خطيب.

قوله: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ أي التي ترجع بالدوران إلى الموضع الذي تتحرك عنه فترجع الأحوال التي كانت وتصرمت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول من الشتاء وما فيه من برد ومطر، والصيف وما فيه من حرّ وصفاء وسكون وغير ذلك، وقيل: ذات النفع، وقيل: ذات الملائكة لرجوعهم فيها بأعمال العباد، وقيل: ذات المطر لعوده كل حين أو لما قيل من أن السحاب تحمل الماء من البحار ثم ترجعه إلى الأرض، وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب، والأرض ذات الصدع أي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والأنهار والعيون نظيره قوله تعالى: ﴿ثم شققنا الأرض شقاً﴾ [عبس: ٢٦] والصدع بمعنى الشق لأنه يصدع الأرض فتنصدع به فكأنه تعالى قال: والأرض ذات النبات، وقال مجاهد: ذات الطريق التي تصدعها المشاة، وقيل: ذات الحرث لأنه يصدعها، وقيل: ذات الأموات لإصداعهم للنشور، قال الرازي: واعلم أنه تعالى كما جعل كيفية خلقه الحيوان دليلاً على معرفة المبدأ والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات، فقوله تعالى: والسماء ذات الرجع كالأب، وقوله: والأرض ذات الصدع كالأم وكلاهما من النعم العظام لأن نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء مكرراً وعلى ما ينبت من الأرض كذلك اهـ خطيب.

قوله: (المطر) فالرجع من أسمائه كما في المختار.

قوله: ﴿إنه لقول فصل﴾ جواب القسم الثاني، والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق من الباطل، ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجازم، ويقال: هذا قول فصل أي: قاطع للشر والنزاع اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وما هو﴾ أي: القرآن بالهزل، بل هو جد كله، فيجب أن يكون مهيباً في الصدور معظماً في القلوب يترفع به قارئه وسامعه عن أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلقى ذهنه إلى أن جبار السموات والأرض يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده، حتى إن لم يستفزه الفزع والخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جاداً غير هازل، فقد نفى الله تعالى عن المشركين ذلك في قوله: ﴿وتضحكون ولا

باللعب والباطل ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ يعملون المكايد للنبي ﷺ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿فَمَهِّلِ﴾ يا محمد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيد حسنه مخالفة اللفظ، أي أنظرهم ﴿رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ قليلاً، وهو مصدر مؤكدة لمعنى العامل، مصغر روداً وأرواداً على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى ببدر، ونسخ الإمهال بآية السيف، أي بالأمر بالقتال والجهاد.

تبكون وأنتم سامدون﴾ [النجم: ٦١] اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾ اختلف في ذلك الكيد فقيل: إلقاء الشبهات كقولهم: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ [المؤمنون: ٣٧] ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ [يسٓ: ٧٨] وما ﴿اجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ [ص: ٥] أشبه ذلك، وقيل: قصدهم قتله لقوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية وأما قوله تعالى: ﴿وأكيد﴾ أي: أنا كيداً فاختلف فيه أيضر فقيل: معناه أجازيهم جزاء كيدهم، وقيل: هو ما أوقعه الله تعالى بهم يوم بدر من القتل والأسر، وقيل: استدراجهم من حيث لا يعلمون، وقيل: كيد الله تعالى لهم نصرة نبيه وإعلاء درجته تسمية لأحد المتقابلين باسم الآخر كقوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠] اهـ خطيب.

قوله: ﴿فمهل الكافرين﴾ أي: لا تستعجلهم بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم بإهلاكهم، فإنا لا نعجل لأن العجلة وهي إيقاع الشيء في غير وقته اللائق به نقص اهـ خطيب.

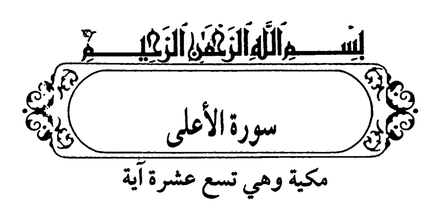
قوله: (مصغر روداً) بالضم اهـ شهاب.

وقوله: على الترخيم راجع لقوله: أو إرواد أي ترخيم تصغير وهو حذف الزوائد اهـ شيخنا.

وفي المختار: وفلان يمشي على رود بوزن عود أي على مهل وتصغيره رويد، ويقال: أرود في السير إرواداً ومرواداً بضم الميم وفتحها أي رفق، وتقول: رويدك عمراً أي أمهله وهو تصغير ترخيم من إرواد مصدر أرود يرود اهـ.

ورود بوزن عود مصدر أرود مصدراً سماعياً أو اسم مصدر له اهـ.

وفي السمين: واعلم أن رويداً يستعمل مصدراً بدلاً من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله: ﴿فضرب الرقاب﴾ [محمد: ٤] ولا يضاف أخرى نحو: رويداً زيداً، ويقع حالاً نحو: ساروا رويداً أي: متمهلين ونعتاً لمصدر محذوف نحو: ساروا رويداً أي: سيراً رويداً. والله أعلم.



سورة الأعلى

مكية وهي تسع عشرة آية

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي نزه ربك عما لا يليق به، ولفظ اسم زائد ﴿ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ صفة لربك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) في قول الجمهور، وقال الضحاك: مدنية. قال النووي: وكان النبي ﷺ يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات اهـ خطيب.

وعن عبد الرحمن بن جريج قال: سألنا عائشة بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ؟ قال: كان يقرأ في الأولى بسبّح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين. أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن غريب اهـ خازن.

قوله: (أي نزه ربك الخ) عبارة الخطيب: أي نزه ربك عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه. أما في ذاته فأن تعتقد أنها ليست من الجواهر والأعراض، وأما في صفاته فأن تعتقد أنها ليست محدثه ولا متناهية ولا ناقصة، وأما في أفعاله فأن تعتقد أنه سبحانه مطلق لا اعتراض لأحد عليه في أمر من الأمور، أما في أسمائه فأن لا تذكره سبحانه إلا بالأسماء التي لا توهم نقصاً بوجه من الوجوه سواء ورد الإذن فيها أم لم يرد، وأما في أحكامه سبحانه فأن تعلم أنه ما كلفنا لنفع يعود إليه بل لمحض المالكية، انتهت.

وفي الخازن: سبح اسم ربك الأعلى أي: قل سبحان ربي الأعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ سبح اسم ربك فقال: سبحان ربي الأعلى ذكره البغوي بإسناد الثعلبي، وقيل: معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه به الملحدون، فعلى هذا يكون الاسم صلة، وقيل: معناه نزه تسمية ربك الأعلى بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم. قال ابن عباس: سبح أي صلّ بأمر ربك الأعلى. عن عقبة بن عامر قال: لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال: «اجعلوها في سجودكم» أخرجه أبو داود اهـ.

قوله: (واسم زائد) الظاهر أنه ليس بزائد، فإن التنزيه يقع على الاسم أي: نزه الاسم عن أن يسمى به صنم أو وثن فيقال له رب أو إله، وإذا كان أمر بتنزيه اللفظ فتنزيه الذات أولى، وقيل: معناه

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ مخلوقه جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَىٰ ۝٣﴾ إلى ما قدره من خير وشرّ ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ أنبت العشب ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَآءً﴾

نزه اسم الله أي لا تذكره إلا وأنت خاشع اهـ من البحر.

وقال الشهاب: عما لا يليق بلفظه ومعناه بأن تذكره على وجه التعظيم فلا تذكره في محل لا يليق به كالخلاء وحاله التغوط، وكأن تعتقد أنه عالم من غير علم، وهكذا أو تقول معنى كونه رحيماً أن له قلباً رقيقاً اهـ.

قوله: ﴿الأعلى﴾ من العلو الذي هو القهر والغلبة لا العلو في المكان اهـ عمادي.

قوله: (صفة لربك) فهو بالجر بكسرة مقدرة على الألف، ويجوز أن يكون صفة لاسم فهو منصوب بفتحة مقدرة على الألف إلا أن جعل صفة للاسم يمنع جعل قوله: الذي خلق الخ صفة لربك، بل يتعين حينئذ جعله نعتاً للاسم أو نعتاً مقطوعاً، لئلا يلزم الفصل بين الموصوف وصفته بصفة غيره، إذ يصير التركيب مثل قولك: جاءني غلام هند العاقل الحسنة وهو ممتنع اهـ سمين.

قوله: ﴿الذي خلق فسوى﴾ جواب عن سؤال أشال له الخطيب بقوله: ولما أمر تعالى بالتسبيح فكأن سائلاً قال: الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد معرفة الرب فما الدليل على وجوده تعالى؟ فقال: الذي خلق الخ، ومفعول خلق محذوف أي: كل شيء اهـ.

وقال الرازي: يحتمل أن يريد الإنسان خاصة، ويحتمل أن يريد الحيوان، ويحتمل أن يريد كل شيء خلقه الله تعالى. فمن حمله على الإنسان ذكر للتسوية وجوهاً، أحدها: اعتدال قامته وحسن خلقه كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٤] وأثنى على نفسه بسبب خلقه إياه بقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] ثانيها: كل حيوان مستعد لنوع واحد من الأعمال فقط، وأما الإنسان فإنه خلق بحيث يمكنه أن يأتي بجميع الأعمال بواسطة الآلات. ثالثها: أنه تعالى هيأه للتكليف والقيام بأداء العبادات، وقال بعضهم: خلق في أصلاب الآباء وسوى في أرحام الأمهات. ومن حمله على جميع المخلوقات كان المراد من التسوية هو أنه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات يخلق ما أراد على وفق إرادته موصوفاً بالأحكام والإتقان مبرأ عن النقص والاضطراب اهـ.

قوله: ﴿والذي قدر﴾ أي: أوقع تقديره في أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها وغير ذلك من أحوالها، فجعل البطش لليد، والمشي للرجل، والسمع للأذن والبصر للعين ونحو ذلك، وقوله: فهدى أي هدى الإنسان ودلّه لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدي الأنعام لمراعيها، وقيل: المعنى قدر أقواتهم وأرزاقهم وهداهم لمعاشهم إن كانوا ناساً، ولمراعيهم إن كانوا وحوشاً، ومن ذلك هدايات الإنسان إلى مصالحه من أغذيته وأدويته وأمور دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الأرض إلى معاشها ومصالحها اهـ خطيب.

قوله: ﴿والذي أخرج المرعى﴾ لما ذكر ما يختص بالناس أتبعه بما يختص بالحيوان اهـ خطيب.

جافاً هشيماً ﴿أَحْوَىٰ ۝﴾ أسود يابساً ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآن ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ۝﴾ ما تقرؤه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن

قوله: ﴿غثاء﴾ في القاموس: كغراب وكزنار القماش والزبد والهالك البالي من ورق الشجر اهـ.

وفيه أيضاً: القمش جمع القماش وهو على وجه الأرض من فتات الأشياء، حتى يقال لرذلة الناس قماش وما أعطاني إلا قماشاً أي: أردأ ما وجده اهـ.

وعبارة المختار: القمش جمع الشيء من هنا وهنا وبابه ضرب، وذلك الشيء قماش وقماش البيت أيضاً متاعه اهـ.

وفي المصباح: غثاء السيل حميله، وغثا الوادي غثواً من باب قعد امتلأ من الغثاء، وغثت نفسه تغثي غثياً من باب رمى وغثياناً وهو اضطرابها حتى تكاد تتقيأ من خلط ينصب إلى فم المعدة اهـ.

وقوله: أحوى صفة لغثاء لأن الغثاء إذا قدم وأصابته الأمطار اسودّ وتعفن فصار أحوى اهـ من البحر.

قال ابن زيد: وهذا مثل ضربه الله للكفار بذهاب الدنيا بعد نضارتها اهـ خطيب.

ولما تغايرت الصفات وتباينت أتى لكل صفة بموصول، وعطف على كل صلة ما يترتب عليها فجاء الموصول الأول الذي خلق فسوى، والثاني الذي قدر فهدى، والثالث الذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى اهـ من النهر.

قوله: ﴿أحوى﴾ فيه وجهان، أظهرها: أنه نعت لغثاء. والثاني: أنه حال من المرعى. قال أبو البقاء: فقدم بعض الصلة. قلت: يعني أن الأصل أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، ولا يسمى هذا تقديماً لبعض الصلة، والأحوى: أفعل من الحوة وهي سواد يضرب إلى الخضرة، وقيل: الأحوى لخضرة عليها سواد، والأحوى الظبي في ظهره خطين، ويقال: رجل أحوى وامرأة حواء وجمعهما حو نحو أحمر وحمراء وحمر اهـ سمين.

وفي القاموس: الحوة بالضم سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد حوي كرضي حوى اهـ.

قوله: ﴿سنقرئك﴾ أي: على لسان جبريل اهـ بيضاوي.

وهذا بشارة من الله لنبيه ﷺ بإعطاء آية بينة وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ من الوحي وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب فيحفظه ولا ينساه. وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين، الأول: أنه كان رجلاً أمياً فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزة. الثاني: أن هذه السورة من أول ما نزل بمكة فهذا إخبار عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل، وقد وقع فكان هذا إخباراً فيكون معجزاً اهـ خطيب.

وقال أبو السعود: سنقرئك فلا تنسى بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسوله ﷺ إثر بيان هداية الله العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن وهدايته للناس أجمعين

تنساه بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكأنه قيل له: لا تعجل بها إنك لا تنسى فلا تتعب نفسك بالجهر بها ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ منهما ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ للشريعة السهلة وهي الإسلام ﴿فَذَكِّرْ﴾ عظ

والسين إما للتأكيد، وإما لأن المراد إقراء ما أوحى الله إليه حينئذ وما سيوحي إليه بعد ذلك فهو وعد باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء أي: سنقرئك ما نوحي إليك وفيما بعده على لسان جبريل أو سنجعلك قارئاً بالهام القراءة، فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ والإتقان مع أنك أمي لا تدري ما الكتاب وما القراءة، فيكون ذلك آية أخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الإعجاز ومن حيث الإخبار بالمغيبات اهـ.

قوله: ﴿فلا تنسى﴾ أي لا بطريق النسخ ولا بغيره ليظهر كون الاستثناء متصلاً اهـ زاده.

وقال أبو السعود: إلا ما شاء الله استثناء مفرغ من أعم المفاصيل والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة والإيذان بدوران المشيئة على الألوهية المستتبعة لسائر الصفات اهـ.

قوله أيضاً: ﴿فلا تنسى﴾ قيل: هو نفي أخبر الله تعالى أن نبيه عليه السلام لا ينسى، وقيل: نهي والألف إشباع، ومنع مكي أن يكون نهياً لأنه لا ينهى عما ليس باختياره وهذا غير لازم، إذ المعنى أن النهي عن تعاطي أسباب النسيان وهو شائع فسقط ما قاله اهـ سمين.

قوله: (بنسخ تلاوته وحكمه) الباء سببية أي أن نسخ تلاوته وحكمه معاً سبب في جواز نسيانك له أو الباء بمعنى بعد. أما ما نسخت تلاوته فقط أو حكمه فقط فلا يصح أن تنساه للاحتياج إلى تلاوته في الأول وإلى حكمه في الثاني اهـ شيخنا.

قوله: (فكأنه قيل له الخ) فهذه الآية نظير قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ [القيامة: ١٧].

قوله: ﴿إنه يعلم الجهر﴾ الخ تعليل لما قبله اهـ أبو السعود.

وصنيع الشارح يقتضي أنه تعليل لمحذوف وهو الذي قدره بقوله: ولا تتعب نفسك بالجهر بها.
قوله: ﴿وما يخفى﴾ ما اسمية ولا يجوز أن تكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل من فاعل، ولولا ذلك لكان كونها مصدرية أحسن ليعطف مصدر مؤول على مثله صريح اهـ سمين.

قوله: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ عطف على نقرئك كما ينبىء عند الالتفات إلى الحكاية، فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما اعتراض وارد للتعليل كما تقدم، وتعليق التيسير به عليه السلام مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما في قوله: ﴿ويسر لي أمري﴾ [طه: ٢٦] للإيذان بقوة تمكنه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة له، كأنه عليه السلام جبل عليها أي: نوفقك توفيقاً مستمراً للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علماً وتعليماً واهتداء وهداية، فيندرج فيه تيسير تلقي الوحي والإحاطة بما فيه من الأحكام الشريفة السمحة والقوانين الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء في قوله: فذكر الخ أي: فذكر الناس وعظهم

بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ من تذكرة المذكور في سيذكر، يعني وإن لم تنفع ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ يخاف الله تعالى كآية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي الذكرى أي يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿ٱلْأَشْقَى ۝١١﴾ بمعنى الشقي أي الكافر ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾

حسبما يسرناك له ما يوحى إليك واهدهم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشريفة الشرعية كما كنت تفعله اهـ أبو السعود.

قوله: (الشريعة السهلة) أي: الطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين ونوفقك لها، ولهذه النكتة قال: نيسرك ولم يقل نيسر لك أي: لإفادة أنك موفق لها قال: نيسرك لا نيسر لك اهـ كرخي.

قوله: ﴿فذكر﴾ الخ قال الرازي: لما صار النبي ﷺ كاملاً بمقتضى قوله: ونيسرك لليسرى أمر بأن يجعل نفسه فوق الكمال بمقتضى قوله فذكر، لأن التذكير يقتضي تكميل الناقصين وهداية الجاهلين، ومن كان كذلك كان فياضاً للكمال فكان تاماً بمقتضى قوله فذكره اهـ.

قوله: ﴿إن نفعت الذكرى﴾ إن شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم، وقيل: إن بمعنى إذ كقوله: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقيل: بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد جداً، وقيل: بعده شيء محذوف تقديره إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي اهـ سمين.

وعبارة الرازي: واعلم أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الكل فيجب عليه أن يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى أم لم تنفعهم، والجواب أنه تعالى ذكر أشرف الحالتين ونبه على الحالة الأخرى كقوله: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل: ٨١] والتقدير فذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع. وأجيب عنه أيضاً بأن التذكير العام واجب في أول الأمر، وأما التكرير فلعله إنما يجب عند رجاء حصول المقصود، فلهذا المعنى قيده بهذا الشرط، والتذكير المأمور به هل هو محصور في عشر مرات أو غير محصور؟ والجواب: أن الضابط فيه العرف اهـ.

قوله: ﴿سيذكر من يخشى﴾ أعلم أن الناس في أمر المعاد على ثلاثة أقسام، منهم من قطع بصحة المعاد، ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه بالنفي ولا بالإثبات، ومنهم من أصر على إنكاره أي: المعاد وقطع بأنه لا يكون فالقسمان الأولان تكون الخشية حاصلة لهما، وأما القسم الثالث فلا خشية له ولا خوف، فلما قال الله: فذكر إن نفعت الذكرى بين أن الذي تنفعه الذكرى من يخشى، ولما كان الانتفاع بالذكرى مبنياً على حصول الخشية في القلب، وصفات القلوب لا يطلع عليها إلا الله وجب على الرسول تعميم الدعوة تحصيلاً للمقصود، فإن المقصود تذكير من ينتفع بالتذكير ولا سبيل إليه إلا بتعميم التذكير، والسين في سيذكر بمعنى سوف، وسوف من الله واجب كقوله: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ [الأعلى: ٦] اهـ رازي.

قوله: (هي نار الآخرة) قال عليه الصلاة والسلام: «ناركم هذهِ جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» اهـ بيضاوي.

فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ حياة هنيئة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تطهر بالإيمان ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ مكبراً ﴿فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ الصلوات الخمس، وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة معرضون عنها ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالتحتانية والفوقانية ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ على الآخرة ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ أي إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيراً ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي

وفي الخطيب: واختلف في قوله: ﴿الكبرى﴾ أي: العظمى على وجوه، أحدها: قال الحسن هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا. ثانيها: أن في الآخرة نيراناً ودركات متفاضلة فكما أن الكافر أشقى العصاة، فكذا يصلى أعظم النيران. ثالثها: أن النار الكبرى هي النار السفلى فهي نصيب الكفار كما قال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء: ١٤٥] اهـ.

قوله: ﴿ثم لا يموت فيها﴾ ثم هنا للتفاوت الرتبي إشارة إلى أن خلوده أفظع من دخوله النار ومن صليه اهـ شهاب.

ولان التردد بين الحياة والموت أفظع من الصلي اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: ثم للتراخي بين الرتب في الشدة، ولما ذكر تعالى وعيد من أعرض عن النظر في دلائل الله أتبعه بالوعد لضده فقال: قد أفلح الخ اهـ.

قوله: (فيستريح الخ) أشار إلى جواب كيف قال ذلك مع أن الحيوان لا يخلو عن الاتصاف بأحدهما، وظاهر الآية يثبت قسماً ثالثاً لا حياً ولا ميتاً، وإيضاحه: أن المعنى لا يموت موتاً يستريح به ولا يحيا حياة ينتفع بها كقوله: ﴿لا يقضي عليهم فيموتوا﴾ [فاطر: ٣٦] ولا يخفف عنهم من عذابها، وقيل: معناه تصعد نفسه إلى الحلقوم ثم لا تفارقه فيموت ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا اهـ كرخي.

قوله: ﴿وذكر اسم ربه﴾ (مكبراً) أي: تكبيرة الإحرام التي هي أحد أجزاء الصلاة اهـ شيخنا.

قوله: (وذلك من أمور الآخرة) فيه تمهيد لارتباط هذه الآية بقوله: بل تؤثرون الخ وهو على إضمار القول اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: بل تؤثرون الخ إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل: إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح أنتم لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها، وقد أشار الشارح لهذا المقدر بقوله: وكفار مكة معرضون عنها، والخطاب إما للكفرة فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة بالكلية أو للكل، فالمراد بإيثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الإنسان غالباً من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادىء والالتفات على الأول لتشديد التوبيخ، وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة وتشديد العقاب في حق المسلمين اهـ.

قوله: (بالتحتانية) وعلى هذا يكون الضمير راجعاً للأشقى، قوله: والفوقانية أي: على الالتفات والخطاب للكفار فقط أو لمطلق الناس كما تقدم.

قوله: ﴿وأبقى﴾ أي: لأنها تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية، والدنيا ليست كذلك

المنزلة قبل القرآن ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ وهي عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

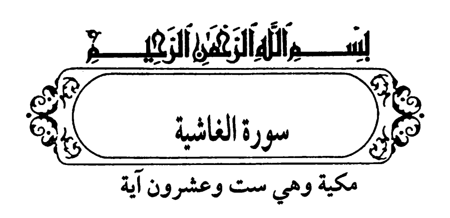
فالآخرة خير من الدنيا، ولأن الدنيا لذاتها مخلوطة بالآلام، والآخرة ليست كذلك، ولأن الدنيا فانية والآخرة باقي والباقي خير من الفاني اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن هذا﴾ أي: المذكور من إفلاح من تزكى الخ كما قال الشارح، وقال الخطيب: والإشارة إلى قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ إلى قوله: ﴿وأبقى﴾ أي: هذا الكلام وارد في تلك الصحف، ولم يرد تعالى إن هذه الألفاظ بعينها في تلك الصحف، بل معناه أن معنى هذا الكلام في تلك الصحف، ثم بيّن تلك الصحف وهي المنزلة قبل القرآن بقوله: صحف إبراهيم وموسى اهـ.

وفي الخازن: إن هذا أي: الذي ذكر من قوله: قد أفلح من تزكى إلى هنا وهو أربع آيات لفي الصحف الأولى أي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وإيثار الدنيا وأن الآخرة خير وأبقى، ثم بين ذلك فقال: صحف إبراهيم وموسى يعني أن هذا القدر المذكور في صحف إبراهيم وموسى، وقيل: إنه مذكور في صحف جميع الأنبياء التي منها صحف إبراهيم وموسى، لأن هذا القدر المذكور في هذه الآيات لا يختلف في شريعة، بل جميع الشرائع متفقة عليه. عن أبي ذر قال: دخلت المسجد فقال رسول الله ﷺ: «إن للمسجد تحية» فقلت: وما تحيته يا رسول الله؟ قال: «ركعتان تركعهما» قلت: يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: «يا أبا ذر أقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى» قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال: «كانت عبراً كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم يغضب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل» أخرج هذا الحديث رزين في كتابه، وذكره ابن الأثير في كتابه جامع الأصول ولم يعلم عليه شيئاً اهـ.

وفي القرطبي: وروى الآجري من حديث أبي ذر قال، قلت: يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً كلها أيها الملك المسلط المبتلي المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من فم كافر وكان فيها أمثال، وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون طامعاً إلا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعينه». قال: قلت فما كانت صحف موسى الخ اهـ.

وقوله: ومرمة لمعاش أي: إصلاح له، وفي القاموس: أرمه يرمه بالضم ويرمه بالكسر رما ومرمة أصلحه اهـ.



سورة الغاشية

مكية وهي ست وعشرون آية

﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ①﴾ القيامة، لأنها تغشى الخلائق بأهوالها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: بالإجماع.

قوله: ﴿هل أتاك﴾ جعلها الشارح بمعنى قد والمعنى عليه قد أتاك الآن حديث الغاشية وليس هذا الماضي إخباراً عن أمر سبق، بل هو إخبار عما وقع له في الحال، فإن قوله: وجوه يومئذ الخ بيان لحديثها وهو قد أتاه في ذلك الوقت لا قبله هذا وفي الشهاب: الظاهر أن هذا الاستفهام أريد به التعجيب والتشويق إلى استماع حديثها المذكور بقوله: وجوه يومئذ الخ اهـ.

قوله: ﴿حديث الغاشية﴾ في المختار: الغشاء الغطاء وجعل على بصره غشاوة بفتح الغين وضمها وكسرها أي: غطاء اهـ.

وفي المصباح: ويقال: إن الغشي تعطل القوى المحركة والأوردة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد أو برد أو جوع مفرط، وقيل: الغشي هو الإغماء، وقيل: الإغماء امتلاء بطون الدماغ من بلغم بارد غليظ، وقيل: إغماء سهو يلحق الإنسان مع فتور الأعضاء لعلة، وغشيته أغشاه من باب تعب أتيته والاسم الغشيان بالكسر اهـ.

وفي البيضاوي: الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيامة اهـ.

قوله: ﴿وجوه يومئذ﴾ إلى قوله: ﴿مبثوثة﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه السلام ما أتاني حديثها وما حديثها؟ فقيل: وجوه يومئذ أي: يوم إذا غشيت. قال ابن عباس: لم يكن أتاه حديثها فأخبره الله تعالى فقال: وجوه الخ، فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لأنها في موضع التنويع، وخاشعة خبره، وعاملة ناصبة خبران آخران لوجوه، وتصلى ناراً خبر آخر لوجوه اهـ أبو السعود.

وفي السمين: وجوه مبتدأ وخاشعة عاملة ناصبة صفات للمبتدأ الذي هو وجوه، وتصلى هو الخبر اهـ.

عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال ﴿تَصْلَىٰ﴾ بضم التاء وفتحها ﴿نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ شديدة

قوله: ﴿يومئذ﴾ أي: يوم إذ غشيت، فالتنوين عوض عن الجملة، ولم تتقدم جملة تصلح أن يكون التنوين عوضاً عنها، لكن تقدم ما يدل عليها وهو لفظ الغاشية، وأل موصولة باسم الفاعل فتنحل للتي غشيت أي للداهية التي غشيت، فالتنوين عوض عن هذه الجملة التي انحل لفظ الغاشية إليها، والآية نزلت في القسيسين وعباد الأوثان وفي كل مجتهد في كفر اهـ بحر.

قوله: (عبر بها عن الذوات) أي: فعبر بالجزاء عن الكل، وخص الوجه لأنه أشرف أعضاء الإنسان اهـ خازن.

ولأن الذل يظهر عليه أولاً دون غيره اهـ.

قوله: (بالسلاسل والأغلال) أي بسبب جر السلاسل وحمل الأغلال، وكل منهما متعلق بكل من عاملة وناصبة. وعبارة أبي السعود: عاملة ناصبة أي: تعمل أعمالاً شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والأغلال والخوض في النار خوض الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها، انتهت.

وعبارة الخطيب: عاملة ناصبة أي ذات نصب وتعب قال سعيد بن جبير، عن قتادة: تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فأعملها الله تعالى وأنصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الأغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وقال ابن مسعود: تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل، وقال الحسن: لم تعمل لله فهي الدنيا ولم تنصب له فأعملها وأنصبها في جهنم، وقال ابن عباس: هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله تعالى أو على الكفر مثل عبدة الأوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم إلا ما كان خالصاً له. وعن علي أنهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله ﷺ فقال: «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مَعَ أعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» الحديث اهـ.

قوله: (بضم التاء وفتحها) قراءتان سبعيتان، والضمير على كلتا القراءتين للوجوه والمعنى تدخل اهـ خطيب.

قوله: ﴿ناراً حامياً﴾ أي قد أحميت وأوقد عليها مدة طويلة، قال ﷺ: «أحمي عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة» ولما ذكر مكانهم ذكر شرابهم فقال تسقى الخ، فالضمير في تسقى للوجوه، ولما ذكر شرابهم أتبعه بذكر طعامهم فقال: ليس لهم طعام إلا من ضريع الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿آنية﴾ صفة لعين اهـ سمين.

وفي البيضاوي: آنية أي بلغت أناها في الحرارة اهـ.

وفي القاموس: وأني الحميم انتهى حره فهو آن وبلغ هذا أناه ويكسر أي غايته اهـ.

الحرارة ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ⁦(٦)⁩﴾ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن

قوله: (هو نوع من الشوك) عبارة الخطيب: قال مجاهد: هو نبت ذو شوك لاطىء بالأرض تسميه قريش الشبرق، فإذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأشنعه قال الكلبي: لا تقربه دابة إذا يبس، وقال ابن زيد: أما في الدنيا فإن الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار، وجاء في الحديث، عن ابن عباس يرفعه «الضريع شجر في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرارة من النار». قال أبو الدرداء، والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عنهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع وهو ذو غصة فيغصون به، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة، ثم يسقون من عين آنية لا هنيئة ولا مريئة، فإذا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ [محمد: ١٥]. قال بعض المفسرين: فلما نزلت هذه الآية قال بعض المشركين إن إبلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطباً ويسمى شبرقاً، فإذا يبس لا يأكله شيء، وعلى تقدير أن يصدقوا فيكون المعنى إن طعامكم من ضريع ليس من جنس ضريعكم إنما هو ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع، فإن قيل: كيف قال ليس لهم طعام إلا من ضريع وفي الحاقة قال: ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ [الحاقة: ٣٦]؟ أجيب: بأن العذاب ألوان والمعذبون طبقات، فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع، ولكل باب منهم جزء مقسوم اهـ.

وفي القاموس: والشبرق كزبرج رطب الضريع واحدته بهاء اهـ.

وفي أبي السعود: لا يسمن ولا يغني من جوع أي ليس من شأنه الإسمان ولا الإشباع كما هو شأن طعام أهل الدنيا، وإنما هو شيء يضطرون إلى أكله من غير أن يكون فيه دفع لضرورتهم، لكن لا على أن لهم استعداداً للشبع والسمن إلا أنه لا يفيدهم شيئاً منهما، بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا إفادة من جهة طعامهم، وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للإنسان عند استدعاء الطبيعة إلى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الأكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمناً عند انهضامهما، بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند إضرام النار في أحشائهم إلى إدخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب، وإما أن يكون لهم شوق إلى مطعوم ما أو التلذذ به عند الأكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات، وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم إلى شيء مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة به. في الجملة، وهو المعنى بما روي أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم إلى أكل الضريع، فإذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم إلى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أي لا يغني من جوع ما اهـ.

قوله: ﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ كل منهما صفة لضريع، لأنه مثبت نفي عنه الإسمان

جوع ﴿٧﴾ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾﴾ حسنة ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ حساً ومعنى ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ أي نفس ذات لغو، أي هذيان من الكلام ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ بالماء بمعنى عيون ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ ذاتاً وقدراً

والإغناء من الجوع، فهما في محل جر وليسا في محل رفع صفة لطعام لعدم صحة المعنى كما لا يخفى فتأمل اهـ سمين.

وفي الشهاب: قوله: لا يسمن أي لا يحصل السمن لآكله، ولا يغني من جوع أي لا يدفع جوعاً فمن زائدة ووصفه بما ذكر يدل على أنه لا فائدة فيه لأن نفع المأكول دفع ألم الجوع وتسمين البدن، فإذا خلا عن ذلك علم أنه شيء مكروه منفور عنه اهـ.

قوله: (ناعمة حسنة) أي ذات بهجة وحسن، وقيل: منعمة اهـ خطيب.

وعبارة القرطبي: ناعمة أي ذات نعمة وهي وجوه المؤمنين نعمت بما عاينت من عاقبة أمرها وعملها الصالح اهـ.

ثم قال: وفيها واو مضمرة، والمعنى وجوه لتفصل بينها وبين الوجوه المتقدمة اهـ.

وفي أبي السعود: وإنما لم تعطف عليها إيذاناً بكمال تباين مضمونيها اهـ.

قوله: ﴿لسعيها راضية﴾ اللام بمعنى الباء متعلقة براضية الواقعة خبراً ثانياً، أي وجوه راضية بسعيها أي بعملها حين رأت ثوابه كما أشار له البيضاوي قوله: (حساً ومعنى) أما حساً فهو العلو في المكان لأن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، فبين الدرجتين مثل ما بين السماء والأرض والعلو المعنوي هو الشرف اهـ رازي.

قوله: (لا يسمع بالياء والتاء) فعلى قراءة الياء الفعل مبني للمفعول لا غير، وعلى قراءة التاء الفوقية الفعل مبني للفاعل أي لا تسمع أنت يا مخاطب أو لا تسمع الوجه، وبالبناء للمفعول أيضاً القراءات ثلاثة كما في البيضاوي. وفي السمين: قوله: لا يسمع قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء من تحت مضمومة على ما لم يسم فاعله لاغية رفعاً لقيامه مقام الفاعل، وقرأ نافع كذلك إلا أنه بالتاء من فوق والتذكير والتأنيث واضحان لأن التأنيث مجازي، وقرأ الباقون بفتح التاء من فوق ونصب لاغية، فيجوز أن تكون التاء للخطاب أي لا تسمع أنت وأن تكون للتأنيث أي لا تسمع الوجوه، وقرأ المفضل والجحدري: لا يسمع بياء الغيبة مفتوحة لاغية نصباً أي لا يسمع فيها أحد، ولاغية: يجوز أن يكون صفة لكلمة على معنى النسب أي ذات لغو أو على إسناد اللغو إليها مجازاً، وأن تكون صفة لجماعة أي جماعة لاغية، وأن تكون مصدراً كالعافية والعاقبة كقوله: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً﴾ [الغاشية: ١٢] اهـ.

قوله: ﴿فيها عين جارية﴾ أي على وجه الأرض من غير أخدود لا ينقطع جريها أبداً اهـ خازن.

قوله: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء ما يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها اهـ خازن.

ومحلاً ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أقداح لا عرى لها ﴿مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ على حافات العيون معدة لشربهم ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ بعضها يجنب بعضها يستند إليها ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بسط طنافس لها خمل ﴿مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ مبسوطة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ أي كفار مكة نظر اعتبار ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ ﴿وَإِلَى

قوله: ﴿وأكواب﴾ جمع كوب بضم الكاف وسكون الواو مثل قفل وأقفال، والكوب إناء لا عروة له ولا خرطوم. وقوله: موضوعة فيه وجوه، أحدها: أنها معدة لأهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيئاً فيقول هو ههنا موضوع بمعنى معد. ثانيها: موضوعة على حافات العين الجارية كلما أراد الشرب وجدها مملوءة بالشراب. ثالثها: موضوعة بين أيديهم لاستحسانهم إياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو جواهر وتلذذهم بالشراب فيها. رابعها: أن يكون المراد موضوعة عن حد الكبر أي هي أوساط بين الكبر والصغر كقوله: قدروها تقديراً اهـ خطيب.

قوله: ﴿ونمارق﴾ جمع نمرقة بضم النون والراء وكسرها لغتان أشهرهما الأولى وهي وسادة صغيرة اهـ خطيب.

وقوله: مصفوفة قال الواحدي: أي فوق الطنافس اهـ.

قوله: (يستند إليهم﴾ أي ويتكأ عليها اهـ بحر.

قوله: ﴿وزرابي﴾ جمع زربية بتثليث الزاي اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الزرابي النمارق والبسط أو كل ما يبسط ويتكأ عليها الواحد زربي بالكسر ويضم اهـ.

فقوله: مبثوثة قال قتادة مبسوطة، وقال عكرمة بعضها فوق بعض، وقال الفراء: كثيرة، وقال القتيبي: مفرقة في المجالس، قال القرطبي: وهذا أصح فهي كثيرة متفرقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ [البقرة: ١٦٤] اهـ خطيب.

قوله: (طنافس) جمع طنفسة بتثليث الطاء والفاء ففيه تسع لغات وهو صفة بسط اهـ شيخنا.

وهي المسماة الآن بالسجادة فتسمى سجادة وطنفسة وزربية.

قوله: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ استئناف مسوق لتقرير ما مضى من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره، والهمزة للإنكار والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام تقديره: أينكرون البعث فلا ينظرون، وكيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر، والجملة في محل الجر على أنها بدل اشتمال من الإبل أي أينكرون ما ذكر من البعث ونحوه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين إلى أنها كيف خلقت خلقاً بديعاً معدولاً به عن سنن خلق سائر أنواع الحيوانات اهـ أبو السعود.

وبدأ بالإبل لكثرة منافعها كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها إلى البلاد البعيدة، وعيشها بأي نبات أكلته كالشجر والشوك، وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر، وطواعيتها

ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾﴾ ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ أي بسطت، فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته، وصدرت بالإبل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها، وقوله سطحت ظاهر في أن الأرض سطح وعليه علماء الشرع، لا كرة كما قاله أهل الهيئة، وإن لم ينقض ركناً من أركان الشرع ﴿فَذَكِّرۡ﴾ هم نعم الله ودلائل توحيده ﴿إِنَّمَآ أَنتَ

لكل من قادهـا ولو صبياً صغيراً، أو نهوضها وهي باركة بالأحمال الثقيلة، وتأثرها بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها ولا شيء من الحيوان جمع هذه الأشياء غيرها، ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية القتل، وإنما لم يذكر الفيل مع أنه أعظم منها لأنه غير معروف عندهم، ولأنه لا يؤكل لحمه ولا يحلب ضرعه ولا يركب ظهره، والإبل اسم جمع لا واحد له من لفظه وإنما واحده بعير وناقة وجمل اهـ زاده.

فإن قيل: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والأرض والجبال ولا مناسبة؟ أجيب: بأن بينهما مناسبة من وجهين.

أحدهما: أن القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيراً في أوديتهم وبراريهم مستوحشين ومنفردين عن الناس، والإنسان إذا انفرد أقبل على التفكير في الأشياء لأنه ليس معه من يحادثه وليس هناك من يشغل به سمعه وبصره، فلا بد من أن يجعل دأبه التفكر، فإذا تفكر في تلك الحال فأول ما يقع بصره على البعير الذي هو راكبه فيرى منظراً عجيباً، وإن نظر إلى فوق لم ير غير السماء، وإن نظر يميناً وشمالاً لم ير غير الجبال، وإن نظر إلى تحت لم ير غير الأرض، فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر.

الوجه الثاني: أن جميع المخلوقات دالة على الصانع جلت قدرته إلا أنها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب والفضة، فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر، ومنها ما لاحظ فيه للشهوة كهذه الأشياء فأمر بالنظر فيها إذ لا مانع من إكمال النظر فيها اهـ خطيب.

قوله: ﴿كيف خلقت﴾ كيف منصوبة بخلقت على الحال، والجملة بدل من الإبل بدل اشتمال في محل جر، وينظرون تعدى إلى الإبل بواسطة إلى، وتعدى إلى كيف خلقت على سبيل التعليق، وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها وإن لم يكن فيه استفهام على خلاف في ذلك كقولهم: عرفت زيداً أبو من هو، والعرب يدخلون إلى على كيف، فيقولون انظر إلى كيف يصنع وكيف سؤال عن حال، والعامل فيها خلقت وإذا علق العامل عما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته اهـ بحر.

قوله: ﴿كيف رفعت﴾ أي فوق الأرض من غير عمد ولم يكن لها شيء يحملها اهـ خازن.

قوله: ﴿كيف نصبت﴾ أي على وجه الأرض نصباً ثابتاً راسخاً لا يتزلزل اهـ خازن.

قوله: (فيستدلون بها) معطوف على قوله: أفلا ينظرون. قوله: (وصدرت) أي هذه الأربعة المذكورة اهـ.

قوله: (وإن لم ينقض) أي ما قاله أهل الهيئة من القواعد التي بينوها ركناً أي قاعدة، فإن ما قالوه

مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ وفي قراءة بالصاد بدل السين، أي بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿ إِلَّا ﴾ لكن ﴿ مَن تَوَلَّىٰ ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾ بالقرآن ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ رجوعهم بعد الموت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ جزاءهم لا نتركه أبداً.

لا ينقض من أركان الشرع شيئاً فهي كرة عند علماء الهيئة بطبعها وحقيقتها، لكن الله تعالى أخرجها عن طبعها وحقيقتها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لإقامة الحيوانات عليها، فأخرجه عما يقتضيه طبعها اهـ كرخي.

قوله: ﴿فذكِّر﴾ الخ لما ذكر تعالى دليل توحيده ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه وأمره بأن يذكرهم اهـ خازن.

وقوله: إنما أنت مذكر تعليل للأمر بالتذكير اهـ.

قوله: (وفي قراءة بالصاد) أي سبعية.

قوله: ﴿إلا﴾ (لكن) أي فالاستثناء منقطع من الهاء في عليهم وقيل متصل ويكون مستثنى من مفعول فذكر أي فذكر عبادي إلا من تولى اهـ سمين.

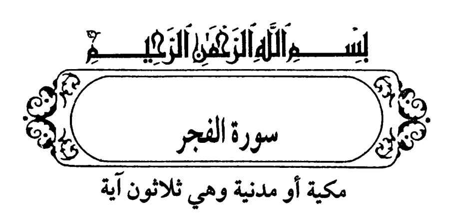
وفي الشهاب: قوله: لكن من تولى الخ أي فالاستثناء منقطع ومن مبتدأ مضمن معنى الشرط وفيعذبه جزاؤه اهـ.

قوله: ﴿إنّ إلينا إيابهم﴾ تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر أي إنّ إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا لا استقلالاً ولا اشتراكاً، ثم إنّ علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان، فإن الترتب الزماني بين إيابهم وحسابهم لا بين كون إيابهم إليهم تعالى وحسابهم عليه تعالى، فإنهما أمران مستمران، وجمع الضمير في إيابهم وحسابهم باعتبار معنى من كما أن إفراده في يعذبه باعتبار لفظها وفي تصدير الجملتين بأن وتقديم خبرها وعطف الثانية على الأولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى اهـ أبو السعود.

وقال الخطيب: فإن قيل: ما معنى تقديم الظرف؟ أجيب: بأن معنى التشديد في الوعيد وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبال المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير اهـ.

وفي المختار: آب رجع وبابه قال وأوبة وإياباً أيضاً اهـ.

قوله: ﴿إن علينا حسابهم﴾ أي بمقتضى وعيدنا لا وجوباً اهـ كرخي.



سورة الفجر

مكية أو مدنية وهي ثلاثون آية

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾ أي فجر كل يوم ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ أي عشر ذي الحجة ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾ الزوج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي في قول الجمهور، أو مدنية في قول علي بن أبي طلحة اهـ من البحر.

قوله: (أي فجر كل يوم) عبارة القرطبي: واختلف في الفجر فقال قوم: الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله علي، وابن الزبير، وابن عباس رضي الله عنهم، وعن ابن عباس أيضاً: أنه النهار كله وعبّر عنه بالفجر لأنه أوله، وعن ابن عباس: أنه فجر أول يوم من المحرم منه تنفجر السنة، وعنه أيضاً: صلاة الصبح، وعن ابن عباس أيضاً: أنه فجر يوم النحر، وعن الضحاك: فجر أول يوم من ذي الحجة، لأن الله تعالى قرن الأيام به فقال: وليال عشر أي من ذي الحجة اهـ.

قوله: ﴿وليال عشر والشفع والوتر﴾ كل من هذه الثلاثة يقرأ بالترقيق في الوصل وبالتفخيم في الوقف، وأما يَسْرِ فيقرأ بالترقيق وصلاً ووقفاً اهـ شيخنا.

قوله: (أي عشر ذي الحجة) وإنما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها، لأنها أفضل ليالي السنة، ولو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير فنكرت من بين ما أقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها، وعن ابن عباس: هي العشر الأواخر من رمضان، وعنه أيضاً: أنها العشر الأول من المحرم اهـ قرطبي.

قوله: (الزوج الخ) وقال مجاهد ومسروق: الشفع الخلق كله. قال الله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ الكفر والايمان، والهدى والضلال، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس، والوتر هو الله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] وقال قتادة: هما الصلوات، منها شفع ومنها وتر، روي ذلك عن عمران بن حصين. وروي مرفوعاً عن ابن عباس: «الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب». وقال الحسين بن الفضل: الشفع درجات الجنة لأنها ثمان درجات، والوتر دركات النار لأنها سبع دركات، وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر، فقال: الشفع تضاد أوصاف المخلوقين من العز والذل، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل، وقدرة بلا

﴿ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ ﴾ بفتح الواو وكسرها لغتان الفرد ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾ مقبلاً ومدبراً ﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ ﴾ القسم

عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت. وعن عكرمة: الوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر، واختاره النحاس وقال: هو الذي صح عن النبي ﷺ: «فيوم عرفة وتر لأنه تاسع، ويوم النحر شفع لأنه عاشر» وقال ابن الزبير: الشفع الحادي عشر والثاني عشر من أيام منى، والوتر الثالث عشر، وقال الضحاك: الشفع عشر ذي الحجة والوتر أيام منى الثلاثة، وقيل: الشفع والوتر آدم عليه السلام كان وتراً فشفع بزوجته حواء حكاه القشيري عن ابن عباس اهـ خطيب.

قوله: (بفتح الواو وكسرها) فقرأ الاخوان بكسر الواو، والباقون بفتحها وهما لغتان كالحبر والحبر والفتح لغة قريش ومن والاها والكسر لغة تميم اهـ سمين.

قوله: ﴿والليل﴾ قسم خامس بعدما أقسم بالليالي العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم، وقيل: الليل هنا هو ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى، وقيل: ليلة القدر لسريان الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب اهـ قرطبي.

وقوله: إذا يسر إذا معمول لمحذوف هو فعل القسم أي أقسم بالليل وقت سراه، وحذف نافع وأبو عمرو ياء يسر وقفاً، وأثبتاها وصلاً، وأثبتها ابن كثير في الحالين، وحذفها في الحالين الباقون لسقوطها في خط المصحف الكريم، وإثباتها هو الأصل لأنها لام فعل مضارع مرفوع، وحذفها لموافقة المصحف وموافقة رؤوس الآي ونسبة السرى إلى الليل مجاز، والمراد يسرى فيه اهـ سمين.

أي فهو مجاز في الإسناد بإسناد ما للشيء للزمان كما يسند للمكان، والظاهر أنه مجاز مرسل أو استعارة اهـ شهاب.

ويسر: مأخوذ من السرى وهو خاص بسير الليل. وفي المصباح: سريت الليل وسريت به سرى، والاسم السراية إذا قطعته بالسير، وأسريت بالألف لغة حجازية ويستعملان متعديين بالباء إلى المفعول، فيقال: سريت بزيد أو سريت به والسرية بضم السين وفتحها أخص يقال: سرينا سرية من الليل وسرية، والجمع السرى مثل مدية ومدى، قال أبو زيد: ويكون السرى أول الليل وأوسطه وآخره، وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيهاً لها بالأجسام مجازاً واتساعاً قال الله تعالى: ﴿والليل إذا يسر﴾ المعنى إذا يمضي، وقال البغوي: إذا سار وذهب، وقال الفارابي: يسري فيه الفم والخمر ونحوهما، وقال السرقسطي: سرى عرق السوء من الإنسان، وزاد ابن القطاع على ذلك وسرى عليه الهم أتاه ليلاً وسرى همه ذهب، وإسناد الفعل إلى المعاني كثير في كلامهم نحو طاف الخيال وذهب الهم وأخذه الكسل والنشاط، وقول الفقهاء سرى الجرح إلى النفس معناه دام ألمه حتى حدث منه الموت، وقطع كفه فسرى إلى ساعده أي تعدى أثر الجرح، وسرى التحريم وسرى العتق بمعنى التعدية، وهذه الألفاظ جارية على ألسنة الفقهاء وليس لها ذكر في الكتب المشهورة لكنها موافقة لما تقدم اهـ.

وفي المختار: وسرى يسري بالكسر سرى بالضم، وسرى بالفتح وأسرى أيضاً أي سار ليلاً اهـ.

﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ عقل، وجواب القسم محذوف، أي لتعذبن يا كفار مكة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا

قوله: ﴿هل في ذلك الخ﴾ تحقيق وتقرير لفخامة شأن الأمور المقسم بها، وكونها أموراً خليقة حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول، وتنبيه على أن الأقسام بها أمر معتد به خليق بأن تؤكد به الأخبار على طريقة قوله: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ [الواقعة: ٧٦] وذلك إشارة إما إلى الأمور المقسم بها والتذكير بتأويل وما ذكر أو إلى الإقسام بها وأيّاً ما كان فما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل والشرف أي: هل فيما ذكر من الأشياء قسم أي مقسم به لذي حجر يراه حقيقاً بأن يقسم به إجلالاً وتعظيماً، والمراد تحقيق أن الكل كذلك، وإنما أوثرت هذه الطريقة إيذاناً بظهور الأمر أو هل في إقسامي بتلك الأشياء إقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه اهـ أبو السعود.

قال زكريا: الاستفهام للتقرير اهـ.

فإن قلت: ما فائدة قوله هل في ذلك قسم لذي حجر بعد أن أقسم بالأشياء المذكورة؟ قلنا: هو لزيادة التأكيد والتحقيق للقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال أفيما ذكرته حجة اهـ زاده.

وفي القرطبي: وقال مقاتل: هل هنا في موضع إن تقديره إن في ذلك قسماً لذي حجر، فهل على هذا في موضع جواب القسم، وقيل: هي على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير كقولك: ألم أنعم عليك إذا كنت قد أنعمت، وقيل: المراد بذلك التأكيد لما أقسم به وأقسم عليه، والمعنى بل ذلك مقنع لذي حجر؟ والجواب على هذا: إن ربك لبالمرصاد أو مضمر محذوف اهـ.

قوله: (القسم) أي الحلف أي جنس القسم وهو خمسة، وكذا قوله وجواب القسم الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لذي حجر﴾ سمي العقل بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغي، كما سمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن القبائح ونهى لأنه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي، وأصل الحجر المنع ولا يقال لذي حجر إلا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كأنه حجر على نفسه ومنعها ما تريد اهـ خازن.

قوله: (وجواب القسم محذوف الخ) وقيل: هو مذكور وهو قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ قاله ابن الأنباري، وقيل: محذوف لدلالة المعنى عليه أي ليجازين كل أحد بما عمل بدليل تعديد ما فعل بالقرون الخالية، وقدره الزمخشري ليعذبن قال: يدل عليه أم ترَ كيف إلى قوله فصب عليهم، وقدره الشارح بما دلت عليه خاتمة السورة قبله أي لإيابهم إلينا وحسابهم علينا، وقال مقاتل: هل هنا في موضع إن تقديره إن في ذلك قسماً لذي حجر، فهل على هذا في موضع جواب القسم اهـ.

وهذا قول باطل لأنه لا يصلح أن يكون مقسماً عليه على تقدير تسليم أن التركيب هكذا، وإنما ذكرته للتنبيه على سقوطه اهـ سمين.

قوله: ﴿ألم تر﴾ رأى علمية وإنما أطلق لفظة الرؤية على العلم لأن أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم، والخطاب في ترى للنبي ﷺ ولكنه عام لكل أحد اهـ خازن.

والمعنى ألم تعلم علماً يقينياً كيف عذب ربك عاداً ونظائرهم فسيعذب هؤلاء أيضاً لاشتراكهم

محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴿٦﴾﴾ ﴿إِرَمَ﴾ هي عاد الأولى، فإرم عطف بيان أو بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴿٧﴾﴾ أي الطول، كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ

فيما يوجبه من الكفر والمعاصي اهـ أبو السعود.

وهذا شروع في بيان أحوال الأمم الماضية، وذكر منهم عاد قوم هود، وثمود قوم صالح، وفرعون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إرم﴾ هو في الأصل اسم جد عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، ثم جعل لفظ عاد اسماً للقبيلة كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني تميم تميم، ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى وعاد إرم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة اهـ خطيب.

عاش عاد المذكور ألف سنة ومائتي سنة ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة ومات كافراً اهـ كرخي.

قوله: (عطف بيان) أي فهو مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف للعلمية والتأنيث.

قوله: ﴿ذات العماد﴾ أي الطول. يقال: رجل معمد إذا كان طويلاً ونحوه عن ابن عباس ومجاهد، وعن قتادة أيضاً: كانوا عماداً لقومهم يقال فلان عماد القوم وعمودهم أي سيدهم، وعنه أيضاً: قيل لهم ذلك لأنهم كانوا ينتقلون بأبياتهم للانتجاع، فكانوا أهل خيام وأعمدة ينتجعون الغيوث ويطلبون الكلأ، ثم يرجعون إلى منازلهم، وقيل ذات العماد أي ذات الأبنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور، قال ابن زيد: ذات العماد يعني أحكام البنيان بالعمد وفي الصحاح: والعماد الأبنية الرفيعة تذكر وتؤنث والواحدة عمادة وفلان طويل العماد إذا كان منزله معلوماً لزائره، وقال الضحاك: ذات العماد ذات القوة والشدة مأخوذة من قوة الأعمدة دليله قوله تعالى: ﴿وقالوا من أشد منا قوة﴾ [فصلت: ١٥] وروى عوف عن خالد الربعي: أن ارم ذات العماد هي دمشق وهو قول عكرمة وسعيد المقبري، وقال محمد بن كعب القرظي: هي الإسكندرية اهـ قرطبي.

وفي المصباح: العماد ما يسند به والجمع عمد بفتحتين، والعماد الأبنية الواحدة عمادة اهـ.

قوله: (كان طول الطويل الخ) الذي في الكازروني طول الطويل منهم خمسمائة ذراع والقصير ثلاثمائة ذراع بذراع نفسه اهـ.

قال ابن العربي: وهو باطل لأن في الصحيح أن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في الهواء، فلم يزل الخلق ينقصون إلى الآن، وزعم قتادة أن طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعاً اهـ قرطبي.

قوله: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا: من أشد منا قوة، وقيل: سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشد عمده ورفع بناءه، وقيل: كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد، فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها، وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها ودعته نفسه إلى بناء مثلها عتوا على الله وتجبراً، فروى وهب بن منبه، عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له

مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ في بطشهم وقوتهم ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ﴾ قطعوا ﴿ ٱلصَّخْرَ ﴾ جمع صخرة

شردت فبينما هو يسير في صحارى عدن إذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة، فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله عن إبله فلم ير خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابته وعقلها وسلَّ سيفه ودخل من باب المدينة، فإذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر، فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت، وإذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضاً وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فلما عاين ذلك ولم ير أحداً هاله ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا في تلك الأزقة أشجار مثمرة وتحت تلك الأشجار انهار يجري ماؤها في قنوات من فضة، فقال الرجل في نفسه: هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى، فبلغ ذلك معاوية فأرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار فلما أتاه قال له: يا إسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال: فحدثني حديثها فقال: لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان، وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الأرض ليجدوا أرضاً موافقة فوقفوا على صخرة نقية من التلال وإذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا: هذه الأرض التي أمر الملك أن يبني فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليماني وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة، وكان عمر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه وقد فرغوا منها قال: انطلقوا فاجعلوا حصناً يعني سوراً واجعلوا حوله ألف قصر، وعند كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا، وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤوا للنقلة إلى إرم ذات العماد، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين. ثم ساروا إليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً ولم يبق منهم أحد، ثم قال كعب: وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال، وعلى عنقه خال يخرج في طلب إبل له، ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال: هذا والله ذلك الرجل اهـ خازن.

قوله: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ يجوز أن يكون تابعاً وأن يكون مقطوعاً رفعاً أو نصباً، والعامة على يخلق مبنياً للمفعول ومثلها مرفوع على ما لم يسم فاعله، وعن ابن الزبير لم يخلق مبنياً للفاعل مثلها منصوب به، وعنه أيضاً نخلق بنون العظمة اهـ سمين.

قوله: (في بطشهم) متعلق بمثلها، والضمير في بطشهم يعود لتلك القبيلة والتذكير باعتبار كونها ناساً كثيرين اهـ.

قوله: ﴿الذين جابوا الصخر﴾ صفة لثمود وبالوادي متعلق بجابوا والباء في الوادي بمعنى في، وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة اهـ شيخنا.

وفي المختار: وجاب خرق وقطع وبابه قال، ومنه قوله تعالى: وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وجبت البلاد بضم الجيم من باب قال وباع وأوجبتها قطعتها اهـ.

واتخذوها بيوتاً ﴿بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ وادي القرى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ كان يتد أربعة أوتاد يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟﴾ تجبروا ﴿فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١﴾ ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢﴾ القتل وغيره ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾ نوع ﴿عَذَابٍ ۝١٣﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ يرصد أعمال العباد فلا يفوته

قوله: (واتخذوها بيوتاً) قيل: أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود، وروي أنهم بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة، وقيل: سبعة آلاف مدينة كلها من الحجارة اهـ خطيب.

قوله: ﴿بالواد﴾ بالياء نطقاً لا رسماً لأنها من ياءات الزوائد اهـ شيخنا.

وقوله: وادي القرى هو موضع بقرب المدينة من جهة الشام، وقيل: الوادي بين جبال وكانوا ينقبون في تلك الجبال بيوتاً ودوراً وأحواضاً، وكل منفرج بين جبال أو تلال يكون مسلكاً للسيل ومنفذاً فهو واد اهـ قرطبي.

قوله: (كان يتد أربعة أوتاد) أي: يدقها للمعذب ويشده بها مسطوحاً على الأرض ثم يعذبه بما يريد من ضرب وإحراق وغيرهما اهـ شهاب.

وقيل: المراد بالأوتاد الجنود والعساكر والجيوش والجموع التي تشد ملكه قال ابن عباس اهـ قرطبي.

وفي المصباح: الوتد بكسر التاء في لغة الحجاز وهي الفصحى وجمعه أوتاد وفتح التاء لغة، وأهل نجد يسكنون التاء فيدغمون بعد القلب فيبقى ود، ووتدت الوتد أتده وتداً من باب وعد أثبته بحائط أو بالأرض وأوتدته بالألف لغة اهـ.

قوله: ﴿الذين طغوا﴾ إما مجرور على أنه صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم أي طغى كل طائفة منهم في بلادهم اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: قوله: الذين طغوا صفة لعاد وثمود وفرعون كما هو قضية تقريره، وأجاز أبو البقاء أن يكون صفة لفرعون وأتباعه واستغنى بذكره عن ذكرهم اهـ.

قوله: ﴿فصب﴾ أي: أنزل عليهم ربك سوط عذاب يعني نوعاً من العذاب صبه عليهم، وقال أهل المعاني: هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب، وقال الفراء: هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب، وأصل ذلك أن السوط هو عذابهم الذين يعذبون به فجرى لكل عذاب إذا كان فيه غاية العذاب اهـ خطيب.

قوله: (نوع) ﴿عذب﴾ فأهلكت عاد بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون بالغرق فكلا أخذنا بذنبه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ تعليل لما قبله إيذاناً بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير عليه السلام اهـ أبو السعود.

منها شيء ليجازيهم عليها ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ﴾ بالمال وغيره

قوله: (يرصد أعمال العباد الخ) ففيه استعارة تمثيلية شبه كونه تعالى حافظاً لأعمال العباد مراقباً لها ومجازياً على نقيرها وقطميرها بحيث لا ينجو منه أحد، بحال من قعد على الطرق مترصداً لمن يسلكها ليأخذه فيوقع به ما يريد، ثم أطلق لفظ أحدهما على الآخر اهـ شهاب.

وفي المصباح: وقعد فلان بالمرصد وزان جعفر، وبالمرصاد بالكسر وبالمرتصد أيضاً أي بطريق الارتقاب والانتظار وربك لك بالمرصاد أي مراقبك فلا يخفى عليه شيء من أفعالك ولا تفوته اهـ.

وفي المختار: رصد من باب قتل اهـ.

قوله: ﴿فأما الإنسان﴾ مبتدأ خبره فيقول والظرف وهو إذا منصوب بالخبر لأن الظرف في نية التأخير ولا تمنع الفاء من ذلك، وهذا هو الصحيح ودخول الفاء الثانية في الخبر لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في نية التأخير كأنه قال: فأما الإنسان فقائل ربي أكرمني وقت الابتلاء، وأما الفاء الأولى من فأما الإنسان فهي متصلة بقوله: إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة التي تنفعه في الآخرة، فأما الإنسان فلا يريد إلا الدنيا العاجلة، وأما هنا لمجرد التأكيد لا لتفصيل المجمل مع التأكيد، وفي القرطبي: إذا ما ابتلاه ربه أي: امتحنه واختبره بالنعمة وما زائده صلة فأكرمه بالمال ونعمه بما أوسع عليه اهـ.

وقابل قوله: ونعمه بقوله فقدر عليه رزقه ولم يقابل فأكرمه بلفظ فأهانه، لأنه ليس من ضيق عليه الرزق كان ذلك إهانة له، ألا ترى إلى ناس كثيرين من أهل الصلاح مضيقاً عليهم الرزق اهـ من البحر مع زيادة من أبي السعود.

وفي السمين: قال الزمخشري، فإن قلت: بم اتصل قوله فأما الإنسان؟ قلت: بقوله إن ربك لبالمرصاد، فكأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة، فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا العاجلة اهـ.

يعني بالتعلق من حيث المعنى وكيف عطفت هذه الجملة التفصيلية على ما قبلها مترتبة عليه.
وفي الخطيب: فإن قيل: كيف سمي كل من الأمرين من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء؟ أجيب: بأن كلاً منهما اختبار للعبد فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر، وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة، فإن قيل: فهلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه؟ أجيب: بأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلاً، وأما التقتير فليس بإهانة، لأن الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة ولكن يكون تركاً للكرامة، وقد يكون المنعم مكرماً ومهيناً وغير مكرم ولا مهين، وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية، وإذا لم يهد إليك لا تقول أهانني ولا أكرمني اهـ.

قوله: (اختبره) أي: عامله معاملة المختبر. قوله: (بالمال وغيره) كالجاه والولد. قوله: ﴿ونعمه﴾ أي: جعله متلذذاً مترفاً بما أنعم الله به عليه اهـ خطيب.

﴿وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع أي ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ لا يحسنون إليه مع غناهم، أو لا يعطونه حقه من الميراث ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ﴾ أنفسهم ولا غيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾ أي إطعام ﴿ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ أي شديد اللمم نصيب النساء والصبيان من

قوله: ﴿فيقول ربي أكرمني﴾ أي: فضلني وأكرمني وأهانني قرأهما نافع بإثبات يائهما وصلاً وحذفهما وقفاً من غير خلاف عنه، والبزي عن ابن كثير يثبتهما في الحالين وأبو عمرو اختلف عنه في الوصل فروي عنه فيه الإثبات والحذف والباقون يحذفونهما في الحالين وعلى الحذف قوله:

إذا ما انتسبت له أنكرن

يريد أنكرني اهـ سمين.

قوله: ﴿فقدر عليه رزقه﴾ بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان وهما بمعنى اهـ سمين.

قوله: (ردع) أي: عن الشقين بدليل تفسيره، وفي الخطيب: ثم رد الله على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة بقوله: ﴿كلا﴾ أي: ليس الإكرام الخ اهـ.

قوله: (وكفار مكة الخ) دخول على قوله: بل لا يكرمون اليتيم، وقوله: لذلك أي لكون الإكرام بالطاعة والإهانة بالكفر والمعاصي، وكثير من المؤمنين يظن أنه إنما أعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله، وربما يقول بجهله لو لم أستحق هذا ما أعطاه الله لي، وكذا إذا اقتر عليه يظن أن ذلك لهوانه عند الله، وقال الفراء. وفي هذا الموضع كلا بمعنى لم يكن ينبغي للعبد أن يكون هكذا، ولكن يحمد الله عز وجل على الغنى والفقر، فليس الغنى لفضله ولا الفقر لهوانه، وإنا الفقر من تقديري وقضائي، وفي الحديث يقول الله عز وجل: كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنت بقلتها إنما أكرم من أكرمت بطاعتي وأهين من أهنت بمعصيتي اهـ قرطبي.

قوله: ﴿بل لا يكرمون اليتيم﴾ أي بل فعلهم أسوأ من قولهم فهو إضراب من قبيح إلى أقبح للترقي في ذمهم اهـ شهاب.

قوله: ﴿لا يحضون﴾ أي يحثون أنفسهم ولا غيرهم أشار به إلى أن مفعول يحضون محذوف، وقوله: على طعام متعلق بيحضون اهـ شيخنا.

قوله: (أي إطعام) فالطعام مصدر بمعنى الإطعام، ويجوز أن يكون على حذف مضاف أي على بدل أو على إعطاء، وفي إضافته إليه إشارة إلى أنه شريك للغني في ماله بقدر الزكاة اهـ خطيب.

قوله: ﴿ويأكلون التراث﴾ التاء في التراث بدل من الواو لأنه من الوراثة اهـ خطيب.

فأصله الوراث من ورث، فأبدلوا الواو تاء كما قالوا في تجاه وتخمة وتكاءة وتالله ونحو ذلك اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أكلاً لماً﴾ أي: جمعاً من قولهم لمت المال إذا جمعته اهـ شيخنا.

الميراث مع نصيبهم منه، أو مع مالهم ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ أي كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة بالفوقانية في الأفعال الأربعة ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١﴾ زلزلت

وفي المختار: أكلاً لماً فعله من باب رد يقال: لم الله شعثه أي: أصلح وجمع ما تفرق من أمره اهـ.

وفي القرطبي: وأصل اللم في كلام العرب الجمع، يقال: لممت الشيء جمعته، ومنه يقال: لم الله شعثه أي: جمع ما تفرق من أموره اهـ.

قوله: (أي شديداً) أي: جمعاً شديداً فشديداً صفة لموصوف محذوف، كما في الخطيب ونصه: واللم الجمع الشديد يقال لمت الشيء لماً أي: جمعته جمعاً اهـ.

قوله: (للمهم نصيب النساء الخ) وعبارة البيضاوي: فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك اهـ.

وكان حكم الإرث عندهم من بقايا شريعة إسماعيل أي: مما هو معلوم لهم وثابت عندهم بطريق عادتهم، فلا يقال السورة مكية، وآية المواريث مدنية ولا يعلم الحل والحرمة إلا من الشرع اهـ شهاب.

قوله: ﴿جباً جماً﴾ في المصباح: جم الشيء جماً من باب ضرب وكسر فهو جم تسمية بالمصدر، ومال جم أي: كثير اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية بالفوقانية أي: قرأ أبو عمرو الأفعال الأربعة بياء الغيبة حملاً على معنى الإنسان المتقدم وهو الجنس والجنس في معنى الجمع، والباقون بالتاء الفوقية في الأفعال الأربعة خطاباً للإنسان المراد به الجنس والجنس على طريق الالتفات، وقرأ الكوفيون تحاضون، والأصل تتحاضون فحذفت إحدى التاءين أي لا يحض بعضكم بعضاً وهي سبعية أيضاً اهـ سمين.

قوله: (ردع لهم عن ذلك) أي: عن جمع المال وحبه وعدم إكرام اليتيم اهـ خازن.

وقال أبو حيان: عن ذلك أي: عن فعلهم المذكور اهـ.

وفي القرطبي: كلا أي: ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر فهو رد لإكبابهم على الدنيا وجمعهم لها، فإن من فعل ذلك يندم يوم تدك الأرض ولا ينفعه الندم والدك الكسر والدق اهـ.

قوله: ﴿إذا دكت الأرض﴾ الخ أي: حصل دكها ورجها وزلزلها لتسويتها فتكون كالأديم الممدود بشدة المط لا عوج فيها بوجه اهـ خطيب.

وهذا استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلاً للردع، وقوله: كل بناء عليها أي: من جبال وأبنية وقصور فصارت هباء منبثاً، وهذا عبارة عما يعرض لها عند النفخة الثانية اهـ أبو السعود.

وقال الشهاب: دكاً الثاني ليس تأكيداً بل التكرار للدلالة على الاستيعاب، كقرأت النحو باباً باباً والدك قريب من الدق لفظاً ومعنى اهـ.

حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي أمره ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ أي الملائكة ﴿صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ حال أي مصطفين أو ذوي صفوف كثيرة ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام

وفي البيضاوي: أي: دكاً بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثاً.

قوله: (أي أمره) أي: حصل تجليه على الخلائق وظهر سلطان قهره، وظهرت أهوال يوم الموقف وغير ذلك مما لا يكاد يحصر، وفي البيضاوي: وجاء ربك أي: ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند ظهور السلطان من آثار هيبته وسياسته اهـ.

قوله: ﴿صفًّا صفًّا﴾ أي: تنزل ملائكة كل سماء صفاً على حدة فيصطفون صفاً بعد صف محدقين بالجن والإنس فيكونون سبع صفوف اهـ خازن.

وفي تذكرة القرطبي ما نصه: وذكر أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة عن ابن عباس والضحاك فقال: إن الخلائق إذا جمعوا في صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثين إنساً وجناً ووحشاً وطيراً وحولوهم إلى الأرض الثانية أي: التي تبدل وهي أرض بيضاء من فضة نورانية وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقه واحدة، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات، ثم إن الله تعالى يأمر بملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة إذا هم مثلهم عشرون مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، فإذا هم مثلهم ثلاثون ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم بأربعن ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستون مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعون مرة، والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام، ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدر، وإلى الحقوين وإلى الركبتين، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام، ومنهم من تصيبه البَلّة بكسر الموحدة وتشديد اللام كالعاطش إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مدّ أحدهم يده لنالها، وتضاعف حرها سبعين مرة. وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الأرض وذاب الصخر ونشفت الأنهار، فبينما الخلائق يمرجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله حيث يقول: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٢] الخ اهـ.

قوله: ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ يومئذ منصوب بجيء وبجهنم قائم مقام الفاعل اهـ سمين.

قوله: (كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك) أي: يقودونها ويجرونها حتى تقف عن يسار العرش، وقال أبو سعيد الخدري: لما نزلت وجيء بومئذ بجهنم تغير لون رسول الله ﷺ وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه، ثم قال: أقرأني جبريل كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً الآية، وجيء يومئذ بجهنم قال علي رضي الله عنه: قلت يا رسول الله كيف يجاء بها، قال: يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود بكل

بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من إذا، وجوابها ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ أي الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا ينفعه تذكره ذلك ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره ﴿يَـٰلَيْتَنِى﴾ للتنبيه ﴿يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان ﴿لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ الطيبة في الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عَذَابَهُۥٓ﴾ أي الله ﴿أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾ الذي لا يكله إلى غيره ﴿وَ﴾ كذا ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ بكسر الثاء ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ وفي قراءة بفتح الذال والثاء، فضمير

زمام سبعون ألف ملك فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ثم تعرض لي جهنم، فتقول: مالي ولك يا محمد إن الله قد حرّم لحمك علي فلا يبقى أحد إلا قال نفسي نفسي إلا محمد ﷺ فإنه يقول يا رب أمتي أمتي اهـ قرطبي.

قوله: (لها زفير) أي: صوت شديد، وقوله: وتغيظ أي: غليان كالغضبان إذا غلا صدره من الغضب اهـ جلال من سورة الفرقان.

قوله: (بدل من إذا) أي: والعامل فيها يتذكر الذي هو جوابها وهذا على مذهب سيبويه، وهو أن العامل في المبدل منه وهو العامل في البدل، ومذهب غيره أن البدل على نية تكرار العامل اهـ سمين.

قوله: ﴿وأنى له الذكرى﴾ أي: منفعتها كما أشار له الشارح، وأنى خبر مقدم، والذكرى مبتدأ مؤخر، وله متعلق بما تعلق به الظرف اهـ خطيب.

قوله: (للتنبيه) أي: والتحسر، وقوله: ليتني قدمت أي في الدنيا اهـ.

وفي أبي السعود: قوله تعالى: يقول يا ليتني قدمت لحياتي بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من كأنه قيل: ماذا يقول عند تذكره؟ فقيل: يقول يا ليتني عملت لأجل حياتي هذه أو وقعت حياتي في الدنيا أعمالاً صالحة انتفع بها اليوم اهـ.

قوله: (بكسر الذال وقوله بكسر الثاء) أي: وأحد فاعل فيهما وقوله: وفي قراءة أي: سبعية وأحد نائب الفاعل فيهما الـذي هو الله تعالى، أو الزبانية المتولون العذاب بأمر الله تعالى، مثل تعذيبه مصدران مضافان للمفعول وهو الكافر، وعذاب ووثاق في الآية واقعان موقع تعذيب وإيثاق، والمعنى لا يعذب أحد تعذيباً مثل تعذيب الله هذا الكافر، ولا يوثق أحد إيثاقاً مثل إيثاق الله إياه بالسلاسل والأغلال، فالوثاق في الآية بمعنى الإيثاق كالعطاء بمعنى الإعطاء اهـ سمين.

وفي القرطبي: فيومئذ لا يعذب عذابه أحد أي لا يعذب كعذاب الله أحد ولا يوثق كوثاقة أحد، والكناية ترجع إلى الله تعالى وهو قول ابن عباس والحسن، وقرأ الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء أي: لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كما يوثق الكافر اهـ.

قوله: (أي لا يكله) أي: لا يفوضه الله إلى غيره أي: لا يأمر غيره بمباشرته، وكأن المراد بالغير بعض المعذبين بفتح الذال فلا ينافي أنه تعالى يكله إلى غيره الذي هو ملائكة العذاب لأنهم يباشرونه بإذن الله تعالى وأمره لهم به فتأمل.

قوله: ﴿ولا يوثق وثاقه﴾ الخ أي: لا يشد ولا يربط بالسلاسل والأغلال، وثاقه أي: ربطه

عذابه ووثاقه للكافر، والمعنى: لا يعذب أحد مثل تعذيبه، ولا يوثق مثل إيثاقه ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ الآمنة وهي المؤمنة ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يقال لها ذلك عند الموت، أي ارجعي إلى أمره وإرادته ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ عند الله بعملك، أي جامعة بين الوصفين وهما حالان، ويقال لها في القيامة ﴿فَٱدْخُلِى فِى﴾ جملة ﴿عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ الصالحين ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ معهم.

وشده، وفي المختار: وأوثقه في الوثاق شده اهـ.

وفي المصباح: وثق الشيء بالضم وثاقه قوي وثبت فهو وثيق ثابت، وأوثقته جعلته وثيقاً والوثاق بفتح الواو وكسرها القيد والحبل ونحوه والجمع وثق مثل رباط وربط اهـ.

قوله: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ لما ذكر حال من كانت همته الدنيا ذكر حال من اطمأنت نفسه إلى الله تعالى فسلم لأمره واتكل عليه اهـ قرطبي.

وقوله: الآمنة أي: التي لا يستفزها خوف ولا حزن اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: والمطمئنة الساكنة الموقنة أيقنت أن الله ربها فأمنت لذلك قاله مجاهد وغيره، وقال ابن عباس: إنها المطمئنة بثواب الله، وعنه أيضاً المطمئنة المؤمنة، وقال الحسن: المؤمنة الموقنة، وعن مجاهد أيضاً: الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وقال مقاتل: الآمنة من عذاب الله، وفي حرف أبي بن كعب: يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة، وقيل: التي علمت على يقين بما وعد الله في كتابه، وقال ابن كيسان: المطمئنة هنا المخلصة، وقال ابن عطاء: العارفة التي تصبر عنه طرفة عين، وقيل: المطمئنة بذكر الله بيانه الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، وقيل: المطمئنة بالإيمان المصدقة بالبعث والثواب، وقال ابن زيد: المطمئنة لأنها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع اهـ.

قوله: ﴿ارجعي إلى ربك﴾ قال القفال: هذا وإن كان أمراً في الظاهر فهو خبر في المعنى، والتقدير إن النفس إذ كانت مطمئنة رجعت في القيامة إلى الله بسبب هذا الأمر اهـ خطيب.

قوله: (يقال لها ذلك) أي: ما ذكر من قوله: يا أيتها النفس الخ قال عبد الله بن عمر: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله له ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال: أخرجي أيتها النفس المطمئنة، أخرجي إلى روح وريحان وربك عليك راض فتخرج كأطيب مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة، فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا صلّى عليها حتى يؤتي بها الرحمن جل جلاله فتسجد له، ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين، ثم يؤمر فيوسع على قبره سبعين ذراعاً عرضه وسبعين ذراعاً طوله، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نور في قبره مثل الشمس ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه. وإذا توفي الكافر أرسل الله ملكين وأرسل معهما قطعة من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان اهـ خازن.

قوله: ﴿فادخلي في﴾ (جملة) ﴿عبادي﴾ هذا يشعر بأن النفس بمعنى الذات، ويجوز أن تكون

. . . .

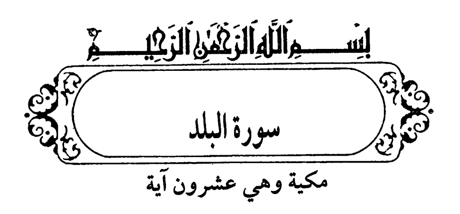
بمعنى الروح كما أشار له البيضاوي اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: فادخلي في عبادي يجوز أن يكون المعنى فادخلي في جسد عبادي، ويجوز أن يكون المعنى في زمرة عبادي، وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة في عبدي، والمراد الجنس وتعدى الفعل الأول بفي لأن الظرف ليس بحقيقي نحو: دخلت في غمار الناس وتعدى الثاني بنفسه لأن الظرفية متحققة كذا قيل، وهذا إنما يتأتى على أحد الوجهين، وهو أن المراد بالنفس بعض المؤمنين وأنه أمر بالدخول في زمرة عباده، وأما إذا كان المراد بالنفس الروح وأنها مأمورة بدخولها في الأجساد فالظرفية أيضاً متحققة اهـ.

وعبارة الكرخي: قوله: في جملة عبادي الصالحين انتظمي في سلكهم أو مع عبادي أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم، فإن الجواهر القدسية كالمرايات المتقابلة، أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقتيها وادخلي دار ثوابي التي أعدت لك، وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وأتى بالفاء فيما لم يتراخ على الموت، وبالواو فيما يتراخى عنه. قال ابن الخطيب: ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعداء لا جرم قال تعالى: فادخلي في عبادي بفاء التعقيب، ولما كانت الجنة الجثمانية لا يحصل الكون فيها إلا بعد قيام القيامة الكبرى لا جرم قال تعالى: وادخلي جنتي بالواو والله تعالى أعلم اهـ.

قوله: (الصالحين) أخذه من الإضافة اهـ.

وفي القرطبي: ومعنى في عبادي أي: في الصالحين من عبادي، كما قال تعالى: ﴿ولندخلنهم في الصالحين﴾ [العنكبوت: ٩] وقال الأخفش: في عبادي أي: في حزبي، والمعنى واحد أي: انتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم اهـ.



سورة البلد

مكية وهي عشرون آية

﴿لَآ﴾ زائدة ﴿أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ مكة ﴿وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّۢ﴾ حلال ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ بأن يحل لك فتقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين المقسم به

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي بالإجماع اهـ قرطبي.

قوله: ﴿بهذا البلد﴾ أي مكة كما قال الشارح، فالإشارة راجعة لمكة، فإن الله تعالى جعله حرماً آمناً ومثابة للناس، وجعل مسجده قبلة لأهل المشرق والمغرب، وشرفه بمقام إبراهيم وحرم فيه الصيد وجعل البيت المعمور بإزائه ودحيت الأرض من تحته، فهذه الفضائل وغيرها لما اجتمعت في مكة دون غيرها أقسم بها اهـ رازي.

وفي الخازن: وأقسم الله بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم والأنبياء والصالحين من ذريته، لأن الكافر وإن كان من ذريته لا حرمة له حتى يقسم به اهـ.

وفي الكرخي: أقسم الله تعالى بالبلد الحرام على أنه خلق الإنسان في كبد واعترض بينهما بأن وعده فتح مكة تتميماً للتسلية لقوله: وأنت حل أي به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، ونظيره: في معنى الاستقبال قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠] وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال لأن السورة بالاتفاق مكية، وأين الهجرة من وقت نزولها، فما بال الفتح وقد أنجز الله له ذلك، فعندما نزع المغفر عنه يوم الفتح جاء، رجل فقال: يا رسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: اقتلوه فقتله الزبير، ولا شك أن ترك استحلال البلد تعظيم لشأنه ثم أكد تلك الحرمة بقوله: وأنت حل بهذا البلد أي أنت على الخصوص تستحله دون غيرك لجلالة شأنك، كما جاء لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وأنت على هذا من باب التقديم للاختصاص. قال الواحدي: إن الله تعالى لما ذكر القسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها مع كونها حراماً فوعد نبيه صلوات الله وسلامة عليه أن يحلها له يقاتل فيها وأن يفتحها على يده ويكون بها حلاً اهـ.

قوله: (فالجملة اعتراض الخ) وقيل: إنها حالية ولا نافية أي لا أقسم بهذا البلد وأنت حال مقيم

وما عطف عليه ﴿وَوَالِدٍ﴾ أي آدم ﴿وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ أي ذرِّيته، وما بمعنى من ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي

به لعظم قدرك أي: لا أقسم بشيء وأنت أحق بالإقسام بك منه، وقيل: المعنى لا أقسم به وأنت مستحل فيه أو مستحل إذ ذاك اهـ سمين.

وفي المصباح: البلد يذكر ويؤنث والجمع بلدان والبلدة البلد وجمعها بلاد مثل كلبة وكلاب اهـ.

قوله: ﴿ووالد وما ولد﴾ أقسم الله بهم لأنهم أعجب خلق الله على وجه الأرض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم، وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله والانتصار لدينه وكل ما في الأرض مخلوق لأجلهم وأمر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه الأسماء كلها، فيكون قد أقسم بجميع الآدميين صالحهم وطالحهم، وقيل: هو قسم بآدم والصالحين من ذريته، وأما الطالحون فكأنهم ليسوا من أولاده، وكأنهم بهائم، وفائدة التنكير في والد التعجب والمدح اهـ رازي.

قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ هذا هو المقسم عليه، وقولهُ: في كبد هذا يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف اهـ زاده.

وفي المصباح: والكبد بفتحتين المشقة من المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله اهـ.

وفي السمين: قال الزمخشري: وأصله من كبد الرجل كبداً من باب طرب فهو أكبد إذا وجعه كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة كما قيل: كبته الله بمعنى أهلكه، وأصله كبده أي أصاب كبده اهـ.

وقال ابن عباس: في كبد أي في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت أسنانه وغير ذلك من أحواله، وروى عكرمة عنه قال: منتصباً في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة، فهذا امتنان عليه في الخلقة ولم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بدن أمها إلا منكبة على وجهها إلا ابن آدم فإنه منتصب انتصاباً وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما. وقال ابن كيسان: منتصباً رأسه في بطن أمه، فإذا أذن الله أن يخرج من بطن أمه قلب رأسه إلى رجل أمه، وقال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، وعنه أيضاً: يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء، لأنه لا يخلو من أحدهما ورواه أبو عمر. قال اليماني: لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق. قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماط وشدد عليه يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه وتحريك لسانه، ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والتزويج، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن وألم الأذن، ويكابد محناً في المال والنفس مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة ويكابد مشقة ثم الموت بعد ذلك كله، ثم سؤال الملك وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله تعالى إلى أن يستقر به القرار

الجنس ﴿فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان قوي قريش وهو أبو الأشد بن كلدة بقوته ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي أنه ﴿لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ والله قادر عليه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمد ﴿مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ كثيراً بعضه على بعض ﴿أَيَحْسَبُ أَن﴾ أي أنه ﴿لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيىء ﴿أَلَمْ نَجْعَل﴾ استفهام تقرير أي جعلنا ﴿لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾

إما في جنة وإما في نار، قال الله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ فلو كان إليه لما اختار هذه الشدائد، ودل على أن له خالقاً دبره وقضى عليه بهذه الأحوال فليمتثل أمره اهـ قرطبي.

قوله: (وهو أبو الأشد) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة، والأشد هكذا بالإفراد في كثير من نسخ هذا الشرح وكثير من عبارات المفسرين، وفي بعض نسخ هذا الشرح وكثير من التفاسير الأشدين بصيغة التثنية فليحرر، واسمه أسيد بن كلدة كما في القاري اهـ.

قوله: (بقوته) متعلق بيحسب والباء سببية، وفي القرطبي: كان يأخذ الأديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول: من أزالني فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه اهـ.

قوله: ﴿أن لن يقدر عليه﴾ أي على عقابه، وقال الرازي: على بعثه ومجازاته، لأن هذا خطاب مع منكر البعث اهـ.

وقوله: يقول أي على سبيل الفخر أهلكت أي أنفقت على عداوة محمد أي في عداوة الخ، فعلى بمعنى في، وقوله: بعضه على بعض أي فوق بعض أي مجتمعاً بعضه فوق بعض، والبلد جمع لبدة وهو ما تلبد أي كثر واجتمع اهـ شيخنا اهـ.

وفي أبي السعود: يقول: أهلكت مالاً لبداً يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونه مكارم ويدعونه معالي ومفاخر اهـ.

قوله: ﴿مالاً لبداً﴾ قرأ أبو جعفر بتشديد الباء مفتوحاً جمعاً لا بد كراكع وركع وساجد وسجد، وقرأ مجاهد وحميد بضم الباء واللام مخففاً جمع لبود، والباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء مخففاً جمع لبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ استفهام على سبيل الإنكار اهـ.

قوله: (ليس ما يتكثر به) أي: يفتخر بكثرته لأنه أنفقه فيما يغضب الله، وقوله: ومجازيه معطوف على عالم بقدره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ أي يبصر بهما المرئيات شققناهما وهو في الرحم في ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا يزيد إحداهما على الأخرى شيئاً، وقدرنا البياض والسواد والسمرة والزرقة وغير ذلك على ما ترون. وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن إدراكها ولساناً أي يترجم به عما في ضميره، وشفتين أي يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك. وجاء في الحديث أن الله تعالى يقول: ابن آدم إن نازعت لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ بيّنا له طريقي الخير والشر ﴿فَلَا﴾ فهلا ﴿ٱقْتَحَمَ

فأطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك قد أعنتك عليه بطبقين فأطبق وإن نازعك فرجك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق اهـ خطيب.

قوله: ﴿وشفتين﴾ الشفة محذوفة اللام، والأصل شفهة بدليل تصغيرها على شفيهة وجمعها على شفاه، ونظيره سنة في إحدى اللغتين، وشافهته أي كلمته من غير واسطة ولا تجمع بالألف والتاء استغناء بتكسيرها عن تصحيحها اهـ سمين.

قوله: (طريقي الخير والشر) لا يخفى أنه ذكره في سياق الامتنان، والمراد الامتنان عليه بأن هداه وبين له الطريق فسلكها تارة وعدل عنها أخرى فلا امتنان عليه بالشر، ولذا جعله الإمام بمعنى قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ [الإنسان: ٣] ووصف مكان الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف الشر، فإنه هبوط من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقوة فهو على سبيل التغليب أو على توهم المخيلة أن فيه صعوداً فتدبر اهـ شهاب.

وفي القرطبي: وهديناه النجدين يعني الطريقين طريق الخير وطريق الشر أي بيناهما له بما أرسلنا من الرسل، والنجد الطريق في ارتفاع وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وروى قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: «يا أيها الناس إنما هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فلم جعلتم نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»، وروي عن عكرمة قال: النجدان الثديان وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك، وروي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه، فالنجد العلو وجمعه نجود، ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة، فالنجدان الطريقان العاليان اهـ.

قوله: (بينا له طريقي الخير والشر) أي بينا ووضحنا له أن سلوك الأول ينجي وأن سلوك الثاني يردي، وأن سلوك الأول ممدوح وأن سلوك الثاني مذموم وهكذا اهـ.

قوله: (فهلا) أشار إلى أن فلا بمعنى هلا للتحضيض أي الذي أنفق ما له في عداوة النبي ﷺ هلا أنفقه لاقتحام العقبة فيأمن، وهذا قول أبي زيد وجماعة، وقال الفراء والزجاج: لا للنفي أي لم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وذكرت لا مرة واحدة، والعرب لا تكاد تفردها مع الماضي بل تعيدها كقوله تعالى: ﴿فلا صدَّق ولا صلى﴾ [القيامة: ٣١] لكنها أفردت لدلالة آخر الكلام على تكرارها أي ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ ولا آمن يدل عليه، ثم كان من الذين آمنوا، وقال الزمخشري: هي مكررة في المعنى لأن معنى فلا اقتحم فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً. ألا ترى أنه فسّر اقتحام العقبة بذلك يريد أن المفسر واحد، فإن قوله: وما أدراك ما العقبة عين تلك العقبة لأن المعرف باللام إذا أعيد كان الثاني عين الأول، فتكون الجملة معترضة مقحمة لبيان العقبة مقررة لمعنى الابهام والتفسير، فإن فلا اقتحم العقبة مفسر بقوله: فك رقبة أو إطعام، والمفسر منفي والمفسر كذلك لاتحادهما في الاعتبار، كأنه قيل: فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً، والاقتحام الدخول في الأمر الشديد. قال محيي السنة: ذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، وإليه أشار الشيخ المصنف في التقرير، قال صاحب الفرائد: هذا تنبيه على أن

ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ جاوزها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ التي يقتحمها تعظيم لشأنها، والجملة اعتراض، وبيَّن سبب جوازها بقوله ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ من الرق بأن أعتقها ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ مجاعة ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ قرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ أي لصوق بالتراب لفقره،

النفس لا توافق صاحبها في الانفاق لوجه الله البتة، فلا بد من التكليف وتحمل المشقة، والذي توافقه النفس هو الافتخار والمراءاة فكأنه تعالى ذكر هذا المثل بإزاء ما قال: ﴿أهلكت مالاً لبداً﴾ والمراد الانفاق المفيد وأن ذلك الانفاق مضر اهـ.

وفي التمثيل بالعقبة بعد ذكر النجدين ترشيح ثم التفريع عليه بالاقتحام قرينة لتلك المبالغة اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وقيل: العقبة خلاصة من هول العرض، وقال قتادة، وكعب: هي نار دون الجسر، وقال الحسن: هي والله عقبة شديدة مجاهدة نفسه وهواه وعداوة الشيطان اهـ.

قوله أيضاً: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ العقبة في الأصل الطريق الصعب في الجبل واقتحامها مجاوزتها، وليس هذا المعنى مراداً هنا، بل المراد بها هنا مجاهدة النفس في فعل الطاعات وترك المحرمات، والمراد باقتحامها فعلها وتحصيلها والتلبس بها، فقول المفسر جاوزها لاقتحام العقبة بحسب أصلها، وقد عرفت أنه ليس مراد هنا فلو قال أي حصلها واكتسبها ودخلها وتلبس بها لكان أوضح تأمل، وفي القرطبي: والاقتحام الرمي بالنفس في الشيء من غير روية، وقحم الفرس فارسه تقحيماً على وجهه إذا رماه، وتقحيم النفس في الشيء ادخالها فيه من غير روية، والقحمة بالضم المهلكة والسنة الشديدة يقال: أصابت الأعراب القحمة إذا أصابهم قحط فدخلوا الريف، والقحم صعاب الطرق اهـ.

قوله: (وبين سبب جوازها) أي مجاوزتها. قوله: (بأن أعتقها) أي مباشرة أو تسبباً كشراء القريب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذي مسغبة﴾ مسغبة ومقربة ومتربة مفعلات أي كل واحد منها مصدر ميمي على وزن مفعلة سغب يسغب سغباً من باب فرح جاع، وقيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس للقحط، لأن إخراج المال في ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للأجر، وقيد اليتيم بأن يكون بينه وبينه قرابة لأنهُ يجتمع حينئذ في الاطعام جهة الصلة والصدقة اهـ زاده.

وفي القاموس: سغب كفرح ونصر سغباً وسغباً وسغابة وسغوباً، ومسغبة جاع فهو ساغب وسغبان وسغب وهي سغبى وجمعها سغاب، والسغب العطش وليس بمستعمل اهـ.

قوله: ﴿ذا متربة﴾ في المختار: وترب الشيء أصابه التراب وبابه طرب، ومنه الرجل افتقر كأنه لصق بالتراب وتربت يداه دعاء عليه أي لا أصاب خيراً وتربه تترياً فتقرب أي لطخه بالتراب فتلطخ، وأترابه جعل عليه التراب، وفي الحديث: أتربوا الكتاب فإنه أنجح للحاجة وأترب الرجل استغنى كأنه صار من المال بقدر التراب والمتربة المسكنة والفاقة، ومسكين ذو متربة أي لاصق بالتراب اهـ.

وفي قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأوّل لرقبة، وينوّن الثاني، فيقدر قبل العقبة اقتحام، والقراءة المذكورة بيانه ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على اقتحم، وثم للترتيب الذكري، والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ الرحمة على الخلق ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ اليمين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾﴾ الشمال ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية. قوله: (مضاف الأول لرقبة) أي إضافة المصدر إلى مفعوله

قوله: (فيقدر قبل العقبة) أي ويكون فك واطعام مصدرين مرفوعين خبر مبتدأ محذوف أي هو فك أو إطعام، فالتقدير وما أدراك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة أو إطعام الخ، وإنما احتيج إلى تقدير هذا المضاف ليتطابق المفسر والمفسر. ألا ترى أن المفسر بكسر السين مصدر، والمفسر بفتح السين وهو العقبة فلو لم يقدر المضاف لكان المصدر وهو فك مفسراً للعين وهي العقبة وأما على القراءة الأولى فيكون الفعل فيها بدلاً من قولهُ اقتحم المنفي بلا كأنه قيل فلا فك رقبة ولا أطعم الخ اهـ سمين.

فلا مكررة في المعنى فاندفع ما قيل إن لا لا تدخل على الماضي إلا مكررة اهـ شيخنا.

وتقدم بسط الأشكال والجواب في عبارة الكرخي.

قوله: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ ثم لتراخي الإيمان وتباعد في الريبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت، لأن الإيمان فهو السابق ولا يصح عمل إلا به قاله الزمخشري، وقيل: المعنى كان عاقبة أمره من الذين وافوا الموت على الإيمان لأن الموافات عليه شرط في الانتفاع بالطاعات، وقيل: التراخي في الذكر اهـ سمين.

قوله: ﴿بالصبر﴾ [على الطاعات الخ] أي وعلى ما أصابه من المحن والشدائد اهـ قرطبي. قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ، وقوله أصحاب الميمنة خبر، وقوله: الذين كفروا مبتدأ، وقوله: هم أصحاب الخ خبر، وذكر المؤمنين باسم الإشارة تكريماً لهم بأنهم حاضرون عنده تعالى في مقام كرامته وذكرهم بما يشار به للبعيد تعظيماً لهم بالإشارة إلى علو درجتهم وارتفاعها، وذكر الكافرين بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم غيب عن مقام كرامته وشرف الحضور عنده اهـ زاده.

قوله: ﴿أصحاب الميمنة﴾ أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم أو لأن منزلتهم عن اليمين اهـ كرخي.

وقوله: هم أصحاب المشأمة الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم، أو لأن منزلتهم عن الشمال اهـ كرخي.

وتقدم لهذا مزيد بسط في سورة الواقعة.

قوله: ﴿عليهم نار﴾ خبر ثان أو مستأنف، أو عليهم وحده هو الخبر ونار فاعل به وهو الأحسن سمين.

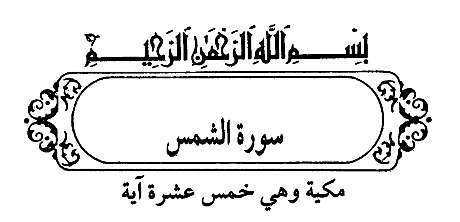
بالهمزة والواو بدله مطبقة.

قوله: (بالهمز والواو الخ) أي قرأ أبو عمرو وحفص وحمزة بالهمز، والباقون بغير همز أي بواو ساكنة وهما لغتان، يقال: أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته، وقيل معنى المهموز المطبقة ومعنى غير المهموز المغلقة اهـ خطيب.

وفي السمين والظاهر أن القرائتين من مادتين الأولى من آصد يؤصد كأكرم يكرم، والثانية من أصد يوصد كأوصل يوصل اهـ.

قوله: (مطبقة) أي عليهم لا يخرجون منها ابداً اهـ كرخي.

وقال الخازن: مطبقة عليهم أبوابها لا يدخلها روح ولا يخرج منها غم اهـ والله أعلم.



مكية وهي خمس عشرة آية

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ ضوئها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾ تبعها طالعاً عند غروبها ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الرازي: المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي، وقد أقسم تعالى بأنواع مخلوقاته المشتملة على المنافع العظيمة ليتأمل المكلف فيها ويشكر عليها، لأن ما أقسم الله به يحصل منه وقع في القلب، وأقسم الله في هذه السورة بسبعة أشياء إلى قوله قد أفلح، فأقسم بالشمس وضحاها لكثرة مصالحها، فإن أهل العالم كانوا كالأموات في الليل، فلما ظهر أثر الصبح صارت الأموات أحياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة وقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها اهـ.

قوله: ﴿وضحاها﴾ أي وضوئها إذا أشرقت أي ارتفعت، وقيل: الضحوة ارتفاع النهار، والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: والضحى مؤنثة يقال: ارتفعت الضحى فوق الضحو، وقد تذكر فمن أنث ذهب إلى أنها ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنها اسم على فعل نحو صرد وثغر اهـ.

قوله: (ضوئها) هو أحد أقوال ثلاثة، وثانيها هو النهار كله، وثالثها هو حر الشمس اهـ رازي.

قوله: (طالعاً عند غروبها) أي الشمس، وذلك إنما يكون في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس فإن القمر يتبعها في الإضاءة اهـ رازي.

فالمراد بتلوه ظهور ضوئه بعد غروبها وإن كان طلوعه من الافق قد سبق غروبها بكثير كالليلة الخامسة مثلاً من الشهر اهـ.

والمراد طالعاً عند غروبها ليلة البدر، فالمراد بتلوه على هذا كونه يعقبها في الظهور من الأفق من غير تراخ في الزمان، والأولى أن يفسر تلوه لها بكون ضوئه يخلفها ويجيء بعد مغيبها سواء كان ذلك من غير تراخ وهو في النصف الأول من الشهر أو بعد مدة، وذلك في النصف الثاني من الشهر فإن القمر إذا طلع في نصف الليل يقال: أنه تلاها في ظهور الضوء أي خلفها فيه ولو بعد تخلل مدة ظلمة فليتأمل.

جَلَّنهَا ﴿٣﴾ ﴾ بارتفاعه ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾ يغطيها بظلمته، وإذا في الثلاثة لمجرد الظرفية، والعامل فيها فعل القسم ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾ ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾ بسطها ﴿ وَنَفۡسٖ ﴾ بمعنى

قوله: ﴿والنهار إذا جلَّاها﴾ الفاعل ضمير النهار، وقيل: عائداً على الله تعالى والضمير المنصوب إما للشمس وإما للظلمة وإما للدنيا وإما للأرض اهـ سمين.

وفي الرازي: إذا جلاها أي أظهرها وكشفها، وضمير جلّاها يعود إلى الشمس، وذلك إن النهار عبارة عن نور الشمس، فكلما كان النور أجلى ظهوراً كانت الشمس أجلى ظهوراً، فكأن النهار يبرز الشمس ويظهرها اهـ.

قوله: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ جيء به مضارعاً دون ماقبله وما بعده مراعاة للفواصل، إذ لو أتى به ماضياً لكان التركيب إذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع اهـ خطيب.

قوله: (يغطيها بظلمته) أي فيزيل ضوءها فالنهار يجليها ويظهرها والليل يغطيها ويزيل ضوءها فالضمير في الفواصل من أول السورة إلى هنا للشمس، وهذه الأقسام الأربعة ليست إلا بالشمس في الحقيقة، لكن بحسب أربعة أوصاف، أولها الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان وتحرك الإنسان للمعاش، ومنها تلو القمر للشمس بأخذ الضوء عنها، ومنها تكامل طلوعها وبروزها، بمجيء النهار، ومنها وجود خلاف ذلك بمجيء الليل، ومن تأمل قليلاً في عظمة الشمس انتقل منها إلى عظمة خالقها، فسبحانه ما أعظم شأنه اهـ رازي.

قوله: (لمجرد الظرفية) أي للظرف المجرد عن الشرط اهـ.

قوله: (والعامل فيها فعل القسم) استشكل بأن فعل القسم انشاء وزمانه الحال فلا يعمل في إذا لأنها للاستقبال وإلا لزم اختلاف العامل والمعمول في الزمان وهو محال. وأجيب: بأنه يجوز أن يقسم الآن بطلوع النجم في المستقبل فالقسم في الحال والطلوع في المستقبل، ويجوز أن يقسم بالشيء المستقبل كما تقول أقسم بـالله إذ طلعت الشمس، فالقسم متحتم عند طلوع الشمس، وإنما يكون فعل القسم للحال إذا لم يكن معلقاً على شرط اهـ كرخي.

وقوله: وأجيب الخ هذا الجواب لا يلاقي الإشكال لأن الإقسام الآن بطلوع النجم في المستقبل لا منافاة فيه، لأن كلاً من القسم والمقسم به له وقت مخصوص فلا تنافى بينهما بخلاف مافي الآية، فإن وقت الإقسام هو وقت المقسم به، مع أن وقت الإقسام حال وحيث جعل وقت المقسم به ظرفاً له اقتضى أنه واقع فيه، مع أنه واقع في الحال فالمنافاة ظاهرة والإشكال أقوى من الجواب فليتأمل.

قوله: (بسطها) أي على الماء اهـ رازي.

وفي المختار: طحاه بسطه مثل دحاه وبابه عدا اهـ.

وفي القاموس: طحا كسعى بسط وانبسط واضطجع، وذهب في الأرض وطحا به قلبه ذهب به في كل شيء، وطحا يطحو بعد وهلك وألقى إنساناً على وجهه، والطحا المنبسط من الأرض اهـ.

قوله: (بمعنى نفوس) أشار به إلى أن تنكير نفس دون بقية ما أقسم به للتكثير، ولأنه لا سبيل إلى

نفوس ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ في الخلقة، وما في الثلاثة مصدرية أو بمعنى من ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ بين لها طريقي الخير والشر، وأخر التقوى رعاية لرؤوس الآي وجواب القسم ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حذفت منه اللام لطول الكلام ﴿مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ طهرها من الذنوب ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر

لام الجنس المدخلة لنفس غير الإنسان مع أنها ليست مرادة لقوله: فألهمها فجورها وتقواها، ولا إلى لام العهد إذ المراد ليس نفساً واحدة معهودة، وبتقدير أنه أريد بها آدم فالتنكير أدل على التفخيم والتعظيم كما مرّ في سورة الفجر وغيرها اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما سواها﴾ (في الخلقة) أي حيث جعل الأعضاء متناسبة، وفي الخطيب: وما سواها أي عدّلها على هذا القانون الأحكم في أعضائها وما فيها من الجواهر والأعراض والمعاني وغير ذلك اهـ.

قوله: (وما في الثلاثة مصدرية) والتقدير وبناء السماء الخ وهذا مبني على أنها مختصة بغير العقلاء، واعترض على هذا القول بأنه يلزم أن يكون القسم بنفس المصادر بناء السماء وطحو الأرض وتسوية النفس وليس المقصود أن القسم بفاعل هذه الأشياء وهو الرب تبارك وتعالى، وأجيب: بأن الكلام على حذف مضاف أي ورب أو وباني بناء السماء ونحوه. وأجيب أيضاً: بأنه لا ضرر في الاقسام بهذه الأشياء كما أقسم تعالى بالصبح ونحوه اهـ سمين.

أو بمعنى من أي ومن بناها الخ، وبه قال أبو البقاء واستشهد به من يجوز وقوعها على آحاد أولي العلم، لأن المراد به الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ معنى الإلهام إلقاء شيء في القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن فاطلاقهُ على الفجور تسامح، وقد دفع هذا الشارح بقوله بين حيث حمل الألهام على مطلق البيان اهـ شيخنا.

قوله: (طريقي الخير والشر) لف ونشر مشوش. قوله: (حذفت منه اللام لطول الكلام) أي والأصل لقد، قاله الزجاج وتبعه القاضي، وفي الشهاب في سورة البروج: المشهور عند النحاة أن الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام، وقد ولا يجوز الاقتصار على إحدهما إلا عند طول الكلام كما في قوله: ﴿والشمس وضحاها﴾ إلى قول: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ أو في ضرورة اهـ.

وقيل أن الجواب محذوف تقديره كما في الكشاف ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحاً وقدره غيره لتبعثن اهـ كرخي.

قوله: ﴿من زكاها﴾ فاعل زكاها ودساها ضمير من، وقيل: ضمير البارىء سبحانه أي قد أفلح من زكاها الله تعالى بالطاعة، وقد خاب من دساها أي خابت نفس دساها الله بالمعصية اهـ شهاب.

وقوله: أخفاها المراد بإخفائها استعدادها وفطرتها التي خلقت عليها اهـ شهاب.

قوله: ﴿وقد خاب من دساها﴾ تكرير قد فيه لإبراز الاعتناء بتحقيق مضمونها والايذان بتعليق القسم به أيضاً أصالة اهـ أبو السعود.

﴿مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ أخفاها بالمعصية، وأصله دسسها، أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولها صالحاً ﴿بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾ بسبب طغيانها ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ أسرع ﴿أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾ واسمه

قوله: (أصله دسسها) مأخوذة من التدسيس وهو إخفاء الشيء في الشيء، والمعنى أخمدها وأخفى مكانتها بالكفر والمعصية اهـ خطيب.

فكأنه سبحانه وتعالى أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه، وخسارة من خذله وأضله حتى لا يظن أحد أنه كان يتولى تطهير نفسه بالطاعة أو خذلانها بالمعصية من غير تقدم القدر وسبق القضاء اهـ خازن.

وفي السمين: أصله دسسها بثلاث سينات، فلما كثرت الأمثال أبدلوا من ثالثها حرف وهو هنا الألف اهـ.

وفي القرطبي: قال أهل اللغة: والأصل دسسها من التدسيس وهو إخفاء الشيء في الشيء فإبدلت سينه ياء كما يقال: قصيت أظفاري وأصله قصصت أظفاري، ومنه قولهم في تقضض تقضى اهـ.

قوله: ﴿كذبت ثمود﴾ أنث الفعل لضعف أثر تكذيبهم لأن كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح آيتهم اهـ خطيب.

قوله: (بطغواها) أي: ثمود، قوله: بسبب طغيانها أشار به إلى أن الباء للسببية كما قال مجاهد وقتاده وغيرهما، وبدأ في الكشاف بأنها للاستعانة مجازاً كقولك: كتبت بالقلم يعني فعلت التكذيب بطغيانها، كما تقول: ظلمني بجرأته على الله اهـ كرخي.

وكل من الطغوى والطغيان مصدر لكن اختير التعبير بالطغوى لأنها أشبه برؤوس الآيات، والمعنى أن طغيانهم حملهم على التكذيب حين انبعث أشقاها، وأنبعث مطاوع بعث تقول بعثت فلاناً على الأمر له اهـ رازي.

وفي المختار: طغى يطغى بفتح الغين ويطغو طغياناً أي: جاوز وطغي مثله والطغوى بالفتح مثل الطغيان اهـ.

وفي السمين: قوله: إذ انبعث إذ يجوز فيها وجهان، أحدهما: أن تكون ظرفاً لكذبت. والثاني: أن تكون ظرفاً للطغوى، وأشقاها فاعل انبعث اهـ.

قوله: (واسمه قدار) بوزن غراب ابن سالف ويضرب به المثل فيقال: أشأم من قدار وهو أشقى الأولين، وكان رجلاً أشقر أزرق قصيراً اهـ رازي.

ومعنى قدار في الأصل الجزار اهـ بيضاوي.

وروى الضحاك عن علي أن النبي ﷺ قال: «أتدري من أشقى الأولين؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: عاقر الناقة. قال: أتدري من أشقى الآخرين؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: قاتلك» اهـ قرطبي.

قدار إلى عقر الناقة برضاهم ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي ذروها ﴿وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ شربها في يومها، وكان لها يوم ولهم يوم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوها ليسلم لهم ماء شربها ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أطبق ﴿عَلَيْهِمْ

قوله: (برضاهم) قال قتادة: بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿فقال لهم﴾ أي: بسبب الانبعاث أو التكذيب الذي دل على قصدهم لها بالأذى، وقوله: أي لثمود أي: لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقرها ناقة الله أي: الدالة على توحيده ونبوتي من حيث ما فيها من الأمور الغريبة المخالفة لأوصاف جنسها ، فاحذروا أن تتعرضوا لها بسوء واحذروا سقياها اهـ الرازي.

وإضمار الناصب هنا واجب لمكان العطف أي: وجوده لأن العامل في التحذير يضمر وجوباً في ثلاثة مواضع، أحدها: أن يكون المحذر به نفس إياك وبابه. الثاني: أن يكون هناك عطف. الثالث: أن يكون هناك تكرار كقولك الأسد الأسد اهـ من اليمين بتصرف.

قوله: ﴿ناقة الله﴾ الإضافة للتشريف كبيت الله اهـ خطيب.

قوله: (شربها) أي: مشروبها. وفي المختار: شرب الماء وغيره بالكسر شرباً بضم الشين وفتحها وكسرها وقرىء شرب الهيم بالوجوه الثلاثة. قال أبو عبيدة: الشرب بالفتح مصدر وبالضم والكسر اسمان، والشربة من الماء ما يشرب مرة وهي المرة من الشرب أيضاً، والشرب بالكسر القسم من الماء، والشرب بالفتح جمع شارب كصاحب وصحب، والمشربة بكسر الميم إناء يشرب فيه اهـ.

قوله: (ولهم يوم) أي ولهم ولمواشيهم يوم.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي استمروا على تكذيبه أي لم يمتنعوا عن تكذيب صالح وعقر الناقة بسبب العذاب الذي أنذرهم به وهو الصيحة، فقال لهم صالح: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام. قالوا: وما العلامة على ذلك العذاب؟ قال: تصبحون في اليوم الأول وكان يوم الأربعاء وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني وهو الخميس وجوهكم محمرة. وفي الثالث وهو الجمعة وجوهكم مسودة، وفي الرابع وهو السبت يأتيكم العذاب صبيحته اهـ شيخنا.

قوله: (في قوله ذلك) أي: قوله احذروا ناقة الله، ولما أورد عليه أن هذا إنشاء لأنه أمر والتكذيب من عوارض الأخبار أجاب عنه بقوله عن الله تعالى: أي إنما هذا القول بالكذب من حيث أن صالحاً نسبه لله، فكأنه قال: الله يقول لكم احذروا ناقة الله، وإسناد القول لله إخبار، وقوله: المرتب عليه نعت لاسم الإشارة أي: فكذبوه في هذا القول الذي رتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه، فكأنه قال لهم: فإن خالفتموني في هذا القول جاءكم العذاب، وعبارة أبي السعود فكذبوه في وعيده بقوله تعالى: ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾ [الأعراف: ٧٣] اهـ.

قوله: ﴿فعقروها﴾ أي: عقرها قدار في رجليها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها اهـ شيخنا.

﴿رَبُّهُم﴾ العذاب ﴿بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ أي الدمدمة عليهم أي عمهم بها، فلم يفلت منهم أحداً ﴿وَلَا﴾ بالواو والفاء ﴿يَخَافُ﴾ تعالى ﴿عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ تبعتها.

قوله: (ماء شربها) أي: الماء الذي تشربه، والشرب مثلث مصدر شرب الماء وغيره كما تقدم عن المختار اهـ.

قوله: ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ أي: أهلكهم وأطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقر. وروي الضحاك عن ابن عباس قال: دمدم عليهم قال دمرّ عليهم ربهم بذنبهم أي: بجرمهم، وقال الفراء: دمدم أي: أرجف وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده، ويقال: دمدمت على الشيء أطبقت عليه، ودمدم عليه القبر أي: أطبقه والدمدمة إهلاك باستئصال. قال المؤرخ في الصحاح: ودمدمت الشيء إذا ألزقته بالأرض، ودمدم الله عليهم أي: أهلكهم، ويقال: دمدمت على الميت التراب أي: سويته عليه، فقوله: فدمدم عليهم ربهم أي: أهلكهم فجعلهم تحت التراب، فسواها أي: سوى عليهم الأرض، وعلى الأول فسواها أي: فسوى الدمدمة والإهلاك عليهم وذلك أن الصيحة أهلكتهم فأتت على صغيرهم وكبيرهم، وقال ابن الأنباري: دمدم أي: غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل، وقيل: فسواها أي: سوى هذه القبيلة في إنزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم ووضيعهم وشريفهم وذكرهم وأنثاهم، وقرأ ابن الزبير: فدهدم بهاء بين الدالين وهما لغتان كما قالوا انتقع لونه واهتقع اهـ قرطبي.

وفي القاموس: ودمم الأرض سواها وفلاناً عذبه عذاباً تاماً، والقوم أهلكهم كدهدم ودمدم عليهم اهـ.

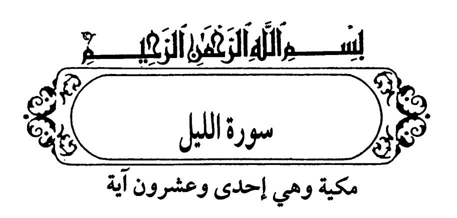
فتلخص أن دمم بدال واحدة ودمدم بدالين معناهما واحد. قوله: (فلم يفلت منهم أحداً) أي: من آمن مع صالح وكانوا أربعة آلاف كما تقدم في سورة هود. قوله: (بالواو والفاء) قراءتان سبعيتان، أما الواو فيجوز أن تكون للحال وأن تكون لاستئناف الإخبار، والفاء للتعقيب وهو ظاهر اهـ خطيب.

وقوله: فيجوز أن تكون للحال أي: من الضمير المنوي في سواها الراجع إلى الله أي: فسواها الله غير خائف عقبى ما صنع اهـ زاده.

قوله: ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي: عاقبتها كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله فهو استعارة تمثيلية لأهانتهم وأنهم أذلاء عند الله، الضمير في قوله يخاف لله وهو الأظهر، ويجوز عوده للرسول أي: أنه لا يخاف عاقبة انذاره لهم وهو على الحقيقة اهـ شهاب.

وفي القرطبي: وقال السدي، والضحاك: الضمير يرجع للعاقر أي: لم يخف العاقر عقبى ما صنع، وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: إذ انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها، وقيل: لا يخاف رسول الله صالح عاقبة إهلاك قومه ولا يخشى ضرراً يعود عليه من عذابهم لأنه قد أنذرهم فنجاه الله تعالى حين أهلكهم اهـ.

وفي القاموس: وأعقبه الله بطاعته جازاه والعقبى جزاء الأمر اهـ.



سورة الليل

مكية وهي إحدى وعشرون آية

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ بظلمته كل ما بين السماء والأرض ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ انكشف وظهر، وإذا في الموضعين لمجرد الظرفية، والعامل فيها فعل القسم ﴿وَمَا﴾ بمعنى من أو مصدرية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الرازي: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وانفاقه على المسلمين، وفي أمية بن خلف وبخله وكفره بالله، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، واعلم أنه تعالى أقسم بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه وتسكن الخلق فيه عن التحرك يغشاهم النوم الذي جعله الله راحة لأبدانهم وغذاء لإرواحهم، ثم أقسم بالنهار إذا تجلى لأن النهار إذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة، وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعايشهم، وتتحرك الطير من أوكارها، والهوام من مكانها، فلو كان الدهر كله ليلاً لتعذر المعاش، ولو كان نهاراً لبطلت الراحة، فكانت المصلحة في تعاقبهما اهـ خطيب.

قوله: (**كل ما بين السماء والأرض**) أشار به إلى مفعول يغشى محذوف تقديره: كل ما بين السماء والأرض، وقيل: تقديره يغشى الشمس كما في قوله: ﴿**والليل إذا يغشاها**﴾ [الشمس: ٤] وقيل: النهار من قوله: يغشى الليل النهار فالمفعول على هذين القولين ليس بعام. إلاَّ أنه حذف اعتماداً على ما يدل عليه وعلى القول الأول يكون عدم ذكره للتعميم اهـ من البيضاوي وزاده.

قوله: (**لمجرد الظرفية**) أي: الظرفية المجردة عن الشرط اهـ شيخنا.

وقوله: والعامل فيها القسم أي: المقدر ويرد عليه الإشكال السابق في سورة الشمس. **قوله: (بمعنى من)** أي: فهي اسم موصول بمعنى من، فعلى هذا يكون تعالى أقسم بنفسه أي: والقادر على خلق الذكر والأنثى اهـ خازن.

وقوله: أو مصدرية أي: خلق الله الذكر والأنثى، وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم أنه لا خالق إلا هو، وقوله: آدم وحواء أي: فتكون أل في الذكر والأنثى للعهد، وقوله: أو كل ذكر وأنثى شامل لجميع ما فيه روح وهو أشرف المخلوقات، فأل على هذا للاستغراق اهـ رازي مع زيادة من الشهاب.

وقيل: كل ذكر وأنثى من الآدميين فقط لاختصاصهم بولاية الله وطاعته اهـ خطيب.

﴿ خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ ﴾ آدم وحواء أو كل ذكر وكل أنثى والخنثى المشكل عندنا ذكر وأنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكراً ولا أنثى ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ ﴾ عملكم ﴿ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾ مختلف، فعامل للجنة بالطاعة، وعامل للنار بالمعصية ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ ﴾ حق الله ﴿ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ ﴾ الله ﴿ وَصَدَّقَ

فتكون أل جنسية أو استغراقية استغراقاً عرفياً اهـ.

قوله: (والخنثى المشكل الخ) مبتدأ، وقوله: ذكر أو أنثى الخ خبر، وعبارة الخطيب: والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة، انتهت.

وفي الكرخي: قوله: فيحنث بتكليمه الخ أي: لأن الله تعالى لم يخلق من ذوي الأرواح من ليس ذكراً ولا أنثى، والخنثى إنما هو مشكل بالنسبة إلينا خلافاً لأبي الفضل الهمداني فيما حكاه وجهاً أنه نوع ثالث، ويدفعه قوله: ﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾ [الشورى: ٤٩] ونحو ذلك قاله الأسنوي اهـ.

قوله: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ جواب القسم فأقسم سبحانه وتعالى على أن أعمال عباده لشتى جمع شتيت كمريض ومرضى، وإنما قيل: للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه، والشتات وهو الافتراق، فكأنه قيل: إن عملكم لمتباعد بعضه من بعض لإن بعضه ضلال يوجب النيران وبعضه هدى يوجب الجنان اهـ من البحر.

وسعيكم مصدر مضاف فيفيد العموم فهو جمع معنى، وإن كان مفرد في اللفظ، ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم اهـ شهاب.

وفي المصباح: شت شتاً من باب ضرب إذا تفرق والاسم الشتات وشيء شتيت وزان كريم متفرق، وقوم شتى على فعلى متفرقون، وجاؤوا أشتاتر كذلك وشتان ما بينهما أي: بعد اهـ.

قوله: (مختلف) أي: متباعد الأبعاض أي أن عملكم لمتباعد بعضه من بعض لأن بعضه ضلال وبعضه هدى. أي: فمنكم مؤمن وكافر وفاجر ومطيع وعاص، وقيل: لشتى أي: لمختلف الجزاء، فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار، وقيل لمختلف الأخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل اهـ خطيب.

قوله: ﴿فأما من أعطى﴾ الخ بيان وتفصيل لتلك المساعي المختلفة وتبيين لأحكامها، ومن أعطى يتناول اعطاء حقوق المال واعطاء حقوق النفس في طاعة الله تعالى يقال: فلان أعطى الطاعة وأعطى البيعة، وقيل: معنى الإعطاء إنفاق المال في جميع وجوه الخير من عتق الرقاب وفك الأسارى وتقوية المسلمين على عدوهم اهـ من الرازي.

وكلام الشارح لا يأبى ذلك. قوله: (حق الله) وقوله: ﴿واتقى﴾ (الله) أشار إلى أن المفعولين حذفاً لأن المقصود ثبوت الإعطاء من حيث هو إعطاء، وثبوت الاتقاء من حيث هو اتقاء ليكون أبلغ وأعم، لأنه إذا أريد ثبوت الحقيقة على العموم فتقييدها بنوع ما تحكم كما هو مقرر في علم المعاني اهـ كرخي.

﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ أي بلا إله إلا الله في الموضعين ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ للجنة ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بحق الله ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨﴾ عن ثوابه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩﴾ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾ نهيئه ﴿لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ للنار ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يُغۡنِي

قوله: ﴿واتقى﴾ (الله) أي: اجتنب محارمه اهـ.

قوله: (أي بلا إله إلا الله) أي: مع محمد رسول الله، والمعنى وصدق بالتوحيد والنبوة، وذلك لأنه لا ينفع مع الكفر إعطاء مال ولا اتقاء محارم اهـ رازي.

وفي الخطيب: واختلف في الحسنى، فقال ابن عباس: أي بلا إله إلا الله، وقال مجاهد: بالجنة لقوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ [يوسف: ١٦] وقال زيد بن أسلم الصلاة والزكاة والصوم اهـ.

قوله: ﴿فسنيسره لليسرى﴾ السين في الموضعين للتسويف، وهو من الله محقق ثم رأيت في هامش القسطلاني ما نصه:

فائدة:

ذكروا أن السين في فسنيسره للتلطيف. قال الشريف الصفوي: مرادهم بالتلطيف ترقيق الكلام بمعنى أن لا يكون نصاً في المقصود بل يكون محتملاً لغير المقصود فهو كالشيء الرقيق الذي يمكن تغييره ويسهل، ويقابله الكثيق بمعنى أن يكون نصاً في المقصود، لأنه لا يمكن تغييره وتبديله فهو كالشيء الكثيف الذي لا يمكن فيه ذلك، فالمقصود ههنا أن التيسير حاصل في الحال، لكن أتى بالسين الدالة على الاستقبال والتأخير لتلطيف الكلام وترقيقة باحتمال أن لا يكون التيسير حاصلاً في الحال لكانت تقتضي ذلك والله أعلم اهـ.

قوله أيضاً: (فسنيسره) أي: نهيئه لليسرى أي: لأسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها، وقال زيد بن أسلم: لليسرى أي الجنة، قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس منفوسة إلا كتب الله مكانها من الجنة أو النار، فقال القوم: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال ﷺ: بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فإنه ميسر لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فإنه ميسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾» اهـ خطيب.

قوله: ﴿فسنيسره للعسرى﴾ إما من باب المقابلة لقوله فسنيسره لليسرى، وأما لأن نيسره بمعنى نهيئه والتهيئة تكون في اليسر والعسر اهـ سمين.

وفي القرطبي: قال الفراء: لقائل أن يقول كيف قال فسنيسره للعسرى، وهل في العسرى تيسير؟ اهـ.

وإيضاح الجواب عن هذا ما أشار له الشارح بقوله نهيئه أي: نجري على يديه عملاً يوصله للنار، وفي الحديث قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعلم الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ الآيتين». أي: عليكم بشأن العبودية وما خلقتم لأجله وأمرتم به، وكلوا أمور الربوبية الغيبية إلى صاحبها فلا عليكم بشأنها، وتظيره: الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب والأجل المضروب في العمر مع المعالجة بالطب، فإنك تجد المغيب فيهما علة موجبة، والظاهر البادي سبباً مخيلاً، وقد اصطلح

عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ في النار ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال، ليمتثل أمرنا بسلوك الأول، ونهينا عن ارتكاب الثاني ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي الدنيا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقرىء بثبوتها أي تتوقد ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ يدخلها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ بمعنى الشقي ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى ﴿ويغفر ما دون ذلك

الناس خاصتهم وعامتهم على أن الظاهر فيهما لا يترك بسبب الباطن اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما يغني عنه ماله﴾ متعلق بالشق الثاني اهـ شيخنا.

وتقرير الآية: إنا إذا يسرناه للعسرى وهي النار تردى وسقط في جهنم فماذا ينفعه ماله الذي بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه منه إلى أخرته التي هي موضع فقره وحاجته شيء اهـ رازي.

قوله: (نافية) ويجوز أن تكون للاستفهام الإنكاري أي: أي شيء يغني عنه ماله؟ اهـ خطيب.

قوله: ﴿إذا تردى﴾ أي: سقط.

قوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ لما عرفهم سبحانه أن سعيهم شتى، وبيّن ما للمحسنين من اليسرى وما للمسيئين من العسرى أخبرهم بأن عليه بمقتضى حكمته بيان الهدى من الضلال، بقوله: إن علينا الخ اهـ خطيب.

وقوله: للهدى أي: البيان. قوله: (لتبيين طريق الهدى الخ) أشار به إلى أنه لا حاجة إلى قول الكواشي وغيره إنه على حذف الضلال، وما جرى عليه الشيخ المصنف تبع فيه الزجاج، وهو استئناف مقرر أي: إن علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى من طريق الضلال، وقد فعلنا ذلك لما لا مزيد عليه حيث بينّا حال من سلك كلا الطريقين ترغيباً وترهيباً اهـ كرخي.

قوله: (طريق الهدى) أي: الوصول. قوله: (فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ) عبارة القرطبي: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ [النساء: ١٣٤] فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق اهـ.

قوله: ﴿تلظى﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وهو صفة لناراً اهـ شيخنا.

قوله: (وقرىء بثبوتها) أي: شاذاً.

قوله: ﴿لا يصلاها﴾ أي: يدخلها دخولاً مؤبداً إلا الأشقى كما سيأتي. وفي المختار: صلي فلان النار بكسر اللام يصلى صلياً واصطلى بالنار وتصلى بها أي: دخلها، وفلان لا يصطلى بناره إذا كان شجاعاً لا يطاق اهـ.

قوله: (وهذا الحصر مؤول) أي: مصروف عن ظاهره، فلا يرد الفاسق لأنه إما أن لا يدخلها إن عفي عنه أو يدخلها ويخلص منها، فالمعنى لا يدخلها دخولاً مؤبداً إلا الكافر الذي هو شقي لأنه كذب النبي اهـ رازي.

لمن يشاء﴾ فيكون المراد الصلي المؤبد ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يبعد عنها ﴿ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ بمعنى التقي ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ متزكياً به عند الله تعالى بأن يخرجه لله تعالى، لا رياء ولا سمعة، فيكون زاكياً عند الله تعالى. وهذا نزل في الصديق رضي الله تعالى عنه لما اشترى بلالاً المعذب على إيمانه

وغرض الشارح بهذا التأويل الرد على المرجئة الذين تمسكوا بهذه الآية في أن عصاة المؤمنين لا يدخلون النار، ووجه التمسك حصر الصلى أو الدخول أي: قصره على الأشقى أي: الكافر فيفهم منه أن المؤمن لا يدخلها ولو فعل الكبائر، ووجه الرد أن الآية محمولة على الصلى والدخول على وجه التأبيد والخلود فلا ينافي أن عصاة المؤمنين يدخلونها ثم يخرجون منها بشفاعته ﷺ، وإذا تأملت هذا ظهر لك أن كلام الشارح لا يلاقي كلام المرجئة الذي قصد رده، فكأن عليه أن يقول مؤول بحمل الصلى على التأبيد والخلود، وأما قوله لقوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ [النساء: ١١٦] فلا مدخل له في رد التمسك المذكور كما لا يخفى تأمل، إلا أن يقال له مدخلية من حيث مفهومه إذ مفهوم قوله لمن يشاء أي: من لم يشأ الغفران له لم يغفر له، بل يصليه ويدخله النار اهـ.

قوله: ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ قال البغوي يريد به أبا بكر الصديق رضي الله عنه في قول الجميع وسيذكر الشارح.

قوله: ﴿يتزكى﴾ بدل من يؤتي أو حال من فاعله، فعلى الأول لا محل له من الإعراب لأنه داخل في حكم الصلة والصلة لا محل لها، وعلى الثاني محله نصب اهـ خطيب.

والشارح جرى على أنه حال حيث قال متزكياً به عند الله اهـ.

قوله: (وهذا نزل في الصديق) الإشارة لقوله: وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى، وقوله: فقال الكفار الخ كان الأولى أن يقول: ولما قال الكفار إنما فعل ذلك الخ نزل قوله تعالى: وما لأحد الخ تأمل.

قوله: (لما اشترى بلالاً﴾ أي: من سيده وهو أمية بن خلف فاشتراه منه أبو بكر برطل من ذهب وأعتقه فقال المشركون: إنما فعل أبو بكر ذلك ليد كانت لبلال عنده اهـ شهاب.

وقال الزبير: كان الصديق رضي الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال له أبوه: أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك، فقال: منع ظهري أريد، فأنزل الله تعالى: وسيجنبها الأتقى إلى آخر السورة، وذكر محمد بن إسحاق قال: كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب كان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول: وهو في ذلك أحد أحد، فمرّ النبي ﷺ فقال: أحد ينجيك يعني الله تعالى، ثم قال ﷺ لأبي بكر: إن بلالاً يعذب في الله، فعرف أبو بكر الذي يريده رسول الله ﷺ، فانصرف إلى منزله فأخذ رطلاً من ذهب ومضى إلى أمية بن خلف فقال: ألا تتقي الله تعالى في هذا المسكين؟ قال: أنت أفسدته فأنقذنه مما ترى، قال أبو بكر: أفعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك أعطيكه، قال: قد فعلت، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فأعتقه، وكان قد أعتق ست رقاب على الإسلام قبل أن يهاجر

وعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزل ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ أي طلب ثواب الله ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ بما يعطاه من

وبلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأعتق أم عميس فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلاّ اللات والعزى فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما ينفعان فردّ الله تعالى عليها بصرها، وأعتق الفهرية وابنتها وكانتا لامرأة لبني عبد الدار فمرّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهي تقول لهما: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: كلا يا أم فلان. فقالت: كلا أنت أفسدتهما فاعتقهما. قال: فبكم؟ قالت: بكذا وكذا. قال: قد أخذتهما وهما حرتان، ومرّ بجارية من بني المرسل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها اهـ من الخطيب.

قوله: (إنما فعل) أي: أبو بكر ذلك أي: شراء بلال وإعتاقه، وقوله: ليد أي: نعمة كانت له أي: لبلال عنده أي عند أبي بكر أي: كان بلال صنع مع أبي بكر معروفاً، فأحب أبو بكر مكافأته بما فعله معه، وقد كذبوا في ذلك كما قال تعالى وما لأحد الخ، وقوله: فنزل أي: تكذيباً للكفار اهـ.

قوله: ﴿وما لأحد عنده﴾ أي: عند أبي بكر، فلم يكن للنبي ﷺ ولا لغيره عليه نعمة دنيوية، بل أبو بكر هو الذي كان ينفق على رسول الله، وإنما كان للنبي ﷺ عليه نعمة الهداية والإرشاد إلى الدين، إلا أن هذه نعمة لاتجزي لقوله: ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [الفرقان: ٥٧] والمذكور هنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى اهـ رازي.

قوله: ﴿تجزى﴾ صفة لنعمة أي: يجزى الإنسان بها، وإنما جيء به مضارعاً مبنياً للمفعول لأجل الفواصل، إذا الأصل يجزيها إياها أو يجزيه إياها اهـ سمين.

وفي أبي السعود: تجزى أي: من شأنها أن تجازى وتكافأ اهـ.

قوله: (لكن فعل ذلك الخ) أشار به إلى أن الاستثناء منقطع، لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعمة أي: ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه كقولك: ما في الدار أحد إلا حماراً اهـ شيخنا.

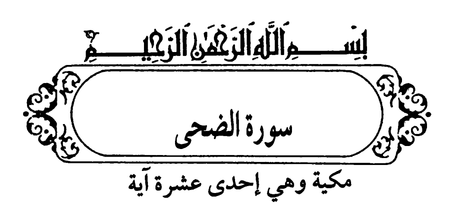
وقوله: إلا ابتغاء الخ إما أن يكون استثناء منقطعاً من قوله: من نعمة، وإما أن يكون مفعولاً له هكذا قرره السمين، وعبارته: قوله إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى في نصبه وجهان، أحدهما: أنه مفعول له قال الزمخشري: ويجوز أن يكون مفعولاً له على المعنى لأن المعنى لا يؤتي ماله إلا لابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة، وهذا أخذه من قول الفراء ونصب على تأويل ما أعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله. والثاني: أنه منصوب على الاستثناء المنقطع إذ لم يندرج تحت جنس من نعمة، وهذه قراءة العامة أعني النصب والمد، وقرأ يحيى برفعه ممدوداً على البدل من محل من نعمة لأن محلها الرفع إما على الفاعلية وإما على الابتداء، ومن مزيدة في الوجهين والبدل لغة تميم لأنهم يجرون المنقطع في غير الإيجاب مجرى المتصل، وقال مكي وأجاز الفراء: الرفع في ابتغاء على البدل من موضع من نعمة وهو بعيد. قلت: كأنه لم يطلق عليها قراءة واستبعاده هو البعيد فإنها لغة فاشية، وقرأ ابن أبي عبلة ابتغا بالقصر، انتهت.

الثواب في الجنة، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله تعالى عنه، فيبعد عن النار ويثاب.

وقد أشار الشارح للوجه الأول بقوله لكن فعل ذلك الخ، فأشار إلى أنه مفعول من أجله وأن عامله محذوف اهـ.

قوله: ﴿ولسوف يرضى﴾ جواب قسم مضمر أي: وبالله لسوف يرضى، وهو وعد من الكريم تعالى لأبي بكر بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها إذ به يتحقق الرضا اهـ أبو السعود.

والعامة على يرضى مبنياً للفاعل، وقرىء ببنائه للمفعول من أرضاه الله وهو قريب من قوله تعالى في آخر طه ﴿لعلك ترضى وترضى﴾ [طه: ١٣٠] اهـ سمين.



سورة الضحى

مكية وهي إحدى عشرة آية

ولما نزلت كبر ﷺ آخرها، فسنَّ التكبير آخرها، وروي الأمر به خاتمتها وخاتمة كل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (فسن التكبير آخرها) أي: أخذاً من فعله ﷺ ومن أمره ففعله ﷺ إنما أثبت التكبير آخرها فقط، وأما التكبير في آخر ما بعدها من السور، بل وفي آخرها أيضاً فثبت بأمره ﷺ، ولهذا قال وروي الأمر به الخ، ولم يؤخذ من عبارة الشارح المذكور سنية التكبير آخر الليل ولا في أول الفاتحة، وسيأتي الكلام عليه فالتكبير يسن بعد هذه السورة سواء قرأ القارىء في الصلاة أو في خارجها. وعبارة الشيخ سلطان المزاحي نصها: وروى بعضهم التكبير من أول الضحى، فإذا كان التكبير لآخر الضحى كان لآخر كل سورة بعدها، وإذا كان لأول الضحى على القول الثاني كان لأول كل سورة بعدها، فعلى هذا القول يكبر في أول الناس ولا يكبر في آخرها، وعلى أنه لآخر الضحى يكبر آخر الناس، ثم اعلم أنه يتأتى على القولين المذكورين حال وصل السورة بالسورة ثمانية أوجه، يمتنع منها وصل آخر السورة بالتكبير وبالبسملة مع الوقف عليها لئلا يتوهم أن البسملة لآخر السورة، والسبعة الباقية جائزة اثنان منها على تقدير أن يكون التكبير لآخر السورة، واثنان على تقدير أن يكون لأولها، وثلاثة محتملة للتقديرين. فالوجهان اللذان على تقدير أن يكون لآخر السورة، أحدهما: وصل التكبير بآخر السورة والوقف عليه مع وصل البسملة بأول السورة التي بعدها. وثانيهما: وصله بآخر السورة والوقف عليه وعلى البسملة فيقف على كل منهما وقفاً مستقلاً. والوجهان اللذان على تقدير أن يكون لأول السورة، أحدهما: قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع الوقف عليها، ثم الابتداء أول السورة. وثانيهما: قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع وصلها بأول السورة. والثلاثة الجمل على تقديرين، أحدها: وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وبأول السورة التي بعدها. ثانيها: قطعه عن آخر السورة وعن البسملة مع وصل البسملة بأول السورة. ثالثها: قطعه من آخر السورة وعن البسملة وقطع البسملة عن أول السورة. قال ابن الجزري: وكل من الأوجه السبعة جائز، وبه قرأت وقد علم من أن ابتداء التكبير إما من أول الضحى أو آخرها ومن أن آخر التكبير إما من أول الناس أو من آخرها أن الأوجه التي بين آخر الليل وأول الضحى خمسة، الوجهان اللذان لأول الضحى، والثلاثة المحتملة، وأن الأوجه التي بين الناس والفاتحة خمسة، والوجهان اللذان لآخر الضحى، والثلاثة المحتملة، ولأن الأوجه السبعة

سورة بعدها وهو: الله أكبر، أو: لا إله إلا الله والله أكبر ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ أي أول النهار أو كله

جارية بين كل سورتين غير ما ذكر، واعلم أنك إذا وصلت اخر السورة بالتكبير كسرت آخرها ساكناً كان أو منوناً وإن كان محركاً تركته على حاله وحذفت همزة الوصل لملاقاة الساكن نحو: الحاكمين الله أكبر وحسد الله أكبر، وإن كان صلة حذفتها نحو ذلك لمن خشي ربه الله أكبر، وإذا وصلته بالتهليل أبقيته على حاله، فإن كان منوناً أدغمته في اللام نحو حامية لا إله إلا الله وتواباً لا إله إلا الله، ومعلوم أن صيغته مع التحميد لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد لا يفصل بعضها من بعض ولا يتقدم بعضها على بعض، بل تقرأ دفعة واحدة كما وردت به الرواية، انتهت عبارة الشيخ سلطان المزاجي في رسالة في التكبير سماها الدر المصون في جمع الأوجه من الضحى إلى قوله تعالى: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ [البقرة: ٥ آل عمران: ١٠٤].

قال القاري: وكان تكبيره ﷺ آخر قراءة جبريل وأول قراءته هو ﷺ فمن هنا تشعب الخلاف اهـ.

قال الشيخ سلطان في رسالته المذكورة: ثم تدعو بما أردت ديناً ودنيا، وأولاه المأثور عن النبي ﷺ ومنه: اللهم ارحمنا بالقرآن العظيم واجعله لنا إماماً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لنا حجة يا رب العالمين. اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبداً ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا. ويفتتح ذلك الدعاء بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ويختم بذلك ليكون أرجى للقبول، وصلى الله على من لا نبي بعده سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين اهـ بحروفه.

قوله: (أو لا إله إلا الله) هذه النسخة هي الصحيحة، وفي بعض النسخ ولا إله إلا الله بالواو وكتب عليها القاري الواو بمعنى أو اهـ.

قوله: ﴿والضحى﴾ الخ قدم هنا الضحى على الليل، وفي السورة قبلها قدم الليل لأن لكل منهما أثراً في صلاح العالم، ولليل فضيلة السبق وللنهار فضيلة النور فقدم هذا تارة وهذا أخرى، أو أنه قدم الليل في سورة أبي بكر، لأن أبا بكر سبق له كفر، وقد تقدم الضحى في سورة محمد ﷺ لأنه نور محض ولم يتقدمه ذنب ولم يفصل بين السورتين إشارة إلى أنه لا واسطة بين النبي ﷺ وأبي بكر، فإن قيل: ما الحكمة في ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته؟ أجيب: بأن في ذلك إشارة إلى أن ساعة من النهار توازي جميع الليل، كما أن محمداً ﷺ يوازي جميع الأنبياء، وأيضاً الضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة، ففيه إشارة إلى أن سرور الدنيا أقل من شرورها وإن هموم الدنيا أدوم من سرورها، فإن الضحى ساعة والليل ساعات اهـ خطيب.

وفي القاموس: والضحو والضحوة والضحية كعشية ارتفاع النهار والضحى فويقه والضحاء بالمد إذا قرب انتصاف النهار، وبالضم والقصر يطلق على الشمس أيضاً اهـ.

﴿وَالَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ غطى بظلامه أو سكن ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ تركك يا محمد ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن ربّه ودعه وقلاه ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ

قوله: (أوكله) وعلى هذا القول يكون في الكلام مجاز من إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل وقرينته مقابلته بالليل كما قاله البغوي اهـ.

قوله: ﴿إذا سجى﴾ إذا هذه لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم المقدر مثل ما تقدم ويرد عليه الاشكال المتقدم في سورة الشمس؟ قوله: (غطى بظلامه) أي كل شيء، وقوله: أو سكن أي سكن أهله فهو مجاز عقلي حيث أسند السكون لليل، ويقال: ليلة ساجية أي ساكنة الريح، وسجا البحر سكنت أمواجه اهـ من الخطيب.

وفي المختار: وقد سجا الشيء من باب سما سكن ودام، وقوله تعالى: والليل إذا سجى أي دام وسكن، ومنه البحر الساجي، وطرف ساج أي ساكن، وسجى الميت تسجية أي مد عليه ثوباً اهـ.

قوله: ﴿وما ودعك ربك﴾ العامة على تشديد الدال من التوديع، وعروة بن الزبير، وابنه هشام، وابن أبي عبلة بتخفيفها من قولهم ودعه أي تركه اهـ سمين.

وفي المصباح: ودعته أدعه ودعا تركته، وقد قرأ مجاهد، وعروة، ومقاتل، وابن أبي عبلة، ويزيد النحوي: ما ودعك ربك بالتخفيف، وفي الحديث: «لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات، أي عن تركهم لها، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين». قوله: (تركك يا محمد) أشار به إلى أن التوديع مستعار استعارة تبعية للترك، فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقته، وهذه الحقيقة لا تتصور هنا اهـ شهاب.

قوله: ﴿وما قلى﴾ أي ما أبغضك يقال: قلاه يقليه بكسر العين في المضارع، وطيىء يقولون قلاه يقلاه بالفتح اهـ سمين.

وفي المصباح: قليته قلياً وقلوته قلواً من بابي ضرب وقتل وهو الانضاح في المقلى وهي فعلى بالكسر، وقد يقال مقلاة بالهاء واللحم وغيره مقلي من الياء ومقلو من الواو والفاعل قلاء بالتشديد لأنه صنعة كالعطار والنجار، وقليت الرجل أقليه من باب رمى قلاً بالكسر والقصر، وقد يمد إذا أبغضته ومن باب تعب لغة اهـ.

قوله: (نزل هذا لما قال الكفار الخ) عبارة الخطيب: تنبيه اختلفوا في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال، أحدها: ما روى البخاري عن جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ ليلتين أو ثلاثاً فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت. ثانيها: ما روى أبو عمران الجوني قال: أبطأ جبريل عليه السلام على النبي ﷺ حتى شق عليه فجاءه وهو اضع جبهته على الكعبة يدعو فأنزل عليه الآية، ثالثها: ما روي أن خولة كانت تخدم النبي ﷺ فقالت: إن جرواً دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي ﷺ أياماً لا ينزل عليه، الوحي، فقال ﷺ: يا خولة ما حدث في بيتي أن جبريل عليه السلام لا يأتيني؟ قالت خولة

لَّكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝﴾ الدنيا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلاً ﴿فَتَرْضَىٰٓ ۝﴾ به، فقال ﷺ: إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار، إلى

فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير، فإذا جرو ميت. فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة، فقال: يا خولة دثريني، فأنزل الله تعالى هذه السورة، ولما نزل جبريل سأله النبي ﷺ عن التأخر، فقال: أما علمت أنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة. رابعها: ما روي أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف، فقال ﷺ: سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٣] فأخبر بما سأل عنه. وفي هذه القصة نزلت ما ودعك، واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه، فقال ابن جرير: اثنا عشر يوماً، وقال ابن عباس: خمسة عشر يوماً، وقال مقاتل: أربعون يوم قالوا وقال المشركون: إن محمداً ودعه ربه وقلاه فأنزله الله تعالى هذه السورة، فقال النبي ﷺ: يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك، فقال جبريل عليه السلام: إني كنت إليك أشد شوقاً ولكني عبد مأمور، وأنزل عليه: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ [مريم: ٦٤] اهـ.

قوله: (وللآخرة) اللام للابتداء مؤكدة لمضمون الجملة اهـ نهر.

قوله: ﴿خير لك﴾ إنما قيد تعالى بقوله لك لأنها ليست خيراً لكل أحد قال البقاعي: إن الناس على أربعة أقسام منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء، ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء، ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الأغنياء، ومنهم من له صورة شرفي الدنيا وخير في الآخرة وهم الفقراء المؤمنون اهـ خطيب.

قوله: ﴿ولسوف يعطيك﴾ هذا وعد شامل لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه اهـ بيضاوي.

واللام لام الابتداء مؤكدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك وليست لام القسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد، فتعين أن تكون لام الابتداء وهي لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر، فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر، وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك فإن قيل: ما معنى الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير؟ أجيب: بأن معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة اهـ خطيب.

قوله: ﴿يعطيك﴾ أي توعد لا خلف فيه وإن تأخر وقته اهـ خطيب.

وقال الرازي: ولسوف يعطيك أي الشفاعة في الأمة، ويؤيده قوله: إذن لا أرضى الخ، وقيل: يعطيك ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها، لكن تفسيره بالشفاعة أولى بدليل قوله: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد: ١٩] فلا يرضى الرد وإنما يرضى بالإجابة، والأولى حمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة فتقييد الشارح بقوله: في الآخرة فيه قصور اهـ.

هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ ﴾ استفهام تقريري أي وجدك ﴿ يَتِيمًا ﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها ﴿ فَـَٔاوَىٰ ۝ ﴾ بأن ضمك إلى عمك أبي طالب ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ عمّا

قوله: (بمثبتين) أي مؤكدين وهما كون الآخرة خير له من الدنيا، وأنه سوف يعطيه ما يرضيه بعد منفيين هما توديعه وقلاه اهـ سمين.

قوله: ﴿ألم يجدك﴾ الخ قد امتن الله عليك بثلاثة أشياء والقصد من تعداد هذه النعم تقوية قلبه ﷺ بخلاف قوله تعالى: ﴿ألم نرَ بك فينا وليداً﴾ [الشعراء: ١٨] لأنه في معرض الذم ثم أمره بعد ذلك أن يذكر نعم ربه كأنه قال له: فالطريق في حقك أن تفعل مع عبيدي مثل ما فعلت في حقك كنت يتيماً فآوينك فافعل في حق الأيتام ذلك، وكنت ضالاً فهديتك فافعل في حق عبيدي ذلك، وكنت عائلاً فأغنيتك فافعل في حق عبيدي ذلك فكن أبداً ذاكراً لهذه النعم والألطاف اهـ رازي.

قوله: (استفهام تقرير) أي تقرير بما بعد النفي والوجود في الآية بمعنى العلم، ويتيماً مفعوله الثاني، والكاف مفعوله الأول، والمعنى ألم يعلمك الله يتيماً اهـ رازي.

أو بمعنى المصادفة ويتيماً حال من مفعوله اهـ أبو السعود.

قوله: (بفقد أبيك) مصدر مضاف لمفعوله، وقوله: قبل ولادتك أي بعد حمله بشهرين، وقيل: قبل ولادته بشهرين، وقوله: أو بعدها أي بشهرين، وقيل: بسبعة أشهر، وقيل: بتسعة أشهر، وقيل: بثمانية وعشرين شهراً، والراجح المشهور الأول وكانت وفاة أبيه عبد الله بالمدينة الشريفة ودفن في دار النابغة، وقيل: دفن بالأبواء قرية من عمل الفرع توفت أمه وهو ابن أربع سنين، وقيل: خمس سنين، وقيل: ست سنين، وقيل: سبع سنين، وقيل: ثمان سنين، وقيل تسع سنين، وقيل: اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام، وكانت وفاتها بالأبواء وقيل: بالحجون اهـ من المواهب وشرحه.

ومات جده ورسول الله ﷺ ابن ثمان، وكان عبد المطلب وصى أبا طالب به لأن عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة، فكان أبو طالب هو الذي كفل رسول الله ﷺ بعد جده إلى أن بعثه الله نبياً اهـ رازي.

قوله: ﴿فآوى﴾ العامة على آوى بألف بعد الهمزة رباعياً من آواه يؤويه، وأبو الأشهب فأوى ثلاثياً اهـ سمين.

وآوى بالمد أصله أأوى بهمزتين قلبت الثانية ألفاً وهو بوزن أكرم ومصدره إيواء كاكرام ويستعمل متعدياً كما هنا باتفاق، وبعضهم يستعمله لازماً أيضاً، ويقال أوى بالقصر كرمى ومصدره إواء بوزن كتاب وأوى بوزن فعول وأوى بوزن ضرب، وهذا يستعمل لازماً ومتعدياً باتفاق، وفي المصباح: أوى إلى منزله يأوي من باب ضرب أوياً أقام، وربما عدي بنفسه فقيل أوى منزله، والمأوى بفتح الواو لكل حيوانه مسكنه وآويت زيداً بالمد في التعدي، ومنهم من يجعله مما يستعمل لازماً ومتعدياً، فيقال: أويته وزان ضربته، ومنهم من يستعمل الرباعي لازماً أيضاً ورده جماعة اهـ.

قوله: ﴿ووجدك ضالاً﴾ (عما أنت عليه الآن من الشريعة) أي وجدك خالياً من الشريعة فهداك بإنزالها إليك، فالمراد بضلاله كونه من غير شريعة، وليس المراد به الانحراف عن الحق، فهذا كقوله

. . . .

تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى: ٥٢] تأمل وعبارة الخطيب: واختلفوا في قوله تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾، فأكثر المفسرين أنه كان ضالاً عما هو عليه الآن من الشريعة فهداه الله تعالى إليها، وقيل: الضلال بمعنى الغفلة كقوله تعالى: ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢] أي لا يغفل، وقال تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ [يوسف: ٣] وقال الضحاك: المعنى لم تكن تدري القرآن وشرائع الإسلام فهداك إلى القرآن وشرائع الإسلام، وقال السدي: وجدك ضالاً أي في قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك أو فهداك إلى إرشادهم، وقيل: وجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها، وقيل: ناسياً شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فذكرك كقوله تعالى أن تضل إحداهما، وقيل: ووجدك طالباً للقبلة فهداك إليها كقوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية فيكون الضلال بمعنى الطلب لأن الضال طالب، وقيل: ووجدك ضائعاً في قومك فهداك إليهم، ويكون الضلال بمعنى المحبة كما قال تعالى: ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ [يوسف: ٩٥] أي في محبتك. وروى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ ضلّ في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفاً من أغنامه فردّه إلى عبد المطلب، وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة عبد خديجة، فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة ناقة، فجاء إبليس بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة وردّه إلى القافلة، فمنّ الله تعالى عليه بذلك، وقيل: وجدك ضالاً نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك، وقال كعب: إن حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله ﷺ لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئاً لك يا بطحاء مكة اليوم برد الله إليك النور والبهاء والجمال، قالت: فوضعته لأصلح شأني فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره، فقلت: يا معاشر الناس أين الصبي؟ فقالوا: لم نر شيئاً، فصحت وامحمداه، فإذا شيخ فإن يتوكأ على عصاه، فقال: اذهبي إلى الصنم الأعظم فإن شاء أن يرده إليك فعل، ثم طاف بالصنم وقبّل رأسه، وقال: يا رب لم تزل منتك على قريش والسعدية تزعم أن ابنها قد ضلّ فرده إن شئت، فانكب على وجهه وتساقطت الأصنام وقالت: إليك عنا أيها الشيخ فهلاكنا على يد محمد، فألقى الشيخ عصاه وارتعد وقال: إن لابنك رباً لا يضيعه فاطلبيه على مهل، فانحشرت قريش إلى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه، فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعاً وتضرع إلى الله تعالى أن يرده فسمعوا منادياً ينادي من السماء: معاشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد رباً لا يخذله ولا يضيعه، وإن محمداً بوادي ثمامة عند شجرة السمر. فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل، فإذا النبي ﷺ قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان وبالورق، وفي رواية: ما زال عبد المطلب يرد البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة، ومحمد ﷺ بين يديه وهو يقول: ألا تدري ماذا جرى من ابنك؟ فقال عبد المطلب: ولم؟ فقال: إني انخت الناقة وأركبته خلفي، فأبت الناقة أن تقوم، فلما أركبته أمامي قامت الناقة، قال ابن عباس: ردّه الله تعالى إلى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون، وقيل: وجدك ضالاً ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وأنت لا تعرف الطريق فهداك إلى ساق العرش، وقال بعض المتكلمين: إذا وجدت العرب شجرة منفردة من الأرض لا شجرة معها سموها ضالة فيهدى بها إلى

أنت عليه الآن من الشريعة ﴿فَهَدَىٰ ۝٧﴾ أي هداك إليها ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ فقيراً ﴿فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها، وفي الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس». ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ بأخذ ماله أو غير ذلك ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ تزجر لفقره

الطريق، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ووجدك ضالاً أي لا أحد على دينك بل أنت وحيد ليس معك أحد فهديت بك الخلق، وقيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، فقوله تعالى: ووجدك ضالاً فهدى أي وجد قومك ضلالاً فهداهم بك، وقيل غير ذلك. قال الزمخشري: ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة، فإن أراد أنه كان على خلوهم من العلوم السمعية فنعم، وإن أراد أنه كان على كفرهم ودينهم فمعاذ الله، والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر، فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء، وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر اهـ.

قوله: (عما أنت عليه الآن من الشريعة) أي فالضلال مستعار من ضلّ في طريقه إذا سلك طريقاً غير موصلة لمقصده لعدم ما يوصله للعلوم النافعة وهي ما ذكر من الوحي وغيره اهـ من الشهاب.

قوله: ﴿عائلاً﴾ أي فقيراً، وهذا قراءة العامة. يقال: عال زيد من باب سار أي افتقر، وأعال كثرت عياله، وقرأ اليماني عيلاً بكسر الياء المشددة كسد اهـ سمين.

قوله: (بما قنعك به) أي ربما رضاك به، وفي القاموس: وقنعه تقنيعاً رضاه، والمرأة ألبسها القناع اهـ.

وقوله: من الغنيمة أي وإن كانت لم تحصل إلا بعد نزول هذه السورة، لكن لما كان الجهاد معلوم الوقوع كان كالواقع اهـ رازي.

وتفسيره بالغنيمة قاصر. وعبارة الخطيب: قال مقاتل: فرضاك بما أعطاك من الرزق، واختاره الفراء، وقال: لم يكن غناه عن كثرة المال، ولكن الله تعالى أرضاه بما أعطاه، وذلك حقيقة الغنى، وقال ﷺ: «ليس الغني عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»، وقال ﷺ: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه»، وقيل: أغناك بمال خديجة وتربية أبي طالب، ولما اختل ذلك أغناه بمال أبي بكر، ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم. روى الزمخشري أنه ﷺ قال: «جعل رزقي تحت ظل سيفي ورمحي» اهـ.

قوله: (وغيرها) كمال خديجة ومال أبي بكر وبإعانة الأنصار حين الهجرة. **قوله: (عن كثرة العرض)** بفتح العين والراء أي المال اهـ خازن.

قوله: ﴿فأما اليتيم﴾ منصوب بتقهر، وبه استدل ابن مالك على أنه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل، ألا ترى أن اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم، ولو قدمت تقهر على لا لامتنع لأن المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره، وتقدم ذلك في سورة هود عند **قوله تعالى: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾** [هود: ٨] اهـ سمين.

قال مجاهد: لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً، وقال الفراء: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم، وروي أنه ﷺ قال: «خير

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عليك بالنبوة وغيرها ﴿فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ أخبر، وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل.

بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، ثم قال بأصبعيه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه» اهـ خطيب.

قوله: (أو غير ذلك) كإذلاله اهـ زاده.

قوله: ﴿وأما السائل﴾ منصوب بتنهر يقال نهره وأنهره إذا زجره وأغلظ عليه القول اهـ خطيب.

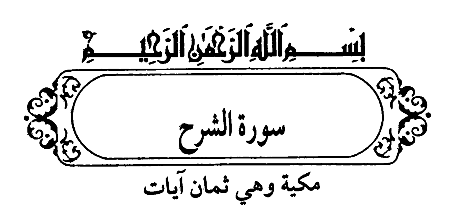
وفي الخازن: فلا تنهر فإما أن تطعمه وإما أن ترده رداً جميلاً ليناً برفق، وقيل: السائل هو طالب العلم فيجب إكرامه وإنصافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهر ولا يتلقى بمكروه اهـ.

قوله: (لفقره) لعل الأولى أن يكون السائل أعم من أن نسأل المال أو العلم فيكون التفصيل مطابقاً للتعديد اهـ قارىء.

قوله: ﴿وأما بنعمة ربك﴾ الجار والمجرور متعلق بحدث، والفاء غير مانعة من ذلك لأنها كالزائدة والتحدث بها بالشكر والثناء عليه تعالى، وفي كلامه إشعار بأن قوله تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر مقابل لقوله: ألم يجدك يتيماً فآوى، وقوله: وأما السائل الخ مقابل لقوله: ووجدك عائلاً فأغنى، وأما قوله: وأما بنعمة ربك فحدث فجيء به على العموم. وفي حكمة تأخير حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل وجوه، أحدها: أن الله غني وهما محتاجان وتقديم المحتاج أولى. وثانيها: أنه وضع في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول. وثالثها: أن المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله فختمت به وأوثر فحدث على فخبر ليكون عنده حديثاً لا ينساه اهـ كرخي.

وعبارة الخطيب: وأما بنعمة ربك فحدث بها، فإن التحدث بها شكرها، وإنما يجوز لغيره ﷺ مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل، ولو لم يكن في الذكر إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى، والمعنى إنك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فآواك الله وهداك وأغناك، فمهما يكن من شيء فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاثة، واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه، ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر، وحدث بنعمة الله كلها، ويدخل تحته هداية الضال وتعليمه الشرائع، والقرآن مقتدياً بالله تعالى في أن هداك من الضلالة، وقال مجاهد: تلك النعمة هي القرآن والحديث والتحديث بهما أي يقرأ ويقرىء غيره، وعنه تلك النعمة هي النبوة أي بلغ أما أنزل إليك من ربك، وقيل: تلك النعمة هي أن وفقك الله سبحانه وتعالى فراعيت حق اليتيم والسائل فحدث بها ليقتدي بك غيرك، وعن الحسن بن علي قال: إذا علمت خيراً فحدث به إخوانك ليقتدوا بك إلا أن هذا لا يحسن إلا إذا لم يتضمن رياء أو ظن أن غيره يقتدي به كما علم ما مرّ. وروي أن شخصاً كان جالساً عند النبي ﷺ فرآه رث الثياب، فقال له ﷺ: ألك مال؟ قال: نعم فقال له ﷺ: «إذا آتاك الله مالاً فلير أثره عليك»، وروي أنه ﷺ قال: «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده»، انتهت.

قوله: (في بعض الأفعال) وهو فآوى فهدى فأغنى اهـ كرخي.



مكية وهي ثمان آيات

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾ استفهام تقرير، أي شرحنا ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدۡرَكَ ۝١﴾ بالنبوة وغيرها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ أي ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق، فكان غائباً عنهم بروحه حاضراً معهم بجسده الشريف، أو ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل، أو بما يسرنا لك من تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك اهـ بيضاوي.

قال الراغب: أصل الشرح بسط اللحم ونحوه. يقال: شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه اهـ كرخي.

قوله: (أي شرحنا) أشار إلى أن الاستفهام التقريري إذا دخل على منفى قرره فصار معناه ما ذكره، ولذلك عطف عليه الماضي اعتباراً بالمعنى اهـ كرخي.

فلا يقال يلزم عطف الخبر على الإنشاء فيما لا محل له من الإعراب وهو مردود أو ضعيف، وأما عطف المثبت على المنفي فإنه جائز باتفاق اهـ شهاب.

وفي السمين قوله: ألم نشرح الاستفهام إذا دخل على النفي قرره فصار المعنى قد شرحنا ولذلك عطف عليه الماضي، ومثله ألم نر بك فينا وليداً ولبثت اهـ.

ولما ذكر بعض النعم عليه بقوله: ﴿ما ودعك ربك﴾ [الضحى: ٣] الخ أتبعه بما هو كالتتمة له وهو شرح الصدر اهـ كازروني.

قوله: (بالنبوة وغيرها) روي أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة، وهو ابن ثلاث سنين أو أربع، فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه ثم ملأه علماً وإيماناً، ثم رده في صدره، وهذا وإن كان في صغره فهو من باب الارهاص وهو جائز عندنا فسقط ما قيل هنا وشق أيضاً عنه عند بلوغه عشر سنين وعند البعثة وليلة الإسراء، فمرات الشق أربع على الصحيح، وذكر الصدر دون القلب لأن الصدر محل الوسوسة، كما يقال: ﴿يوسوس في صدور الناس﴾ [الناس: ٥] فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح، والقلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فيجيء أولاً إلى الصدر الذي هو حصن القلب، فإذا وجد مسلكاً نزل فيه هو وجنده وبث فيه الغموم والهموم

﴿وَوَضَعْنَا﴾ حططنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾ أي أثقل ﴿ظَهْرَكَ ۝٣﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك﴾ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ بأن تذكر مع ذكري في الأذان والإقامة

والحرص، فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإسلام حلاوة، وإذا لم يجد له مسلكاً وطرد حصل الأمن وانشرح الصدر وتيسر القيام بأداء العبودية، وقال ألم نشرح لك ولم يقل ألم نشرح صدرك تنبيهاً على أن منافع الرسالة عائدة عليه ﷺ كأنه يقول: إنما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي، وقال: نشرح دون أشرح، فإن كانت النون للتعظيم دلّت عظمة المنعم على عظمة النعمة، وإن كان النون للجمع، فالمعنى كأنه تعالى يقول لم أشرحه وحدي بل أعملت فيه ملائكتي فكنت ترى الملائكة حولك وبين يديك حتى تقوي قلبك فأديت الرسالة وأنت قوي القلب اهـ رازي.

قوله: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ معطوف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة، كأنه قيل: قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ، وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لتعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم اهـ أبو السعود.

قوله: (أثقل) ﴿ظهرك﴾ يقال أنقض الحمل الظهر أثقله وزناً معنى اهـ مصباح.
وفي المختار: وأصل الانقاض صوت مثل النقر اهـ.

وفي القرطبي: وأهل اللغة يقولون أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمع له صرير من شدة الحمل وكذا سمعت نقيض الرحل أي صريره اهـ.

وفي الخازن: الذي أنقض ظهرك أي أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من الحمل أو من الرحل فوق البعير، فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال: هو اهتمام النبي ﷺ بأمور كان فعلها قبل نبوته إذ لم يرد عليه شرع بتحريمها، فلما حرمت عليه بعد النبوة عدّها أوزاراً وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له، ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال: هو ترك الأفضل لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين اهـ.

قوله: (وهذا كقوله ليغفر ذلك الخ) أي فهو مصروف عن ظاهره، كقوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك﴾ [الفتح: ٢] أي أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب لو كان، وقيل: مغفور لك ما كان من سهو وغفلة، وقيل: من ذنبك أي ذنب أمتك، وقيل: المراد بالذنب ترك الأولى، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، وترك الأولى ليس بذنب اهـ مواهب.

وقال الرازي: معنى وضعنا عنك وزرك عصمناك من الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلاً، فوضع الوزر كناية عن عصمته وتطهيره من دنس الأوزار، ففيه استعارة تمثيلية حيث سمى العصمة وضعاً مجازاً اهـ.

قوله: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ في العطف وزيادة لك ما سبق اهـ رازي.

وفي زاده: ورفعنا لك ذكرك زاد لفظة لك في ألم نشرح لك، وفي رفعنا لك ولفظة عنك في ووضعنا عنك، فأي فائدة في تقديم الزيادة على المفاعيل الثلاثة؟ والجواب: أن زيادتها مقدمة عليها

والتشهد والخطبة وغيرها ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ الشدّة ﴿يُسْرًا ۝٥﴾ سهولة ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ والنبي ﷺ

تفيد إبهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم توضيحه، والإيضاح بعد الإبهام أوقع في الذهن اهـ.

قوله: (في الأذان والإقامة الخ) عبارة الخطيب: بأن تذكر معي في الأذان والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، ويوم عرفة، وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح ومشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلاً عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً، وقيل: أعلنا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين إلا ودينك يظهر عليه، وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين في الأرض، ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات. وقال الضحاك: لا تقبل صلاة إلا به، ولا تجوز خطبة إلا به، وقيل: رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله، وقيل: هو عام في كل ما ذكر وهذا أولى، وكم من موضع في القرآن يذكر فيه النبي ﷺ من ذلك **قوله تعالى**: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢] **وقوله تعالى**: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ [النساء: ٨٠] **وقوله تعالى**: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ [المائدة: ٩٢] وغير ذلك اهـ.

قوله: (والخطبة) أي على المنابر أو المراد خطبة النكاح، وقوله: وغيرها ككون اسمه مكتوباً على العرش، وذكره في الكتب المتقدمة وختم النبوة به وغير ذلك اهـ رازي.

قوله: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ مع بمعنى: بعد، وفي التفسير بها إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن اهـ أبو السعود.

وقوله: الشدة كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر، وقوله: يسراً كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن مع العسر يسراً﴾ العامة على سكون السين في الكلم الأربع، وابن وثاب، وأبو جعفر، وعيسى بضمها وفيه خلاف هل هو أصل أو مثقل من المسكن، والألف واللام في السعر الأول لتعريف الجنس وفي الثاني للعهد، ولذلك روي عن ابن عباس: لن يغلب عسر يسرين، والسبب فيه أن العرب إذا أتت باسم ثم أعادته مع الألف واللام كان هو الأول نحو: جاء رجل فأكرمت الرجل، **وكقوله تعالى**: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول﴾ ولو أعاده بغير ألف ولام كان غير الأول، فقوله: إن مع العسر يسراً لما أعاد العسر الثاني أعاده بأل ولما كان اليسر الثاني غير الأول لم يعده بأل. وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى قول ابن عباس المتقدم؟ قلت: هذا حمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء، وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه، والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى كما كرر قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ [المرسلات: ١٥] لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، وكما يكرر المفرد في قولك: جاء زيد زيد، وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردف بيسر لا محالة، والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف، وإنما كان العسر واحداً لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه، فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك أن مع زيد مالاً، وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضاً، وأما اليسر فنكرة متناولة لبعض الجنس، وإذا كان الكلام

قاسى من الكفار شدة، ثم حصل له اليسر بنصره عليهم ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَٱنصَبْ ۝٧﴾ اتعب في الدعاء ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ تضرع.

الثاني مستأنفاً غير مكرر فقد تناول بعضاً غير البعض الأول بغير إشكال. وقال أبو البقاء: العسر في الموضعين واحد لأن الألف واللام توجب تكرير الأول، وأما يسراً في الموضعين فاثنان لأن النكرة إذا أريد تكريرها جيء بضميرها أو بالألف واللام، ومن عنا قيل لن يغلب عسر يسرين. وقال الزمخشري أيضاً: فإن قلت: إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟ قلت: أراد الله أن يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب جتى جعله كأنه كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية للقلوب، وقال أيضاً، فإن قلت: ما معنى هذا التنكير؟ قلت: التفخيم كأنه قيل إن مع العسر يسراً عظيماً وأي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة، فإن قلت: فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين»؟ قلت: كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسراً من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة اهـ.

قوله: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ وجه تعلق هذا بما قبله أنه تعالى لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده بالنعم الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة، فقال: إذا فرغت أي من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يعطيك، وفائدة التعب في الدعاء أنه ينفعه في الدنيا وفي الآخرة، وقيل: إذا فرغت من دنياك فصل، وقيل: إذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة. وبالجملة فالمراد أن يواصل بين بعض العبادة وبعض وأن لا يخلي وقتاً من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة اتبعها بأخرى اهـ رازي.

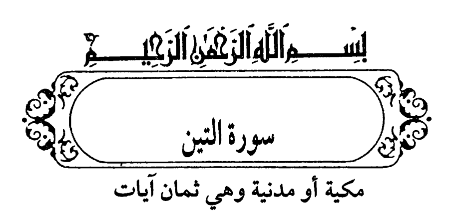
وأما تفسير فإذا فرغت من الغزو ففيه نظر، لأن السورة مكية والأمر بالجهاد إنما كان بعد الهجرة فلعله تفسير ابن عباس الذاهب إلى أن السورة مدنية تأمل. وفي الخطيب: فإذا فرغت قال ابن عباس: فرغت من صلاتك المكتوبة فانصب أي انصب في الدعاء. قال ابن مسعود: فإذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، وقال الشعبي: إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك، وقال الحسن، وزيد ابن أسلم: إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وصلّ. وقال أبو حيان عن الكلبي: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين. قال عمر بن الخطاب: إني أكره أن أرى أحدكم فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة، وإلى ربك المحسن إليك بفضائل النعم خصوصاً بما ذكر في هاتين السورتين، فارغب أي اجعل رغبتك إليه خصوصاً ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه، وقيل: تضرع إليه راغباً في الجنة راهباً من النار اهـ.

وفي المختار: فرغ من الشغل من باب دخل وفراغاً أيضاً اهـ.

وفي أيضاً: ونصب تعب وبابه طرب اهـ.

وفيه أيضاً: رغب فيه أراده وبابه طرب ورغبة أيضاً وارتغب فيه مثله ورغب عنه لم يرده، ويقال: رغبه فيه ترغيباً وأرغبه فيه أيضاً اهـ.

قوله: (اتعب في الدنيا) أي قبل السلام وبعده اهـ عمادي.



سورة التين

مكية أو مدنية وهي ثمان آيات

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١﴾ أي المأكولين، أو جبلين بالشام ينبتان المأكولين ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي في قول الأكثرين، وقوله: أو مدنية أي في قول ابن عباس وقتادة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿والتين والزيتون﴾ أقسم الله بهما لما فيهما من المنافع الجليلة، أما التين فقالوا: إنه غذاء وفاكهة ودواء، أما كونه غذاء فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه، وروي أن النبي ﷺ قال: «كلوا التين فإنه يقطع البواسير». وعن بعضهم: التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج. وأما كونه دواء فلأنه سبب في إخراج فضلات البدن وهو مأكول الظاهر والباطن دون غيره كالجوز والتمر، والتين في النوم رجل غير جبار، ومن نالها في المنام نالا مالاً ومن أكلها مناماً رزقه الله أولاداً، وتستر آدم بورق التين حين فارقه الجنة. وأما الزيتون فهو فاكهة من وجه ودواء من وجه ويستصبح به، ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى اهـ رازي.

قال الشهاب: ورمل المثانة بفتح الراء وسكون الميم والمثانة مقر البول، ورملها مرض يستولي عليها فيحجز البول عن الخروج بأجزاء دقيقة كالرمل يعسر معها البول ويتأذى به الإنسان، فإن زاد صار حصاة اهـ.

وفي القسطلاني على البخاري في تفسير سورة التين ما نصه: والتين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم، وفيه دواء كثير النفع لأنه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير وينفع من النقرس ويشبه فواكه الجنة لأنه بلا عجم ولا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الرشح اهـ.

قوله: (أي المأكولين الخ) وعن ابن عباس أيضاً: التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس، وقال الضحاك: التين المسجد الحرام، والزيتون المسجد الأقصى، وقال ابن زيد: التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس، وقال قتادة: التين الجبل

الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ مكة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ تعديل لصورته ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ﴾ في بعض أفراده ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ كناية عن الهرم

الذي عليه دمشق، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس، وقال محمد بن كعب: التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون إيلاء، وقال كعب الأحبار، وقتادة أيضاً، وابن زيد: التين دمشق، والزيتون بيت المقدس وهذا اختيار الطبري، وقال الفراء: سمعت رجلاً من أهل الشام يقول: التين جبال ما بين حلوان إلى همدان، والزيتون جبال الشام، وقيل: هما جبلان بالشام يقال لهما طور زيتاً وطور تيناً بالسريانية سميا بذلك لأنهما ينبتان بهما اهـ قرطبي.

قوله: (الجبل الذي كلم الله عليه الخ) وسمي سينين لحسنه أو لكونه مباركاً وكل جبل فيه أشجار مثمرة سمي سينين وسيناء اهـ خازن.

قوله: (وعنى سينين المبارك الخ) أي فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، ويجوز أن يعرب إعراب جمع المذكر السالم بالواو رفعاً وبالياء جراً ونصباً، ويجوز أن تلزمه الياء في الأحوال كلها وتحرك النون بحركات الإعراب اهـ ابن جزي.

ولم تنصرف سينين كما لا ينصرف سيناء لأنه جعل اسماً للبقعة أو الأرض فهو علم أعجمي، ولو جعل اسماً للمكان أو المنزل أو اسماً لمذكر لانصرف لأنك سميت به مذكراً اهـ خطيب.

وقرأ العامة سينين بكسر السين، وابن أبي إسحاق وعمرو بن ميمون وأبو رجاء بفتحها وهي لغة بكر وتميم، وقرأ عمر بن الخطاب وعبيد الله والحسن وطلحة سيناء بالكسر والمد، وعمر أيضاً وزيد بن علي بفتحها والمد، وقد ذكر في سورة المؤمنون، وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالأسماء الأعجمية، وقال الأخفش: سينين شجر الواحدة سينينة وهو غريب جداً غير معروف عند أهل التصريف اهـ سمين.

قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ هذا هو المقسم عليه، وقوله: الجنس أي الماهية من حيث هي الشاملة للمؤمن والكافر: قوله: ﴿في أحسن تقويم﴾ أي لأنه تعالى خلق كل ذي روح منكباً على وجهه إلا الإنسان فإنه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزين بالعلم والفهم والعقل والتميز والنطق والأدب، فهو أحسن بحسب الظاهر والباطن اهـ خازن.

وأحسن صفة لمحذوف أي في تقويم أحسن تقويم والجار والمجرور في موضع الحال من الإنسان وأراد بالتقويم القوام لأن التقويم فعل الباري تعالى وهو من أوصاف الخالق لا المخلوق، ويجوز أن تكون في زائدة، ومعنى خلقنا قومنا أي قومناه أحسن تقويم اهـ سمين.

قوله: (في بعض أفراده) أي بالنسبة لبعض أفراده على حد ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ [النحل: ٧٠ والحج: ٥] وحمله على هذا التفسير الرد بما ذكره من الهرم والضعف، لأن هذا ليس في جميع أفراد الإنسان بل في بعضها، وقيل: الضمير عائد على الإنسان مراداً به الجنس أيضاً، وفي القرطبي، وقيل لما وصفه بتلك الصفات التي ركب عليها الإنسان طغى وعلا حتى قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] فحين علم الله هذا من عبده رده أسفل سافلين بأن جعله مملوءاً قذراً مشحوناً

والضعف، فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره لقوله تعالى ﴿إِلَّا﴾ أي لكن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ غير مقطوع، وفي الحديث: «إذا بلغ المؤمن من

نجاسة وأخرجها على ظاهره إخراجاً منكراً على وجه الاختيار تارة وعلى وجه الغلبة أخرى، حتى إذا شاهد ذلك من أمره رجع إلى قدره اهـ.

قوله: ﴿أسفل سافلين﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنه حال من المفعول. والثاني: أنه صفة لمكان محذوف أي مكاناً أسفل سافلين، وقرأ عبد الله أسفل السافلين معروفاً اهـ سمين.

والسافلون هم الصغار والزمنى والأطفال، فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعاً لأنه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله اهـ خازن.

قوله: (وكناية عن الهرم والضعف) وعليه فالمعنى ثم جعلناه ضعيفاً، وقوله: ويكون له أجره أي أجر زمن الشباب أي أجر العمل الذي كان يعمله زمن الشباب، وقوله: لقوله تعالى تعليل لقوله ويكون له أجره، ومحصل كلامه أنه جعل المستثنى بياناً لمعنى المستثنى منه، وعلى هذا التقرير يؤول المعنى إلى اتحاد المستثنى والمستثنى منه وعدم التغاير بينهما ويلزمه أن يكون متصلاً ولا منقطعاً، وهذا لا يصح. ثم رأيت في البيضاوي ما نصه: وقيل هو أي أسفل السافلين أرذل العمر، فيكون قوله: إلا الذين الخ منقطعاً اهـ.

وفي الجلال في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ [النحل: ٧٠ والحج: ٥٠] ما نصه: أي أخسه من الهرم والخرف اهـ.

وفي البيضاوي: هناك أرذل العمر خمس وتسعون سنة، وقيل: خمس وسبعون اهـ.

ثم رأيت في الشهاب على البيضاوي هنا ما نصه: قوله منقطعاً أي لأنه لم يقصد إخراجهم من الحكم وهو مدار الاتصال والانقطاع كما صرح به في الأصول والدخول كما توهم فلا يرد عليه أنه كيف يكون منقطعاً، مع أنهم مردودون أيضاً فهو للاستدراك لدفع ما يتوهمه من أن التساوي في أرذل العمر يقتضي التساوي في غيره، ويكون الذين حينئذ مبتدأ والفاء داخلة في خبره لا للتفريع كما في الاتصال اهـ.

قال زاده: والمعنى ولكن الصالحون من الهرمى لهم أجر دائم اهـ.

وفي السمين: قوله: إلا الذين آمنوا فيه وجهان، أحدهما: أنه متصل على أن المعنى رددناه أسفل ممن سفل خلقاً وتركيباً يعني أقبح ممن قبح خلقه وأشوهه صورة وهم أهل النار، فالاتصال على هذا واضح. والثاني: أنه منقطع على أن المعنى: ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل ممن سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره وضعف بصره وسمعه، والمعنى: ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم قاله الزمخشري ملخصاً اهـ.

وفي القرطبي: قيل إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم لا يخرفون ولا تذهب عقولهم اهـ.

وعليه فيكون الاستثناء متصلاً حيث أخرجوا من الرد إلى أسفل سافلين بمعنى الرد إلى أرذل العمر فليتأمل.

قوله: ﴿غير ممنون﴾ فسّره الشارح بأنه غير مقطوع ويفسر أيضاً بأنه لا يمن به عليهم فهو غير

الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل» ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدُ﴾ أي بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة، ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث ﴿بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب، أي ما يجعلك مكذباً بذلك ولا جاعل له ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ أي هو أقضى القاضين وحكمه بالجزاء من ذلك، وفي الحديث: «من قرأ ﴿والتين﴾ إلى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

مقطوع وغير منقوص بالمنة اهـ.

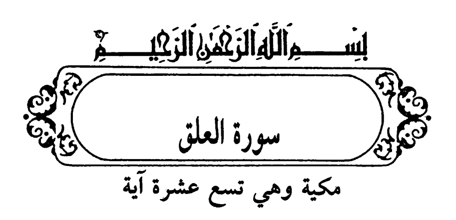
قوله: (من الكبر) من تعليلية وما مفعول به وهي بمعنى زمان، والمعنى إذا بلغ المؤمن بسبب الكبر زماناً يعجز فيه عن العمل فعائد ما محذوف، وقوله: ما كان يعمله أي في زمن الشباب، وفي بعض النسخ ما يعجزه عليه فيكون من الكبر بياناً لما مقدماً عليه، والمعنى: إذا بلغ المؤمن كبراً يعجزه عن العمل الخ تأمل.

قوله: ﴿فما يكذبك﴾ ما اسم استفهام على معنى الانكار في محل رفع بالابتداء والخبر والفعل بعدها أي فما الذي يحملك أيها الإنسان على التكذيب بالبعث كما أشار إليه في التقرير، وعليه ينبغي أن يذهب إلى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لما سبق من قوله: لقد خلقنا الإنسان، وعليه جرى في الكشاف وقدم القاضي عليه كونه خطاباً لرسول الله ﷺ ونصه: فما يكذبك أي فأي شيء يكذبك يا محمد دلالة ونطقاً بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور الدلائل، وقيل: ما بمعنى من اهـ.

والمعنى: فمن يكذبك أيها الرسول الصادق المصدق بما جئت به من الدين الحق، أو بسبب الدين بعد ظهور هذه الدلائل الدالة على نبوتك، أليس الله بأحكم الحاكمين يحكم بينك وبين أهل التكذيب؟ وعلى ما قرره الشيخ المصنف يكون في الكلام تعجب وتعجيب، وذلك أنه تعالى لما قرر أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم ردّه إلى أرذل العمر دلّ على كمال قدرته على الإنشاء والإعادة، فسأل بعد ذلك عن تكذيب الإنسان بالجزاء، لأن ما يتعجب منه يخفى سببه وهذا كما ترى ظاهر جلي. وإليه أشار الشيخ المصنف في التقرير بقوله أي ما يجعلك مكذباً الخ يعني فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع، فقوله: أي ما يجعلك أي أي شيء يجعلك مكذباً أي: أي سبب يحملك على التكذيب، وقوله: ولا جاعل له إشارة إلى أن الاستفهام للإنكار والنفي، ولو قال ولا جاعل لك لكان أوضح، وعلى هذا فقوله: أليس الله بأحكم الحاكمين وعيد للكفار، وأنه يحكم فيهم بما هو أهله اهـ كرخي.

قوله: (أي هو أقضى القاضين) أشار بهذا إلى أن الاستفهام للتقرير ومعنى أقضى القاضين أصحهم وأنفذهم قضاء أي حكماً أي أن قضاءه في خلقه نافذ ولا بد بخلاف قضاء غيره من القضاة، فكثيراً ما يخطىء أو يرد ولا ينفذ، وفي القرطبي: أي أتقن الحاكمين صنعاً في كل ما خلق، وقيل: بأحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلاً بين الخلق اهـ.

قوله: (وحكمه بالجزاء) مبتدأ، وقوله: من ذلك أي من جملة قضائه خبره. قوله: (فليقل بلى الخ) أي سواء كان في الصلاة أو خارجها.



سورة العلق

مكية وهي تسع عشرة آية

صدرها إلى ما لم يعلم أول ما نزل من القرآن وذلك بغار حراء. رواه البخاري ﴿اقْرَأْ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وفي نسخة سورة العلق، وفي بعضها سورة القلم فأسماؤها ثلاثة اهـ.

ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر خلق الإنسان في أحسن تقويم ذكره هنا منبهاً على شيء من أطواره، وذكر نعمته عليه، ثم ذكر طغيانه بعد ذلك وما يؤول إليه حاله في الآخرة اهـ بحر.

فائدة:

ذكر السيوطي في إتقانه أن أول سورة اقرأ مشتمل على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما نزل من القرآن، فإن فيها الأمر بالقراءة، وفيها البداءة باسم الله، وفيها الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل، وفي هذا الإشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخيار من قوله: ﴿**علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ ولهذا قيل: إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله اهـ ابن لقيمة على البيضاوي.

قوله: (أول ما نزل من القرآن) أي ثم بعده نون والقلم ثم المزمل ثم المدثر إلى آخر ما ذكره الخازن في أول تفسيره فإنه استوفى الكلام على ترتيب السور من جهة النزول بمكة ثم بالمدينة، وتقدم نقل عبارته في أول هذا الموضوع. وفي القرطبي في أول تفسيره ما نصه: قال ابن الطيب: إن قال قائل قد اختلف السلف في ترتيب سور القرآن فمنهم من كتب في أول مصحفه الحمد لله، ومنهم من جعل في أوله اقرأ باسم ربك، وهذا أول مصحف علي رضي الله عنه، وأما مصحف ابن مسعود، فإن أوله مالك يوم الدين، ثم البقرة، ثم النساء على ترتيب مختلف، وفي مصحف أبي كان أوله الحمد لله، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائدة، ثم كذلك على اختلاف شديد. قال القاضي أبو بكر ابن الطيب: فالجواب أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة، وذكر ذلك مكي رحمه الله في تفسير سورة براءة، وذكر أن ترتيب الآيات ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يؤمر بذلك في أول سورة براءة تركت بلا بسملة،

أوجد القراءة مبتدئاً ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ الخلائق ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾ جمع

هذا أصح ما قيل في ذلك. وذكر ابن وهب في جامعه قال: سمعت سليمان بن بلال يقول: سمعت ربيعة يسأل لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع ثمان وثمانون سورة وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه وقد أجمعوا على العمل بذلك، فهذا مما يتلقى ولا يسأل عنه، وقال قوم من أهل العلم: إن تأليف سور القرآن على ما هو عليه في مصحفنا كان من توقيف من أصحاب النبي ﷺ. وأما ما روي من اختلاف مصحف أبي وعلي وعبد الله فإنما كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة الأخيرة، وأن رسول الله ﷺ رتب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك. روى يونس عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ، وذكر أبو بكر بن الأنباري في كتاب الرد: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فرّقه على النبي ﷺ في عشرين سنة، فكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية تنزل جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآية، فانتظام السورة كانتظام الآيات والحروف، فكله عن رسول الله خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام عن رب العالمين، فمن أخّر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغيَّر الحروف والكلمات، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة، لأن رسول الله ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب، وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات اهـ.

قوله: (ذلك) أي نزول هذا المقدار وهو خمس آيات.

قوله: ﴿إقرأ باسم ربك﴾ ظاهره أن هذه الجملة ليست من القرآن لأن الأمر بتحصيل الشيء غير ذلك الشيء، ولكن قام الإجماع على أنها جملة القرآن خصوصاً مع إثباتها في المصاحف بخطها سلماً وخلفاً من غير نكير، فعلم منه أنها من جملة القرآن تأمل.

قوله: (مبتدأ) ﴿باسم ربك﴾ أي: مفتتحاً فمحل باسم ربك نصب على الحال أي: اقرأ مفتتحاً باسم ربك أي: قل باسم الله اقرأ اهـ خطيب.

وفي أبي السعود: اقرأ ما يوحى إليك فإن الأمر بالقراءة يقتضي المقروء قطعاً، وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتماً سواء كانت السورة أول ما نزل أو لا، وقوله: باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أي اقرأ متلبساً باسمه تعالى أي: مبتدئاً به لتتحقق مقارنته لجميع أجزاء المقروء، وقال: من علق ولم يقل من نطفة مراعاة للفواصل اهـ.

قال أبو السعود، والتعرض لعنوان الربوبية المبينة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره ﷺ للإشعار بتبليغه ﷺ إلى الغاية القاصية من الكمالات البشرية ووصف الرب بقوله: الذي خلق لتذكير أول النعم الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة اهـ.

وفي السمين: قوله: باسم ربك يجوز فيه أوجه، أحدها: أن تكون الباء للحال أي: اقرأ مفتتحاً

علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ تأكيد للأول ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ الذي لا يوازيه

باسم ربك أي: قل بسم الله ثم اقرأ قاله الزمخشري. الثاني: أن الباء مزيدة والتقدير اقرأ اسم ربك. والثالث: أن الباء للاستعانة والمفعول محذوف تقديره اقرأ ما يوحى إليك مستعيناً باسم ربك.
والثالث: أن الباء للاستعانة والمفعول محذوف تقديره: اقرأ ما يوحى إليك مستعيناً باسم ربك.
الرابع: أنها بمعنى على أي اقرأ على اسم ربك كما في قوله: ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله﴾ [هود: ٤١] اهـ.

فائدة:

بسم الله تكتب من غير ألف استغناء عنها بياء الإلصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف قوله تعالى: اقرأ باسم ربك فإنها لم تحذف فيه لقلة الاستعمال، واختلفوا في حذفها من الرحمن والقاهر، فقال الكسائي، وسعيد بن الأخفش: تحذف الألف، وقال يحيى بن وثاب: لا تحذف إلا مع بسم الله فقط، لأن الاستعمال إنما كثر فيه اهـ من القرطبي في أول تفسيره.

قوله: ﴿الذي خلق خلق الإنسان﴾ يجوز أن يكون خلق الثاني تفسيراً لخلق الأول يعني أنه أبهمه أولاً، ثم فسره ثانياً بخلق الإنسان تفخيماً لخلق الإنسان، ويجوز أن يكون حذف المفعول من الأول تقديره خلق كل شيء لأنه مطلق يتناول كل مخلوق، وقوله: خلق الإنسان تخصيص له بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لأن التنزيل إليه، ويجوز أن يكون تأكيداً لفظياً فيكون قد أكد الصلة وحدها كقولك الذي قام قام زيد، والمراد بالإنسان الجنس ولذلك قال: من علق جمع علقة، لأن كل واحد مخلوق من علقة كما في الآية الأخرى، وقوله: علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم قريب من قوله: خلق الإنسان فلك أن تعيد فيه ما تقدم اهـ سمين.

قوله: ﴿من علق﴾ هو اسم جنس جمعي وطبق عليه جمعاً إما تسمحاً أو هو جمع لغوي اهـ شهاب.

قوله: (من الدم الغليظ) أي: الذي أصله المني ففي المصباح ما نصه: والعلقة المني فينتقل طوراً بعد طور فيصير دماً غليظاً متجمداً ثم ينتقل طوراً آخر فيصير لحماً وهو المضغة اهـ.

قوله: (تأكيد للأول): سببه التأنيس له ﷺ كأنه قيل لبعض: لما أمرت به وربك ليس كهذه الأرباب بل هو الأكرم، والأكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم إذ كرمه يزيد على كل كرم لأنه ينعم بالنعم التي لا تحصى، ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التي هي صفة الله تعالى يسمون الأكرم والرشيد وفخر السعداء وسعيد السعداء في ديار مصر، ويدعونه بها المسلمون، ويزيدون عليها في سبيل التعظيم الشيخ الأكرم والشيخ الأسعد والشيخ الرشيد فيا ويلها من خزي يوم عرض الأقوال والأفعال على الله اهـ بحر.

قوله: (الذي لا يوازيه كريم) أي: لا يعادله ولا يساويه فضلاً عن أن يزيد عليه، وفي المصباح: وازاه موازاة أي: حاذاه، وربما أبدلت الواو همزة فقيل آزاه اهـ.

كريم، حال من ضمير اقرأ ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ﴾ الخط ﴿بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ وأول من خط به إدريس عليه السلام ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها ﴿كَلَّآ﴾ حقاً ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ ﴿أَن رَّءَاهُ﴾ أي نفسه ﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، ورأى علمية،

قوله: ﴿الذي علم بالقلم﴾ نبه تعالى بهذا على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل إلا القلم والخط لكفى به. وروي أن سليمان عليه السلام سأل عفريتاً عن الكلام، فقال: ريح لا يبقى. قال: فما قيده؟ قال: الكتابة. وعن عمر قال: خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده، ثم قال تعالى لسائر الحيوان: كن فكان وهي القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام، وقال القرطبي: الأقلام الثلاثة في الأصل القلم الأول الذي خلقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ، والثاني: قلم الملائكة الذي يكتبون به المقادير والكوائن من اللوح المحفوظ، والثالث: أقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها إلى مآربهم. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة» قال بعض العلماء: وإنما حذرهم ﷺ عن ذلك لأن في إسكانهن الغرف تطلعاً إلى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا تستر وذلك لأنهن لا يملكن أنفسهن حين يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة فحذر من ذلك وكذلك تعليم الكتابة ربما كان سبباً للفتنة لأنها قد تكتب لمن تهوى والكتابة عين العيون بها يبصر الشاهد الغائب والخط إشارة اليد وفيها تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهو أبلغ من اللسان، فأحب ﷺ أن يقطع عن المرأة أسباب الفتنة تحصيناً لها اهـ خطيب.

قوله: ﴿الذي علم بالقلم﴾ علم بنصب مفعولين وهما محذوفان هنا، والتقدير علم الإنسان الخط بالقلم والشارح قدر الثاني وسكت عن تقدير الأول والأمر في ذلك سهل. قوله: (إدريس) وقيل: آدم اهـ خطيب.

قوله: ﴿علم الإنسان الخ﴾ الإنسان مفعول أول، وقوله: ما لم يعلم مفعول ثان، وقوله: قبل تعليمه متعلق بالنفي أو الذي انتفى علمه به قبل أن يعلمه، وقوله: من الهدى أي الرشد والصواب في القول والفعل اهـ.

قوله: (حقاً) إنما قال حقاً ولم يقل ردع لعدم ما يتوجه إليه الردع اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: كلاّ حقاً هو مذهب الكسائي ومن تبعه لأنه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا رداً كما قالوا في كلا والقمر فإنهم قالوا معناه أي: والقمر، ومذهب أبي حيان أنها بمعنى ألا الاستفتاحية، وصوبه ابن هشام لكسر همزة إن بعدها أي: لكونه مظنة جملة كما بعد حرف التنبيه نحو: ألا إنهم هم المفسدون، ولو كانت بمعنى حقاً لما كسرت إن بعدها لكونها مظنة مفرد، وفي الكواشي: يجوز في كلا أن تكون تنبيهاً على ما قبلها وردعاً فيقف عليها اهـ.

قوله: (أي نفسه) أشار به إلى أن في رأى ضميراً عائداً على الإنسان هو فاعله، وضمير المفعول

واستغنى مفعول ثان، وأن رآه مفعول له ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسان ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ أي الرجوع، تخويف له، فيجازي الطاغي بما يستحقه ﴿أَرَءَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجيب ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩﴾ هو أبو

الذي هو الهاء عائدة عليه أيضاً ورأى هنا من رؤية القلب يجوز أن يتحد فيه الضميران متصلين، فتقول: رأيتني وظننتني وحسبتني اهـ بحر.

قوله: ﴿استغنى﴾ (بالمال) أي: عن ربه فإنزال السورة يدل على مدح العلم وآخرها يدل على ذم المال وكفى بذلك مرغباً في الدين والعلم ومنفراً عن الدنيا والمال اهـ رازي.

قوله: (نزل في أبي جهل) أي: نزل قوله: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ إلى آخر السورة بعد مدة طويلة، فأمر النبي ﷺ بضم ذلك إلى أول السورة لأن ضم الآيات بعضها إلى بعض إنما كان بأمر الله له، ثم أكد هذا الزجر. بقوله: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ ولما ذكر في مقدمة السورة دلائل ظاهرة على التوحيد والقدرة والحكمة أتبعها بما هو السبب الأصلي في الغفلة عنها وهو حب الدنيا والمال والجاه اهـ رازي.

قوله: (وأن رآه مفعول له) أي: والهاء منه مفعول أول لرأى، واستغنى هو المفعول الثاني كما قال الشيخ المصنف اهـ كرخي.

وأن رآه أصله لأن رآه أي: لرؤيته مستغنياً اهـ زاده.

قوله: (مفعول له) أي: لأجله.

قوله: ﴿إن إلى ربك﴾ وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تهديداً له أي: الإنسان وتحذيراً من عاقبة الطغيان، فإن الله يرده ويرجعه إلى النقصان والفقر والموت كما ردّه من النقصان إلى الكمال حيث نقله من الجمادية إلى الحيوانية، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الذل إلى العز فما هذا التعزز والقوة اهـ رازي.

قوله: ﴿الرجعى﴾ ألفه للتأنيث اهـ بحر.

قوله: ﴿أرأيت الذي نهى﴾ الخ نزلت في أبي جهل، وذلك أنهُ نهى النبي ﷺ عن الصلاة. وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، وقال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده، فقيل له: مالك؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من ناراً وهولاً وأجنحة، فقال النبي ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» اهـ خازن.

قوله: (للتعجب) أي: التعجيب أي: إيقاع المخاطب وحمله على التعجيب. قال الرازي: والضمير المتصل برأيت للنبي ﷺ وهو المخاطب في المواضع الثلاثة، وقال ينهى عبداً ولم يقل ينهاك تفخيماً لشأنه من الله اهـ.

وقيل: الخطاب لأي مخاطب كان اهـ أبو السعود.

جهل ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾ أي المنهيّ ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ ﴿أَوْ﴾ للتقسيم ﴿أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أي الناهي للنبي ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ عن الإيمان ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ

واعلم أن أرأيت إذا كانت بمعنى أخبرني كما هنا فإنها تتعدى إلى مفعولين ثانيهما جملة استفهامية، وقد تقدم هذا غير مرة وهنا قد ذكرت ثلاث مرات، وقد صرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية فتكون في موضع المفعول الثاني لها، ومفعولها الأول محذوف وهو ضمير يعود على الذي ينهى عبداً الواقع مفعولاً أولاً لأرأيت الأولى، وأما أرأيت الأولى فمفعولها الأول الذي، والثاني محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد أرأيت الثالثة، وأما أرأيت الثانية فلم يذكر لها مفعول لا أول ولا ثان، فحذف الأول لدلالة المفعول الأول من أرأيت الأولى عليه، وحذف الثاني لدلالة مفعول أرأيت الثالثة عليه فقد حذف الثاني من أرأيت الأولى والأول من الثالثة، والاثنان من الثانية، وليس ذلك من باب التنازع لأنه يستدعي إضماراً والجمل لا تضمر إنما تضمر المفردات، وإنما ذلك من باب الحذف للدلالة اهـ سمين.

وأما جواب الشرط الذي في حيز الثانية والثالثة فمحذوف يدل عليه الجملة الاستفهامية، والتقدير إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم ذلك الناهي بأن الله يرى، وتقديره في الثالثة أن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كما يؤخذ من صنيع السمين في سورة الأنعام. ونقل هنا إعراباً آخر عن الزمخشري محصله: أن أرأيت الأولى مفعولها الأول الموصول، وإن الثانية زائدة لتوكيد الأولى، وان المفعول الثاني للأولى وهو جملة الشرط الذي في حيز الثانية مع جوابه المحذوف الذي يقدر جملة استفهامية وهي التي صرح بها في حيز الثالثة، وإن مفعول الثالثة الأول محذوف تقديره أرأيته وجملة الشرط الذي بعدها وجوابه وهو جملة الاستفهام المصرح بها سادة مسد المفعول الثاني، وقال في تقرير هذا الإعراب، فإن قلت: كيف صح أن يكون ألم نعلم جواباً للشرط؟ قلت: كما صح في قولك إن أكرمتك أتكرمني وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه اهـ.

قوله: ﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾ جواب الشرط محذوف دل عليه ألم يعلم فهو على تقدير الفاء أي: أفلم يعلم بأن الله يرى اهـ بحر.

وقال البيضاوي في تقديره فما أعجب من هذا، قال الشهاب أي: فجواب الشرط مقدر كما أشار له بقوله: فما أعجب من هذا بقرينة قوله أرأيت فإنه يفيد التعجب اهـ.

قوله: (للتقسيم) الأولى أن يقول أو بمعنى الواو كما يدل عليه قوله: ومن حيث إن المنهي على الهدى آمر بالتقوى فليتأمل.

قوله: ﴿ألم يعلم﴾ الاستفهام للتقرير، وقوله: أي بعلمه تفسير لقوله: يرى. قوله: (ردع له) أي: لأبي جهل أي: منع له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات والعزى، وقوله: لنسفعاً الضمير فيه عائد على الله تعالى وملائكته، أو على الله وحده أي: يقول الله يا محمد أنا الذي أتولى اهانته، والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة اهـ رازي.

وكتبت نون نسفعاً بالألف باعتبار الوقف عليها بإبدالها ألفا اهـ بحر.

﴿يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ما صدر منه، أي يعلمه فيجازيه عليه، أي اعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي على الهدى آمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متولٍّ عن الإيمان ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ لنجرَّنَّ بناصيته إلى النار ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ وصفها بذلك مجاز، والمراد صاحبها ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي أهل ناديه، وهو المجلس ينتدى يتحدث فيه القوم، وكان قال

وفي السمين: قوله: لنسفعاً الوقف على هذه النون بالألف تشبيهاً لها بالتنوين، ولذلك تحذف بعد الضمة والكسرة وقفاً وتكتب هنا ألفا اتباعاً للوقف، وروي عن أبي عمر ولنسفعن بالنون الثقيلة، والسفع الأخذ والقبض على الشيء وجذبه بشدة اهـ.

وفي المختار: سفع بناصيته أي: أخذ، ومنه قوله تعالى: ﴿لنسفعا بالناصية﴾ وسفعته النار والسموم إذا لفحته لفحاً يسيراً فغيرت لون البشرة وبابهما قطع اهـ.

قوله: ﴿بالناصية﴾ عبّر بالناصية عن جميع الشخص واكتفى بتعريف العهد عن الإضافة لأنه علم أنها ناصية الناهي، وقوله: ناصية بدل نكرة من معرفة. قال الزمخشري: لأنها وصفت فاستقلت بفائدة وليس وصفها بشرط عند البصريين في إبدال النكرة من المعرفة اهـ بحر.

والناصية شعر مقدم الرأس اهـ خازن، وتطلق على مقدم الرأس وإن لم يكن فيه شعر. قوله: (إلى النار) وقيل: في الدنيا يوم بدر فقد جره المسلمون إلى القتل فقتله ابن مسعود وهو طريح بين الجرحى، وبه رمق وهو يخور فخاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخريه من بعيد فطعنه، ثم لم يقدر ابن مسعود على الرقي على صدره لضعفه وقصره، فارتقى إليه بحيلة، فلما رآه أبو جهل قال: يا رويعي الغنم لقد رقيت مرقى غالياً، فقال ابن مسعود: الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، ثم قال لابن مسعود: اقطع رأسي بسيفي هذا لأنه أحد واقطع، فلما قطع رأسه به لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل فيه خيطاً وجره إلى رسول الله ﷺ وجبريل بين يديه يضحك اهـ رازي.

قوله: ﴿كاذبة﴾ أي في قولها قوله: ﴿خاطئة﴾ أي في فعلها اهـ كازروني.

وفي المصباح: والخطأ مهموز بفتحتين ضد الصواب وهو اسم من أخطأ فهو مخطىء، قال أبو عبيدة: خطىء خطأ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد، وقال غيره: خطىء في الدين وأخطأ في كل شيء عامداً كان أو غير عامد، وقيل: خطىء إذا تعمد ما نهي عنه فهو خاطىء وأخطأ إذ أراد الصواب فصار إلى غيره، فإن أراد إلى غير الصواب وفعله قيل قصده أو تعمده، والخطأ الذنب تسمية بالمصدر اهـ.

قوله: (أي أهل ناديه) أشار به إلى أنه حذف مضاف، لأن النادي هو المجلس الذي ينتدي فيه القوم ولا يسمى المكان نادياً حتى يكون فيه أهله، والمعنى فليدع عشيرته فليستبصر بهم اهـ خطيب.

قوله: (ينتدي) أي: يتخذ للتحدث اهـ سمين.

وفي القاري: ينتدي أي: ينادي بعضهم بعضاً فيه، وقوله: يتحدث فيه الخ تفسير أو بدل اهـ.

للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً ورجالاً مرداً ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً» ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ يا محمد فيترك الصلاة ﴿وَٱسْجُدْ﴾ صلِّ لله ﴿وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ منه بطاعته.

وفي المصباح: ندا القوم ندوا من باب غزا اجتمعوا، ومنه اشتق النادي وهو مجلس القوم للتحدث اهـ.

وفي المختار: وناداه جالسه في النادي وتنادوا تجالسوا في النادي، والندي على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم، وكذا الندوة والنادي والمنتدى، فإن تفرق القوم عنه فليس بندي، ومنه سميت دار الندوة التي بناها قصي بمكة لأنهم كانوا ينتدون فيها أي: يجتمعون للمشاورة اهـ.

قوله: (لما انتهره) أي: انتهر النبي ﷺ أبا جهل، وقوله: حيث نهاه أي: نهى أبو جهل النبي ﷺ، وعبارة الخازن: قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: انتهرتني فوالله لأملأن عليك هذا الوادي الخ، وفي البيضاوي: روي أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم أنهك فأغلظ له رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً فنزلت اهـ.

قوله: (لقد علمت ما بها) أي: فيها أي: في مكة. قوله: (خيلاً جرداً) في القاموس: وفرس أجرد قصير الشعر رقيقه جرد كفرح والأجرد السباق اهـ.

وقوله: مرداً أي: شباباً. وفي المصباح: مرد الغلام من باب تعب إذا أبطأ نبات وجهه، وقيل: إذا لم تنبت لحيته فهو أمرد اهـ.

وفي القاموس: والأمرد الشاب طر شاربه ولم تنبت لحيته اهـ.

وفي المختار: وطر النبت من باب رد نبت، ومنه طر شارب الغلام فهو طار اهـ.

قوله: ﴿سندع الزبانية﴾ واحدها زبنية بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه وتخفيف الياء من الزبن وهو الدفع أوزبني على النسب وأصله زباني بتشديد الياء، فالثاء عوض عن الياء اهـ بيضاوي.

وفي المختار: واحد لزبانية زبان أو زابان اهـ.

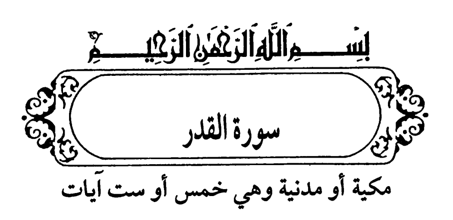
قوله: (الغلاظ الشداد) وهم خزنة جهنم أرجلهم في الأرض، رؤوسهم في السماء سموا زبانية لأنهم يزبنون الكفار أي: يدفعونهم في جهنم، والسين في سندع ليست للشك فإنه من الله واجب لأنه ينتقم لرسوله من عدوه اهـ بحر.

قوله: (صل لله) أي: دم على الصلاة وعبّر عن الصلاة بالسجود لأنه أفضل أركانه بعد القيام، ولأنه يكون العبد فيه أقرب إلى الله اهـ بحر.

قوله: ﴿واقترب منه﴾ أي: من الله، وفي الخطيب: وقوله: واسجد يحتمل أن يكون بمعنى

. . . .

السجود في الصلاة، وأن يكون سجود التلاوة في هذه السورة، ويدل لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال: سجدت مع رسول الله ﷺ في السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك سجدتين، وهذا نص في أن المراد سجود التلاوة، ويدل للأول قوله تعالى: ﴿**أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى**﴾ إلى قوله: ﴿**كلا لا تطعه واسجد**﴾ أي: دم على سجودك. قال الزمخشري: يريد الصلاة لأنه لا يرى سجود التلاوة في المفصل، والحديث يرد عليه واقترب أي: وتقرب إلى ربك بطاعته وبالدعاء قال ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فيه فقمن أي فحقيق أن يستجاب لكم» وكان ﷺ يكثر في سجوده من البكاء والتضرع حتى قالت عائشة: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء في السجود، وما هذا الجهد الشديد؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً اهـ.



مكية أو مدنية وهي خمس أو ست آيات

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِى لَيْلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (أو مدنية) وهو الأصح، وقول الأكثرين، وقيل: إنها أول ما نزل بالمدينة اهـ خازن.

قوله: (أو ست آيات) لم يذكر غيره هذا القول من المفسرين فيما رأينا، بل اقتصروا على كونها خمساً، ولعل قائل هذا القول بعد تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم آية مستقلة، ثم رأيت في السمين ما يشير إليه فيما سيأتي ونصه: وقيل: من كل أمر ليس متعلقاً بتنزل إنما هو متعلق بما بعده أي: هي سلام من كل أمر مخوف اهـ.

قوله: (جملة واحدة من اللوح المحفوظ الخ) أي: نزل به جبريل على النبي ﷺ نجوماً متفرقة في مدة عشرين سنة، فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة إليه، وإنما أنزل إلى سماء الدنيا أولاً تشويقاً إليه كمن يسمع الخبر بمجيء والده، فإنه يزيد تشوقه إلى مشاهدته، لأن السماء الدنيا كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة كما قال تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ [الأنبياء: ٣٢] وأضمر القرآن وإن لم يتقدم له ذكر لإسناد إنزاله إليه تعالى دون غيره، وجاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالشرف والاستغناء عن التصريح باسمه لشهرته والنون في إنا للتعظيم لأن الله واحد ولم يقل أنزلناه إلى سماء الدنيا لأن إنزاله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السفرة، ثم كان جبريل ينزله على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة، وقيل: المعنى أنزلناه في فضلها اهـ.

وقوله: وإنزاله الخ جواب عما يقال: القرآن لم ينزل جملة واحدة في وقت واحد، بل أنزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، فما وجه قوله: إنا أنزلناه في ليلة القدر؟ فأجابه بثلاثة أجوبة، الأول: أن المراد ابتدأنا إنزاله على طريق التفريق في ليلة القدر بناء على أن البعثة كانت في رمضان. والثاني: أن السؤال إنما يرد أن لو كان المراد إنزاله إلى الأرض وإلى الرسول عليه السلام، وليس ذلك مراداً بل المراد إنزاله جملة إلى السماء الدنيا. والثالث: أن التقدير أنزلناه في فضل ليلة القدر اهـ شهاب.

ومعنى إنزاله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا أن جبريل أملاه عنه منه على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه في صحف وكانت تلك الصحف في محل من تلك السماء يقال له بيت العزة يشير

ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ أي الشرف والعظم ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ تعظيم لشأنها وتعجيب منه ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ ليس فيها ليلة قدر، فالعمل الصالح فيها خير منه

إلى هذا عبارة البيضاوي، وتصرح به عبارة الخطيب ونصها: روي أنه تعالى أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة، ثم كان ينزله على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة إليه. وحكى الماوردي، عن ابن عباس: أنه نزل في شهر رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل على النبي ﷺ عشرين سنة اهـ.

قوله: (إلى سماء الدنيا) أي: إلى بيت العزة منها كما قاله ابن عباس وغيره، ومعلوم أن الإنزال مستعار للمعاني من الأجرام شبه نقل القرآن من اللوح إلى السماء وثبوته فيها بنزول جسم من علو إلى أسفل، فعلى هذا هو مجاز مرسل اهـ كرخي.

قوله: (الشرف والعظم) وفسّر القدر بالتقدير. وفي القرطبي: قال مجاهد: في ليلة الحكم وما أدراك ما ليلة القدر؟ قال: ليلة الحكم، والمعنى ليلة التقدير سميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك، ويسلمه إلى مدبرات الأمور وهم أربعة من الملائكة إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام اهـ.

قوله: ﴿ما ليلة القدر﴾ أي: ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها، ثم بيَّن ذلك بقوله: ليلة القدر الخ اهـ زاده.

فبين فضلها من ثلاثة أوجه، أولها: قوله ليلة القدر خير من ألف شهر. والثاني: قوله: تنزل الملائكة والروح فيها. والثالث: قوله: سلام هي حتى مطلع الفجر فهي جمل ثلاثة مُستأنفة استئنافاً بيانياً في جواب سؤال تقديره: وما فضائلها اهـ زاده.

قوله: ﴿من ألف شهر﴾ وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر اهـ.

قال عطاء، عن ابن عباس: ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله عز وجل ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأمته، فقال: يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال هي خير من ألف شهر التي حمل الإسرائيلي فيها السلاح، ثم ترقى في الرفع إلى أعلى بقوله: تنزل الملائكة الخ اهـ كرخي.

قوله: (فالعمل الصالح فيها) أي: من صلاة وتسبيح وغيرهما، ومن العلوم أن الطاعة في ألف شهر أشق من الطاعة في ليلة واحدة. فكيف يعقل استواؤهما فضلاً عن خيريه التي في ليلة على التي في ألف شهر، وقد قال رسول الله ﷺ: «أجرك على قدر نصبك»؟.

وأجيب: بأن الفعل لواحد قد يحذف حاله في الفضل، ألا ترى أن صلاة الجماعة تفضل عن صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة مع أن صلاة الجماعة قد تنقص عن صلاة المنفرد فإن المسبوق قد

في ألف شهر ليست فيها ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ أي جبريل ﴿فِيهَا﴾ في الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ قضاء الله فيها لتلك السنة إلى قابل، ومن

ينقص عنه ببعض الاركان بخلاف صلاة المنفرد، فحينئذ لا يبعد أن تكون الطاعة القليلة في الصورة أكثر ثواباً من الطاعة الكثيرة اهـ رازي.

قوله: ﴿تنزل الملائكة﴾ الخ روي أنه إذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان المنتهى، وجبريل عليه السلام ومعه أربعة ألوية فينصب لواء على قبر النبي ﷺ، ولواء على ظهر بيت المقدس، ولواء على ظهر المسجد الحرام، ولواء على ظهر طور سيناء، ولا يدع بيتاً فيه مؤمن أو مؤمنة إلا دخله وسلَّم عليه يقول: يا مؤمن أو يا مؤمنة السلام يقرئكم السلام إلا على مدمن الخمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير. وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى، وهذا يدل على أن الملائكة كلهم لا ينزلون، وظاهر الآية نزول الجميع، وجمع بين ذلك بما روي أنهم ينزلون فوجاً فوجاً كما أن أهل الحج يدخلون الكعبة فوجاً فوجاً وإن كانت لا تسعهم دفعة واحدة، كما أن الأرض لا تسع الملائكة دفعة واحدة، ولذلك ذكر بلفظ تنزل الذي يقتضي المرة بعد المرة أي: ينزل فوج ويصعد فوج، والله تعالى أعلم بذلك. وعن أبي هريرة: أن الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى، قال بعضهم: الروح ملك تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا، وفي كل رأس ألف وجه، وفي كل وجه ألف فم، وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد، ولكل لسان لغة لا تشبه لغة الآخر، فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجداً مخافة أن يحرقهم نور أفواهه، وإنما يسبح الله تعالى غدوة وعشية فينزل في ليلة القدر لشرفها وعلو شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد ﷺ بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر اهـ خطيب.

قوله: ﴿والروح فيها﴾ يجوز أن يرتفع الروح بالابتداء والجار بعده الخبر وأن يرتفع بالفاعلية عطفاً على الملائكة وفيها متعلق بتنزل، قوله: بإذن ربهم يجوز أن يتعلق بتنزل وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من المرفوع يتنزل أي متلبسين بإذن ربهم اهـ سمين.

قوله: ﴿من كل أمر﴾ يجوز في من وجهان: أحدهما: أنها بمعنى اللام وتتعلق بتنزل أي تنزل من أجل كل أمر قضى إلى العام القابل، والثاني: أنها بمعنى الباء أي تنزل بكل أمر فهي للتعدي قاله أبو حاتم، وقيل: من كل أمر ليس متعلقاً بتنزل، وإنما متعلق بما بعده أي هي سلام من كل أمر مخوف، وهذا لا يتم على هذه لأن سلام مصدر لا يتقدم عليه معموله، وإنما المراد أنه متعلق بمحذوف يدل عليه هذا المصدر اهـ سمين.

قوله: (من كل أمر قضاه الله فيها) أي أراد قضاءه فيها أي أراد إظهاره لملائكته، هذا هو المراد بالقضاء فيها لا القضاء الأولي، وقوله لتلك السنة أي مما هو منسوب لتلك السنة أو من كل أمر يقع في

سببية بمعنى الباء ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ خبر مقدَّم ومبتدأ ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ بفتح اللام وكسرها إلى وقت

تلك السنة، وقوله: إلى قابل متعلق بمحذوف تقديره من تلك الليلة إلى مثلها من قابل تأمل، وعبارة الخطيب: من كل أمر قضاه الله فيها من أمر الموت والأجل والرزق وغيره وتسليمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة وهم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل، وعن ابن عباس: أن الله يقضي الأقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها إلى أربابها ليلة القدر، وهذا يصلح أن يكون جمعاً بين القولين، انتهت.

وليس المراد أن تقدير الله لا يحدث إلاَّ في تلك الليلة لأنه تعالى قدر المقادير في الأزل قبل خلق السموات والأرض، بل المراد إظهار تلك المقادير للملائكة اهـ كرخي.

قوله: (بمعنى الباء) أي أو للتعدية كما تقدم في عبارة السمين.

قوله: ﴿سلام هي﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن هي ضمير الملائكة وسلام بمعنى: التسليم أي الملائكة ذات تسليم على المؤمنين، وفي التفسير أنهم يسلمون تلك الليلة على كل مؤمن ومؤمنة بالتحية. والثاني: أنه ضمير ليلة القدر، وسلام بمعنى: سلامة أي ليلة القدر ذات سلامة من كل شيء مخوف، ويجوز على كل من التقديرين أن يرتفع سلام على أنه خبر مقدم وهي مبتدأ مؤخر، وهذا هو المشهور وأن يرتفع بالابتداء وهي فاعل به عند الأخفش لأنه لا يشترط الاعتماد في عمل لوصف، وقد تقدم أن بعضهم يجعل الكلام تاماً على قوله بإذن ربهم ويعلق من كل أمر بما بعده وتقدم تأويله اهـ سمين.

وفي القرطبي: أن ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى مطلع الفجر أي إلى طلوع الفجر، قال الضحاك: لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة، وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة، وقيل: أي هي سلام أي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة، وكذا قال مجاهد: هي ليلة سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا أذى، وروي مرفوعاً، وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر يمرون على كل مؤمن، ويقولون السلام عليك أيها المؤمن، وقيل: يعني: سلام الملائكة بعضها على بعض فيها، وقال قتادة: سلام هي خير هي حتى مطلع أي إلى مطلع الفجر اهـ.

قوله: (خبر مقدم) أي فيفيد الحصر أي ما هي إلا سلام وسلام مصدر بمعنى: التسليم فجعلت عين السلام مبالغة اهـ شهاب.

قوله: ﴿حتى مطلع الفجر﴾ متعلق بتنزل أو بسلام، وفيه إشكال للفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ إلا أن يتوسع في الجار اهـ سمين.

وقيل: متعلق بمحذوف، وعبارة الخطيب: ويستمرون على ذلك أي على التسليم من غروب الشمس حتى مطلع الفجر اهـ.

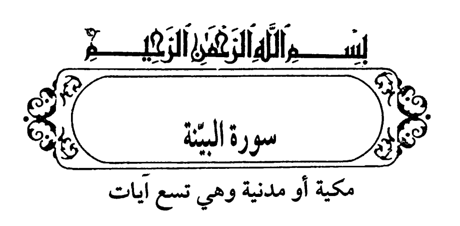
قوله: (بفتح اللام وكسرها) أي فهما مصدران في لغة بني تميم، وقيل: المصدر بالفتح وموضع

طلوعه، جعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلمت عليه.

الطلوع بالكسر عند أهل الحجاز اهـ بحر.

وقوله: إلى وقت طلوعه يعني أن المطلع هنا مصدر ميمي بمعنى الطلوع وقبله مضاف مقدر لتكون الغاية من جنس المغيا، وهذا على قراءة فتح اللام اهـ شهاب.

وعبارة السمين: وقرأ الكسائي: مطلع بكسر اللام والباقون بفتحها والفتح هو القياس وهل هما مصدران أو المفتوح مصدر، والمكسور اسم مكان خلاف اهـ.



مكية أو مدنية وهي تسع آيات

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾ للبيان ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أي عبدة الأصنام عطف على أهل ﴿مُنفَكِّينَ﴾ خبر يكن، أي زائلين عما هم عليه ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ﴾ أي أتتهم ﴿الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ أي الحجة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة البينة، وسورة المنفكين، وسورة القيامة، وسورة البرية اهـ من التفاسير.

روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا فقال أبي: وسماني لك؟ قال النبي ﷺ: نعم، فبكى أبي فقرأها ﷺ عليه. قال القرطبي: وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم، وقال بعضهم إنما قرأ النبي ﷺ على أبي ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة، وقيل: إن أبياً كان أسرع أخذاً لألفاظ رسول الله ﷺ فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله ﷺ يقرأ عليه ويعلم غيره، وفيه فضيلة عظيمة لأبي حيث أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقرأ عليه اهـ خطيب.

أن يقرأ عليه اهـ خطيب.

قوله: (مكية) هو قول ابن عباس، وقوله أو مدنية هو قول الجمهور ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر انزال القرآن في ليلة القدر وقال في السورة التي قبلها اقرأ باسم ربك ذكر هنا أن الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه، حتى جاءهم الرسول يتلو عليهم من الصحف المطهرة التي أمر بقراءتها اهـ بحر.

قوله: (من للبيان) ووجه تسمية أهل الكتاب كفاراً قبل النبي ﷺ مع إيمانهم بكتابهم ونبيهم أنهم عدلوا عن الطريق المستقيم في التوحيد فكفروا بذلك فإنه قيل: إن اليهود مجسمة فيفهمون من السمع والرؤية في حقه تعالى ما يكون بالجارحة، وكذا النصارى لقولهم بالتثليث، وهذا يقتضي كفر جميع أهل الكتاب قبل النبي ﷺ، والظاهر خلافه، ولذا قال الماتريدي: إن من تبعيضية لأن منهم من آمن اهـ شهاب.

قوله: ﴿والمشركين﴾ العامة على قراءة المشركين بالياء عطفاً على أهل فقسم الكافرين إلى صنفين: أهل كتاب ومشركين، وقرىء والمشركون بالواو نسقاً على الذين كفروا اهـ سمين.

قوله: ﴿منفكين﴾ اسم فعال من انفك الذي يعمل عمل كان، واسمها ضمير مستكن فيها،

. . . .

والخبر محذوف قدره الشارح بقوله عما هم عليه، وقيل: إنها هنا تامة فلا تحتاج لتقدير خبر كما أشار إليه السمين قوله: (خبر يكن) أي واسمها الذين فيكن ناقصة، ومن أهل الكتاب حال من فاعل كفروا، وقسم الكافرين إلى صنفين أهل كتاب ومشركين، وذكر المشركين باسم الفاعل لأنهم ولدوا على عبادة الأوثان، وأهل الكتاب اليهود والنصارى والمشركين عبدة الأوثان من العرب، وكان الكفار من الفريقين يقولون قبل المبعث لا ننفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي الذي هو في التوراة والإنجيل، فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه اهـ بحر.

وفي القرطبي: عن ابن عباس: أهل الكتاب اليهود الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع، والمشركون هم الذين كانوا بمكة وحولها وبالمدينة وحولها اهـ.

قوله: (أي زائلين عما هم عليه) أشار إلى أن الانفكاك بمعنى الزوال، والمعنى: أنهم متعلقون بدينهم لا يتركونه، فأهل الكتاب باعتقادهم في شريعتهم وأهل الشرك باعتقادهم في أصنامهم، والمعنى: أنهم لم يتركوا دينهم إلا عند مجيء محمد ﷺ، ويدل على ذلك قوله بعد وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ومنفكين اسم فاعل من الفك بمعنى الزوال والانفصال. قال الأزهري: ليس هو من باب ما انفك وما برح، وإنما هو من باب انفكاك الشيء عن الشيء وهو انفصاله عنه اهـ كرخي.

وفي الرازي: منفكين أي عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول، وكلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند إتيان الرسول، ثم قال بعد ذلك: ﴿**وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة**﴾ وهذا يقتضي أن كفرهم قد زال عند مجيء الرسول، فحينئذ يحصل بين الآية الأولى والثانية مناقضة في الظاهر. والجواب عن التناقض: أن الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد ﷺ لا ننفك عما نحن عليه من ديننا حتى يبعث النبي، فحكى الله ما كانوا يقولونه، ثم قال تعالى: ﴿**وما تفرق الذين أتوا الكتاب**﴾ يعني أنهم كانوا يعدون باتفاقهم على الحق إذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء محمد الرسول اهـ.

وفي أبي السعود قوله: منفكين أي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على إنجازه، وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى إنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلناه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله ﷺ هل هو المذكور في كتابهم، وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء عن الشيء أن يزايله بعد التحامه كالعظم إذا انفك من مفصله، وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدهم أي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على إنجازه حتى تأتيهم البينة التي كانوا جعلوا إتيانها ميقاتاً لاجتماع الكلمة والاتفاق على

الواضحة وهي محمد ﷺ ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ بدل من البينة وهو النبي ﷺ ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ من الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ مستقيمة أي يتلو مضمون ذلك وهو القرآن،

الحق فجعلوه ميقاتاً للانفكاك والافتراق وإخلاف الوعد، والتعبير عن إتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ [البقرة: ١٠٢] أي تلت اهـ.

فتلخص من كلامه ومما قبله أن في الآية تفسيرين الأول حمل ما كانوا عليه قبل مجيء النبي على شرعهم في حق أهل الكتاب وعلى عبادة الأصنام في حق المشركين، والمعنى: لم يكن الفريقان منفكين عن هذا الذي كانوا عليه أي هو إيمانهم بمحمد إذا ظهر، ويؤيد هذا المعنى ليس فيه توبيخ ولا ذم لهم، والتفسير الثاني أن المراد بما كانوا عليه هو إيمانهم بمحمد إذا ظهر، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ [البقرة: ٨٩] ويؤيده أيضاً أن نبيهم ورسولهم وهو موسى وعيسى قد أخذ عليهم الميثاق والعهد أن يؤمنوا بمحمد إذا ظهر في آخر الزمان كما في الآية الأخرى: ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين﴾ [آل عمران: ٨١] الخ والمعنى: على هذا لم يكونوا منفكين عن العزم على الإيمان بمحمد إذا ظهر أي لم يفارقوا هذا العزم وهذا الوعد ولم يتركوه إلا بعد مجيئه ﷺ، وفي هذا المعنى توبيخ لهم ظاهره، إذ كيف يؤمنون به في الغيب قبل مجيئه ويكفرون به لما جاء ورأوا أنواره ومعجزاته تأمل.

قوله: (بدل من البينة) أي بدل اشتمال، أو بدل كل من كل على سبيل المبالغة جعل الرسول نفس البينة، ومن الله متعلق برسول أو بمحذوف على أنه صفة لرسول، ويجوز أن يكون حالاً من صحفاً والتقدير يتلو صحفاً مطهرة منزلة من الله يعني كانت في الأصل صفة للنكرة، فلما تقدمت عليها نصبت حالاً، وقوله فيها كتب قيمة الجملة نعت لصحفاً أو حال من ضمير مطهرة، ويجوز أن يكون النعت أو الحال الجار والمجرور فقط وكتب فاعل به وهو الأحسن اهـ سمين

قوله: (وهو النبي محمد) وقيل: جبريل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿مطهرة﴾ أي مطهراً ما فيها وهو القرآن. قوله: (أحكام مكتوبة) أي فتطهير الصحف كناية عن كونها ليس فيها باطل على الاستعارة المصرحة أو المكنية، والكتب بمعنى المكتوبات في القراطيس، فالقرآن يجمع ثمرة كتب الله المتقدمة عليه، والرسول وإن كان أمياً لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها فصحَّ نسبة تلاوة الصحف إليه وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وإنما يقرأ بالوحي عن ظهر قلب اهـ من الشهاب.

قوله: (أي يتلو مضمون ذلك) أي مضمون المكتوب في الصحف وهو القرآن لا نفس المكتوب، لأنه ﷺ كان يتلو القرآن عن ظهر قلب، ولم يكن يقرؤه من كتاب لكنه لما كان يتلو مضمون المكتوب في الصحف صار كأنه يقرأ من الكتاب، وفيما قرره إشارة إلى جواب ما يقال ما الفرق بين الصحف والكتب حيث جمع بينهما في الآية، وجعلت الكتب في الصحف؟ وإيضاح الجواب: أن المراد بالصحف القراطيس التي يكتب فيها القرآن، وأن المراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول

فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ أي هو ﷺ أو القرآن الجائي به معجزة له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فحسده من كفر به منهم ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ في كتابيهم التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي أن يعبدوه، فحذفت أن وزيدت اللام ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿حُنَفَآءَ﴾ مستقيمين

القرآن المكتوب لفظه ونقشه اهـ من الكرخي.

قوله: (فمنهم من آمن الخ) أي فلما أتتهم البينة فمنهم من آمن الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ الخ هذا تصريح بما أفادته الغاية قبله، وإفراد أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم، وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى اهـ بيضاوي.

وقوله: على شناعة حالهم أي حال من يؤمن منهم، لأنهم علموا الحق المصرح به في كتبهم وإنكارهم له أشنع من إنكار من لم يعلمه فاقتصر عليهم لأنهم أشد جرماً أو أنه يعلم حال غيرهم بالطريق الأولى فهو من باب الاكتفاء اهـ شهاب.

فالمعنى وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب ولا المشركون إلا من بعد الخ. **قوله: (وقبل مجيئه ﷺ الخ)** هذا معنى قوله سابقاً لم يكن الذين كفروا الخ.

قوله: ﴿وما أمروا﴾ الخ الجملة حالية مفيدة لغاية قبح ما قبلوا أي تفرقوا بعد مجيء البينة، والحال أنهم ما أمروا بما أمروا إلا لأجل أن يعبدوا، وقوله وزيدت اللام الأولى أن تكون بمعنى الباء أي إلا بأن يعبدوا الله، والعبادة هي التذلل، ومن زعم أنها الطاعة فقد أخطأ لأن جماعة عبدوا المسيح والملائكة والأصنام وما أطاعوهم لكنها في الشرع صارت اسماً لكل طاعة لله أديت له على وجه التدلل والنهاية في التعظيم اهـ من أبي السعود.

ومخلصين: منصوب على الحال من ضمير يعبدوا والإخلاص أن لا يطلع على عملك إلا الله ولا تطلب منه ثواباً اهـ كرخي.

وقال الشهاب: الإخلاص عدم الشرك وأنه ليس بمعنى الإخلاص المتعارف اهـ.

قوله: ﴿حنفاء﴾ حال ثانية أو حال من الحال قبلها أو من الضمير المستكن فيها اهـ سمين.

وفي الخطيب: حنفاء أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصل الحنف في اللغة الميل، وخصه العرب بالميل إلى الخير، وسموا الميل إلى الشر إلحاداً، والحنيف المطلق هو الذي يكون متبرئاً عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، وعن فروعها من جميع النحل إلى الاعتقادات، وعن توابعها من الخطأ والنسيان إلى العمل الصالح وهو مقام التقى، وعن المكروهات إلى المستحبات وهو المقام الأولى من الورع، وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعني إلى ما يعني، وهو المقام الثاني من الورع وعما يجر إلى الفضول وهو مقام الزهد،

على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ الملة ﴿ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ المستقيمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ حال

فالآية جامعة لمقامي الإخلاص الناظر أحدهما إلى الحق، والثاني إلى الخلق اهـ.

وفي الرازي: واعلم أن الكمال في كل شيء إنما يحصل إذا حصل الأصل والفرع معاً، فقوم بالغوا في الأعمال التي هي الفروع ولم يحكموا الأصول وهم اليهود والنصارى والمجوس، وقوم حصلوا الأصول دون الفروع وهم المرجئة الذين قالوا لا يضر الذنب مع الإيمان، والله خطأ الفريقين في هذه الآية، وبيَّن أنه لا بد من الإخلاص في قوله مخلصين، ومن العمل في قوله: **﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة﴾** اهـ.

قوله: **﴿ويقيموا الصلاة﴾** معطوف على يعبدوا الله المقيد بالإخلاص، وخصهما بالذكر دون سائر العبادات لشرفهما اهـ كرخي.

قوله: **﴿وذلك﴾** أي الذي أمروا به من العبادات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإنما أضاف الدين إلى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين، وأنث القيمة رداً إلى الملة، وقيل: الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة اهـ خازن.

وفي الكرخي: قوله: الملة القيمة أشار إلى أن القيمة صفة قامت مقام الموصوف وهي بمعنى المستقيمة وهو ما قاله الزجاج، قال صاحب الكشف: ولا بد من هذا التقدير لأنه إذا لم يحمل على هذا كان من إضافة الشيء إلى صفته وهي بمنزلة إضافة الشيء إلى نفسه، وقال الفراء. أضاف الدين إلى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين أو هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، ودخلت الهاء للمدح والمبالغة وما في الإشارة من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اهـ.

قوله: **﴿إن الذين كفروا﴾** الخ شروع في بيان مقر الأشقياء وجزاء السعداء وحكم على الكفار من الفريقين بأمرين الخلود في النار وكونهم شر البرية، وبدأ بأهل الكتاب لأنهم كانوا يطعنون في نبوته فجنايتهم أعظم لأنهم أنكروه مع العلم به وشر البرية ظاهره العموم، وقيل: شر البرية الذين عاصروا الرسول إذ لا يبعد أن يكون في كفار الأمم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة صالح عليه السلام اهـ من البحر.

قوله: **﴿في نار جهنم﴾** خبر إن أي مشتركون في نار جهنم أي في جنس العذاب لا في نوعه، وهذا جواب عن سؤال تقديره: إن كفر المشركين أشد من كفر أهل الكتاب لأن المشركين ينكرون التوحيد والرسالة والكتاب والبعث وما يترتب عليها، وأهل الكتاب يؤمنون بأكثرها كإقرارهم بالبعث، ومقتضى الحكمة أن يزاد في عذاب من زاد كفره على عذاب غيره، وقد سوى بينهم في هذه الآية بحسب الظاهر اهـ شهاب وزاده.

قوله: **﴿خالدين فيها﴾** حال من الضمير المستكن في الخبر، وإنما لم يقل خالدين فيها أبداً كما قال بعد في صفة أهل الثواب، لأن رحمته أزيد من غضبه فلم يتفق الخلودان في الأبدية، وقوله: شر البرية أفعل تفضيل أي لأنهم يخفون من كتاب الله صفة محمد، وأشر من قطاع الطريق لأنهم قطعوا طريق دين الحق على الخلق، وأشر من الجهال لأن الكفر مع العلم يكون عناداً، وهذا فيه تنبيه على أن وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد اهـ رازي.

مقدرة، أي مقدر خلودهم فيها من الله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ الخليقة ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ إقامة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى.

قوله: (أي مقدراً خلودهم فيها من الله تعالى) لفظ من الله متعلق بخلودهم أي نحن نقدر أي نعتقد أن الله تعالى يخلدهم فيها، فالتقدير منا، والخلود المقدر من الله تأمل.

قوله: ﴿البرية﴾ قرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمزة في الموضعين، والباقون بياء مشددة فقيل: الهمز هو الأصل من برأ الله الخلق ابتدأه واخترعه، فبريئة فعيلة بمعنى: مفعولة، وقيل: البرية بلا همز مشتقة من البري وهو التراب لأنهم خلقوا منه، ومعنى القراءتين شيء واحد وهو جميع الخلق اهـ سمين. وقيل: إنه بغير همز مع التشديد مخفف من المهموز اهـ من النهر.

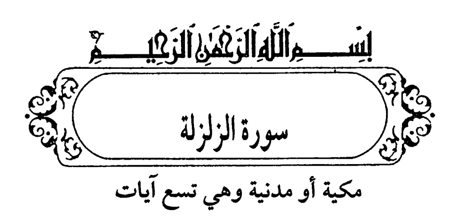
قوله: ﴿جزاؤهم﴾ مبتدأ، وقوله: عند ربهم حال، وقوله: جنات عدن خبر، وهذا من مقابلة الجمع بالجمع وهو يقتضي انقسام الآحاد على الآحاد، فيكون لكل واحد جنة، وقيل: الجمع باق على حقيقته وأن لكل واحد جنات كما يدل عليه قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان ومن دونهما جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] فذكر للواحد أربع جنات وأدنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها من عشر مرات اهـ زاده.

قوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي الأربعة وهي الخمر والماء والعسل واللبن اهـ.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ عامله محذوف أي دخلوها أو أعطوها، ولا يجوز أن يكون حالاً من هم في جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي، وأما قوله عند ربهم، فيجوز أن يكون حالاً من جزاؤهم وأن يكون ظرفاً له، وأبداً ظرف زمان منصوب بخالدين، ورضي الله عنهم يجوز أن يكون دعاء مستأنفاً، وأن يكون خبراً ثانياً، وأن يكون حالاً بإضمار، وقوله: ذلك لمن خشي ربه أي ذلك المذكور من الاستقرار في الجنة مع الخلود ومن رضا الله عنهم كائن لمن خشي ربه اهـ سمين.

قوله: ﴿رضي الله عنهم﴾ أي قبل أعمالهم، فقول الشارح بطاعته أي بسبب طاعته وهو مصدر مضاف لمفعوله أي بسبب طاعتهم له أي قبلها منهم وجازاهم عليها، وقوله: ورضوا عنه أي فرحوا بما أعطاهم من أنواع الكرامة، فقوله: بثوابه أي بسبب ثوابه الذي أعطاه لهم، وعبارة الخازن: وقيل معنى رضا الله عنهم رضي أعمالهم، ورضوا عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة انتهت.

وفي الكرخي: وقال الراغب: رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً بأمره ومنتهياً عن نهيه، وقال الجنيد: الرضا يكون على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة، والرضا حال يصحب العبد في الدنيا والآخرة وليس محله محل الخوف والرجاء والصبر والاشفاق وسائر الأحوال التي تزول عن العبد في الآخرة، بل العبد يتنعم في الجنة بالرضا، ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم برضائي أحلكم داري أي برضائي عنكم، وقال محمد بن الفضل: الروح والراحة في الرضا واليقين والرضا باب الله الأعظم ومحل استرواح العابدين.



مكية أو مدنية وهي تسع آيات

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ حركت لقيام الساعة ﴿ زِلْزَالَهَا ۝ ﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمها ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ ﴾ كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ الكافر بالبعث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي في قول ابن مسعود وعطاء وجابر، وقوله: أو مدنية أي في قول ابن عباس وقتادة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ أي تحركت حركة شديدة واضطربت، وذلك عند قيام الساعة قيل: تزلزلت من شدة صوت إسرافيل حتى تكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء. وفي وقت هذه الزلزلة قولان، أحدهما: وهو قول الأكثرين أنها في الدنيا وهي من أشراط الساعة. والثاني: أنها لزلزلة يوم القيامة اهـ خازن.

ويعين القول الثاني قوله: وأخرجت الأرض أثقالها، فإن الإخراج إنما هو في النفخة الثانية وكذا شهادتها بما وقع عليها إنما هو بعد النفخة الثانية، وكذلك انصراف الناس من الموقف إنما يكون بعد الثانية تأمل.

قوله: ﴿زلزالها﴾ مصدر مضاف لفاعله، والمعنى: زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمتها أي زلزلت زلزالها كله، وإذا شرط وجوابه تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور، وقيل: العامل فيها مقدر أي يحشرون، وقيل: اذكر وحينئذ تخرج عن الظرفية وعن الشرطية والعامة بكسر الزاي والجحدري وعيسى بفتحها، فقيل: هما مصدران بمعنى، وقيل: المكسور مصدر والمفتوح اسم، قال الزمخشري: وليس في الأبنية فعلان بالفتح إلا في المضاعف. قلت: وقد جعل بعضهم المفتوح بمعنى اسم الفاعل نحو صلصال بمعنى مصلصل، وقد تقدم ذلك، وقوله: وليس في الأبنية فعلان يعني غالباً وإلاّ فقد ورد ناقة خزعان اهـ سمين.

وفي القاموس: وزلزله زلزلة وزلزالاً مثلثة حركه، والزلازل البلايا اهـ.

قوله: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ إظهار الأرض في موضع الإضمار لزيادة التقرير، أو أن إخراج الأثقال حال بعض أجزائها اهـ أبو السعود.

﴿مَا لَهَا ۝٣﴾ إنكاراً لتلك الحالة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من إذا وجوابها ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ تخبر بما

وقوله: أثقالها جمع ثقل بالكسر كحمل وأحمال اهـ من المختار.

قوله: (كنوزها وموتاها) لو عبّر بأو لكان أوضح، فإن في المسألة قولين، قيل: المراد إخراج الأموات، وقيل: المراد إخراج الكنوز، والأول بعد النفخة الثانية، والثاني في زمن عيسى وما بعده. وعبارة الخطيب: قال: ابن عباس، ومجاهد: أثقالها أمواتها تخرجهم في النفخة الثانية، وقيل أثقالها كنوزها يعطيها الله قوة إخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة أن تخرج النبت الصغير اللطيف الطري الذي هو أنعم من الحرير اهـ.

قوله: (الكافر بالبعث) قيد به لأنه الجاحد لها، فلذلك سأل عنها بخلاف المؤمن فإنه يعترف بها فلا يسأل عنها فيقول: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ [يسٓ: ٥٢] اهـ كرخي.

قوله: (انكاراً لتلك الحالة) فيه نظر لأن الكافر عند قيامه من قبره ورؤيته لتلك الأهوال والأحوال لا يسعه انكارها، فالأولى التفسير بأنه يقول ذلك استفهاماً وسؤالاً عن هذه الحالة لأنه كان يجهلها في الدنيا لانكاره للبعث، وفي البحر: والاستفهام للتعجب من شدة الهول اهـ.

وعبارة الخازن: وقال الإنسان ما لها أي ما لها زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها. وفي الإنسان قولان، أحدهما: أنه اسم جنس يعم المؤمن والكافر، وهذا يدل على قول من جعل الزلزلة من أشراط الساعة، والمعنى: أنها حين تقع لم يعلم الكل أنها من أشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضاً عن ذلك. والثاني: أنه الكافر خاصة، وهذا يدل على قول من جعلها زلزلة القيامة لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فإذا وقعت سأل عنها اهـ.

وفي القرطبي: ومعنى ما لها أي ما لها زلزلت، وقيل: ما لها أخرجت أثقالها وهي كلمة تعجب أي لأي شيء زلزلت اهـ.

قوله: (بدل من إذا) والعامل فيه هو العامل في المبدل منه وقيل: آخر مكرر على الخلاف في العامل في البدل ويومئذ أي يوم إذ زلزلت وأخرجت، وقال الإنسان ما لها اهـ بحر.

قوله: ﴿تحدث أخبارها﴾ الظاهر أنه تحديث وكلام حقيقي بأن يخلق الله فيها حياة وإدراكاً فيشهد بما عمل عليها من صالح وطالح، وقيل: التحديث مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان، وحدث يتعدى إلى مفعولين: الأول محذوف تقديره الثاني أخبارها، ويتعدى للثاني تارة بنفسه كما هنا وتارة بحرف الجر تقول: حدثته كذا وحدثته بكذا، وقوله: بأن ربك متعلق بتحدث والباء سببية أي بسبب إيحاء الله لها وعدي الإيحاء باللام لا بإلى لمراعاة الفواصل، والوحي إليها إما بإلهام وإما برسول من الملائكة اهـ بحر.

وفي السمين: وفي هذه اللام أوجه، أحدها: أنها بمعنى: إلى وإنما أوثرت على إلى لموافقة الفواصل. والثاني: أنها على أصلها وأوحى يتعدى باللام تارة وبإلى أخرى. والثالث: أن اللام على بابها من العلة والموحى إليه محذوف وهو الملائكة تقديره أوحى إلى الملائكة لأجل الأرض أي لأجل ما يفعلون فيها اهـ.

عمل عليها من خير وشرّ ﴿ بِأَنَّ ﴾ بسبب أن ﴿ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ أي أمرها بذلك، في الحديث: «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها». ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ ﴾ ينصرفون من موقف الحساب ﴿ أَشۡتَاتٗا ﴾ متفرقين، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى ا لنار ﴿ لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ ﴾ أي جزاءها من الجنة أو النار ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ زنة نملة صغيرة

وفي القاموس: والطلاح ضد الصلاح اهـ.

قوله: (بسبب أن) ﴿ربك﴾ الخ أشار إلى أن الباء سببية وهي متعلقة بتحدث. قوله: (بذلك) أي بالتحديث بأخبارها اهـ خازن.

قوله: (في الحديث الخ) أشار به إلى حديث جرير قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ فقال: «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل علي كذا وكذا» رواه أحمد والترمذي وصححه وكذا الحاكم وغيره اهـ كرخي.

قوله: ﴿يومئذ يصدر﴾ إما بدل من يومئذ قبله، وإما منصوب بيصدر، وإما باذكر مقدراً وأشتاتاً حال من الناس جمع شتيت أي متفرقين وقوله: ليروا أعمالهم اللام متعلقة بيصدر وهو من الرؤية البصرية فيتعدى بالهمزة إلى اثنين، أولهما: الواو التي هي نائب الفاعل، وثانيهما: أعمالهم أي ليروا جزاء أعمالهم اهـ سمين.

قوله: (ينصرفون) أي يرجعون من موقف الحساب، وعبارة الخطيب: يومئذ يصدر الناس أي يرجعون من قبورهم إلى ربهم الذي كان لهم بالمرصاد ليفصل بينهم أشتاتاً أي متفرقين بحسب مراتبهم في الذوات والأحوال من مؤمن وكافر وآمن وخائف ومطيع وعاص، وعن ابن عباس: متفرقين على قدر أعمالهم أهل الإيمان على حدة وأهل الكفر على حدة، أو متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار ليروا أي ليرى الله تعالى المحسن منهم والمسيء بواسطة من يشاء من جنوده أو بغير واسطة حتى يكلم سبحانه وتعالى كل أحد من غير ترجمان ولا واسطة، كما أخبر بذلك رسوله ﷺ أعمالهم فيعلمون جزاءها أو صادرين عن الموقف كل إلى داره ليرى جزاء عمله، ثم سبب عن ذلك قوله تعالى مفصلاً للجملة التي قبله فمن يعمل الخ انتهت.

قوله: (فآخذ ذات اليمين) أي طريق اليمين الخ.

قوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ الخ تفصيل للواو في قوله ليروا أعمالهم اهـ بيضاوي.

قال مقاتل: نزلت في رجلين أحدهما كان يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة، ويقول إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية لترغبهم في القليل من الخير يعطونه، ولهذا قال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة لينة ولتحذرهم اليسير من الذنب» ولهذا قال ﷺ لعائشة: «إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» وقال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية في القرآن وأصدق، وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية، وقال كعب الأحبار: لقد أنزل على محمد ﷺ آيتان أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وقول

﴿خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ يرَ ثوابه ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ يرَ جزاءه.

البيضاوي: تبعاً للزمخشري عن النبي ﷺ قال: «من قرأ إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله» رواه الثعلبي بسند ضعيف لكن يشهد له ما رواه ابن أبي شيبة مرفوعاً إذا زلزلت تعدل ربع القرآن اهـ خطيب.

وفي الخازن: وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. وله عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا زلزلت عدلت له نصف القرآن، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن، ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن، وقال حديث غريب اهـ.

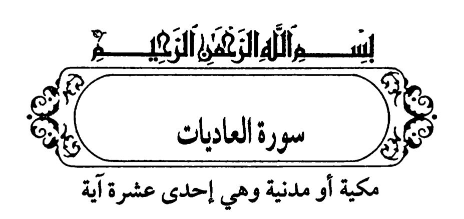
قوله أيضاً: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ الخ فإن قلت: كيف عمم مع أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر؟ فالجواب: أن معنى فمن يعمل مثقال ذرة من فريق السعداء خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة من فريق الأشقياء شراً يره. وقضية كلام الشيخ المصنف أن يراد العموم في كل قرينة، وعليه ما رواه الواحدي عن مقاتل: فمن يعمل في الدنيا مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة فيفرح به، وكذلك الشر يراه في كتابه فيسوءه ذلك، وروى محيي السنة والإمام، عن ابن عباس: ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً كان أو شراً إلا أراه الله تعالى إياه، فأما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته تحسراً ويعذب بسيئاته، وهذا الاحتمال يساعده النظم، والمعنى: وما قيل من أن حسنات الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ [الفرقان: ٢٣] اهـ كرخي.

قوله: (زنة نملة صغيرة) وكل مائة منها زنة حبة شعير وأربع ذرات وزن خردلة اهـ قسطلاني.
وقيل: الذرة جزء من ألف وأربعة وعشرين جزءاً من الشعيرة اهـ عيني.

وفي الخطيب: قال ابن عباس: إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب ذرة، وفسرها بعضهم بالنملة الصغيرة وبعضهم بالهباء التي ترى طائرة في الشعاع الداخل من الكوة اهـ.

وفي بعض الأحاديث: أن الذرة لا زنة لها، وهذا مثل ضربه الله تعالى ليبين أنه لا يغفل عن عمل ابن آدم صغيراً ولا كبيراً وهو كقوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ [النساء: ٤٠] اهـ خطيب.

قوله: (خيراً وقوله شراً) منصوبان على التميز من مثقال، أو على البدل من مثقال، ويره في الموضعين جواب الشرط مجزوم بحذف الألف، وقرأ هشام بسكون هاء يره وقفاً ووصلاً في الحرفين، وباقي السبعة بضمها موصولة بواو وصلاً وساكنة وقفاً كسائر هاء الكناية، وقرأ العامة: يره مبنياً لفاعل، وقرأ ابن عباس والحسن بن علي وزيد بن علي وغيرهم في رواية يره مبنياً للمفعول، وقرأ عكرمة يراه بالألف إما على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدرة، وإما على توهم أن من موصولة وتحقيق هذا مذكور في أواخر سورة يوسف اهـ سمين.



سورة العاديات

مكية أو مدنية وهي إحدى عشرة آية

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ الخيل تعدو في الغزو وتضبح ﴿ضَبْحًا ۝١﴾ هو صوت أجوافها إذا عدت ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ الخيل توري النار ﴿قَدْحًا ۝٢﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وفي بعض التفاسير سورة العاديات بغير واو اهـ.

قوله: ﴿والعاديات﴾ جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة، والياء بدل من الواو لكسر ما قبلها كالغازيات من الغزو، يقال: عد يعدو عدواً فهو عاد وهي عادية اهـ سمين.

قوله: (وتضبح) ﴿ضبحاً﴾ أشار به إلى أن ضبحاً منصوب بفعل مقدر، وهذا الفعل المقدر حال من العاديات وقوله: هو صوت أجوافها أي صوت يسمع من صدور الخيل عند العود وليس بصهيل اهـ سمين.

وفي الخطيب: وانتصاب ضبحاً على تقدير فعل أي يضبحن ضبحاً أو بالعاديات كأنه قيل: والضابحات ضبحاً، لأن الضبح يكون مع العدو أو على الحال أي: ضابحات، وقوله: قدحاً قال الزمخشري فيه الأوجه الثلاثة التي في ضبحاً اهـ.

وفي المختار: ضبحت الخيل من باب قطع، والضبح صوت أنفاسها إذا عدت بها.

وفي القاموس: ضبحت الخيل ضبحاً وضباحاً أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة أو عدت دون التقريب اهـ.

وفي القرطبي: وقال قتادة تضبح إذا عدت أي تحمحم، وقال الفراء: الضبح صوت الخيل إذا عدت. قال ابن عباس: ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب، وقيل: كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم، فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة، وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغيرت حالها من فزع أو تعب اهـ.

وفي القاموس: كعمت البعير كمنع فهو مكعوم وكعيم شددت فاه لئلا يعض أو يأكل، وما كعم به يقال له كعام ككتاب اهـ.

قوله: (توري النار) أي تخرجها من الحجارة إذا ضربتها بحوافرها فالايراء إخراج النار، وفي

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ ﴾ الخيل تغير على العدوّ وقت الصبح بإغارة أصحابها ﴿ فَأَثَرْنَ ﴾ هيجن ﴿ بِهِۦ ﴾ بمكان عدوهن أو بذلك الوقت ﴿ نَقْعًا ﴿٤﴾ ﴾ غباراً لشدة حركتهن ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ ﴾ بالنقع ﴿ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾

المصباح: ورى الزند يري ورياً من باب وعد، وفي لغة: وري يري بكسرهما، وأورى بالألف، وذلك إذا أخرج ناره اهـ زاده.

وفي المختار: وأوراه غيره اهـ.

فاستفيد من مجموعها أنه يستعمل ثلاثياً لازماً لا غير ورباعياً لازماً ومتعدياً، وما في الآية من قبيل المتعدي بدليل تفسير الشارح تأمل. قوله: (قدحاً) منصوب على الحال، فالمعنى قادحات أي صاكات بحوافرها ما يورى ويخرج النار يقال: قدحت الحجر بالحجر أي صككته به اهـ سمين.

وفي القرطبي: وأصل القدح لاستخراج، ومنه قدحت العين إذا أخرجت منها الماء الفاسد واقتدحت الزند واقتدحت المرق غرفته، والمقدحة بكسر الميم ما تقدح به النار، والقداحة والقدح الحجر الذي يوري النار اهـ.

قوله: ﴿فالمغيرات﴾ أسند الإغارة التي هي مباغتة العدو للنهب أو القتل أو الأسر إليها وهي حال أهلها للإيذان بأنها العمدة في إغارة أهلها، وقوله: صبحاً أي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلاً لئلاّ يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحاً ليروا ما يأتون وما يذرون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿صبحاً﴾ منصوب على الظرفية أي التي تغير في وقت الصبح يقال: أغار يغير إغارة إذا باغت عدوه لنهب أو قتل أو أسر والموصوف في الثلاثة أعني العاديات وما بعدها هو الخيل أي والخيل العاديات فالخيل الموريات فالخيل المغيرات فالموصوف ذات واحدة وهي الخيل التي يجاهد عليها العدو ومن الكفار في شرق الأرض وغربها اهـ سمين.

وفي المصباح: وأغار الفرس إغارة والاسم الغارة مثل أطاع إطاعة، والاسم الطاعة إذا أسرع في العدو وأغار القوم إغارة أسرعوا في السير اهـ.

وفي القاموس: وأغار على القوم غارة وإغارة دفع عليهم الخيل، وأغار الفرس اشتد عدوه في الغار وغيرها اهـ.

وإنما أقسم الله عز وجل بخيل الغزاة تنبيهاً على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله، ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والأجر والغنيمة اهـ خازن.

قوله: (بمكان عدوهن الخ) أعاد الضمير على المكان وإن لم يجر له ذكر، لأن العدو لا بدّ له من مكان، وقوله: أو بذلك الوقت أي وقت الصبح أي فأثرن في وقت الصبح غباراً، وهذا أحسن من الأول لأنه مذكور بالصريح وعلى التفسيرين فالباء من به بمعنى في اهـ بحر.

قوله: (بشدة) أي بسبب شدة حركتهن.

قوله: ﴿فوسطن﴾ الفاءات المذكورة للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبله، فإن توسيط

من العدوِّ أي صرن وسطه، وعطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل أي واللاتي عدون فأورين فأغرن ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ الكافر ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ لكفور يجحد نعمته تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ

الجمع مترتب على الإثارة المترتبة على الإغارة المترتبة على العدو اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: يقال وسطت القوم والمكان اسط وسطا من باب وعد إذا توسطت بين ذلك، والفاعل واسط وبه سمي البلد المشهور بالعراق لأنه توسط الأقليم اهـ.

وفي المختار: تقول جلست وسط القوم بالتسكين لأنه ظرف، وجلست وسط الدار بالتحريك لأنه اسم لما يكتنفه غيره من جهاته وكل موضع صلح فيه بين، فهو وسط بالسكون وإن لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك وربما سكن وليس بالوجه اهـ.

قوله: (بالنقع) أي فالضمير في به للنقع والباء للتعدية. وفي السمين: وفي الهاء من به أوجه، أحدها: أنها للصبح كما تقدم. والثاني: أنها للنقع أي وسطن النقع الجمع أي جعلنا الغبار وسط الجمع فالباء للتعدية وعلى الأولى هي ظرفية. الثالث: أن الباء للحالية أي فتوسطن ملتبسات بالنقع أي بالغبار جمعاً من جموع الأعداء، وقيل: الباء مزيدة نقله أبو البقاء وجمعاً على هذه الأوجه مفعول به اهـ.

لكن هذا لا يناسب حل الشارح والمناسب له جعل الباء للملابسة، وعبارة البيضاوي: فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو أبو النقع أي ملتبسات به جمعاً من جموع الأعداء. روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث خيلاً فمضى شهر لم يأته عنهم خبر فنزلت اهـ.

قوله: (أي صرن وسطه) أي وسط الجمع. قوله: (على الاسم) أي على كل من الأسماء الثلاثة بدليل قوله أي واللاتي عدون الخ، وقوله: لأنه في تأويل الفعل أي لوقوعه صلة لأل اهـ سمين.

قوله: ﴿إن الإنسان﴾ هذا هو جواب القسم، وقوله: لربه متعلق بقوله لكنود الذي هو الخبر وقدم عليه لرعاية الفاصلة اهـ سمين.

والكلام على حذف المضاف كما أشار له الشارح بقوله يجحد نعمته تعالى، وعبارة الرازي: لما ذكر المقسم به وهو ثلاثة أمور ذكر المقسم عليه وهو أمور ثلاثة، **أولها**: قوله: **﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾**. **ثانيها**: قوله: **﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾**. **ثالثها**: قوله: **﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾** قوله: **﴿أفلا يعلم﴾** الخ شروع في تخويف الإنسان بعد تعديد قبائح أفعاله عليه فأقسم بثلاثة على ثلاثة اهـ.

قوله أيضاً: ﴿إن الإنسان﴾ الخ حمله الشارح على الكافر وهو أحد وجهين، وفي زاده: أن الإنسان المراد به الجنس، والمعنى أن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله تعالى من ذلك، وقيل: المراد به الكافر اهـ.

قوله: ﴿لكنود﴾ أي لكفور من كند النعمة كنوداً أو لعاص بلغة كندة أو لبخيل بلغة بني مالك اهـ بيضاوي.

وفي المختار: كند كفر النعمة وبابه دخل فهو كنود وامرأة كنود أيضاً اهـ.

ذَٰلِكَ﴾ أي كنوده ﴿لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ يشهد على نفسه بصنعه ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي المال ﴿لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ أي لشديد الحب له فيبخل به ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ أثير وأخرج ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ من الموتى أي

وفي القرطبي: وروى أبو أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «الكنود، الذي يأكل وحده ويمنع رفده أي عطائه ويضرب عبده». وقال ذو النون المصري: الهلوع والكنود هو الذي إذا مسّه الشر جزوع وإذا مسه الخير منوع، وقيل: هو الحقود والحسود، وقيل: هو الجهول لقدره، وفي الحكمة من جهل قدره هتك ستره اهـ.

قوله: ﴿وإنه على ذلك﴾ الضمير للإنسان كما يقتضيه قول الشارح يشهد على نفسه، والمراد شهادته في الدنيا وأنها بالقوة لأن آثار حاله وعمله بدل على كنوده وكفره، فالمراد بالشهادة الدلالة وهذا أحد احتمالين، والآخر أن الضمير لله، وعبارة البيضاوي: وإنه على ذلك أي وإن الإنسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بظهور أثره عليه، أو أن الله على كنوده لشهيد فيكون وعيداً اهـ.

قوله: (بصنعه) أي بما صنعه وعمله، والباء سببية أي يشهد على كنوده بسبب أعماله، والمراد أن أعماله تدل على حاله فدلالتها هي المرادة من شهادته على كنوده تأمل.

قوله: ﴿لحب الخير﴾ متعلق بلشهيد واللام للتقوية، والمعنى وأنه لقوي مطيق لحب الخير، يقال: هو شديد لهذا الأمر أي مطيق له، وقيل: اللام للتعليل أي وأنه لأجل حب المال لشديد أي لبخيل اهـ سمين.

وقد أشار الجلال للثاني قال في البحر لشديد قوي حبه، وقيل: لبخيل بالمال إذ يقال للبخيل شديد. قال الفراء: ونظم الآية أن يقال وإنه لشديد الحب للخير، فلما تقدم الحب قال لشديد وحذف من آخره ذكر الحب لأجل رؤوس الآي، وقال غيره: ليس أصله ذلك التركيب بل اللام في لحب لام العلة أي: وإنه لأجل حب المال لبخيل أو إنه لحب المال قوي مطيق ولحب نعمته وشكرها ضعيف اهـ.

قوله: ﴿أفلا يعلم﴾ الهمز للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيفعل ما يفعل من القبائح، فلا يعلم إذا بعثر ما في القبور، وهذا تهديد ووعيد اهـ أبو السعود.

وقال زاده: إذا في إذا بعثر لا يجوز أن تكون ظرفاً ليعلم لأن الإنسان لا يراد ولا يقصد منه العلم في ذلك الوقت وإنما يراد منه وهو في الدنيا، ولا يجوز أن تكون ظرفاً لبعثر لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا لقوله خبير لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها، فتعين أن يكون العامل فيها ما دلّ عليه قول: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ أي أفلا يعلم الإنسان في الدنيا أنه تعالى يجازيه إذا بعثر، ومعنى علم الله تعالى بهم يوم القيامة مجازاته لهم اهـ.

وقد أشار الشارح لهذا الإعراب بقوله أي إنا نجازيه وقت ما ذكر، فأشار إلى أنه إذا بمعنى الوقت وأنها معمولة للمفعول المحذوف تأمل، وعلم بمعنى عرف فتتعدى لمفعول واحد اهـ.

قوله: ﴿إذا بعثر ما في القبور﴾ البعثرة بالعين والبحثرة بالحاء استخراج الشيء واستكشافه كما

بعثوا ﴿وَحُصِّلَ﴾ بيّن وأفرز ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ القلوب من الكفر والإيمان ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ لعالم، فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلّت على مفعول يعلم، أي أنا نجازيه وقت ما ذكر وتعلق خبير بيومئذ وهو تعالى خبير دائماً لأنه يوم المجازاة.

تقدم في سورة الانفطار عن المختار، فإن قيل: لم قال ما في القبور ولم يقل من في القبور، ثم قال بعد ذلك إن ربهم بهم؟ أجيب عن الأول بأن ما في الأرض غير المكلفين أكثر فأخرج الكلام على الأغلب، أو أنهم حال ما يبعثون لا يكونون أحياء عقلاء بل يصيرون كذلك بعد البعث، فلذلك كان الضمير الأول ضمير غير العقلاء، والضمير الثاني ضمير العقلاء.

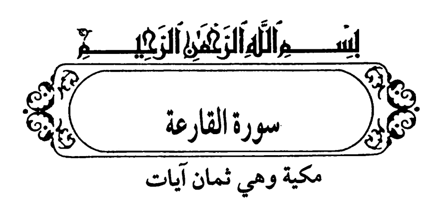
قوله: ﴿وحصل ما في الصدور﴾ أي أخرج وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خير وشر مما يظن مضمره أنه لا يعلمه أحد أصلاً وظهر مكتوباً في صحائف الأعمال، وهذا يدل على أن الإنسان يحاسب بها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها اهـ خطيب.

وخص أعمال القلوب بالذكر وترك ذكر أعمال الجوارح لأنها تابعة لأعمال القلوب، فإنه لولا تحقق البواعث والإرادات في القلوب لما حصلت أفعال الجوارح اهـ زاده.

قوله: (نظراً لمعنى الإنسان) أي لأنه اسم جنس. قوله: (دلت على مفعول يعلم) أي المحذوف الذي هو عامل في إذا فهي مستأنفة دالة على المفعول المحذوف، وبهم ويومئذ متعلقان بلخبير قدما لأجل الفاصلة والتنوين في يومئذ عوض عن جملتين، والتقدير يوم إذ بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وهو يوم القيامة اهـ سمين مع زيادة في أبي السعود.

قوله: (وقت ما ذكر) أي وقت البعثرة والتحصيل، وإذا ظرفية بمعنى وقت لا شرطية، فلا جواب لها كما في ابن جزي. قوله: (وتعلق خبير بيومئذ الخ) جواب كيف قال ذلك مع أنه تعالى خبير بهم في كل زمن، وإيضاحه: أن معناه أن ربهم تعالى مجازيهم يومئذ على أعمالهم، فتجوز بالعلم عن المجازاة كما في قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ [النساء: ٦٣] أي يجازيهم على ما فيها، والمجازاة إنما تقع في ذلك اليوم. قال الإمام: دلت الآية على أنه تعالى عالم بالجزئيات الزمانيات وغيرها، لأنه تعالى نص على كونه عالماً بكيفية أحوالهم في ذلك اليوم، فكيف لا يكون منكره كافراً اهـ كرخي.

قوله: (لأنه يوم المجازاة) أي المرادة من كونه خبيراً، فمعنى قوله لخبير أنه يجازيهم في ذلك اليوم اهـ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القارعة

مكية وهي ثمان آيات

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١﴾ أي القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ تهويل لشأنها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر وقت بعثرة القبورة أتبعه بأهوال القيامة وبيان وقتها اهـ من البحر.

وقال الرازي: لما ختم السورة المتقدمة بقوله: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ [العاديات: ١١] فكأنه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل: هو القارعة، والقرع الضرب ومنه المقرعة، واتفقوا على أن القارعة اسم من أسماء القيامة. وسبب التسمية أن القارعة هي الصيحة التي يموت منها الخلائق وهي الصيحة الأولى التي تموت منها الخلائق سوى إسرافيل، ثم يميته تعالى ثم يحييه فينفخ في الصور النفخة الثانية فيقومون، وقيل: القارعة هي التي تقرع الخلائق بالأهوال والأفزاع أي تؤثر فيهم على وجوه شتى، وذلك في السموات بالانشقاق، وفي الشمس والقمر بالتكوير، وفي الكواكب بالانتثار، وفي الجبال بالدك والنسف، وفي الأرض بالطي والتبديل وهو قول الكلبي، وقيل: إنها تخوف أعداء الله بالعذاب والخزي وهو قول مقاتل قال بعض المحققين: وهذا أولى من قول الكلبي لقوله تعالى: ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ [النمل: ٨٩] اهـ.

قوله: (ثمان آيات) وفي القرطبي، والبيضاوي: عشر آيات، وفي الخطيب: إحدى عشرة آية.
قوله: (أي القيامة) المراد بها النفخة الثانية التي تقرع القلوب أي تفزعها، وكذلك تفزع الأجرام العظيمة أي تؤثر فيها كما يدل عليه عبارة البحر، وفي المختار: وقرع من باب قطع والقارعة الشديدة من شدائد الدهر، وهي الداهية اهـ.

وفي المصباح: قرعت الباب قرعاً بمعنى طرقته ونقرت عليه اهـ.

قوله: (تهويل لشأنها) أي وتأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدرك بها، وفي كلامه إشارة إلى أن ما الاستفهامية فيها معنى التعظيم والتعجب كما مر أول الحاقة، وكذا ما بعده من الإعراب، والشيخ المصنف مع شغفه بالاختصار يعيد الكلام على الآية المتشابهة اهـ كرخي.

وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ أعلمك ﴿ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾ زيادة تهويل لها، وما الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى ﴿ يَوۡمَ ﴾ ناصبه دلَّ عليه القارعة أي تقرع و ﴿ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ كغوغاء الجراد

قوله: (وهما مبتدأ وخبر) المبتدأ الاستفهامية، والخبر القارعة، وهذا الاستفهام للتعظيم والتعجب اهـ شيخنا.

قوله: (زيادة تهويل لها) يعني أن الاستفهام الثاني وهو ما القارعة للتشنيع والتهويل، وأما الأول وهو ما أدراك فهو للانكار، والمعنى: أنت لا تعلم هول القارعة وشدته وفظاعته يعني على سبيل التفصيل لأن العلم به على هذا الوجه إنما يكون في القيامة عند المعاينة، وأما في الدنيا فعلمك به إنما هو على سبيل الإجمال تأمل، أو المعنى أنت لا تعمله من غير وحي إليك به أي لا تعلمه إلا بالوحي اهـ.

قوله: (في محل المفعول الثاني لأدرى) أي والكاف مفعول أول. **قوله: (دلّ عليه القارعة)** ولا يجوز أن يكون العامل لفظ القارعة الأولى للفصل بينهما بالخبر، ولا يجوز أن يكون العامل لفظ القارعة الثاني ولا الثالث، لأنه لا يلتئم الظرف معه من حيث المعنى، فتعين أن يكون ناصبه محذوفاً دلت عليه القارعة أي تقرع القلوب يوم يكون الناس وكالفراش خبر ليكون الناقصة، أي يكون الناس مشبهين بالفراش أو حال من فاعل يكون التامة أي يوجدون ويحشرون حال كونهم مشبهين بالفراش، وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى، منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الأرض وركوب بعضهم بعضاً والكثرة والضعف والتذلل وإجابة الداعي من كل جهة والتطاير إلى النار اهـ سمين.

وعبارة أبي السعود: يوم يكون الناس كالفراش المبثوث يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل: بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه السلام إلى معرفتها اذِكر يوم يكون الناس الخ، فإنه يدرك ما هي هذا، وقد قيل إنه حرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس الخ، وقيل: تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ اهـ.

قوله: (كغوغاء الجراد) الغوغاء الجراد بعد أن ينبت شعره اهـ قاري.

وقال في القاموس: الغوغاء الجراد بعد أن ينبت جناحه أو إذا انسلخ من الألوان وصار إلى الحمرة وشيء شبه البعوض ولا بعض لضعفه اهـ.

وقال في البحر: غوغاء الجراد صغيره الذي ينتشر في الأرض، وقرن بين الناس والجبال تنبيهاً على تأثير تلك القارعة في الجبال حتى صارت كالعهن المنفوش، فكيف حال الإنسان عند سماعها اهـ.

وفي القرطبي: وقال في آية أخرى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ [القمر: ٧] فأول حالهم كالفراش لا وجه له فيتحير في كل وجه، ثم يكونون كالجراد لأن لها وجهاً تقصده والمبثوث المتفرق المنتشر اهـ.

المنتشر يموج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يدعوا للحساب ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ في الجنة، أي ذات

وفي المصباح: قال أبو عبيدة: الجراد أول ما يكون سروة، فإذا تحرك فهو دبي قبل أن ينبت جناحاه، ثم يكون غوغاء قال: وبه سمي الغوغاء من الناس، وقال الفارابي: الغوغاء شبه البعوض لأنه يعض ويؤذي اهـ.

وفي القاموس: وسرت الجرادة باضت اهـ.

وفي المصباح: الدبي وزان عصا الجراد يتحرك قبل أن تنبت أجنحته اهـ.

قوله: (كالصوف المندوف) أي: بعد أن تتفتت كالرمل السائل، ثم بعد كونها كالعهن تصير هباء منبثاً، فمراتب الجبال ثلاثة، تفتتها، ثم صيرورتها كالعهن، ثم صيرورتها هباء منبثاً، كما بين هذه المراتب الشارح في سورة النمل عند قوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ [النمل: ٨٨] اهـ شيخنا.

ونصه: وهي تمر مر السحاب المطر إذا ضربته الريح أي: تسير بسيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبسوسة، ثم تصير كالعهن، ثم تصير هباءً منثوراً اهـ.

قوله أيضاً: (كالصوف المندوف) عبارة القرطبي: كالصوف الذي ينفش باليد اهـ.

وهي أنسب باللغة، فإن النفش يكون باليد من غير آلة، والندف يكون بالآلة، وفي القاموس: النفش تشعيث الشيء بأصابعك حتى ينتشر كالتنفيش والنفش بالتحريك الصوف اهـ.

وفيه أيضاً: ندف القطن يندفه من باب ضرب ضربه بالمندف بكسر أولها أي: الخشبة التي يطرق بها الوتر ليرق القطن وهو مندوف ونديف اهـ.

قوله: ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ تفصيل لأحوال الناس في ذلك اليوم، والمراد بالموازين الموزونات أي: أعماله التي توزن، وفي الشهاب: قوله: موازينه يحتمل أنه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها اهـ.

وقوله: وأما من خفت موازينه أي: حسناته بسبب ثقل سيئاته، وبقي قسم ثالث غير مذكور في الآية وهو من استوت حسناته، وسيئاته وفي المناوي: فيمن رجحت حسناته بسبب زيادتها على السيئات فهو في الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته فيحاسب حساباً يسيراً، ومن رجحت سيئاته على حسناته أي: بسبب زيادتها فيشفع فيه أو يعذب اهـ.

وتقدم لهذا البحث مزيد بسط في سورة الأعراف اهـ.

قوله: ﴿فهو في عيشة﴾ أي: حياة طيبة وفسرّها بالجنة تفسيراً باللازم اهـ.

وعبارة الخطيب: فهو في عيشة راضية أي: في حياة يتقلب فيها. قال البقاعي: ولعله ألحقها بالهاء الدالة على الواحدة، والمراد العيش ليفهم أنها على حالة واحدة في الصفاء واللذة، وليست ذات ألوان كحياة الدنيا لأن أمه أو مسكنه جنة عالية اهـ.

رضا بأن يرضاها، أي مرضية له ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته ﴿ فَأُمُّهُۥ ﴾ فمسكنه ﴿ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ ﴾ أي ما هاوية هي ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ شديدة الحرارة. وهاء هيه للسكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة تحذف وصلاً.

وفي المختار: العيش الحياة وقد عاش يعيش من باب سار عيشاً وعيشة ومعاشاً بالفتح، ومعيشاً بوزن مبيت، وأعاشه الله عيشة راضية، والمعيشة جمعها معايش بلا همز إذا جمعتها على الأصل وأصلها معيشة، وتقديرها مفعلة، والياء متحركة أصلية فلا تقلب في الجمع همزة، وإن جمعتها على الفرع همزت وشبهت مفعلة بفعيلة كما همزة المصائب لأن الياء ساكنة، ومن النحويين من يرى الهمز لحناً، والتعيش تكلف أسباب العيش وعائشة مهموزة ولا تقل عيشة اهـ.

قوله: (أي ذات رضا) أي: على أنها للنسب كلابن وتامر، فلذا فسرها بقوله: أي مرضية، لأن المرضية ذات رضا، وفي نسخة: أو مرضية فهو إشارة إلى أنه إسناد مجازي أو استعارة مكنية وتخييلية أو هي بمعنى المفعول على التجوز في الكلمة نفسها اهـ شهاب.

قوله: (بأن رجحت سيئاته على حسناته) فإن قلت: كيف قال: وأما من خفت موازيته فأمه هاوية، مع أن أكثر المؤمنين سيئاتهم راجحة على حسناتهم؟ قلنا: قوله: ﴿فأمه هاوية﴾ لا يدل على خلوده فيها، فيسكن المؤمن فيها بقدر ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة، وقيل: المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية وتلك موازين الكفار اهـ كرخي.

وسمي المسكن إما لأن الأصل في السكون الأمهات اهـ خازن.

قال أبو السعود: وعبّر عن المأوى بالأم لأن أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمه، وسميت هاوية لغاية عمقها وبعد مهواها. روي أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفاً اهـ.

قوله: (فمسكنه) أي: مأواه فهو من قبيل زيد أسد شبهت النار للعصاة بالأم لكونها تهوى بهم، فتضمهم إلى نفسها كما تضم الأم الأولاد إليها اهـ زاده.

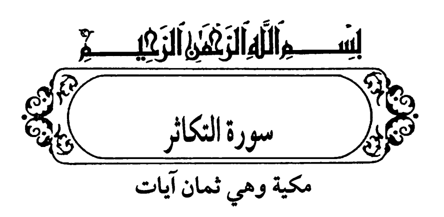
وفسر البيضاوي: الهاوية بالنار والهاوية من أسمائها اهـ شيخنا.

وعبارة الخطيب: فأمه هاوية أي: نار نازلة سافلة جداً فهو بحيث لا يزال يهوي فيها نازلاً، فهو في عيشة ساخطة، فالآية من الاحتباك ذكر العيشة أولاً دليلاً على حذفها ثانياً، وذكر الأم ثانياً دليلاً على حذفها أولاً والهاوية اسم من أسماء جهنم وهي المهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة: هي كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمه، وقيل: أراد أم رأسه يعني أنهم يهوون في النار على رؤوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح اهـ.

والهاوية هي آخر الطبقات السبع اهـ.

قوله: ﴿ماهيه﴾ مبتدأ وخبر سادان مسد المفعول الثاني لأدراك، والكاف المفعول الأول وهو من التعليق، وهيه ضمير الهاوية المفسرة بالنار وأسقط هاء السكت حمزة وصلاً، ونار خبر مبتدأ محذوف أي: هي نار اهـ سمين.

قوله: (وفي قراءة تحذف وصلاً) أي: وتثبت وقفاً اهـ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التكاثر

مكية وهي ثمان آيات

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ شغلكم عن طاعة الله ﴿ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال ﴿حَتَّىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر أهوال القيامة ذم اللاهين والمشتغلين عنها، فقال: الهاكم التكاثر اهـ كازروني.

وفي البيضاوي ما نصه: عن النبي ﷺ: «من قرأ ألهاكم التكاثر يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية». اهـ.

وفي زكريا عليه ما نصه: قوله: من قرأ الخ موضوع إلا آخره، فرواه الحاكم والبيهقي بلفظ: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟ قالوا: ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر» اهـ.

قوله: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ أي: التباهي بكثرة الأموال والتكاثر التفاخر، فيكون من اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، واعلم أن التفاخر إنما يكون بإثبات السعادة من شخص لنفسه. وأنواع السعادة ثلاثة، فإحداها: في النفس، والثانية: في البدن، والثالثة: فيما ينزل بالبدن من خارج. أما التي في النفس فهي العلوم والأخلاق الفاضلة، وأما التي في البدن فهي الصحة والكمال، وأما التي تحل بالبدن من خارج فقسمان، أحدهما: ضروري وهو المال والجاه. والثاني: غير ضروري وهو الأقرباء والأحباب، وإنما رجع ما في المرتبة الثالثة للبدن بدليل أنه إذا تألم عضو من أعضائه فإنه يجعل المال والجاه فداء له، إذا علمت هذا فالعاقل ينبغي له أن يكون ساعياً في تقديم الأهم على المهم لا متشاغلاً عن الطاعة، فالتكاثر والتفاخر مذموم، والشرع دل على أن التكاثر والتفاخر في السعادات الحقيقية غير مذموم، فالإنسان أن يفتخر بطاعته وحسن أخلاقه إذا كان يظن أن غيره يقتدى به، والألف واللام في التكاثر ليس للاستغراق بل للمعهود السابق وهو التكاثر في الدنيا ولذاتها وعلائقها، فإنه الذي يمنع عن طاعة الله وعبوديته وزيارة القبر عبارة عن الموت، يقال لمن مات: زار قبره، فيكون المعنى ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك، ولا يقال إن الزيارة ساعة ثم ينصرف والميت يبقى في قبره، لأنا نقول: إن الموتى يرتحلون

﴿زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ بأن متم فدفنتم فيها، أو عددتم الموتى تكاثراً ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣﴾

من القبور إلى مكان الحساب اهـ رازي.

قوله: (عن طاعة الله) لم يذكره في الآية، لأن المطلق أبلغ في الذم أي: ألهاكم عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات والتفكر والتدبر والطاعة شاملة لجميع ذلك اهـ رازي.

قوله: (والرجال) أي: بالانتساب إلى الرجال، وقوله: حتى زرتم عطف على قوله: ألهاكم وهو غاية فيه، وقوله: ردع أي: عن التكاثر، أي: ليس الأمر كما توهم هؤلاء من أن السعادة الحقيقية تكون بالأموال والأولاد والرجال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ جمع مقبرة بتثليث الباء وهي المحل الذي تدفن فيه الأموات اهـ شيخنا.

وفي المصباح: وزاره يزوره زيارة وزوراً قصده فهو زائر وزور، وقوم زور وزوار مثال سافر وسفر وسفار ونسوة زور أيضاً وزوار وزائرت والمزار يكون مصدراً، وموضع الزيارة في العرف قصد المزور إكراماً له واستئناساً به اهـ.

قوله: (أو عددتم الموتى) معطوف على متم تفسيراً آخر لزيارة القبور وهما قولان، وعبارة البيضاوي: حتى زرتم المقابر أي: حتى إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى المقابر، فتكاثرتم بالأموات عبّر عن انتقالهم إلى ذكر الموتى بزيارة المقابر، وقيل: معناه ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعي لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت اهـ.

وفي الكرخي: قوله: أو عددتم الموتى تكاثراً عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكماً بهم، فعلى هذا زرتم المقابر كناية عن الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات تفاخراً، وإنما كان تهكماً لأن زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر، وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سبباً لمزيد القساوة والاستغراق في حب الدنيا والتفاخر في الكثرة، فحاصل الوجهين راجع إلى أن المراد بالزيارة إما الانتقال إلى الموت، أو الانتقال من الذكر إلى الذكر اهـ.

قوله: (ردع) أي عن التشاغل عن الطاعة.

قوله: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ جعله الشيخ جمال الدين بن مالك من التوكيد اللفظي مع توسط حرف العطف، وقال الزمخشري: والتكرير تأكيد للردع والرد عليهم وثم دالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول، ونقل عن علي: كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة، فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لأجل تغاير المتعلقين، وثم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم في الأفعال الثلاثة، لأن الغرض هو الفعل لا متعلقه، والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد اهـ سمين.

وقوله: ونقل عن علي الخ. إلى هذا يشير صنيع الشارح حيث قال: عند النزع ثم في القبر،

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم في القبر ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ أي علماً يقيناً عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ النار، جواب قسم محذوف، وحذف منه لام الفعل وعينه، وألقى حركتها على الراء ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ مصدر لأن رأى وعاين بمعنى واحد ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ حذفت منه نون الرفع لتوالي

فقوله: عند النزع راجع لتعلمون الأول، وقوله: ثم في القبر راجع لتعلمون الثاني، وجعل الشارح كلاً الثالثة بمعنى حقاً، وجعل الأولين للردع والزجر وجرى غيره على التسوية بين الثلاثة. وفي القرطبي: وقيل: إن كلاً في المواضع الثلاثة بمعنى ألا قاله ابن أبي حاتم، وقال الفراء: هي بمعنى حقاً في المواضع الثلاثة، وقيل: هي للردع والزجر في المواضع الثلاثة اهـ بتصرف.

قوله: (سوء عاقبة تفاخركم) بيان لمفعول العلم، وقوله: عند النزع أي: الموت. قوله تعالى: (أي علماً يقيناً) أشار بهذا إلى أن إضافة العلم إلى اليقين من إضافة الموصوف إلى صفته، وفي السمين: وعلم اليقين مصدر قيل: وأصله العلم اليقين فأضيف الموصوف إلى صفته، وقيل: لا حاجة إلى ذلك لأن العلم يكون يقيناً وغير يقين، فأضيف إليه إضافة العام للخاص، وهذا يدل على أن اليقين أخص اهـ.

وفي الرازي: اليقين هو الموت أو البعث لأنهما إذا وقعا جاء اليقين وزال الشك، فالمعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى الإنسان معه وبعده في القبر، وفي الآخرة لم يلهكم التفاخر والتكاثر عن طاعة الله تعالى اهـ.

وفي أبي السعود: أي: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه اهـ.

قوله: (عاقبة التفاخر) بيان لمفعول العلم، وقوله: ما اشتغلتم به جواب لو. قوله: (جواب قسم محذوف) أي: وليس جواباً للو، لأنه محقق الوقوع فلا يعلق، والرؤية هنا بصرية فلذلك تعدت إلى مفعول واحد، وقوله: وحذف منه لام الفعل وهي الياء، وقوله: وعينه وهي الهمزة. أما حذف الياء فلالتقاء الساكنين لأن أصله لترأيون، فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً وحذفت لسكونها وسكون الواو بعدها، ثم ألقيت حركة الهمزة التي هي عين الكلمة على الراء وحذفت لنقلها ثم دخلت النون المشددة التي هي للتوكيد، فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، وحركت الواو بالضم لالتقاء الساكنين ولم تحذف لأنها لو حذفت لاختل الفعل بحذف عينه ولامه وواو الضمير اهـ كرخي.

وقوله: على الراء وهي فاء الكلمة. قوله: (تأكيد) أي أو الأول قبل دخولهم الجحيم، والثاني بعده، ولذا قال عقبه: عين اليقين أو الأول من رؤية العين والثاني من رؤية القلب اهـ كرخي.

قوله: ﴿عين اليقين﴾ إن قلت: ما فائدة تخصيص الرؤية الثانية باليقين؟ قلنا لأنهم في المرة الأولى رأوا لهباً لا غير، وفي المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية، ورؤية ذلك وقت الحشر أي: يرون لهبها وعذابها. ألا ترى أن الجحيم يراها المؤمنون أيضاً أي: يرون نفسها لا لهبها وعذابها اهـ رازي.

قوله: (لأن رأى وعاين بمعنى واحد) أي: فعين اليقين مفعول ملاق لترون في المعنى اهـ شيخنا.

النونات وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ ما يتلذذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.

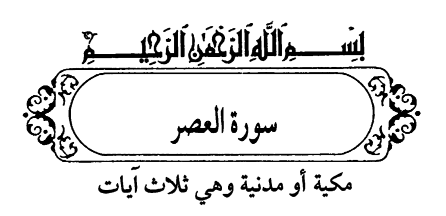
لكن كونه مصدراً فيه تسمح، وفي زاده على البيضاوي: وانتصاب عين اليقين على أنه صفة مصدر لترونها أي: لترونها رؤية هي عين اليقين وصفت الرؤية التي هي سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة اهـ.

قوله: ﴿ثم لتسألن﴾ الأظهر أن الخطاب للكفار، لأن الكفار ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى، وقيل: هو عام في حق المؤمن والكافر، فعن أنس لما نزلت الآية قام رجل أعرابي محتاج فقال: هل عليَّ من النعيم شيء؟ فقال له رسول الله ﷺ: «الظل والنعلان والماء البارد»، والأولى أن يقال السؤال يعم المؤمن والكافر، لكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لأنه ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لأنه شكر وأطاع اهـ رازي.

وفي القرطبي: قال الماوردي: هذا السؤال يعم المؤمن والكافر إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة وسؤال الكافر سؤال تقريع حيث قابل نعيم الدنيا بالكفر والعصيان اهـ.

قوله: ﴿عن النعيم﴾ أي جميع أنواع النعيم وأفراده فأل للاستغراق اهـ شيخنا.

قوله: (وغير ذلك) كظلال المساكن والأشجار والأخبية التي تقيكم من الحر والبرد، وكالماء البارد وكحل العين ولبس الإنسان ثوب أخيه وشبع البطن ولذة النوم والعافية، والسؤال إنما هو عن الزائد على ما لا بدّ منه من مطعم وملبس ومسكن، والحق أن السؤال يعم المؤمن والكافر، وأنه عن جميع النعم سواء كانت النعم مما لا بد منه أولا، والسؤال إنما هو في موقف الحساب وثم للترتيب الإخباري لا المعنوي، لأن السؤال قبل رؤية الجحيم اهـ رازي.



سورة العصر

مكية أو مدنية وهي ثلاث آيات

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾ الدهر، أو ما بعد الزوال إلى الغروب، أو صلاة العصر ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: في قول ابن عباس: والجمهور، وقوله: أو مدنية أي: في قول قتادة، ونقل عن ابن عباس أيضاً.

قوله: ﴿والعصر﴾ قسم من الله تعالى، وجوابه إن الإنسان، وقوله: الدهر قال ابن عباس: أقسم به لأن فيه عبرة الناظر أي: من حيث تصرف الأحوال وتبدلها، والدلالة على الصانع رواه زيد بن أسلم اهـ كرخي.

وفي الرازي: أقسم تعالى بالدهر لما فيه من الأعاجيب لأنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر، ولأن بقية عمر المرء لا قيمة له، فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعني ثم ثبتت السعادة في اللمحة الأخيرة من العمر بقيت في الجنة أبد الآباد، فعلمت أن أشرف الأشياء حياتك في تلك اللمحة، فكان الدهر والزمان من جملة أصول النعم، ولأن الزمان أشرف من المكان فأقسم به لكونه نعمة خالصة لا عيب فيه إنما الخاسر والمعيب الإنسان، وقوله: وما بعد الزوال إلى الغروب، فأقسم في حق الخاسر بالعصر، كما أقسم في حق الرابح بالضحى، فكأنه يقول بعض النهار باق فيحثه على التدارك في البقية بالتوبة، وقوله: أو صلاة العصر أي فيكون قد أقسم بصلاة العصر لأنها الصلاة الوسطى، ولأنه يحصل بها ختم طاعات النهار.

وقيل: العصر الزمن المختص به وبأمته أي: والعصر الذي أنت فيه فأقسم بمكانه ﷺ في قوله: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ [البلد: ١] وأقسم بعمره في قوله: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [احجر: ٧٢] وأقسم بعصره هنا، فكأنه قال: وعصرك وبلدك وعمرك فأقسم بهذه الظروف الثلاثة، فإذا وجب تعظيم الظرف فحال المظروف من باب أولى اهـ من الرازي.

قوله: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ أي: لفي خسران ونقصان. قيل: أراد بالإنسان جنس الإنسان، وذلك لأن الإنسان لا ينفك عن خسران، لأن الخسران هو تضييع عمره، وذلك لأ كل ساعة تمر من

الجنس ﴿لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ في تجارته ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فليسوا في خسران

عمر الإنسان إما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية، فإن كانت في معصية فهو الخسران البين الظاهر، وإن كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الاتيان به، فكان فعل غير الأفضل تضييعاً وخسراناً فبان بذلك أنه لا ينفك أحد من خسران، وقيل: إن سعادة الإنسان في طلب الآخرة وحبها والإعراض عن الدنيا، ثم إن الأسباب الداعية إلى حب الآخرة خفية، والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة، فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها، فكانوا في خسار وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم، وقيل: أراد بالإنسان الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين، وقيل: أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع إلا الذين آمنوا فإنه تكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم، فهي مثل قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ [التين: ٥] اهـ خازن.

والألف واللام في الإنسان للجنس فيشمل المؤمن والكافر بدليل الاستثناء، والخسر بمعنى الخسران ومعناه النقصان وذهاب رأس المال، والتنكير في الخسر يفيد التعظيم أي: إن الإنسان لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله، فقد جعل الإنسان مغموراً في الخسر للمبالغة، وأنه أحاط به من كل جانب، لأن كل ساعة تمر بالإنسان، فإن كانت مصروفة إلى المعصية فلا شك في الخسران، وإن كانت مشغولة بالمباحات فالخسران أيضاً حاصل، وإن كانت مشغولة بالطاعات فهي غير متناهية وترك الأعلى والاقتصار على الأدنى نوع خسران، ولا ينافيه قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٤] لأن الكلام ثم في أحوال البدن وهنا في أحوال النفس اهـ رازي.

قوله: ﴿لفي خسر﴾ أي: لفي غبن، وقال الأخفش: لفي هلكة، وقال الفراء: لفي عقوبة ومنه قوله تعالى: ﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ [الطلاق: ٩]، وقال زيد بن علي: لفي شر، وقيل: لفي نقص والمعنى متقارب اهـ قرطبي.

وفي المصباح: خسر في تجارته خسارة بالفتح وخسراً وخسراناً ويتعدى بالهمزة، فيقال: أخسرته فيها وخسر خسراً وخسراناً أيضاً هلك اهـ.

قوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾ وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، فحكم بالخسران على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء الأربعة وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فهذه الأمور اشتملت على ما يخص نفسه وهو الإيمان والعمل الصالح، وما يخص غيره وهي التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهما معطوفان على ما قبلهما من عطف الخاص على العام للمبالغة اهـ رازي.

والحاصل أن كل ما مضى من عمر الإنسان في طاعة الله فهو في صلاح وخير، وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك اهـ خازن.

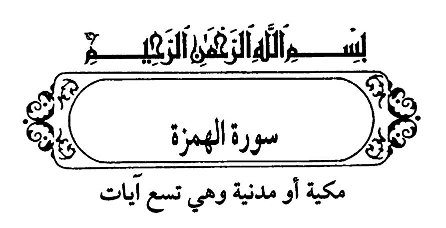
﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي الإيمان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ على الطاعة وعن المعصية.

قوله: (أوصى بعضهم بعضاً) أشار به إلى أن تواصوا فعل ماض لا أمر، ويؤخذ أن الوصية هي التقديم إلى الغير بما يعمل به مقروناً بوعظ ونصيحة من قولهم أرض واصية أي: متصلة النبات. يقال: قدمت إليه بكذا إذا أمرته قبل الحاجة إلى الفعل اهـ كرخي.

قوله: (أي الإيمان) أي: الثبات والدوام عليه، وعبارة الخطيب: أي الأمر الثابت وهو كل ما حكم الشرع بصحته ولا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة اهـ.

قوله: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ كرر الفعل لاختلاف المفعولين، وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لإبراز كمال الاعتناء به، أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى، والثاني عبارة عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله، فإن المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق إليه من فعل وترك، بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالقبول والرضا به ظاهراً وباطناً اهـ كرخي.

قوله: (على الطاعة وعن المعصية) وبقي قسم ثالث لم يذكره وهو الصبر على البلايا اهـ.



سورة الهمزة

مكية أو مدنية وهي تسع آيات

﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو واد في جهنم ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①﴾ أي كثير الهمز واللمز، أي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مناسبتها لما قبلها أنه لما قال: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ [العصر: ٢] بين في هذه حال الخاسرين ومآلهم اهـ بحر.

قوله: ﴿ويل﴾ مبتدأ خبره لكل همزة لمزة، وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم بالهلكة أي شدة الشر اهـ أبو السعود.

قوله: (كلمة عذاب) أي: كلمة يطلب بها العذاب ويدعى بها ويسأل، فعلى هذا يكون المعنى: اللهم ألحق الويل وأنزله بكل همزة وعلى هذا فتكون الجملة إنشائية، وقوله: أو واد في جهنم، وعليه تكون الجملة خبرية أخبرت بأن هذا الوادي لكل همزة أي: ثابت ومعد له، وويل على هذا علم فهو معرفة تأمل.

قوله: ﴿لكل همزة لمزة﴾ التاء فيهما للمبالغة في الوصف، وقد اطرد أن بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل أي: المكثرة لمأخذ الاشتقاق، وإذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول. يقال: رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره، ولعنة بسكون العين إذا كان ملعوناً للناس يكثرون لعنه اهـ زاده.

وفي السمين: والعامة على فتح ميميهما على أن المراد الشخص الذي يكثر منه ذلك الفعل، وقرأ الباقون بالسكون وهو الذي يهمز ويلمز أي: يأتي بما يهمز به ويلمز كالضحكة لمن يكثر ضحكه والضحكة لمن يأتي بما يضحك منه وهو مطرد أعني: أن فعلة بفتح العين لمن يكثر منه الفعل وبسكونها لمن يكثر الفعل بسببه اهـ.

وفي المختار: الهمز كاللمز وزناً ومعنى وبابه ضرب اهـ.

وفي أيضاً: اللمز العيب، وأصله الإشارة العين ونحوها وبابه ضرب ونصر اهـ.

قوله: (أي كثير الهمز واللمز) قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة،

الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين، كأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة وغيرهما ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ أحصاه وجعله عدة لحوادث الدهر

الباغون العيب للبريء، فعلى هذا هما بمعنى واحد، وقال ﷺ: «شر عباد الله المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب». وقال مقاتل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب، واللمزة الذي يعيبك في الوجه، وقال أبو العالية، والحسن: الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل، واللمزة الذي يغتابه من خلفه، وهذا اختيار النحاس، ومنه قوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ [التوبة: ٥٨]. وقال سعيد بن جبير: الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم، وقال سفيان الثوري: يهمز بلسانه ويلمز بعينه، وقال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه. وحاصل هذه الأقاويل يرجع إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب، ويدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه، وأصل الهمز الكسر، وأصل اللمز الطعن، ثم خصا بالكسر لأعراض الناس والطعن فيهم حتى صار ذلك عادة لهم لأنه خلق ثابت في جبلتهم، والذي دل على الاعتياد صيغة فعلة بضم وفتح، كما يقال: ضحكة للذي يفعل الضحك كثيراً حتى صار عادة له اهـ خطيب.

قوله: (أي الغيبة) تفسير لهما على بعض الأقوال، فعلى هذا يكون الثاني تأكيداً لفظياً للأول بالمرادف. كقولهم: حسن بسن وعفريت نفريت اهـ.

قوله: (وغيرهما) كالأخنس بن شريق، والعاص بن وائل السهمي، وجميل بن معمر اهـ خازن.

وفي الكشاف: ويجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه، فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه اهـ. وهو قول الأكثرين.

قال مجاهد: ليست خاصة بأحد بل هي شاملة لكل من كانت هذه صفته اهـ كرخي.

قوله: ﴿الذي جمع مالاً﴾ تعليل لما قبله اهـ شيخنا.

أو هو بدل من كل اهـ سمين.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) فمن شدد ميمه نظر للمبالغة والتكثير ولموافقة عدده في التشديد، ومن خفف ميمه جعله محتملاً للتكثير وعدمه اهـ سمين.

وقال الرازي: الفرق أن التشديد يفيد أنه جمعه من ههنا ومن ههنا ولم يجمعه في يوم واحد ولا في يومين ولا في شهر ولا في شهرين، وأن التخفيف لا يفيد ذلك ونكر مالاً للتعظيم أي مالاً بلغ في الخبث والفساد أقصى النهايات، فكيف يليق بالعاقل أن يفتخر به اهـ.

قوله: ﴿وعدده﴾ العامة على تثقيل الدال الأولى وهو أيضاً للمبالغة، وقرأ الحسن والكلبي بتخفيفها، وفيه أوجه، أحدهما: أن المعنى جمع مالاً وعدد ذلك المال أي وجمع عدده أي أحصاه. والثاني: أن المعنى وجمع عدد نفسه من عشيرته وأقاربه وعدده على هذين التأويلين اسم معطوف على

﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ جعله خالداً لا يموت ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ جواب قسم محذوف أي ليطرحنَّ ﴿فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾ التي تحطم كل ما ألقي فيها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾ ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾ المسعرة ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ القلوب

مالاً أي وجمع عدد المال أو عدد نفسه. الثالث: أن عدده فعل ماض بمعنى عده إلا أنه شذّ في إظهاره كما شذّ في قوله: إني أجود لأقوام وإن ضنوا أي بخلوا اهـ سمين.

قوله: (وجعله عدة) هكذا في النسخ، ولعل الواو بمعنى أو لأنهما قولان في التفاسير، وعبارة الخازن: أي أحصاه فهو مأخوذ من العد، وقيل: هو من العدة أي استعده وجعله ذخيرة وعوناً له انتهت، وعبارة البيضاوي: جعله عدة للنوازل أو عدة مرة بعد أخرى، ويؤيده أنه قرىء وعدده بفك الإدغام اهـ.

قوله: (عدة) بالضم أي معداً ومدخراً لحوادث الدهر أي مصائبه النازلة على الناس اهـ سمين.

وفي المصباح: والعدة بالضم الاستعداد والتأهب، والعدة ما أعددته من المال والسلام وغير ذلك، والجمع عدد مثل غرفة غرف وأعددته إعداداً هيأته وأحضرته اهـ.

قوله: ﴿يحسب أن ماله﴾ الخ يجوز أن يكون مستأنفاً استئنافاً بيانياً واقعاً في جواب سؤال كأنه قيل: ما باله يجمع المال ويهتم به، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل جمع، وأخلده ماض معناه المضارع أي يخلده اهـ سمين.

أي يظن لجهله أن ماله يخلده أي يوصله إلى رتبة الخلود في الدنيا فيصير خالداً فيها فلا يموت أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض عمل من ظَن أن ماله أبقاه حياً، أو هو تعريض بالعمل الصالح، وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم، فأما المال فما أخلد أحداً فيه اهـ خطيب.

وفي المختار: الخلد بالضم البقاء والدوام وبابه دخل، وأخلده الله وخلد تخليداً اهـ.

قوله: (ردع) أي له عن حسبانه أي ليس كما يظن أن المال يخلده أي لا عن همزه ولمزه كما توهم لبعده لفظاً ومعنى اهـ شهاب.

وقيل: كلاَّ معناها حقاً اهـ خطيب.

قوله: (التي تحطم) أي تكسر فنفى الحطمة مماثلة لعمله لفظاً ومعنى، لأنها على وزن همزة ولمزة وفيها كسر كما فيها اهـ شهاب.

وفي المختار: حطمه من باب ضرب أي كسره فانحطم وتحطم، والتحطيم التكسير، والحطمة من أسماء النار لأنها تحطم ما تلتقم اهـ.

قوله: ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ تهويل لشأنها ببيان أنها ليست من الأمور التي تدركها العقول اهـ أبو السعود.

فتحرقها، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ جمع الضمير رعاية لمعنى كل ﴿مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ بالهمز وبالواو بدله مطبقة ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بضم الحرفين وبفتحهما ﴿مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخلة العمد.

قوله: ﴿نار الله﴾ الإضافة فيه للتفخيم أي هي النار التي لا تخمد أبداً، والموقدة بأمره أو بقدرته اهـ رازي.

وفي الخطيب: الموقدة أي التي وجب وتحتم إيقادها اهـ.

قوله: (المسعرة) في المختار: سعر النار والحرب هيجها وألهبها وبابه قطع قرىء: ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ [التكوير: ١٢] مخففاً ومشدداً، والتشديد للمبالغة، واستعرت النار وتسعرت توقدت والسعير النار اهـ.

ويقال: أسعرتها إسعاراً أي أوقدتها اهـ مصباح.

فقول الشارح المسعرة يقرأ بالتخفيف وبالتشديد.

قوله: ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ أي تعلو أوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما في الجسد وأشده تألماً بأدنى أذى يمسه، أو لأنه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة اهـ أبو السعود.

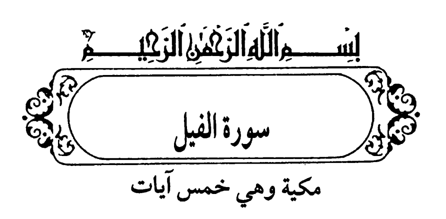
قوله: (وألمها) أي القلوب أي تألمها أشد من تألم غيرها من بقية أعضاء البدن، وفي الكرخي: قوله: وألمها أشد من ألم غيرها للطفها أشار به إلى أن في تخصيصها بالذكر تنبيهاً على فرط تأثرها، أو أن تخصيصها بالذكر لأنها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة، ومعلوم أن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه أي فهم في حال من يموت وهم لا يموتون، كما قال تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيي﴾ [طه: ٧٤] قال محمد بن كعب: تأكل النار جميع ما في أجسادهم حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خلقوا خلقاً جديداً أي فترجع تأكلهم وهكذا اهـ.

قوله: (بضم الحرفين وبفتحهما) سبعيتان. قوله: (فتكون النار داخل العمد) أشار بهذا إلى أن قوله: في عمد صفة لمؤصدة، أو أنه خبر آخر عن إن. وفي السمين: قوله: في عمد قرأ الأخوان وأبو بكر بضمتين جمع عمود نحو رسول ورسل، وقيل: جمع عماد نحو كتاب وكتب، وروي عن أبي عمرو الضم والسكون وهو تخفيف لهذه القراءة، والباقون عمد بفتحتين فقيل: اسم جمع لعمود، وقيل: بل هو جمع له، وقال أبو عبيدة: هو جمع عماد، وفي عمد: يجوز أن يكون حالاً من الضمير في عليهم أي موثقين، وأن يكون خبر لمبتدأ مضمر أي هم في عمد، وأن يكون صفة لمؤصدة قاله أبو البقاء يعني: فتكون النار داخل العمد اهـ.

وقوله: وقال أبو عبيدة الخ هذا هو الذي ذكره السيوطي في الرعد، وقيل: في بمعنى الباء أي مؤصدة بعمد من حديد، والمعنى: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ممدودة على أبوابها عمد تشديداً في الإغلاق اهـ ابن جزي.

. . . .

وفي القرطبي: في عمد ممددة الفاء بمعنى الباء أي مؤصدة بعمد ممدودة قاله ابن مسعود، وهي في قراءته بعمد ممددة، وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «ثم إن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الأطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد، فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمٰن على عرشه ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يبعثون بعدها، وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً» فذلك قوله تعالى: ﴿إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدة﴾ وقال قتادة: في عمد يعذبون بها، واختاره الطبري، وقال ابن عباس: إن العمد الممددة أغلال في أعناقهم، وقيل: قيود في أرجلهم، قال أبو صالح، وقال القشيري: والمعظم على أن العمد أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار تشد تلك الأطباق بالأوتاد حتى يرجع عليهم غمها وحرها، فلا يدخل عليهم روح، وقيل: أبواب النار مطبقة عليهم وهم في عمد أي في سلاسل وأغلال مطولة وهي أحكم وأرسخ من القصيرة، وقيل: هم في عمد ممددة أي في عذابها وألمها يضربون بها، وقيل: المعنى في دهر ممدود أي لا انقطاع له والله أعلم اهـ.



سورة الفيل

مكية وهي خمس آيات

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب أي اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ هو محمود وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه بني بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحجاج عن مكة، فأحدث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿ألم ترَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ وهو وإن لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها، فكأنه رآها اهـ بيضاوي.

وقوله: وهو وإن لم يشهد الخ جواب عما يقال ما وجه قوله: ألم تر مع أن الأصل في الرؤية أن تكون بصرية، وأن يكون الاستفهام للتقرير، فيكون المعنى: قد رأيت وشاهدت مع أنه لم يشاهد، وتقرير الجواب: أن المراد بالرؤية هنا رؤية القلب وهي عبّر عنه بالرؤية لكونه علماً ضرورياً مساوياً في القوة والجلاء للمشاهد والعيان اهـ زاده.

وحذفت الألف من تر للجازم، وكيف معلقة للرؤية وهي منصوبة بفعل بعدها اهـ سمين.

وكيف منصوب على المصدرية أو الحالية، واختار الأول ابن هشام في المغني: أي فعل فعل الخ، وأما نصبه على الحالية من الفاعل فممتنع لأن فيه وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز اهـ شهاب.

والجملة سدت مسد مفعولي تر. قوله: (هو محمود) وكانت الفيلة ثلاثة عشر، وأكبرها فيل يقال له محمود وهو الذي برك وضرب في رأسه، وإنما وحده لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم الذي كان يقال له محمود وقيل: إنما وحده موافقة لرؤوس الآي اهـ خازن.

وقيل: كان معه ثمانية عشر فيلاً، وقيل: ألف فيل اهـ خطيب.

قوله: (أبرهة) بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء المهملة واسمه الأشرم، قال الطيبي: وسمي الأشرم لأن أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه اهـ كرخي.

وأبرهة لقب لكل من فيه بياض وكان نصرانياً وقوله: ملك اليمن بدل من أبرهة لأنه ملك اليمن، وكان من قبل النجاشي ملك الحبشة، وكان جيش أبرهة ستين ألفاً كما في شرح المواهب اهـ شيخنا.

قوله: (بنى بصنعاء كنيسة الخ) شروع في بيان قصة أصحاب الفيل، وعبارة الخازن: وكانت

. . . .

قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم، عن سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عباس، وذكره الواقدي: أن النجاشي ملك الحبشة وهو أصحمة جد النجاشي الذي آمن بالنبي ﷺ كان بعث أبرهة أميراً على اليمن، فأقام به واستقامت له الكلمة هناك، ثم إنه رأى الناس يتهجرون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله عزّ وجل، فحسد العرب على ذلك، ثم بنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي أني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها ولست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب. فسمع به مالك بن كنانة فخرج لها ليلاً فدخل إليها فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها. فبلغ ذلك أبرهة فقال: من اجترأ علي؟ فقيل له: صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت قد سمع بالذي قلت. فحلف أبرهة عند الملك ليسيرن إلى الكعبة ثم يهدمها، فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك، وسأله أن يبعث إليه بفيله وكان فيلاً يقال له محمود، وكان فيلاً لم يرَ مثله عظماً وجسماً وقوة، فبعث به إليه فخرج أبرهة في الحبشة سائراً إلى مكة وخرج معه بالفيل، فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ ذا نفر، فقال لأبرهة: يا أيها الملك استبقني فإن بقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه، وكان أبرهة رجلاً حليماً. ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع من قبائل اليمن فهزمهم، وأخذ نفيلاً فقال له نفيل: أيها الملك إني دليل بأرض العرب فاستبقاه وخرج معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث في رجال من ثقيف، فقال: أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك إنما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه، فبعثوا معه أبا رغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره، وبعث أبرهة رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مسعود مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس، فجمع الأسود إليه أموال أصحاب الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير، ثم إن أبرهة أرسل حناطة الحميري إلى أهل مكة وقال له: سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه، أخبره أني لم آت لقتال إنما جئت لأهدم البيت. فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب، فقال له: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه، وإنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم، فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتال ولا بد لنا أن ندفعه عما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام وبيت إبراهيم خليله عليه الصلاة والسلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا بدفعه قوة قال، فانطلق معي إلى الملك، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر، وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فأتاه فقال: ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ قال: أنا رجل أسير لا آمن أن أقتل بكرة أو عشية ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فإنه لي صديق، فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم حظوتك ومنزلتك عنده، قال: فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال له: إن هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في سهل والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب الملك له مائتي بعير، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي أحب ما وصل إليه من الخير، فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستأذن عليك، وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد

. . . .

جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له، كان عبد المطلب رجلاً جسيماً وسيماً، فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره، فجلس على بساطه وأجلس عبد المطلب بجنبه ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك، فقال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يرد عليَّ مائتي بعير أصابها، فقال أبرهة لترجمانه: قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك، قال: لم؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك. قال عبد المطلب: أنا رب الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك. قال: ما كان ليمنعه مني. قال: فأنت وذاك، فأمر بإبله فردت عليه! فلما ردت الإبل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشاً الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال خوفاً عليهم من معرة الجيش، ففعلوا وأصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله، وكان فيلاً لم يُرَ مثله في العظم والقوة، ويقال: كانت الأفيال اثني عشر فيلاً فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بإذنه وقال له: ابرك محموداً وارجع رشيداً فإنك ببلد الله الحرام. فبرك فبعثوه فضربوه بالمعول في رأسه، فأدخله محاجنه تحت مراقه ومرافقه فقرعوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى قدامه ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى الشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم، وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل، وأرسل الله عز وجل طيراً من البحر إلى آخر ما في القصة.

فأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا، وأما الفيلة الأخر فشجعوا فحصبوا أي رموا بالحصباء، وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتي بمكة، وكان رجلاً نبيهاً نبيلاً تستقيم الأمور برأيه وكان خليلاً لعبد المطلب: فقال له عبد المطلب: ماذا عندك من الرأي فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك ؟ فقال أبو مسعود: اصعد بنا إلى حراء فصعد الجبل، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: أعمد إلى مائة من الابل فقلدها نعلاً واجعلها لله ثم ابثها في الحرم، فلعل بعض السودان يعقر منها شيئاً فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطلب، فعمد القوم إلى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها، وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت رباً يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزوراً فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال: أرى طيراً بيضاً نشأت من شاطىء البحر، فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها. قال: أراها قد دارت على رؤوسنا، ثم قال: هل تعرفها؟ قال: والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا بتهامية ولا عربية ولا شامية. قال: ما قدرها؟ قال: اشباه اليعاسيب في مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يتبع بعضها بعضاً أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى إذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها ثم رجعت من حيث جاءت اهـ.

قوله أيضاً: (بنى بصنعاء كنيسة) وكان قد بناها بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود،

رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقاراً بها، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود، فحين توجهوا لهدم الكعبة، أرسل الله عليهم ما قصه في قوله ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أي جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ خسار وهلاك ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ جماعات جماعات، قيل: لا واحد له كأساطير وقيل: واحده إبول أو إبال أو

وحلَّاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأذل أهل اليمن في بنائها، ونقل لها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس، وكان على فرسخ من موضعها ونصب فيه صلباناً من ذهب وفضة ومنابر من عاج وآبنوس وغير ذلك، وكان يشرف منها على عدن لارتفاعها وعلوها، ولذا سماها القليس، لأن الناظر إليها تسقط قلنسوته عن رأسه عند نظره إليها لارتفاعها اهـ من شرح المواهب.

قوله: (**ليصرف إليها الحجاج**) وقد صرفهم بالفعل وأمرهم بحجها فحجوها سنين، ولعلهم كانوا يحجون البيت أيضاً في هذه السنين اهـ من شرح المواهب.

قوله: (**فأحدث رجل**) أي من العرب فاستغفل الحجاب وتغوط وهرب، فغضب أبرهة وعزم على تخريب الكعبة على ما تقدم، وقوله: بالعذرة وزان كلمة الخرء ولا يعرف تخفيفها والجمع عذرات اهـ مصباح.

قوله: (**أرسل الله عليهم الخ**) أي فرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريق، وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول الحرم على الأصح، وقال جماعة: بوادي محسر بين مزدلفة ومنى اهـ ابن حجر.

وأصيب أبرهة في جسده فتساقطت أنامله وأصابعه وأعضاؤه، وسال منه الصديد والقيح والدم، وما مات حتى انشق قلبه وكانت إصابته بداء غير الحجارة اهـ من الخازن.

قوله: ﴿**ألم يجعل كيدهم**﴾ أي مكرهم وسعيهم واحتيالهم. قال الشهاب: وإنما سماه كيداً مع أن الكيد قصد المضرة خفية وهو مظهر لقصد تخريبه لأن سببه حسد سكان الحرم وقصد صرف شرفهم له وهو خفي فسمي كيداً لذلك فتدبر اهـ.

وقوله: أي جعل أشار به إلى أن المضارع بمعنى الماضي لحكاية الحال الماضية.

قوله: ﴿**وأرسل عليهم**﴾ عطف على ألم يجعل لأن الاستفهام فيه للتقرير، فكان المعنى: قد جعل ذلك وأرسل اهـ زاده.

وقوله: طيراً اسم جنس يذكر ويؤنث، وقوله: ترميهم بالتاء، وقرىء يرميهم بالياء اهـ سمين.

قوله: ﴿**طيراً أبابيل**﴾ قال سعيد بن جبير: كانت طيراً من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها، وروى جويبر، عن الضحاك: عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها طير من السماء والأرض تعشش وتفرخ». وعن ابن عباس: كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب، وقال عكرمة: كانت طيراً خضراً خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع ولم نرَ قبل ذلك ولا بعده، وقالت عائشة رضي الله عنها: هي أشبه شيء بالخطاطيف، وقيل: بل كانت أشباه الوطاويط حمراً وسوداً، وقيل: إنها العنقاء المغرب التي تضرب بها الأمثال اهـ قرطبي.

إبيل، كعجول ومفتاح وسكين ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾ طين مطبوخ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته أي أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدسة، وأصغر من الحمصة، يخرق البيضة والرجل

ولما تم هلاكهم رجعت الطير من حيث جاءت اهـ خازن.

قوله: ﴿أبابيل﴾ نعت لطيراً لأنه اسم جمع، وقوله: ترميهم صفة أخرى لطيراً، ومن سجيل صفة لحجارة وكعصف مفعول ثان لجعل بمعنى صير والمفعول الأول الهاء اهـ سمين.

قال الشهاب: شبه تقطع أوصالهم بالعصف المأكول وناسب إهلاكهم بالحجارة، لأنهم أرادوا هدم الكعبة اهـ.

قوله: (جماعات جماعات) عبارة القرطبي: أبابيل أي مجتمعة، وقيل: متتابعة بعضها في أثر بعض قاله ابن عباس ومجاهد، وقيل: مختلفة متفرقة تجيء من كل ناحية من ههنا وههنا قاله ابن مسعود وابن زيد والأخفش، وقال النحاس: وهذه الأقوال متفقة، وحقيقة المعنى أنها جماعات عظام. يقال: فلان يؤبل على فلان أي يعم عليه ويكثر وهو مشتق من الإبل اهـ.

قوله: (قيل لا واحد له) أي من لفظه فيكون اسم جمع. قوله: (كعجول) لغة في العجل وهو ولد البقرة كما في المختار، والمسموع من تقرير المشايخ أنه بضم كل من أوله وثانيه المشدد بوزن عصفور، لكن لم نر في كتب اللغة التصريح بضبطه، ثم رأيت في شرح المواهب ما نصه: وقيل: واحده إبول بكسر الهمزة وفتح الموحدة المشددة وسكون الواو كسنور اهـ.

وعلى هذا فعجول بهذا الضبط أي بكسر أوله وفتح ثانيه المشدد وسكون ثالثه كسنور تأمل. قوله: (طين مطبوخ) أي مخرق كالآجر، وكان طبخه بنار جهنم وهي من الحجارة التي أرسلت على قوم لوط، قال ابن عباس: كان الحجر إذا وقع على أحدهم نفط جلده، وكان ذلك أول الجدري ولم يكن الجدري موجوداً قبل ذلك اليوم اهـ قرطبي.

وعن ابن عباس: أنه رأى من تلك الحجارة عند أم هانىء نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري اهـ خطيب.

قوله: ﴿كعصف مأكول﴾ العصف: جمع واحد عصفة وعصافة وعصيفة اهـ قرطبي.

وقوله: وداسته صوابه وراثته أي ألقته روثاً ثم يبس وتفتت، وعبارة القرطبي: أي أكلته الدواب فرمت به من أسفل اهـ.

وعبارة الخازن: يعني كزرع وتبن أكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت أجزاؤه اهـ.

ولم يقل فجعلهم كروث لما في لفظ الروث من الهجنة والشناعة اهـ شهاب.

قوله: (مكتوب عليه اسمه) يتأمل سر هذه الكتابة، وهل كان الطائر الذي يحمله يدرك، ويفهم أن هذا لفلان بخصوصه حتى لا يرميه إلا فوقه، وإذا كان كذلك فهل كان إدراكه لهذا المعنى من الكتابة

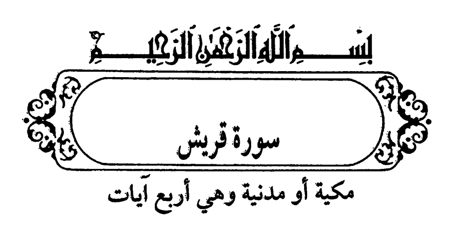
والفيل ويصل إلى الأرض. وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

المذكورة أو بمجرد الهام يحرر. **قوله: (يخرق البيضة)** أي بيضة الحديد التي على رأس الرجل بأن ينزل من دماغه ويخرج من دبره، ويخرق الفيل الذي هو راكبه اهـ.

ولذلك هلكت جميع الفيلة التي كانت معه إلا كبيرها وهو محمود، فإنه نجا لما وقع منه من الفعل الجميل اهـ شرح المواهب.

قوله: (عام مولد النبي ﷺ) أي قبل مولده بخمسين يوماً اهـ قرطبي.

وهذا هو القول الأصح، فانهم يقولون ولد عام الفيل ويجعلونه تاريخاً لمولده، وقيل: كان عام الفيل قبل ولادته ﷺ بأربعين سنة، وقيل: بثلاث وعشرين سنة اهـ خازن، وقيل: غير ذلك.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة قريش

مكية أو مدنية وهي أربع آيات

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ تأكيد، وهو مصدر آلف بالمد ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ إلى اليمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي في قول الجمهور، وقوله: أو مدنية أي في قول الضحاك والكلبي اهـ قرطبي. والأول أصح اهـ خازن.

قوله: ﴿لإيلاف قريش﴾ في متعلق هذه الآية أوجه، أحدها: أنه ما في السورة قبلها من قوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ [الفيل: ٥] قال الزمخشري: وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به، وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة بلا فصل، وعن عمر أنه قرأهما في الركعة الثانية من المغرب، وقرأ في الأولى بسورة والتين اهـ.

وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأخفش إلا أن الحوفي قال: ورد هذا القول جماعة بأنه لو كان كذلك لكان لإيلاف بعض سورة ﴿ألم تر﴾، وفي اجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على عدم ذلك. الثاني: أنه مضمر تقديره فعلنا ذلك أي إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش ، وقيل: تقديره اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت. الثالث: أنه قوله فليعبدوا، وإنما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط أي فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم، فإنها أظهر نعمه عليهم قاله الزمخشري وهو قول الخليل قبله. وقرأ ابن عامر لإلاف قريش دون ياء قبل اللام الثانية، والباقون لإيلاف بياء قبلها وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني وهو إيلافهم، ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين أن القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الأول مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطأ، واتفقوا على إثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحب على سقوطها منه خطأ، فهو أدل دليل على أن القراء متبعون الأثر والرواية لا مجرد الخط، فأما قراءة ابن عامر ففيها وجهان: أحدهما: أنها مصدر لألف ثلاثياً يقال: ألفته نحو كتبته كتاباً، ويقال: ألفته إلفاً وإلافاً، وقد جمع الشاعر بينهما في قوله:

زعمتم أن أخوتكم قريش ... لهم إلف وليس لكم إلاف

والثاني: أنه مصدر آلف رباعياً بزنة أكرم، يقال: آلفته أولفه إيلافاً. وقرأ عاصم في رواية إئلافهم بهمزتين، الأولى: مكسورة، والثانية: ساكنة وهي شاذة لأنه يجب في مثله إبدال الثانية حرفاً مجانساً

﴿وَ﴾ رحلة ﴿ٱلصَّيۡفِ ۝﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم ولد النضر بن كنانة ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ تعلق به لإيلاف

كإيمان، وروي عنه أيضاً بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة وخرجت على أنه أشبع كسرة الهمزة الثانية فتولد منها ياء، وهذه أشذ من الأولى، ونقل أبو البقاء أشذ منها فقال بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهو بعيد، ووجهها أنه أشبع الكسرة فنشأت الياء وقصد بذلك الفصل بين الهمزتين كالألف في أأنذرتهم، وقرأ أبو حفص: لإلف قريش بزنة حمل، وقد تقدم لأنه مصدر لألف كقوله:

لهم إلف وليس لكم إلاف

وعنه أيضاً: وعن ابن كثير إلفهم، وعنه أيضاً وعن ابن عامر: إلافهم مثل كتابهم، وعنه أيضاً ليلاف بياء ساكنة بعد اللام وذلك أنه لما أبدل الثانية حذف الأولى على غير قياس، وقرأ عكرمة: ليألف قريش فعلاً مضارعاً، وعنه ليألف على الأمر واللام مكسورة، وعنه فتحها مع الأمر وهي لغية وقريش اسم لقبيلة اهـ سمين.

قوله: (تأكيد) أي: لفظي، ولذلك اتصل بضمير ما أضيف إليه الأول، وقيل: هو بدل لأنه أطلق المبدل منه، وقيد البدل بالمفعول وهو رحلة اهـ سمين.

قال الشهاب: لما فيه من الإبهام في المبدل منه ثم التبيين في البدل اهـ.

قوله: ﴿رحلة الشتاء﴾ مفعول به بالمصدر والمصدر مضاف لفاعله أي: لأن ألفوا رحلة الأصل رحلتي الشتاء والصيف، ولكنه أفرد لأمن اللبس، وقيل: رحلة اسم جنس، وكانت لهم أربع رحلات وجعله بعضهم غلطاً وليس كذلك ولام الشتاء التي هي الهمزة واو لقولهم شتا يشتو اهـ سمين.

وأول من سنَّ لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم واتبع هاشماً على ذلك إخوته فكان هاشم يؤالف إلى الشام وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس، وكانت تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجاه هؤلاء الأخوة أي: بعهودهم التي أخذوها بالأمان لهم من ملك كل ناحية من هذه النواحي اهـ خطيب.

والرحلة بالكسر اسم مصدر من ارتحل بمعنى الارتحال أي: الانتقال، وأما بالضم فهو الشيء الذي يرتحل إليه. تقول: دنت رحلتنا بالكسر وأدنت رحلتنا بالضم اهـ.

قوله: (وهم ولد النضر بن كنانة) فكل من ولده النضر فهو قريش دون من لم يلده النضر، وإن ولده كنانة وهو الصحيح، وقيل: هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، فمن لم يلده فهر فليس بقرشي، وأن ولده النضر فوقع الوفاق على أن بني فهر قريشيون، وعلى كنانة أن الذين لم يلدهم النضر ليسوا بقرشيين ووقع الخلاف في بني النضر وبني مالك وفهر هو الجد الحادي عشر من أجداده ﷺ، والنضر هو الثالث عشر ويسمى فهر قريشاً أيضاً، وذلك لأنه ﷺ محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، واسمه قريش بن مالك بن النضر بن كنانة إلى آخر النسب الشريف اهـ من المواهب.

والفاء زائدة ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي من أجله ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ أي من أجله، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

واختلف في اشتقاقهم على أوجه، أحدها: أنه من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم قال شاعرهم:

أبونا قريش كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

والثاني: أنه من القرش وهو الكسب، وكانت قريش تجاراً يقال: قرش يقرش أي: اكتسب. الثالث: أنه من التفتيش يقال قرش يقرش عني أي: فتش، وكانت قريش يفتشون على ذوي الخلات ليسدوا خلتهم. قال الشاعر:

أيها الشامت المقرش عنا عند عمروا فهل له إبقاء

وقد سأل معاوية ابن عباس: لم سميت قريش قريشاً؟ فقال: سميت بدابة في البحر يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى، ثم قريش إما أن يكون مصغراً من ثلاثي نحو القرش وأجمعوا على صرفه هنا مراداً به الحي ولو أريد به القبيلة لامتنع من الصرف. قال سيبويه: في معد وثقيف وقريش وكنانة هذه للاحياء أكثر، وإن جعلتها أسماء للقبائل فهو جائز حسن اهـ سمين.

قوله: (تعلق به لإيلاف الخ) وإنما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط أي: فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم، فإنها أظهر نعمه عليهم اهـ سمين.

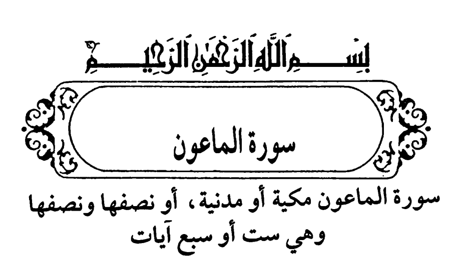
والمعنى لتأليف الله لهم أي: لتحبيبه لهم الرحلتين أي: لجعلهم آلفين ومحبين لهما مسترزقين بهما لتيسيرهما عليهم اهـ.

قوله: (والفاء زائدة) ولهذا جاز تقديم معمول ما بعدها عليها اهـ شهاب.

وفي دعوى الزيادة نظر لما عرفت من عبارة السمين أنها في جواب شرط مقدر. قوله: (أي من أجله) أي: الجوع أي: فمن تعليلية أي أنعم عليهم وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم الحاصلة بالرحلتين أي: بالتجارة فيهما وبإزالة الخوف عنهم، فعلى التعليل يقدر فيه مضاف، وقيل: هي بدلية وهذا ببركة دعوة الخليل عليه الصلاة والسلام اهـ شهاب.

وقيل: إن من بمعنى بعد، وعبارة الخازن: ومعنى الذي أطعمهم من جوع أي من بعد جوع بحمل الميرة إليهم من البلاد في البر والبحر، وقيل في معنى الآية: إنهم لما كذبوا محمداً ﷺ دعا عليهم فقال: اللهم اجعلها سنيناً كسني يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجهد والجوع، فقالوا: يا محمد ادع الله لنا فإنا مؤمنون فدعا رسول الله ﷺ وأخصبت البلاد وأخصب أهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى: ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ أي: بالحرم، وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد في رحلتهم، وقيل: آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام، وقيل: آمنهم بمحمد ﷺ وبالإسلام اهـ.

قوله: (وخافوا جيش الفيل) وهذا هو وجه مناسبة هذه السورة لما قبلها.



سورة الماعون مكية أو مدنية، أو نصفها ونصفها
وهي ست أو سبع آيات

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ بالجزاء والحساب، أي هل عرفته إن لم تعرفه ﴿فَذَٰلِكَ﴾ بتقدير هو بعد الفاء ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ أي يدفعه بعنف عن حقه ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة الدين اهـ خطيب.

ومناسبتها لما قبلها أنه لما عدد نعمه تعالى على قريش، وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء أتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم بالعذاب اهـ بحر.

قوله: (أو نصفها ونصفها) أي: نصفها الأول مكي ونصفها الثاني مدني، وعبارة الخازن: وقيل: نزل نصفها الأول بمكة في العاص بن وائل، ونصفها الثاني بالمدينة في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق اهـ.

قوله: (أي هل عرفته) فسّر به أرأيت فجعله بمعنى عرف فينصب مفعولاً واحداً وهو الموصول، ونص أبو السعود على هذا الاحتمال وأبدى فيه السمين احتمالين آخرين ونصه: وفي أرأيت هذه وجهان، أحدهما: أنها بصرية فتتعدى لواحد وهو الموصول كأنه قال أبصرت المكذب. والثاني: أنها بمعنى أخبرني فتتعدى لاثنين فقدره الحوفي: أليس مستحقاً العذاب، وقدره الزمخشري من هو، ويدل على ذلك قراءة عبد الله أرأيتك بكاف الخطاب والكاف لا تلحق البصرية اهـ.

قوله: (إن لم تعرفه) قدر السمين المحذوف بقوله إن طلبت علمه فذلك الخ وهو أوضح. قوله: (بتقدير هو بعد الفاء) وهذا التقدير ليس بلازم، بل يجوز جعل اسم الإشارة مبتدأ والموصول خبره، وعلى كل فالجملة اسمية فلذا قرنت بها الفاء الواقعة في جواب الشرط المقدر كما قدره الشارح.

قوله: ﴿الذي يدع اليتيم﴾ كأبي جهل كان وصياً على يتيم، فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه أو أبي سفيان نحر جزوراً، فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه أو الوليد بن المغيرة أو منافق بخيل اهـ بيضاوي.

ويصح حمل الحق على الميراث، فقد تقدم في سورة النساء أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا

نفسه ولا غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ أي إطعامه، نزلت في العاص بن وائل، أو الوليد بن المغيرة ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ غافلون يؤخرونها عن أوقاتها

الصبيان، ويقولون: إنما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام اهـ قرطبي.

ودع من باب ردّ كما في المختار. **قوله: (نزلت في العاص بن وائل الخ)** وقيل: نزلت في أبي جهل، وقيل: في عمرو بن عائذ المخزومي، وقيل: في رجل من المنافقين، وقيل: في أبي سفيان اهـ خازن.

قوله: ﴿فويل للمصلين﴾ ويل مبتدأ، وللمصلين خبره، والباء للسببية أي: أن الدعاء عليهم بالويل متسبب عن هذه الصفات الذميمة أي إذا علمت أنه متصف بهذه الصفات فويل الخ، ووضع الظاهر وهو المصلين موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب، وما أضيف إليه ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم أو جعل المصلين قائماً مقام ضمير الذي يكذب، وهو وإن كان مفرداً فإن معناه الجمع، لأن المراد به الجنس، ولا شك أن الظاهر من الكلام أن السورة كلها في وصف قوم جمعوا بين هذه الأوصاف كلها من التكذيب بالدين ودع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين والسهو عن الصلاة والمراءاة ومنع الخير اهـ سمين.

قوله: ﴿الذين هم﴾ يجوز أن يكون مرفوع المحل، وأن يكون منصوبه، وأن يكون مجروره تابعاً نعتاً أو بدلاً أو بياناً، وكذلك الموصول الثاني إلا أنه يحتمل أن يكون تابعاً للمصلين، وأن يكون تابعاً للموصول، قوله: يراؤون كيقاتلون، ومعنى المراءاة أن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه فالمفاعلة فيهما واضحة، وقد تقدم تحقيق ذلك اهـ سمين.

وقوله: عن صلاتهم إنما عبر بعن دون في لأن صلاة المؤمن من لا تخلو عن سهو بدليل وقوعه للأنبياء لأن المراد السهو عن الصلاة بتأخيرها عن وقتها لا السهو فيها اهـ شيخنا.

قوله: (يؤخرونها عن وقتها) أي: ثم لا يفعلونها بعد ذلك، فالمراد أنه إذا فاتتهم مع الناس تركوها بالمرة، وفي الشهاب على البيضاوي: فإن قلت: محصل تفسيره أنهم تاركون لها كما في الكشاف، فكيف قيل للمصلين؟ قلت: المراد المتسمين بسمة أهل الصلاة أو أن المصلي في وقت صلاة لا ينافي أن يترك غيرها، وعبارة الخطيب: الذين هم عن صلاتهم أي: التي هي جديرة بأن تضاف إليهم لوجوبها عليهم وإيجابها لأجل مصالحهم ومنافعهم بالتزكية وغيره اهـ عبارة الخازن.

روى البغوي بسنده عن سعد قال: سئل رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال: إضاعة الوقت. قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية إذا حضروا معهم لقوله تعالى: ﴿الذين هم يراؤون﴾ وقال تعالى في وصف المنافقين: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس﴾ [النساء: ١٤٢] وقيل: ساه عنها لا يبالي صلى أو لم يصل، وقيل: لا يرجون لها ثواباً إن صلوا ولا يخافون عليها عقاباً إن تركوا، وقيل: غافلون عنها يتهاونون بها، وقيل: هم الذين إن صلوها صلوها رياء، وإن فاتتهم لم يندموا عليها، وقيل: هم الذين لا

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ ﴾ في الصلاة وغيرها ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ كالإبرة والفأس والقدر والقصعة.

يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها، وقيل: لما قال تعالى: ﴿عن صلاتهم ساهون﴾ بلفظة عن علم أنها في المنافقين، والمؤمن قد يسهو في صلاته، والفرق بين الفريقين أن سهو المنافق هو أن لا يتذكرها ويكون فارغاً عنها، والمؤمن إذا سها عن صلاته تداركها في الحال وجبرها بسجود السهو، فظهر الفرق بين السهوين، وقيل: السهو عن الصلاة هو أن يبقى ناسياً لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة، وهذا لا يصدر إلا من المنافق الذي يعتقد أنه لا فائدة في الصلاة، فأما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وأنها عليها واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة، يعني: أنه يصير ساهياً في بعض أجزاء الصلاة بسبب وارد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد، ثم يذهب ذلك الوارد عنه، فثبت بهذا الفرق أن السهو عن الصلاة من أفعال المنافق، والسهو في الصلاة من أفعال المؤمنين اهـ.

قوله: ﴿الذين هم يراؤون﴾ يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية، والفرق بين المنافق والمرائي أن المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان، والمرائي يظهر الأعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصلاح، أما من يظهر النوافل ليقتدي به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء اهـ خازن.

قوله: ﴿ويمنعون﴾ متعد لمفعولين، أولهما: محذوف أي: يمنع الناس أو الطالبين. وثانيهما: الماعون فحذف المفعول الأول للعلم به اهـ شيخنا.

روي عن علي أنه قال: الماعون هو الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك، وقال ابن مسعود: الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس، ويدل عليه ما روي عنه قال: كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر، أخرجه أبو داود. وقال مجاهد: الماعون العارية، وقال عكرمة: الماعون أعلاه الزكاة المفروضة وأدناه عارية المتاع، وقال محمد بن كعب القرظي: الماعون المعروف كله يتعاطاه الناس فيما بينهم، وقيل: أصل الماعون من القلة فسميت الزكاة والمعروف والصدقة ماعوناً لأنه قليل من كثير، وقيل: الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح، والنار، ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيوت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع به. ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة، فإن البخل بها في نهاية البخل. قال العلماء: ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب اهـ خازن.

وفي السمين: والماعون فيه وجهان، أحدهما: أنه فاعول من المعنى وهو الشيء القليل. يقال: مال معن أي: قليل قال قطرب. والثاني: أنه اسم مفعول من أعانه يعينه والأصل معوون، وكان من حقه على هذا أن يقال معون كمصون ومقول اسمي مفعول من صان، وقال: ولكنه قلبت الكلمة بأن

. . . .

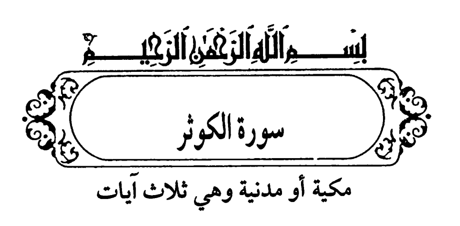
قدمت عينها قبل فائها فصار موعون، ثم قلبت الواو الأولى ألفاً فوزنه الآن مفعول اهـ.

وفي المختار: الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما اهـ.

قوله: (كالإبرة والفأس الخ) أي: وكالدلو والمقدحة والمغرفة والملح وغير ذلك اهـ شيخنا.

وفي المصابح: الفأس أنثى وهي مهموزة، ويجوز التخفيف وجمعها أفؤوس مثل فلس وأفلس وفلوس اهـ.

ويقال: فأسه يفأسه من باب منع إذا ضربه بالفأس اهـ من القاموس، والله أعلم.



سورة الكوثر

مكية أو مدنية وهي ثلاث آيات

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ هو نهر في الجنة هو حوضه ترد عليه أمته، أو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة النحر اهـ خطيب.

قوله: (مكية) أي: في قول ابن عباس، والكلبي، ومقاتل، والجمهور، وقوله: أو مدنية أي في قول الحسن، وعكرمة، ومجاهد وقتادة اهـ خازن.

قوله: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ أي قضينا لك به وخصصناك فهو لك ولأمتك من قبل وجودك وإن لم تستول عليه وتتصرف فيه إلا في القيامة، فالعطاء ناجز والتمكن والاستيلاء مستقبل، وفي الخطيب: وأصل الكوثر فوعل من الكثرة، والعرب تسمي كل شيء كثير العدد أو كثير في القدر والخطر كوثراً اهـ.

وعبارة السمين: والكوثر فوعل من الكثرة وصف مبالغة في المفرط الكثرة اهـ.

وفي الشهاب: أنه صفة لموصوف محذوف أي إنا أعطيناك الخير الكوثر أي: المفرط في الكثرة اهـ.

قوله: (هو نهر في الجنة) هذا هو القول الصحيح من ستة عشر قولاً في الكثرة. قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح اهـ بحر.

وفي القرطبي: اختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ على ستة عشر قولاً، **الأول**: أنه نهر في الجنة رواه البخاري عن أنس والترمذي أيضاً عن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة». **الثاني**: أنه حوض النبي ﷺ في الموقف قاله عطاء. **الثالث**: أن الكوثر النبوة والكتاب قاله عكرمة. **الرابع**: القرآن قاله الحسن. **الخامس**: الإسلام حكاه المغيرة. **السادس**: تيسير القرآن وتخفيف الشريعة قاله الحسن بن المفضل. **السابع**: هو كثرة الأصحاب والأمة والأتباع قاله أبو بكر بن عياش ويمان بن إياب. **الثامن**: أنه رفعة الذكر حكاه الماوردي. **التاسع**: أنه نور في قلبك دلك عليَّ وقطعك عما سواي وعنه وهو الشفاعة وهو العاشر. وقيل: معجزات الرب هدى بها أهل الإجابة

الكوثر الخير الكثير من النبوّة والقرآن والشفاعة ونحوها ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ صلاة عيد النحر

لدعوتك حكاه الثعلبي وهو الحادي عشر، والثاني عشر: قال هلال بن يسار هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: الفقه في الدين، وقيل: الصلوات الخمس وهما الثالث عشر والرابع عشر، وقال ابن إسحاق: هو العظيم من الأمور وهو الخامس عشر. قلت: وأصلح هذه الأقوال الأول والثاني، لأنه ثابت عن النبي ﷺ نصاً في الكوثر اهـ.

قوله: (هو حوضه) صوابه أو هو حوضه لأنهما قولان مذكوران في التفاسير كما عرفت.

تنبيه:

ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن حوض النبي ﷺ إنما هو بعد الصراط، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين، وكلاهما يسمى كوثراً، والكوثر في كلام العرب الخير الكثير. وقال أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة، وحكي عن بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله. قلت: هو كما قال، روي عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء؟ قال: أي والذي نفسي بيده أن فيه لماء، وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء، وهذا الطرد لا يكون بعد الصراط لأنه لا يسلم من الصراط إلا المؤمنون فلا وجود للكفار هناك حتى يذادوا، لأنهم قد سقطوا في جهنم ولا يخطر ببالك ويذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مسامتة هذه الأقطار أو في المواضع التي تكون بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض وهي أربعة بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط كما تقدم تظهر لنزول الجبال جل جلاله لفصل القضاء. واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر؟ فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض قبل. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل. قلت: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً كما تقدم فيقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم اهـ من تذكرة القرطبي.

قوله: (أو الكوثر الخير الكثير) إنما وضع الظاهر موضع المضمر لئلا يتوهم عطف ما بعده على حوضه اهـ شيخنا.

قوله: (ونحوه) كالحكمة وكثرة أتباعه وأمته والعلم والإسلام والنصر على الأعداء، وإظهاره على الأديان، وكثرة الفتوحات في زمنه وبعده إلى يوم القيامة اهـ خازن.

قوله: ﴿فصلِّ لربك﴾ كان الظاهر أن يقول لنا فانتقل إلى الاسم المظهر على طريق الالتفات، لأنه يوجب عظمة ومهابة اهـ رازي.

قوله: (صلاة عيد النحر) هذه يناسب كونها مدنية ولا يناسب كونها مكية، وقيل: صلِّ أمر بكل صلاة فيدخل فيها المكتوبات والنوافل، وهذا القيل يناسب كونها مكية اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصل لربك صلاة العيد يوم النحر، وانحر نسكك واقتصر على هذا الجلال المحلي، وقال سعيد بن جبير، ومجاهد: فصل الصلاة المفروضة بجمع

﴿وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ نسكك ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب، نزلت في العاص بن وائل سمى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

مزدلفة، وانحر البدن بمنى، وعن ابن عباس: وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر. وعن علي أن معناه أن يرفع يديه في التكبير إلى نحره، وقال الكلبي: استقبل القبلة بنحرك، وعن عطاء: أمره أن يستوي بين السجدتين جالساً حتى يبدو نحره اهـ.

قوله: ﴿وانحر﴾ أمر من النحر وهو في الإبل بمنزلة الذبح في البقر والغنم اهـ سمين.

قوله: ﴿إن شانئك﴾ (أي مبغضك) في المصباح: شنئه كسمعه ومنعه، شنأ مثل فلس، وشنئاناً بفتح النون وسكونها أبغضه، والفاعل شانىء في المذكر وشانئة في المؤنث، وشنئت بالأمر اعترفت به اهـ.

قوله: ﴿هو الأبتر﴾ يجوز أن يكون هو مبتدأ، والأبتر خبره، والجملة خبر إن، وأن يكون فصلاً، وقال أبو البقاء: أو توكيداً وهو غلط منه لأن المظهر لا يؤكد بالمضمر، والأبتر هو الذي لا عقب له، وهو في الأصل الشيء المقطوع من بتر أي: قطعه، وحمار أبتر لا ذنب له، ورجل أباتر بضم الهمزة أي: قاطع رحمه وبتر هو بالكسر انقطع ذنبه اهـ سمين.

قوله: (أو المنقطع العقب) أي: النسل، وفي المصباح: العقب بكسر القاف وسكونها للتخفيف الولد وولد الولد وليس له عقب أي: ليس له نسل اهـ.

قوله: (سمي النبي ﷺ أبتر) فقال: بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده اهـ قرطبي.

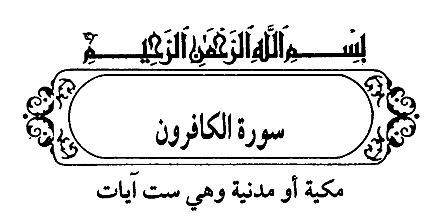
فلما قال هذه المقالة نزل قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ أي: عوضنا عن مصيبتك بالقاسم اهـ من شرح المواهب.

وفي المختار: بتره قطعه قبل التمام وبابه نصر، والانبتار الانقطاع، والأبتر المقطوع الذنب وبابه طرب، والأبتر أيضاً الذي لا عقب له وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر اهـ.

قوله: (عند موت ابنه القاسم) وهو أول مولود ولد له ﷺ قبل النبوة، وبه كان يكنى وعاش حتى مشى، وقيل: عاش سنتين، وقيل: عاش سبعة عشر شهراً، وقال ابن فارس: بلغ ركوب الدابة، وعبَّر عن هذا القول بعضهم بأنه بلغ سن التمييز ومات قبل المبعث، وقيل: توفي في الإسلام وهو أول من مات من ولده ﷺ اهـ من مواهب.

وقوله: وهو أول مولود الخ يعني على أحد القولين، والآخر أن الأول هو زينب بدليل قوله فيما بعد: وأما زينب فهي أكبر بناته بلا خلاف، وإنما الخلاف فيها وفي القاسم أيهما ولد أولاً. وعند ابن إسحاق إنها ولدت سنة ثلاثين من مولده ﷺ وأدركت الإسلام وهاجرت وماتت سنة ثمان من الهجرة اهـ.

وقوله: أيهما ولد أولاً؟ فقال الزبير بن بكار في طائفة: ولد القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، وقال ابن الكلبي: ولدت زينب، ثم القاسم، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، ثم عبد الله، وكان يقال له: الطيب والطاهر. قال: هذا هو الصحيح وغيره تخليط اهـ شارح.



مكية أو مدنية وهي ست آيات

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله ﷺ: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة ﴿قُلْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى أيضاً سورة المعابدة والإخلاص، لأنها في إخلاص العبادة والدين، كما أن قل هو الله أحد في إخلاص التوحيد واجتماع النفاق فيهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما، ويقال لها ولسورة الإخلاص المقشتان أي المبرئتان من النفاق اهـ خطيب.

وفي الترمذي من حديث أنس: «أنها تعدل ثلث القرآن» وفي كتاب الرد لابن الأنباري عن أنس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن». وروى نوفل الأشجعي أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني فقال: «اقرأ عند منامك قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك» أخرجه أبو بكر الأنباري وغيره، وقال ابن عباس: ليس في القرآن أشد غيظاً لإبليس منها لأنها توحيد وبراءة من الشرك اهـ قرطبي.

وفي الخازن: ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القرآن مشتمل على الأمر والنهي، وكل واحد منهما ينقسم إلى ما يتعلق بعمل القلوب وإلى ما يتعلق بعمل الجوارح، فحصل من ذلك أربعة أقسام، وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد، وذلك من أفعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التفسير اهـ.

قوله: (مكية) أي في قول ابن مسعود، والحسن وعكرمة، وقوله: أو مدنية أي: في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك اهـ خطيب.

قوله: (نزلت لما قال رهط من المشركين الخ) عبارة القرطبي: ذكر ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس: أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، وأمية بن خلف لقوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه، فأنزل الله عز وجل: **﴿قل يا أيها الكافرون﴾** انتهت.

وفي المصباح: الرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة وسكون الهاء أفصح من فتحها

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ في الحال ﴿مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾ من الأصنام ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾

وهو جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: الرهط من سبعة إلى عشرة وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر، وقال أبو زيد: الرهط والنفر ما دون العشرة من الرجال، وقال ثعلب أيضاً الرهط والنفر والقوم والمعشر والعشير معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم وهو للرجال دون النساء، وقال ابن السكيت: الرهط ما فوق العشرة إلى الأربعين قاله الأصمعي ونقله ابن فارس أيضاً، ورهط الرجل قومه وقبيلته الأقربون اهـ.

قوله: ﴿الكافرون﴾ هم جماعة من الكفار مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الإيمان أبداً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ ما في هذه السورة يجوز فيها وجهان، أحدهما: أنها بمعنى الذي، فإن كان المراد بها الأصنام في الأولى والثالثة فالأمر واضح لأنهم غير عقلاء وما أصلها أن تكون لغير العقلاء، وإذا أريد بها الباري تعالى كما في الثانية والرابعة فاستدل به من جوز وقوعها على أولي العلم، ومن منع جعلها مصدرية، والتقدير: ولا أنتم عابدون عبادتي أي: مثل عبادتي، وقال أبو مسلم: ما في الأوليين بمعنى الذي والمقصود المعبود وما في الآخرين مصدرية أي لا أعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك النظر، ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين فتحصل من مجموع ذلك ثلاثة أقوال أنها كلها بمعنى الذي أو مصدرية، أو الأوليان بمعنى الذي، والأخريان مصدريتان، ولقائل أن يقول: لو قيل بأن الأولى والثالثة بمعنى الذي، والثانية والرابعة مصدرية لكان حسناً حتى لا يلزم وقوع ما على أولي العلم، وهو مقتضى قول من يمنع وقوعها، على أولي العلم. واختلف الناس هل التكرار في هذه السورة للتأكيد أم لا، وإذا لم يكن للتأكيد فبأي طريق حصلت المغايرة حتى انتفى التأكيد، ولا بد من إيراد أقوالهم في ذلك فقال جماعة: وهو للتأكيد فقوله: **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾** تأكيد لقوله: **﴿لا أعبد ما تعبدون﴾** وقوله: **﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾** تأكيد لقوله: **﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾** ومثله ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن: ١٣] ﴿وويل يومئذ للمكذبين﴾ [المرسلات: ١٥] في سورتيهما و ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ [التكاثر: ٣ و ٤] و ﴿كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون﴾ [النبأ: ٤ و ٥] وفي الحديث: «فلا آذن ثم لا آذن إنما فاطمة بضعة مني» وفائدة التأكيد هنا قطع أطماع الكفار وتحقيق الإخبار بموافاتهم على الكفر وإنهم لا يسلمون أبداً، وقال جماعة: ليس للتوكيد، وقال الأخفش: لا أعبد الساعة ما تعبدون ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد، فزال التوكيد وحصل التأسيس حيث تقيدت كل جملة بزمان غير الزمان الآخر اهـ.

وفيه نظر كيف يقيد رسول الله ﷺ نفي عبادته لما يعبدون بزمان هذا مما لا يصح، وفي الأسباب أنهم سألوه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدون إلهه سنة، فنزلت، فكيف يستقيم هذا؟ وجعل أبو مسلم التغاير بما قدمته عنه وهو كون ما التي في الأوليين بمعنى الذي والتي في الأخريين مصدرية وفيه نظر أيضاً من حيث إن التكرار إنما هو من حيث المعنى، وهذا موجود كيف قدرت ما، وقال ابن عطية: لما كان قوله لا أعبد محتملاً أن يراد به الآن ويبقى المستقبل منتظراً ما يكون فيه جاء البيان بقوله: ولا أنا عابد ما

في الحال ﴿مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ وهو الله تعالى وحده ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾ في الاستقبال ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق ما على الله

عبدتم أي أبداً، ثم جاء قوله: ولا أنتم عابدون ما أعبد الثاني حتماً عليهم أنهم لا يؤمنون أبداً، فهذا معنى الترديد في هذه السورة وهو بارع الفصاحة، وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته، وقال الزمخشري: لا أعبد أريد به العبادة فيما يستقبل لأن لا لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الاستقبال، كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال، والمعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلٰهي، ولا أنا عابد ما عبدتم أي وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه يعني ما عهد مني قط عبادة صنم في الجاهلية، فكيف يرجى مني في الإسلام؟ ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته، قال الشيخ: والذي اختاره في هذه الجملة أنه نفى عبادته في المستقبل، لأن الغالب في لا أن تنفي المستقبل، ثم عطف عليه ولا أنتم عابدون ما أعبد نفياً للمستقبل على سبيل المقابلة، ثم قال: ولا أنا عابد ما عبدتم نفياً للحال، لأن اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته على الحال، ثم عطف عليه ولا أنتم عابدون ما أعبد نفياً للحال على سبيل المقابلة فانتظم المعنى أنه عليه الصلاة والسلام لا يعبد ما يعبدون حالاً ولا مستقبلاً، وهم كذلك إذ حتم الله موافاتهم على الكفر، ولما قال: لا أعبد ما تعبدون وأطلق على الأصنام ما قابل الكلام بما في قوله ما أعبد، وإن كان المراد بها الله تعالى، لأن المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ في الانفراد، وهذا على مذهب من يقول إن ما لا تقع على آحاد أولي العلم، أما من يجوز ذلك وهو مذهب سيبويه فلا يحتاج إلى الاعتذار بالتقابل اهـ سمين ملخصاً.

وفي القرطبي: وقيل: هذا أي التكرار مطابقة لقولهم تعبد آلهتنا ونعبد إلٰهك ثم تعبد آلهتنا ونعبد إلٰهك، فنجري على هذا أبداً سنة وسنة، فأجيبوا عن كل ما قالوه بضده أي أن هذا لا يكون أبداً، وقال ابن عباس: قالت قريش للنبي ﷺ: نحن نعطيك من المال ما تكون به أغنى رجل بمكة ونزوجك من شئت ونطأ عقبك أي نمشي خلفك، وتكف عن شتم آلهتنا فإن لم تفعل فنحن نعرض إليك خصلة واحدة هي لنا ولك صلاح تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة، ونحن نعبد إلٰهك سنة، ثم تعبد آلهتنا ونعبد إلٰهك فنجري على هذا أبداً سنة وسنة، فنزلت السورة فكان التكرار في لا أعبد ما تعبدون، لأن القوم كرروا مقالتهم مرة بعد مرة والله أعلم اهـ.

قوله: (في الرابعة ما أعبد) إنما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم في الثالثة، لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الأصنام وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله تعالى اهـ أبو السعود.

وقوله: لم يكن حينئذ موسوماً الخ هذا على قول ضعيف في الأصول، والراجح أنه كان يعبد الله تعالى، وعبارة ابن السبكي مع شرح هذا المفسر مسألة اختلفوا هل كان المصطفى ﷺ متعبداً أي مكلفاً قبل النبوة بشرع، فمنهم من نفى ذلك، ومنهم من أثبته، واختلف المثبت في تعيين ذلك الشرع بتعيين من نسب إليه، فقيل: هو نوح، وقيل: إبراهيم، وقيل: موسى، وقيل: عيسى، وقيل: ما ثبت أنه شرع

على وجه المقابلة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشرك ﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب،

من غير تعيين النبي هذه أقوال مرجعها التأريخ، والمختار كما قاله كثير الوقف تأصيلاً عن النفي والإثبات وتفريعها على الإثبات عن تعيين قول من أقواله، والمختار بعد النبوة المنع من تعبده بشرع من قبله، لأن له شرعاً يخصه، وقيل: تعبد بما لم ينسخ من شرع من قبله استصحاباً لتعبده به قبل النبوة اهـ.

قوله: (علم الله منهم أنهم لا يؤمنون) أي فأخبر نبيه بذلك وأمره بأن يخبرهم به، وهذا جواب عما يقال: كيف يقول لهم ولا أنتم عابدون ما أعبد الذي هو نفي لإسلامهم وتيئيس منه، مع أنه مبعوث لهدايتهم ومع أنه كان حريصاً على إيمانهم؟ والجواب: أن هذا في حق قوم علم الله أنهم لا يؤمنون أبداً فأخبر نبيّه بأن يخبرهم بحالهم لتظهر شقاوتهم كل الظهور اهـ.

قوله: (وإطلاق ما على الله) أي في الثانية والرابعة، وأما في الأولى والثالثة فهي واقعة على الأصنام، وقوله: على وجه المقابلة أي المشاكلة، والقول بالمقابلة إنما يظهر على مذهب من يقول إن ما لا تقع على أحاد أولي العلم، أما من يجوز ذلك وهو مذهب سيبويه فلا حاجة عنده إلى الاعتذار بالمقابلة اهـ سمين.

قوله: ﴿لكم دينكم﴾ الخ تقرير لكل من الفريقين على دينه اهـ بيضاوي.

فهو تأكيد لمجموع الجمل الأربع، وفي السمين: أتى بهاتين الجملتين الإثباتيتين بعد جمل منفية لأنه لما كان الأهم تباعده عليه الصلاة والسلام من دينهم بدأ بالنفي في الجمل السابقة، فلما تحقق النفي رجع إلى خطابهم بقوله: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ مهادنة لهم، ثم نسخ ذلك بالأمر بالقتال اهـ.

وفي أبي السعود: وقوله تعالى: ﴿لكم دينكم﴾ تقرير لقوله تعالى: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ ولقوله: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ كما أن قوله تعالى: ﴿ولي دين﴾ تقرير لقوله تعالى: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ والمعنى: أن دينكم الذي هو الإشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لي أيضاً كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به أمانيكم الفارغة، فإن ذلك من المحالات وأن ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه إلى الحصول لكم أيضاً، لأنكم علقتموه بالمحال، الذي هو عبادتي لآلهتكم أو استلامي إياها، ولأن ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر أفراد حتماً، ويجوز أن يكون هذا تقريراً لقوله تعالى: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي ولي ديني لا دينكم كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿ولكم ما كسبتم﴾ [البقرة: ١٣٤] اهـ.

وفتح الياء من لي نافع وهشام وحفص والبزي بخلاف عنه، وسكنها الباقون وحذف ياء الإضافة من دين وقفاً ووصلاً السبعة، وجمهور القراء، وأثبتها في الحالين سلام ويعقوب، وأمرها واضح مما تقدم اهـ سمين.

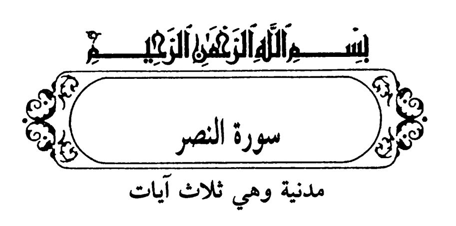
قوله: (وهذا قبل أن يؤمر بالحرب) الإشارة للآية الأخيرة، وفي القرطبي: وكان هذا قبل الأمر

وحذف ياء الإضافة السبعة وقفاً ووصلاً، وأثبتها يعقوب في الحالين.

بالقتال، فنسخ بآية السيف، وقيل: السورة كلها منسوخة، وقيل: ما نسخ منها شيء لأنها خبر ومعنى لكم دينكم أي جزاء دينكم ولي جزاء دين، وسمي دينهم ديناً لأنهم اعتقدوه وتولوه، وقيل: لكم جزاءكم ولي جزائي لأن الدين الجزاء اهـ.

وفي الكرخي: قوله: وهذا قبل أن يؤمر بالحرب فهي منسوخة بآية السيف، وقال القاضي: ولي دين الذي أنا عليه لا أرفضه فليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد فلا يكون منسوخاً بآية القتال، وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة اهـ.

قوله: (وقفاً ووصلاً) أي لأنها من آيات الزوائد فيراعى فيه اتباع رسم المصحف، وهي غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة اهـ كرخي.



مدنية وهي ثلاث آيات

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ نبيه ﷺ على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ ①﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿أَفْوَاجًا ②﴾ جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد، وذلك بعد فتح مكة، جاء العرب من أقطار الأرض طائعين ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي متلبساً بحمده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مدنية) أي بالإجماع، وتسمى سورة التوديع وهي آخر سورة نزلت جميعاً قاله ابن عباس اهـ قرطبي.

وإنما سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا اهـ زاده.

قوله: ﴿إذا جاء نصر الله﴾ أي حصل، وإنما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزاً للاشعار بأن المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئاً فشيئاً، وقد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكره اهـ بيضاوي.

وقوله: وإنما عبر الخ يعني أنه مستعار لأن المقدر متوجه من الأزل لوقته فكأنه سائر نحوه، فشبه حصول المقدورات ووقوعها عند حضور أوقاتها بمجيئها إليها، فأطلق اسم المجيء على ذلك الحصول ثم اشتق منه لفظ جاء، فيكون استعارة تبعية، لكن قول الراغب: المجيء الحصول ويكون في المعاني والأعيان يقتضي خلافه اهـ زاده وشهاب.

وفي الخطيب: ومعنى جاء استقر وثبت في المستقبل بمجيء وقته المضروب له في الأزل اهـ.

وإذا منصوبة بسبح الذي هو جوابها، ونصر الله مصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف أي نصر الله إياك والمؤمنين، وأل في الفتح عوض عن المضاف إليه عند الكوفيين أي وفتحه أو العائد محذوف عند البصريين أي والفتح منه، ويدخلون في محل نصب على الحال إن كانت رأى بصرية، أو مفعول ثان إن كانت رأى علمية، وأفواجاً حال من فاعل يدخلون وهو جمع فوج بسكون الواو اهـ سمين.

قوله: (فتح مكة) هذا ظاهر إن كانت السورة نزلت قبل الفتح، فإن كان النزول بعد الفتح، فالظاهر إن إذا بمعنى إذ وهي متعلقة بمقدر على هذا أي أكمل الله الأمر وأتم النعمة على العباد إذا جاء الخ اهـ شهاب.

﴿وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة

قوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي: فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد حامداً على نعمه، أو فصل له حامداً له على نعمه، أو فنزهه تعالى عما كانت الظلمة يقولون حامداً له على أن صدق وعده اهـ بيضاوي.

وقوله: فتعجب الخ أي فالتسبيح مجاز عن التعجب، فإن من رأى شيئاً عجيباً يقول سبحان الله أي قل سبحان الله والحمد لله تعجباً مما أراك من عجيب أنعامه عليك اهـ من الشهاب وزاده.

قوله: ﴿واستغفره﴾ أي سله الغفران، وأمره بذلك على قدر منصبه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليزداد في رتبة المراقبة والتواضع وإظهار الافتقار ليكون ختام عمله التنزيه والاستغفار، وفيه تشريع لأمته أنه إذا طعن الشخص في السن، فالغالب قرب أجله فليكثر من ذلك ليختم عمله به اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنه كان تواباً﴾ كان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها، ومعنى كونه تواباً أنه يكثر منه قبول التوبة لكثير من التائبين فلا يرد ما يقال إن كان تدل على أن ذلك الثبوت في الماضي، وإذا كان كذلك فكيف يكون علة للاستغفار في الحال أو في المستقبل اهـ زاده.

قوله: (وعلم بها أنها اقترب أجله) قال مقاتل: لما نزلت قرأها النبي ﷺ على أصحابه، وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا، وبكى العباس فقال النبي ﷺ: ما يبكيك يا عم؟ قال: نعيت إليك نفسك قال: إنه كما قلت، فعاش بعدها ستين يوماً ما رئي فيها ضاحكاً مستبشراً، وقيل: نزلت في منى بعد أيام التشريق في حجة الوداع. فبكى عمر والعباس فقيل لهما: هذا يوم فرح، فقالا: بل فيه نعي النبي ﷺ أي إخبار بموته. وعن ابن عمر: نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع، ثم نزل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ [المائدة: ٣] فعاش النبي ﷺ بعدها ثمانين يوماً، ثم نزلت آية الكلالة، فعاش بعدها خمسين يوماً ثم نزل ﴿واتقوا يوماً ترجعون فهي إلى الله﴾ [البقرة: ٢٨١] فعاش بعدها إحدى وعشرين يوماً، وقيل: سبعة أيام، وقيل: غير ذلك. وقال الرازي: اتفق الصحابة على أن هذه السورة دلّت على نعي رسول الله ﷺ، وذلك لوجوه، أحدها: أنهم عرفوا ذلك لما خطب رسول الله ﷺ عقب السورة وذكر التخيير وهو قوله ﷺ في خطبته لما نزلت هذه السورة أن عبداً خيّره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء الله تعالى، فقال أبو بكر: فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا. ثانيها: أنه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجاً دلّ ذلك على حصول الكمال والتمام، وذلك يعقبه الزوال والنقصان كما قيل:

إذا تـم أمـر بـدا نقصه ... تـوقـع زوالاً إذ قيـل تـم

ثالثها: أنه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقاً، واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الأمة، فكان هذا كالتنبيه على أن التبليغ قد تم وكمل، وذلك يقتضي انقضاء الأجل إذ لو بقي ﷺ بعد

ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

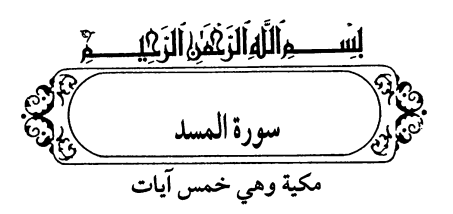
ذلك لكان كالمعزول من الرسالة، وذلك غير جائز اهـ خطيب.

قوله أيضاً: (**وعلم بها أنه قد اقترب أجله**) جواب عما يقال ما المناسب لمجيء الفتح والنصر والحمد والشكر، وما وجه زيادة الاستغفار والتوبة؟ وإيضاحه: قول الحسن أعلم النبي ﷺ أنه قد اقترب أجله، فأمر بالتسبيح والاستغفار ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح، فكان يكثر من قول سبحانك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب اهـ.

ويشهد له ما أخرجه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي، عن ابن عباس قال: لما نزلت إذا جاء نصر الله دعا رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله تعالى عنها، فقال: نعى الله إليَّ نفسي، وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق إلى الخلق اهـ كرخي.

قوله: (**وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر**) ناقش فيه بعض المتأخرين بأن سنة عشر حج فيها، وتوفي فيها ولده إبراهيم فالصواب سنة إحدى عشرة، وأجيب: بأن المراد على تمام عشر من هجرته إلى المدينة، وذلك لأن الهجرة كما قال ابن إسحاق وغيره: كانت لاثني عشر خلت من شهر ربيع الأول، وكانت وفاته لاثني عشر خلت من شهر ربيع الأول اهـ كرخي.

فكانت وفاته ﷺ على رأس العاشر بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وإن كانت لشهرين وشيء مضت من الحادية عشرة إذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم، فلما هاجر النبي ﷺ لاثني عشر من ربيع الأول حسبوا الباقي من هذه السنة سنة مع أنها ناقصة شهرين واثني عشر يوماً، فلما كانت وفاته لاثني عشر من ربيع الأول كان الماضي من هذه السنة وهو شهران واثني عشر يوماً مكملاً ومتمماً لما نقصته السنة الأولى، فصح قولهم إنه توفي في العاشرة أي على رأسها وحين كمالها بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة، ويصح أن يقال توفي في الحادية عشرة بالنظر لجعل التاريخ من أول السنة الشرعية تأمل.



مكية وهي خمس آيات

لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: ﴿إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ فقال أبو لهب: تباً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة أبي لهب كما في البحر. قوله: (لما دعا النبي) أي نادى وقوله: قومه أي المؤمنين والكافرين، وقوله: بين يدي أي قبل حلول عذاب شديد أي في الآخرة إن عصيتموني، وقوله: ألهذا أي القول الذي قلته وهو قولك: ﴿إني نذير لكم﴾ وقوله: دعوتنا أي ناديتنا وجمعتنا في بيوتنا حيث ناديت على الصفا وقلت: يا بني فلان يا بني فلان حتى استوعبت جميع قبائل قريش. وعبارة القرطبي: وفي الصحيحين وغيرهما واللفظ لمسلم، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد فاجتمعوا إليه، فقال: يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب، فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام فنزلت هذه السورة. زاد الحميدي وغيره: فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عنه الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله ﷺ، فلم تر إلاَّ أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر إن صاحبك قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، والله إني لقائلة:

مذمماً عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا *

ثم انصرفت. فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ قال: ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني، وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مذمماً ثم يسبونه، وكان يقول: ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد.

وقيل: إن سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد إن أبا لهب أتى النبي ﷺ فقال: ماذا أعطى إن آمنت بك يا محمد؟ فقال: كما يعطي المسلمون. قال: ما لي عليهم فضل. قال: وأي شيء تبتغي؟ قال: تباً لهذا من دين إن أكن أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ اهـ.

لك، ألهذا دعوتنا؟ نزل ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي جملته، وعبر عنها باليدين مجازاً، لأن أكثر الأفعال تزاول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّ ۝١﴾ خسر هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله، وقد هلك، ولما خوَّفه النبي ﷺ بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي منه بمالي وولدي، نزل ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ وكسبه أي ولده، وأغنى بمعنى يغني ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ أي تلهب وتوقد، فهي مآل تكنيته لتلهب وجهه إشراقاً

قوله: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ قرأ العامة: لهب بفتح الهاء، وابن كثير بإسكانها، فقيل: لغتان بمعنى كالنهر والنهر والشعر والشعر والنفر والنفر والضجر والضجر، وقال الزمخشري: وهو من تغيير الأعلام، ولم يختلف القراء في قوله: ذات لهب أنها بالفتح، والفرق أنها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل اهـ سمين.

وتب من باب رد كما في القاموس ومن باب ضرب كما في المصباح اهـ.

قوله: (تزاول بهما) المزاولة المحاولة والمعالجة اهـ مختار.

قوله: (وهذه خبر) أي إخبار بحصول التباب له الذي دعا به عليه في الجملة الأولى فهي على تقدير قد بدليل التصريح بها في قراءة ابن مسعود أي: قد وقع ما دعا به عليه، والظاهر أن كلا الجملتين دعاء، ويكون في هذه شبه من جيء العام بعد الخاص، لأن اليدين بعض، وإن كانت حقيقة اليدين غير مرادة وصرح بكنيته لقبح اسمه، فإن اسمه عبد العزى، فعدل عنه إلى الكنية وأتى بها، وإن كانت تقتضي التكريم لشهرته أو لقبح اسمه أو لأن مآلة إلى لهب جهنم اهـ سمين.

وفي القرطبي: أو لأن الله تعالى أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار، فيكون أبا لهب تحقيقاً للنسب وامضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه، وقيل: اسمه كنيته اهـ.

قوله: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾ يجوز في ما النفي والاستفهام، وعلى الثاني تكون منصوبة المحل بما بعدها، والتقدير أي شيء أغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام، وقوله: وما كسب مصدرية أي وكسبه، ويجوز أن تكون اسم موصول بمعنى: الذي والعائد محذوف، وأن تكون استفهامية أي أي شيء كسب أي لم يكسب شيئاً اهـ سمين.

قوله: ﴿ماله﴾ أي الموروث من آبائه اهـ كرخي.

قوله: (أي ولده) وهو عتيبة بالتصغير، وأما عتبة فقد أسلم، وفسّر الكسب بالولد ليغاير ما قبله فيسلم من التكرار اهـ شيخنا.

ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال، قال الشهاب: والعدسة قرحة تعتري الإنسان كانت العرب تهرب منها لأنها بزعمهم تعدي أشد العدوى اهـ كرخي.

وفي القاموس: والعدسة بثرة تخرج بالبدن فتقتل، وقد عدس كعنى فهو معدوس اهـ.

قوله: ﴿سيصلى ناراً﴾ أي يحترق بها وصلى من باب تعب اهـ.

قوله: (فهي مآل تكنيته) أي مرجعها أي أن تكنيته آلت ورجعت إلى أن تحقق معناها فيه، فصار

وحمرة ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ عطف على ضمير يصلى، سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالرفع والنصب ﴿ٱلۡحَطَبِ ۝﴾ الشوك والسعدان تلقيه في طريق النبي ﷺ ﴿فِي جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝﴾ أي ليف، وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذي هو

أبا لهب أي ملازماً للنار، وقوله: لتلهب وجهه الخ علة لتكنيته بما ذكر أي أنه كني أولاً بهذه الكنية لتلهب وجهه الخ، ثم رجع أمره إلى أن صار من أهل النار وملازماً لها اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: فهي مآل تكنيته جواب كيف ذكره بكنيته دون اسمه وهو عبد العزى، مع أن ذلك إكرام واحترام؟ وإيضاحه، أنه ذكره بكنيته لموافقة حاله لها، فإن مصيره إلى النار ذات اللهب أو لأنه لم يشتهر إلا بكنيته دون اسمه، أو لأن ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقة لأنه عبد الله لا عبد العزى وإنما كني بذلك لتلهب وجهه الخ اهـ.

قوله: (وهي أم جميل) وهي أخت أبي سفيان بن حرب، وكانت عوراء وماتت مخنوقة بحبلها اهـ رازي.

وفي الخازن: فإن قلت: إنها كانت من بيت العز والشرف، فكيف يليق بها حمل الحطب؟ قلت: يحتمل أنها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة، فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها، ويحتمل أنها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله ﷺ، ولا ترى أنها تستعين في ذلك بأحد، بل تفعله هي بنفسها، وقيل: كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد نار الحطب، يقال: فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به، وقيل: حمالة الحطب أي الخطايا والآثام التي حملتها في عداوة رسول الله ﷺ لأنها كانت كالحطب في مصيرها إلى النار اهـ.

قوله: (بالرفع) أي على أنه نعت لامرأته، وجاز ذلك لأن الإضافة حقيقة إذ المراد المضي أو على أنه عطف بيان أو على أنه بدل لأنها لا تشبه الجوامد لتمحض الإضافة، أو على أنها خبر مبتدأ مضمر أي هي حمالة، وقرأ عاصم: حمالة بالنصب فقيل: على الشتم، وقيل: على الحال من امرأته إذا جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير، لأنه ورد في التفسير أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا اهـ سمين.

قوله: (والسعدان) في القاموس: السعدان نبت من أطيب مراعي الإبل وله شوك تشبه به حلمة الثدي اهـ.

وفي المختار: السعدان بفتح السين بوزن سرحان اهـ.

قوله: (تلقيه) أي بالليل لقصد أذية النبي ﷺ.

قوله: ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ قال الضحاك وغيره: هذا في الدنيا فكانت تعيِّر النبي ﷺ بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف، فخنقها الله عز وجل به فأهلكها اهـ قرطبي.

وفي الخازن: فبينما هي ذات يوم حاملة للحزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح إذ أتاها ملك

نعت لامرأته، أو خبر مبتدإ مقدر.

فجذبها من خلفها والحبل في عنقها فأهلكها خنقاً بحبلها، وقيل: هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد، وقيل: قلادة من ودع، وقيل: كانت خرزات في عنقها، وقيل: كانت قلادة فاخرة من الجواهر فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد ﷺ، وقيل: هذا في الآخرة، فقد قال ابن عباس: هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً تدخل في فيها وتخرج من دبرها،ويكون سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلاً محكماً اهـ.

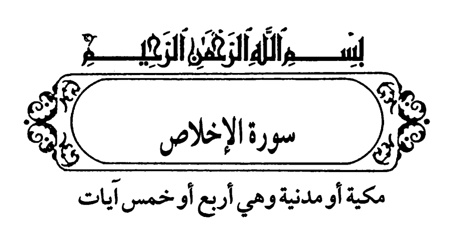
ويكون المراد بالمسد الحديد، فإنه يطلق عليه كما يؤخذ من القاموس.

قوله: (وهذه الجملة) أي المركبة من المبتدأ الذي هو حبل، ومن الخبر الذي هو في جيدها، ففي جيدها خبر مقدم وحبل مبتدأ مؤخر، ومن مسد صفة لحبل، والمسد ليف المقل، وقيل: هو مطلق الليف اهـ سمين.

والمقل شجر الدوم كما في المصباح والمختار اهـ.

وفي الخطيب: والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسداً من باب نصر أي أجاد فتله اهـ.

وفي القاموس: المسد بسكون السين مصدر بمعنى القتل، وبفتحها المحور من الحديد، أو حبل من ليف، أو كل حبل محكم الفتل والجمع مساد وأمساد اهـ.



مكية أو مدنية وهي أربع أو خمس آيات

. . . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ولها أسماء كثيرة وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى، أحدها: سورة التفريد، ثانيها: سورة التجريد، ثالثها: سورة التوحيد، رابعها: سورة الإخلاص، خامسها: سورة النجاة، سادسها: سورة الولاية، سابعها: سورة النسبة لقولهم أنسب لنا ربك، ثامنها: سورة المعرفة، تاسعها: سورة الجمال، عاشرها: سورة المقشقشة، حادي عشرها: سورة المعوذة، ثاني عشرها: سورة الصمد، ثالث عشرها: سورة الأساس، قال: قد أسست السموات السبع والأرضون السبع على ﴿قل هو الله أحد﴾ رابع عشرها: المانعة، لأنها تمنع فتنة القبر ولفحات النار، خامس عشرها: سورة المحتضر لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت، سادس عشرها: المنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها، سابع عشرها: سورة البراءة لأنها براءة من الشرك، ثامن عشرها: المذكرة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد، تاسع عشرها: النور لأنها تنور القلب، عشروها: سورة الإنسان اهـ خطيب.

وقد ورد في فضلها أحاديث، فقد روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل يا عبدي ادخل بيمينك الجنة». قال: هذا حديث غريب من حديث ثابت عن أنس. وفي مسند أبي محمد الداراني، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة» قال: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا حيوة قال: أخبرني أبو عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إن النبي ﷺ قال: «من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بني له قصر في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور في الجنة. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله إذن تكثر قصورنا، فقال رسول الله ﷺ الله أوسع من ذلك». وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث أبي العلاء يزيد عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة» قال: هذا حديث غريب من حديث يزيد. وقال أبو عمر مولى جرير أبي عبد الله البجلي عن جرير قال، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ قل هو الله أحد حين

سئل ﷺ عن ربّه، فنزل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فالله خبر هو، وأحد بدل منه، أو خبر ثان

يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران». وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه، ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله، ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه، ومن قرأها اثنتي عشرة مرة بني الله له اثني عشر قصراً في الجنة، فإن قرأها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والأموال، فإن قرأها مائتي مرة كفر الله عنه ذنوب مائة سنة، فإن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة، أو يرى له». وعن سهل بن سعد الساعدي قال: شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الفقر وضيق المعيشة، فقال رسول الله ﷺ: «إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد، فإن لم يكن فيه أحد فسلم عليّ واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة، ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه». اهـ قرطبي.

ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لما تقدم في التي قبلها ذكر عداوة أقرب الناس إليه وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية والتثليث اهـ بحر.

قوله: (سئل ﷺ الخ) والسائل له قريش أو أحبار اليهود أو النصارى والمشركون حيث قالوا: إن آلهتنا ثلاثمائة وستون ولم تقض حوائجنا فكيف بواحد، أو صورة السؤال ما صفة ربك، هل هو من نحاس أو من ذهب أو زبرجد، أو كيف هو؟ قولان في صورة السؤال اهـ شيخنا.

وعن ابن عباس: أن اليهود قالوا: يا محمد صف لنا ربك وانسبه فنزلت اهـ بحر.

قوله: ﴿قل هو الله أحد﴾ الضمير للشأن، كقولك: هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة، ولا حاجة إلى العائد لأنها هي هو أو الضمير لما سئل عنه أي الذي سألتموني عنه هو الله إذ روي أن قريشاً قالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت، وأحد على هذا بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال، إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة، في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية اهـ بيضاوي.

ثم قال: ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها جاء في الحديث أنها تعدل ثلث القرآن، فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص، ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه اهـ.

وفي رواية أنها تعدل نصفه، وما في الكشاف من أنها تعدل القرآن كله، قال الدواني: لم أره في شيء من كتب التفسير والحديث، ثم أورد هنا إشكالاً وهو أن الأحاديث دالة على أنه يكتب لقارىء القرآن بكل حرف عشر حسنات فيكون ثواب قراءة القرآن بتمامه أضعافاً مضاعفة بالنسبة لثواب هذه السورة، وأجاب: بأن للقارىء ثوابين تفصيلياً بحسب قراءة الحروف والعمل، وآخر إجمالياً بسبب ختمه القراءة، فثواب قل هو الله أحد يعدل ثلث ثواب الختم الإجمالي لا غيره، ونظيره: إذا عين أحد لمن بنى له داراً في كل يوم دنانير، وعين له إذا أتمه جائزة أخرى. وفي شرح البخاري للكرماني: فإن قلت: المشقة في قراءة الثلث أكثر منها في قراءتها، فكيف يكون حكمها حكمه؟ قلت: يكون ثواب

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ مبتدأ وخبر، أي المقصود في الحوائج على الدوام ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاء

قراءة الثلث بعشر، وثواب قراءتها بقدر ثواب مرة منها أي من تلك العشرة، لأن التشبيه في الأصل دون الزوائد، والتسع منها في مقابلة زيادة المشقة اهـ شهاب.

فثوابها كثواب الثلث في أصل القراءة، وإن كان الثلث يزيد بتسعة أعشار في مقابلة المشقة التي يزيد بها عليها، وعبَّر بعضهم عن هذا المعنى بأن قال: إنها تعدل ثلث القرآن غير مضاعف يعني أنها بتضعيفها تعدل ثواب الثلث غير مضاعف وإن كان يزيد عليها بالمضاعفة تأمل. قوله: ﴿أحد﴾ أي فرد في ذاته وصفاته لا يتجزأ اهـ شيخنا.

قوله: (فالله خبر الخ) عبارة السمين في هو وجهان. أحدهما: أنه ضمير عائد ما يفهم من السياق لأنه يروى في الأسباب أنهم قالوا له صف لنا ربك وانسبه، وقيل: قالوا له أمن نحاس هو أم من حديد؟ فنزلت، وحينئذ يجوز أن يكون الله مبتدأ وأحد خبره الجملة خبر الأول، ويجوز أن يكون أحد خبر مبتدأ محذوف أي هو أحد. والثاني: أنه ضمير الشأن لأنه موضع تعظيم، والجملة بعده خبره مفسرة له، وهمزة أحد بدل من واو لأنه من الوحدة وإبدال الهمزة من الواو المفتوحة قليل، وتقدم الفرق بين أحد هذا وأحد المراد به العموم، فإن همزة ذاك أصل بنفسها، ونقل أبو البقاء: أن همزة أحد هنا غير مقبولة، بل أصل بنفسها كأحد المراد به العموم والمعروف الأول، وقال مكي: إن أحداً أصله واحد فأبدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت إحداهما تخفيفاً، وقرأ عبد الله أحد دون قل، وقرأ النبي ﷺ: الله أحد بدون قل هو، وقرأ الأعمش قل هو الله الواحد، وقرأ العامة بتنوين أحد وهو الأصل، وقرأ زيد بن علي وأبان بن أبي عثمان وابن أبي إسحاق والحسن وأبو السمال وأبو عمرو في رواية بحذف التنوين لالتقاء الساكنين اهـ.

فإن قلت: كيف ذكر أحد في الإثبات مع أن المشهور أنه يستعمل بعد النفي، كما أن الواحد لا يستعمل إلا الإثبات يقال في الدار واحد وما في الدار أحد ومن ذلك قوله: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله: ﴿الله الواحد القهار﴾ [يوسف: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم﴾ [التوبة: ٨٤] وقوله: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥] فالجواب قال ابن عباس رضي الله عنهما إنه لا فرق بينهما في المعنى، واختاره أبو عبيدة ويؤيده قوله تعالى: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾ [الكهف: ١٩] وعليه فلا يختص أحدهما بمحل دون آخر، وإن اشتهر أحدهما اشتمال في النفي والآخر في الإثبات، ويجوز أن يكون العدول عن المشهور هنا رعاية للفاصلة بعد. فدل بقوله الله على جميع صفات الكمال، وبالأحد على صفات الجلال اهـ؛ كرخي.

وفي الشهاب: ولفظ الله يدل على استجماع صفات الكمال وهي الثبوتية كالعلم والقدرة والإرادة، ولفظ أحد يدل على صفات الجلال وهي الصفات السلبية كالقدم والبقاء اهـ.

قوله: (وأحد بدل) أي بدل نكرة من معرفة وهو جائز اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الله الصمد﴾ أي المصمود ففعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض وهو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد ولا يقصد في قضائها إلا هو، وقيل: الصمد هو الذي لا جوف له، وقال ابن كعب: تفسيره ما بعده من قوله: لم يلد ولم يولد، وهذا يشبه ما قالوه في تفسيره الهلوع، والأحسن في

مجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ لانتفاء الحدوث عنه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ أي مكافئاً ومماثلاً، فله متعلق بكفواً وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي، وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة.

هذه الجملة أن تكون مستقلة بفائدة هذا الخبر، ويجوز أن يكون الصمد صفة والخبر في الجملة بعده كذا قيل وهو ضعيف من حيث السياق، فإن السياق يقتضي الاستقلال بأخبار كل جملة اهـ سمين.

قوله: (أي المقصود في الحوائج) أي ففعل بمعنى مفعول وهو الموصوف به على الإطلاق، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع حالاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديتهُ وتكرير لفظ الله للاشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية، وإنما خلت هذه الجملة من العاطف لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها اهـ بيضاوي.

وقوله: على الدوام أشار به إلى قول الإمام الصمد الدائم الباقي اهـ.

وفي القاموس والصمد بالتحريك السيد لأنه يقصد والدئم اهـ.

قوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ قال ابن عباس: لم يلد كما ولدت مريم، ولم يولد كما ولد عيسى وعزير وهو ردّ على النصارى وعلى من قال عزير ابن الله اهـ قرطبي.

ولعل الوصل بين هذه الجمل الثلاث وهي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد بالعاطف دون ما عداها من هذه السورة لأنها سيقت لمعنى وغرض واحد وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه، وهذه أقسامها لأن المماثل إما ولد أو والد أو نظير، فلتغاير الأقسام واجتماعها في المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني، وترك العطف في الله الصمد لأنه محقق ومقرر لما قبله، وكذا ترك العطف في لم يلد لأنه مؤكد للصمدية، لأن الغني عن كل شيء المحتاج إليه كل ما سواه لا يكون والداً ولا مولوداً اهـ شهاب.

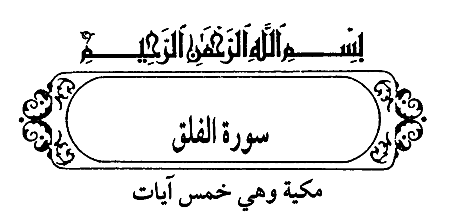
فهذه الجمل الثلاث في معنى جملة واحدة دليل لصمديته اهـ.

قوله: (لانتفاء مجانسته) أي لغيره يعني نفى عنه الولد، لأن الولد من جنس أبيه، والله تعالى لا يجانسه أحد لأنه واجب وغيره ممكن، ولأن الولد يطلب أما لاعانة والده او لتخلفه بعده، والله تعالى لا يفنى وغير محتاج إلى شيء منهما اهـ شهاب.

قوله: (لانتفاء الحدوث عنه) أي لأن كل مولود جسم ومحدث، والله تعالى قديم وليس بمحدث اهـ شيخنا.

قوله: (ومماثلاً) عطف تفسير. قوله: (وقدم عليه الخ) أي وكان الأصل أن يؤخر الظرف لأنه صلة، لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديماً للأهم اهـ خطيب.

وقوله: لأنه محط القصد بالنفي إيضاحه أن الغرض الذي سيقت له الآية نفي المكافأة والمساواة عن ذات الله، فكان تقديم المكافأة المقصود بأن تسلب عنه أولى، ثم لما قدمت لتسلب ذكر معها الظرف ليبين الذات المقدسة بسبب المكافأة، وتلخيصه أن مراعاة المعنى الذي يقتضيه المقام أحرى وأحق من مراعاة اللفظ والفواصل اهـ كرخي.



سورة الفلق

مكية وهي خمس آيات

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مناسبتها لما قبلها أنه لما شرح أمر الالوهية في السورة قبلها شرح مايستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ومن مراتب مخلوقاته اهـ بحر.

قوله: (مكية) أي في قول الحسن وعطاء وعكرمة، وقوله: أو مدنية أي في قول ابن عباس وقتادة وجماعة، قيل: وهو الصحيح اهـ بحر.

ويؤيده سبب النزول فإنه كان بالمدينة، ولهذا قال الشارح: نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهود الخ فعبّر بلما الحينية وهو صريح في أن النزول كان من أجل السحر، والسحر إنما كان بالمدينة ولم يظهر للقول بأنها مكية وجه تأمل. وفي القرطبي: وزعم ابن مسعود أن هاتين السورتين دعاء يتعوذ به وليستا من القرآن، وقد خالف الاجماع من الصحابة وأهل البيت، قال ابن قتيبة: لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين، لأنه كان يسمع رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما، فقد رأنهما بمنزلة أعيذكم بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة. قال أبو بكر بن الأنباري: وهذا مردود على ابن قتيبة، لأن المعوذتين من كلام ربّ العالمين المعجز لجميع المخلوقين، وأعيذ كما بكلمات الله التامة من كلام البشر وكلام الخالق الذي هو آية لمحمد ﷺ حجة له باقية على جماعة الكافرين لا يلتبس بكلام الآدميين، فضلاً عن مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف بأجناس الكلام وأفانين القول، وقال بعض الناس: لم يكتب عبد الله المعوذتين لأنه أمن عليهما من النسيان فأسقطهما وهو يحفظهما كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه اهـ.

قوله: (لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ) أي بأمر اليهود له بذلك، وعبارة المواهب: وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما أخرجه عنه ابن سعد بسند له إلى عمر بن الحكم مرسل قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع، وفرغ من وقعة خيبر جاءت اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً فقالوا: أنت أسحرنا أي أعلمنا

. . . .

بالسحر وقد سحرنا محمداً، فلم يؤثر فيه سحرنا شيئاً ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً يؤثر فيه فجعلوا له ثلاثة دنانير. وفي الخطيب، قال ابن عباس، وعائشة: كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ فأتت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطهُ وأعطاها لليهود فسحروه فيها، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود اهـ.

وفي المواهب أيضاً عن فتح الباري: وكان من جمله السحر صورة من شمع على صورة رسول الله ﷺ، وقد جعلوا في تلك الصورة إبراً مغروزة فيها احدى عشرة وترفيه إحدى عشرة عقدة، وكان النبي ﷺ كلما قرأ انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألماً في بدنه ثم يجد بعدها راحة اهـ.

قال: وكانت مدة السحره ﷺ أربعين يوماً، وقيل: ستة أشهر، وقيل عاماً، قال الحافظ ابن حجر: وهو المعتمد اهـ.

قال الراغب: تأثير السحر في النبي ﷺ لم يكن من حيث انه نبي، وإنما كان بدنه من حيث انه إنسان أو بشر، كما كان يأكل ويتغوط ويغضب ويشتهي ويمرض فتأثيره فيه من حيث هو بشر لا من حيث هو نبي، وإنما يكون ذلك قادحاً في النبوة لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع للنبوة، كما أن جرحه وكسر ثنيته يوم أحد لم يقدح فيما ضمن الله له من عصمته فيقوله: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧] وكما لا اعتداد بما يقع في الإسلام من غلبة بعض المشركين على بعض النواحي فما ذكر من كمال الإسلام في قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] قال القاضي: ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر اهـ كرخي.

وفي المواهب ما نصه: قال المازري: أنكر بعض المبتدعة حديث السحر، وزعموا أنه يحط منصب النبوة أي شرفها ورفعتها ويشكك فيها قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا أي سحر الأنبياء بعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل يكلمه وليس هو ثم، وأنه يوحي إليه بشيء، قال المارزي: وهذا كله مردود، لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضه لما يعرض للبشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين اهـ.

وقال غيره: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله إنه يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى لهذا الملحد حجة، وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخييل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ومن سابق عادته الاقتدار أو الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هَوَ شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى حتى كاد ينكر بصر أي صار كالذي ينكر بصره حيث إنه إذا رأى الشيء يخيل إليه أنه على غير صفته، فإذا تأمله عرف حقيقته، ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه أي في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به اهـ.

. . . .

وفي شرح مسلم: وقد ظهر لي ما هو أجلى وأبعد عن مطاعن الملحدة من نفس الحديث، ففي بعض طرقه سحره يهودي حتى كاد ينكر بصره، وفي بعضها حبس عن عائشة سنة، وعند البيهقي عن ابن عباس مرض رسول الله ﷺ وحبس عن النساء والطعام والشراب، فدلت هذه الطرق على أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده لا على عقله، فيحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور في قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أنه يظهر له من نشاطه أي طيب نفسه للعمل كما في الأساس ومن سابق عادته أي قبل السحر الاقتدار بالرفع فاعل يظهر أي قدرته على الوطء، فإذا دنا أي قرب من المرأة فتر بفاء فوقية أي ضعف عن ذلك فلم ينهض، كما هو شأن المعقود أي الممنوع عن الجماع بالسحر وتسمية العامة بالمربوط، وهذا جواب عن سؤال هو إذا قلت: إن السحر لم يؤثر إلا في ظاهر بدنه يرد عليك أن تخيل ما لم يقع واقعاً يقتضي خللاً في الذهن والإدراك، وحاصل الجواب: إنه لا يقتضيه كما تقرر اهـ من الشارح.

فائدة

قال الدميري في شرح الجنايات من المنهاج: والسحر في اللغة صرف الشيء عن وجهه يقال: ما سحرك عن كذا أي ما صرفك ومذهب أهل السنة أنه حق وله حقيقة، ويكون بالقول والفعل، ويؤلم ويمرض ويقتل، ويفرق بين الزوجين. وقالت المعتزلة، وأبو جعفر من الشافعية، وأبو بكر الرازي من الحنفية: إن السحر لاحقيقة له إنما هو تخييل، وبه قال البغوي، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه: ٦٦] وذهب قوم إلى أن الساحر قد يقلب بسحره الأعيان ويجعل الإنسان حماراً بحسب قوة السحر، وهذا واضح البطلان لأنه لو قدر على هذا لقدر أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم، وأن يمنع نفسه من الموت، ومن جملة أنواعه السيميا ولم يصل أحد في السحر إلى الغاية التي وصل إليها القبط أيام دلوكا ملكة مصر بعد فرعون، فإنهم وضعوا السحر على البرابي وصوروا فيها صور عساكر الدنيا فأي عسكر قصدهم أتوا إلى ذلك العسكر المصور فما فعلوه به من قلع الأعين وقطع الأعضاء اتفق نظيره للمعسكر القاصد لهم فتخافهم العساكر، وأقاموا ستمائة سنة والنساء هن الملوك والأمراء بمصر بعد غرق فرعون وجنوده حكاه القرافي وغيره. وقال الإمام فخر الدين: لا يظهر أثر السحر إلا على يد فاسق اهـ.

وفي المواهب ما نصه: قال القرطبي: السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته أي السحر الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها وأكثرها تخييلات بغير حقيقة وإيهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك، كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون: ﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف: ١١٦] مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصياً إلى أن قال أي القرطبي: والحق أن لبعض أصناف السحر تأثير في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وإنما المنكر أن ينقلب الجماد حيواناً أو عكسه بسحر الساحر اهـ.

قوله أيضاً (لما سحر لبيد) أي مع بناته فقد كن مشاركات له في سحر النبي ﷺ كما سيأتي في

عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحله، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين، فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نشط من عقال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ الصبح ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ من حيوان مكلف

قوله: كبنات لبيد المذكور، وعبارة الخازن: وقيل: المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الأعصم اللاتي سحرن النبي ﷺ اهـ.

وفي شرح المواهب ما نصه: وفي طبقات ابن سعد: أن المتولي السحر أخوات لبيد وكن أسحر منه وهو الذي دفنه اهـ.

قوله: (وتر) بفتحتين أي وتر القوس اهـ مختار.

قوله: (فأحضر بين يديه) أي أحضر علي بإرساله ﷺ، وكان دسه لبيد في بئر يقال له بئر ذروان فمرض منه ﷺ، وروي أنه كان يخيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. فبينما هو نائم ذات يوم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ فقال الذي عند رجليه طب أي سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي. قال: وبم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان، والراعوفة حجر أسفل البئر يقوم عليها السابح. فانتبه النبي ﷺ ثم أمر علياً والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه، وإذا وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة، وإذا تمثال من شمع على صورته ﷺ مغروز فيه إحدى عشرة إبرة، وكانت هذه المذكورات كلها موضوعة في الجف والجف موضوع تحت الصخرة التي في وسط البئر، والجف بضم الجيم وتشديد الفاء وعاء طلع النخل أي ظرفه الذي يتخلق فيه فأنزل الله المعوذتين اهـ شيخنا.

قوله: (كأنما نشط من عقال) أي كأنما حل وأطلق من عقال. وفي المصباح: نشط في عمله ينشط من باب تعب خف وأسرع نشاطاً بالفتح وهو نشيط ونشطت الحبل نشطاً من باب ضرب عقدته بأنشوطة والأنشوطة بضم الهمزة ربطة دون العقدة إذا مدت بأحد طرفيها انفتحت، وأنشطت الأنشطة بالألف حللتها وأنشطت العقال حللته، وأنشطت البعير من عقاله أطلقته اهـ.

وفي المختار: العقال بالكسر الحبل الذي يربط فيه البعير اهـ.

قوله: ﴿برب الفلق﴾ اختلفت في الفلق، فقيل: سجن في جهنم قاله ابن عباس، وقال أبي بن كعب: بيت في جهنم إذا فتح صاح أهل جهنم من حره، وقال أبو عبد الرحمن: هو اسم من اسماء جهنم، وقال الكلبي: واد في جهنم، وقال عبد الله بن عمر: شجرة في النار، وقال سعيد بن جبير: جب في النار، وقال النحاس: يقال لما اطمأن من الأرض فلق، وقال جابر بن عبد الله، والحسن، وسعيد بن جبير أيضاً، ومجاهد، وقتادة، والقرطبي، وابن زيد: الفلق الصبح، وقيل: الفلق الجبال لأنها تنشق من خوف الله عزّ وجل، وقيل: الفلق الرحم لأنها تنفلق بالحيوان، وقيل: انه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شيء من نبات وغيره قاله الحسن وغيره،

وغير مكلف، وجماد كالسم وغير ذلك ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي الليل إذا أظلم، أو القمر إذا غاب ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ التي تعقدها في الخيط

وقال الضحاك: الفلق الخلق كلهم، قلت: وهذا القول يشهد له الاشتقاق، فإن الفلق الشق يقال فلقت الشيء فلقاً شققته، والتفليق مثله يقال: فلقته فانفلق وتفلق فكل من فلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق قال الله تعالى: ﴿فالق الأصباح﴾ [الأنعام: ٩٦] وقال: ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ [الأنعام: ٩٥] والفلق أيضاً المطمئن من الأرض بين الربوتين وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان، وربما قالوا كان ذلك بفالق كذا وكذا يريدون المكان المنحدر من الأرض بين الربوتين، والفلق أيضاً مقطرة السحاب اهـ قرطبي.

وفسر الشارح الفلق بالصبح، لأن مقصود العائذ من الاستعاذة إن يتغير حاله بالخروج من الخوف إلى الأمن وبالتخلص عن وحشة الهم والحزن إلى الفرح والسرور، والصبح أدل على هذا لما فيه من زوال الظلمة بإشراق أنوار الصبح وتغير وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته اهـ زاده.

قوله: ﴿من شرّ ما خلق﴾ هذا عام وما بعده من الشرور الثلاثة خاص كما سيشير له الشارح، فهو من ذكر الخاص بعد العام اهـ شيخنا.

ومن متعلقة بأعوذ وما اسم موصول بمعنى الذي، قيل: مصدرية: وسمي الليل غاسقاً لشدة برده، واستعيذ من الليل لشدة الآفات فيه، وإذا منصوبة بشر أي أعوذ بالله من الشرّ في وقت كذا، والنفاثات جمع نفاثة صيغة مبالغة من نفث أي نفخ اهـ سمين.

قوله: (وغير ذلك) كالاحراق بالنار والاغراق في البحار والقتل بالسم اهـ من البحر.

قوله: ﴿ومن شرّ غاسق﴾ نكر غاسق وحاسد لإفادة التبعيض، لأن الضرر قد يتخلف فيهما وعرف النفاثات للعهد اهـ سمين.

قوله: (أو القمر) تفسير لغاسق وسمي القمر غاسقاً لذهاب ضوئه بالكسوف واسوداده، وقوله: إذا غاب أو استتر بالكسوف، وسمي الليل غاسقاً لانصباب ظلامه، وقوله: إذا أظلم أي دخل ظلامه في كل شيء اهـ بيضاوي وزاده.

وفي القرطبي: اختلف في الغاسق فقيل: هو الليل والغسق هو أول ظلمة الليل يقال منه غسق الليل أي أظل، ووقب على هذا التفسير أظلم قاله ابن عباس، وقال الضحاك: دخل، وقال قتادة: ذهب. وقال يمان بن رباب: سكن، وقيل: نزل يقال: قب العذاب على الكافرين أي نزل، وقال الزجاج: قيل لليل غاسق لأنه أبرد من النهار، والغاسق البارد والغسق البرد، ولأنه في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من أماكنها ويقوى أهل الشر على العتو والفساد، وقيل الغاسق الثريا، وذلك أنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين وإذا طلعت ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن بن زيد، وقيل هو الشمس إذا غربت قاله ابن شهاب، وقيل: هو القمر قاله القتبي إذ وقب القمر إذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف إذا خسف به وكل شيء أسود فهو غاسق، وقال قتادة: إذا وقب إذا غاب وهو أصح، لأن في الترمذي عن عائشة أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وقال أحمد بن يحيى بن ثعلب عن ابن

تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، وقال الزمخشري: معه كبنات لبيد المذكور ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه، كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي

الأعرابي في تأويل هذا الحديث: وذلك أن أهل الريب والشرور يتحينون وجبة القمر، وقيل الغاسق الحيّة إذا لدغت وكأن الغاسق نابها لأن السم يغسق منه أي يسيل، ووقب نابها إذا دخل في اللديغ، وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائناً ما كان من قولهم غسقت القرحة إذا سال صديدها اهـ.

قوله: (السواحر) أي النساء السواحر فهو صفة لموصوف محذوف، وقوله: تنفث في العقد من باب ضرب ونصر ومعناه تنفخ، وفي المختار: النفث يشبه النفخ وهو أقل من التفل، وقد نفث الراقي من بابي ضرب ونصر والنفاثات في العقد السواحر اهـ.

قوله: (**التي تعقدها في الخيط**) في المصباح: عقدت الحبل عقداً من باب ضرب فانعقد والعقدة ما يمسكه ويوثقه، ومنه قيل عقدت البيع ونحوه وعقدت اليمين وعقدتها بالتشديد توكيداً اهـ.

قوله: (بشيء) أي مع شيء أي قول تقولهُ، وقوله من غير ريق متعلق بتنفخ، وفي القرطبي، روى النسائي عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق بشيء وكل إليه» واختلف في النفث عند الرقية فمنعهُ قوم وأجازه آخرون، قال عكرمة: لا ينبغي للراقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد. قال ابراهيم: كانوا يكرهون النفث في الرقية، وقال بعضهم: دخلت على الضحاك وهو وجع فقلت: ألا أعوذك يا أبا محمد؟ قال: بلى ولكن لا تنفث فعوذته بالمعوذتين، وقال ابن جريج. قلت لعطاء: القرآن ينفخ فيه أو ينفث؟ قال: لا شيء من ذلك ولكن تقرؤه هكذا ثم قال بعد انفث إن شئت. وسئل محمد بن سيرين عن الرقية ينفث فيها، فقال: لا أعلم بها بأساً وإذا اختلفوا فالحاكم بينهم السنّة قد روت عائشة أن النبي ﷺ كان ينفث في الرقية رواه الأئمة، وعن محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتت به أمه النبي ﷺ فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم أنه لم يحفظه، وقال محمد بن الأشعث: ذهب بي إلى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء فرقتني ونفثت، وأما ما روي عن عكرمة من قوله لا ينبغي للراقي أن ينفث فكأنه ذهب فيه إلى الله تعالى جعل النفث في العقد مما يستعاذ منه فلا يكون هو بنفسه عوذة، وليس هذا بالقوي لأن النفث في العقد إذا كان مذموماً لم يجب أن يكون النفث بلا عقد مذموماً، ولأن النفث في العقد في الآية إنما أريد به السحر المضر بالأرواح، وأما إذا كان النفث لاستصلاح الأبدان فإنه لا بأس به، وأما كراهة عكرمة المسح فخلاف السنة. قال علي رضي الله عنه اشتكيت فدخل عليّ النبي ﷺ وأنا أقول: اللهم إن كان قد حضر فأرحني وإن كان متأخراً فاشفني وعافني وإن كان بلاء فصبرني، فقال النبي ﷺ: كيف قلت؟ فقلت له فمسحني بيده ثم قال: اللهم اشفه فما عاد ذلك الوجع بعد اهـ.

قوله: ﴿ومن شرّ حاسد﴾ الحسد أن تتمنى زوال نعمة المحسود عنه وبابه دخل، وقال الأخفش: وبعضهم يقول يحسد وبالكسر حسداً بفتحتين وحسادة بالفتح اهـ مختار.

وفي المصباح: حسدته على النعمة وحسدته النعمة حسداً بفتح السين أكثر من سكونها يتعدى إلى الثاني بنفسه وبالحرف إذا كرهتها عنده وتمنيت زوالها عنه اهـ.

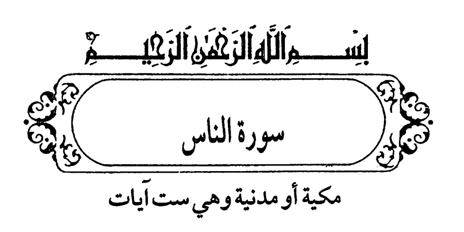
ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها ما خلق بعده لشدة شرها.

قوله: (أظهر حسده) حمل الحسد على إظهاره لأنه إذا لم يظهر الحسد لا يتأذى به إلا الحاسد وحسده لاغتمامه بنعمة غيره اهـ؛ بحر.

وفي القرطبي: قد تقدم معنى الحسد في سورة النساء وإنه تمني زوال نعمة المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها والمنافسة هي تمني مثلها، وإن لم تزل فالحسد شرّ مذموم والمنافسة مباحة وهي الغبطة، وقد روي أن النبي ﷺ قال: «المؤمن يغبط والمنافق يحسد». وفي الصحيحين: «لا حسد إلا في اثنتين» يريد لا غبطة وقد مضى في سورة النساء والحمدلله. قال العلماء: الحاسد لا يضر إلا إذا أظهر حسده بفعل أو قول، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فيتبع مساوئه ويطلب عثراته. قال ﷺ: «إذا حسدت فلا تبغ» الحديث، وقد تقدم والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي به في الأرض، فحسد إبليس آدم وحسد قابيل هابيل، والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون، قال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه أولها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. وثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لمَ قسمت هذه القسمة. وثالثها: أنه يعاند فعل الله تعالى أي أن فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله. ورابعها: أنه خذل أولياء الله أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم. وخامسها: أنه أعان عدوه إبليس، وقيل: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال في الآخرة إلا حزناً واحتراقاً، ولا ينال من الله إلا بعداً ومقتاً، وروي أن النبي ﷺ قال: «ثلاث لا يستجاب دعاؤهم آكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين» اهـ.

وفي الجامع الصغير عنه ﷺ: «في الإنسان ثلاثة الطيرة والظن والحسد فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع أي عن سفره مثلاً ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه من الحسد أن لا يبغي» رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، وفي رواية: في المؤمن ثلاث خصال الخ اهـ.

قوله: (بعده) أي بعدما خلق وهو متعلق بذكر أي أن ذكرها من قبيل عطف الخاص على العام كما تقدم اهـ.



سورة الناس

مكية أو مدنية وهي ست آيات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ خالقهم ومالكهم، خصوا بالذكر تشريفاً لهم، ومناسبة للاستعاذة من شرّ الموسوس في صدورهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ ②﴾ ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ ③﴾ بدلان، أو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (أو مدنية) وهو الأصح لما تقدم من سبب النزول. قوله: (خصوا بالذكر الخ) عبارة الخطيب: وخصهم بالذكر وإن كان ربّ جميع المحدثات لأمرين، أحدهما: أن الناس يعظمون فاعلم بذكرهم أنه ربّ لهم وإن عظموا. الثاني: أنه أمر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم أنه هو الذي يعيذ منهم. قال بعضهم: والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السماء والأرض وإنفاذها ودفع الشرور ورفعها والتنقل من النقص إلى الكمال والتدبير العام العائد بالحفظ والتتميم على المربوب، وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمنت معاني أسمائه الحسنى، فإن الرب هو القادر الخالق إلى غير ذلك مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذي هو معنى الربوبية عليه من أوصاف الجمال والملك، هو الآمر الناهي المعز المذل إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى العظمة والجلال. وأما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى ولتضمنها جميع معاني الأسماء كان المستعيذ جديراً بأن يستعيذ وقد وقع ترتيبها على الوجه الأكمل الدال على الـوحدانية لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم أن له مربياً، فإذا درج في العروج في درج معارفه سبحانه علم أنه غني عن الكل والكل راجع إليه وعن أمره تجري أمورهم، فيعلم أنه ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إبداعهم أنه المستحق للالهية بلا مشارك له فيها، انتهت.

قوله: (ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس) فكأنه قيل: أعوذ من شرّ الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمرهم اهـ سمين.

قوله: ﴿ملك الناس﴾ قد أجمع جميع القراء في هذه السورة على إسقاط الألف من ملك بخلاف الفاتحة فاختلفوا فيها كما مضى اهـ خطيب.

صفتان، أو عطفاً بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي الشيطان، سمي بالحدث لكثرة ملابسته له ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝﴾ لأنه يخنس ويتأخر عن القلب كلما

قوله: (زيادة للبيان) لأنه قد يقال لغيره رب الناس كقوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ [التوبة: ٣١] وقد يقال ملك الناس. وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان، وفي ذلك الترقي من الأدنى إلى الأعلى ونبه بالصفات الثلاثة على مراتب معرفته فإنه يستدل بالنعم على ربه، ثم يترقى إلى أن يتحقق احتياج الكل إليه فيعلم أنه الملك ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة، قال في الكشاف، فإن قلت: فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه مرة واحدة؟ قلت: لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار اهـ كرخي.

قوله: ﴿من شرّ الوسواس﴾ متعلق بأعوذ. قوله: (سمي بالحدث) أي المصدر، وقوله لكثرة ملابسته له أي فكأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس قال في الكشاف اهـ كرخي.

وفي السمين: الوسواس قال الزمخشري اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، فوسواس بالكسر كالزلزال، والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله أو أريد ذو الوسواس اهـ.

وقيل: المكسور مصدر والمفتوح اسم مصدر، والخناس صيغة مبالغة اهـ.

والتجوز الذي ذكره الشارح غير لازم، فإن الوسواس بالفتح كما يستعمل اسم مصدر بمعنى الحدث يطلق على نفس الشيطان الموسوس كما في القاموس ومثله المختار ونصه: الوسوسة حديث النفس يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواساً بالكسر، والوسواس بالفتح الاسم مثل الزلزال والزلزال، وقوله تعالى: ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ [الأعراف: ٢٠] يريد إليهما، ويقال لصوت الحلي وسواس، والوسواس أيضاً اسم الشيطان اهـ.

وفي المصباح: أنه يطلق أيضاً على ما يخطر بالقلب من الشر وكل ما لا خير فيه اهـ.

قوله: ﴿الخناس﴾ لما كان الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء غير السام وهو الموت، وكان قد جعل دواء الوسوسة ذكره تعالى فإنه يطرد الشيطان وينور القلب ويصفيه وصف سبحانه الموسوس بقوله الخناس أي: الذي عادته أن يخنس أي يتوارى ويتأخر ويختفي بعد ظهوره مرة بعد مرة، كلما كان الذكر خنس وكلما بطل عاد إلى وسواسه، فالذكر له كالمقامع التي تقمع المفسد، فهو شديد النفور منه، ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلاً حكي عن بعض السلف أن المؤمن يضني شيطانه كما يضني الرجل بعيره في السفر، قال قتادة: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب، وقيل: كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان، فإذا ذكر العبد ربه خنس، ويقال: رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه، فإذا ذكر الله خنس ورجع ووضع رأسه فذلك قوله تعالى: ﴿الذي يوسوس﴾ أي يلقي المعاني الضارة على وجه الخفاء، والتكرير في صدور الناس أي المضطربين إذا غفلوا عن ذكر ربهم من غير سماع، وقال مقاتل: إن الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه سلطه الله

ذكر الله ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي، كقوله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ أو من الجنة بيان له، والناس عطف على الوسواس، وعلى كل يشمل شرّ لبيد وبناته

تعالى على ذلك، وقال القرطبي: وسوسته هي الدعاء إلى طاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت اهـ خطيب.

وفي القرطبي: وروى شهر بن حوشب، عن أبي ثعلبة الخشني قال: سألت الله أن يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم، فرأيته يداه في يديه ورجلاه في رجليه ومشاعبه في جسده، غير أن له خرطوماً كخرطوم الكلب، فإذا ذكر الله خنس ونكس، وإذا سكت عن ذكر الله أخذ بقلبه، فعلى هذا هو متشعب في الجسد أي في كل عضو منه شعبة اهـ.

قوله: (لأنه يخنس) من باب دخل، وقوله: يتأخر تفسير وفي المختار: خنس عنه تأخر وبابه دخل وأخنسه غيره أي خلفه ومضى عنه، والخناس الشيطان لأنه يخنس إذا ذكر الله عز وجل اهـ.

قوله: (إذا غفلوا عن ذكر الله) يقال: غفل عن الشيء من باب قعد إذا تركه سهواً، ويقال أغفل الشيء إذا تركه سهواً، ويقال أيضاً أغفلت الشيء إغفالاً تركته من غير نسيان اهـ من كتب اللغة.

قوله: (بيان للشيطان الموسوس) أي المذكور بقوله من شر الوسواس أي بيان للذي يوسوس فمن بيانية كما قرره، فالذي يوسوس قسمان الجنة والناس، والذي يوسوس إليه الناس فقط، ويصح كونها ابتدائية متعلقة بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس، ويصح كونها تبعيضية أي كائناً من الجنة والناس فهو في موضع الحال أي ذلك الموسوس بعض الجنة وبعض الناس واختاره السفاقسي اهـ كرخي.

وفي الخطيب: وقيل: إنه بيان للناس الذي يوسوس هو في صدورهم، فقد قيل: إن إبليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس، فعلى هذا يكون الموسوس له عاماً في الإنس والجن والموسوس بكسر الواو خاصاً بالشيطان، فكأنه قال: من شر الشيطان الذي يوسوس في صدور الجن والناس، وهذا المعنى عكس ما قاله الشارح اهـ مع زيادة.

قوله: (كقوله تعالى الخ) يشهد له ما في صحيح ابن حبان مرفوعاً تعوذاً بالله من شياطين الإنس والجن اهـ كرخي.

قوله: (والناس عطف على الوسواس) أي فلفظ شر مسلط عليه فكأنه يقول من شرّ الوسواس الذي يوسوس وهو الجنة، ومن شر الناس والجنة جمع جني كما يقال إنس وأنسي والهاء لتأنيس الجماعة وسموا ذلك لاجتنابهم أي لاستتارهم عن العيون، وسمي الناس ناساً لظهورهم من الايناس وهو الإبصار اهـ كرخي.

وقوله: وعلى كل أي كل من الاحتمالين، وقوله: يشمل أي يشمل الشر المستعاذ منه شر لبيد الخ، وقوله: المذكورين أي في السورة السابقة وفيه تغليب المذكر على المؤنث اهـ شيخنا.

المذكورين، واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس، إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب: بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك، والله تعالى أعلم.

قوله: (واعترض الأول) أي الإعراب الأول وهو أنه بيان للشيطان الموسوس، وقد أجيب بما ذكره الشيخ المصنف، وحاصله أنه استعاذة من شر الموسوسين من الجنسين وهو اختيار الكشاف تبعاً للزجاج، قال في الانموذج: وفيه إطلاق الخناس على الانسي والمنقول أنه اسم للجني اهـ كرخي.

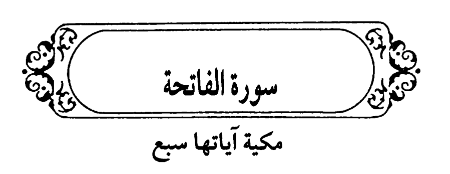
قوله: (لا يوسوس في صدورهم الناس) لو قال لا يوسوسون في صدور الناس لكان أسهل، وقوله: إنما يوسوس في صدورهم الجن أي فقط.

قوله: (بمعنى يليق بهم) كالنميمة، وقوله بالطريق كالسمع، وقوله المؤدي أي الموصل إلى ذلك أي إلى ثبوتها في القلب تأمل.

فائدة:

روي عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ المتعوذ؟ قلت: بلى. قال: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس». وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات. وعنها أيضاً أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرؤهما عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها اهـ خطيب.

قوله: (والله تعالى أعلم) هذه العبارة من الجلال المحلي ختم بها تفسير هذا التصنيف الذي ابتدأه من أول سورة الكهف فجعل آخره آخر القرآن فإن آخره كما في ترتيب المصاحف سورة الناس وأوله سورة الفاتحة، فبعد أن ختم الجلال المحلي هذا النصف الأخير شرع في تفسير النصف الأول، وأوله سورة الفاتحة فقال في شروعه: فيه سورة الفاتحة الخ، ولم يفتتحه بخطبة على عادة المؤلفين مشتملة على حمد وصلاة على النبي ﷺ وغير ذلك، كما أنه لم يفتتح تفسير النصف الثاني الذي ابتدأه بسورة الكهف بخطبة. وكان الحامل له على ذلك غرض الاختصار والاقتصار على محط الفائدة، ثم أنه لما فرغ من سورة الفاتحة اخترمته المنية، فقيض الله تلميذه الجلال السيوطي لتتميم تفسير شيخه، فابتدأ بأول سورة البقرة وختم بسورة الاسراء كما ذكر ذلك في خطبته فصار تفسير الفاتحة في نسخ الجلال مضموماً لتفسير آخر القرآن الذي هو سورة الناس مضموماً لتفسير ما يلي الفاتحة في ترتيب المصحف وهو أول البقرة، والعذر في هذا أن يكون تفسير المحلي منضماً بعضه إلى بعض فصار تفسير الفاتحة خاتمة وآخراً لتفسيره هو من حيث وضع الجلال لأنه أتى به بعد تفسير سورة الناس تأمل اهـ.



سورة الفاتحة

مكية آياتها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى فاتحة الكتاب وأم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه، فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساساً، أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده، أو لأنها تشمل على جمل معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء. وتسمى سورة الكنز لأنها نزلت من كنز تحت العرش، والوافية والكافية لأنها وافية كافية في صحة الصلاة عن غيرها عند القدرة عليها، وتسمى الشافية والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام: «هي شفاء من كل داء» والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق، وتسمى أم القرآن والنور والرقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها على ذلك، وسورة المناجاة وسورة التفويض وفاتحة القرآن وأم الكتاب وسورة السؤال وسورة الصلاة لخبر: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل. يقول العبد: الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي، يقول العبد: الرحمن الرحيم يقول الرب أثنى علي عبدي، يقول العبد: مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي، يقول العبد: إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، يقول الله فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل، ولأنها جزؤها فهو من باب تسمية جزء الشيء باسم كله اهـ خطيب.

وقوله: أو لأنها تشتمل على جمل معانيه الخ. إيضاحه على ما ذكره الطيبي أنها مشتملة على أربعة أنواع من العلوم هي مناط الدين، أحدها: علم الأصول ومعاقد معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، ومعرفة النبوات وهي المرادة بقوله أنعمت عليهم، ومعرفة المعاد وهي المومى إليها بقوله مالك يوم الدين.

وثانيها: علم الفروع وأعظمه العبادات وهي المرادة بقوله إياك نعبد والعبادات مالية وبدنية وهما مفتقرتان إلى أمور المعاش من المعاملات والمناكحات ولا بد لها من الحكومات فتمهدت الفروع على هذه الأصول.

. . . .

وثالثها: علم تحصيل الكمالات وهي علم الأخلاق وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية والسلوك لطريقه والاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله وإياك تستعين اهدنا الصراط المستقيم. ورابعها: علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية السعداء منهم والأشقياء وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم وهو المراد بقوله أنعمت عليهم إلى آخر السورة، وللإمامين الغزالي والرازي في تقرير اشتمالها على علوم القرآن كلامان آخران ذكرهما الجلال السيوطي في الإتقان في أسرار التنزيل، وبين فيه وجه الجمع بين ذلك وبيّن أنها ثلث القرآن فليطلب منه والسورة طائفة من القرآن مترجمه باسم مخصوص تتضمن ثلاث آيات فأكثر كما سبق في سورة البقرة وفاتحة الشيء أوله وهي مصدر بمعنى المفعول أو صفة جعلت اسماً للسورة والتاء للنقل كالذبيحة وإضافة السورة إلى الفاتحة من إضافة العام إلى الخاص كشجر الأراك وعلم النحو، وهي أي إضافة الفاتحة إلى الكتاب لامية، لأن المضاف إليه ليس ظرفاً للمضاف ولا جنساً له وهو أي القرآن يطلق على مجموع ما في المصحف وعلى القدر المشترك بينه وبين أجزائه اهـ كرخي.

وقال محمد بن جزي الكلبي: سميت أم القرآن لأنها جمعت معاني القرآن كله فكأنها نسخة مختصرة، وكان القرآن كله بعدها تفصيل لها، وذلك لأنها جمعت الالهيات في الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، والدار الآخرة في مالك يوم الدين، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في إياك نعبد وإياك نستعين، والشريعة كلها في الصراط المستقيم، والأنبياء وغيرهم في الذين أنعمت عليهم، وذكر طوائف الكفار في غير المغضوب عليهم ولا الضالين اهـ.

قوله: (مكية) أي في قول الأكثر، وقال مجاهد: مدنية، وقيل: نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة، ولذلك سميت مثاني قال البغوي: والأول أصح، وقال البيضاوي: وقد صح أنها مكية بقوله: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ [الحجر: ٨٧] وهو مكي بالنص اهـ.

وأراد بالنص السنة، فقد ثبت ذلك عن ابن عباس وقول الصحابي في القرآن خصوصاً في النزول له حكم المرفوع اهـ خطيب.

وقوله: حين فرضت الصلاة فيه شيء لأنه يقتضي أن الصلاة التي صلاها قبل فرض الخمس كانت من غير فاتحة ويرده ما قاله بعض المحققين إنه لم يعهد في الإسلام صلاة بدون الفاتحة، فالحق أنها نزلت قبل فرض الخمس فهي من أوائل ما نزل بمكة تأمل. وفي القرطبي: واختلف العلماء في الفاتحة هي مكية أو مدنية، فقال ابن عباس، وقتادة، وأبو العالية الرياحي واسمه رفيع وغيرهم هي مكية، وقال أبو هريرة، ومجاهد، وعطاء بن يسار، والزهري وغيرهم مدنية، ويقال نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة حكاه أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي في تفسيره، والأول أصح لقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر: ٨٧] والحجر مكية بإجماع، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة ولم يثبت أنه وقع في الإسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين يدل على هذا

وهي سبع آيات بالبسملة إن كانت منها، والسابعة ﴿صراط الذين﴾ إلى آخرها، وإن لم تكن منها فالسابعة ﴿غير المغضوب﴾ إلى آخرها، ويقدر في أولها قولوا ليكون ما قبل ﴿إياك

قوله عليه الصلاة والسلام: «ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء والله أعلم. وقد ذكر القاضي ابن الطيب اختلاف الناس في أول ما نزل من القرآن، فقيل: المدثر، وقيل: اقرأ، وقيل: الفاتحة. وذكر البيهقي في دلائل النبوة، عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «خلوت وحدي فسمعت نداء، وقد خشيت والله أن يكون هذا أمراً» قالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ هناك ذكرت خديجة حديثه له، ثم قالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة فانطلقا إليه فقصّا عليه الخبر فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً في الأرض، فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فاخبرني. فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قل لا إله إلا الله فأتى ورقة فذكر ذلك له، فقال له ورقة: أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل، وأنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، وإن يدركني ذلك لأجاهدن معك. فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ: لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني يعني ورقة. قال البيهقي رحمه الله: هذا منقطع يعني هذا الحديث، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزل عليه: اقرأ باسم ربك، ويا أيها المدثر اهـ بحروفه.

قوله: (إن كانت منها) هذا التعبير يوهم أنها إن لم تكن منها فليست سبعاً مع أنه يخالف قوله، وإن لم تكن منها الخ، فلو قال: سبع آيات والسابعة صراط الذين إلى آخرها إن كانت البسملة منها، وإن لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب عليهم إلى آخرها لكان أوضح، وفي البخاري باب غير المغضوب عليهم ولا الضالين الخ، قال: شارحه القسطلاني وإنما جعل لها ترجمة لأنها آية مستقلة عند من قال: إن البسملة ليست من الفاتحة، وبعضهم جعل البسملة منها وجعل غير المغضوب عليهم الخ ثامنة، وبعضهم جعلها ست آيات والبسملة ليست منها اهـ.

قوله: (السابعة) ﴿غير المغضوب﴾ (إلى آخرها) تعقب الفخر الرازي هذا القول بأن لفظ غير إنما تكون صفة لما قبلها أو استثناء، والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد، وكذا الاستثناء مع المستثنى منه اهـ.

ولا يقال يرد مثل هذا على قوله الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حيث أعربا نعتين لله، وذلك لأن لفظ غير أشد افتقاراً إلى ما قبله من غيره لأنه لا يتم معناه إلا بما قبله فقوي افتقاره إليه، فكان معه كالشيء الواحد، وأما الرحمن الرحيم ونحوه إذا أعرب نعتاً فليس بهذه المثابة بدليل القراءة الشاذة برفعهما أو نصبهما فإنهما يخرجان عن ارتباطهما بما قبلهما فلم يقو افتقارهما إلى ما قبلهما، وإن أعربا صفتين اهـ.

. . . .

وفي الخطيب ما نصه: وبسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي، وقيل: ليست منها وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والأوزاعي ومالك. ويدل للأول ما روي أنه ﷺ عـد الفاتحة سبع آيات وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية منها رواه البخاري في تاريخه، وروى الدارقطني، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قرأتم الحمد لله فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها». وروى ابن خزيمة بإسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنه أن النبي ﷺ عدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية والحمد لله رب العالمين إلى آخرها ست آيات وهي آية من كل سورة إلا براءة لاجماع الصحابة على إثباتها في المصاحف بخطها أوائل السور سوى براءة مع المبالغة في تجريد القرآن عن الأعشار وتراجم السور والتعوذ حتى لم تكتب آمين فلو لم تكن قرآناً لما أجاوز ذلك لأنه يحمل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً وأيضاً هي آية من القرآن في سورة النمل قطعاً، ثم إنا نراها مكررة بخط القرآن، فوجب أن تكون منه كما أنا لما رأينا قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن: ١٣] وقوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ مكرراً في القرآن بخط واحد وبسورة واحدة قلنا إن الكل من القرآن، فإن قيل: لعلها ثبتت للفصل، أجيب: بأنه يلزم عليه اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً، وإن تثبت في أول براءة ولا تثبت في أول الفاتحة. فإن قيل: القرآن إنما يثبت بالتواتر. أجيب: بأن محله فيما ثبت قرآناً قطعاً أما ما ثبت قرآناً حكماً فيكفي فيه الظن كما يكفي في كل ظن خلافاً للقاضي أبي بكر الباقلاني، وأيضاً إثباتها في المصحف بخطه من غير نكير في معنى التواتر، وأيضاً قد يثبت التواتر عند قوم دون آخرين، فإن قلت: لو كانت قرآناً لكفر جاحدها، أجيب: بأنها إن لم تكن قرآناً لكفر مثبتها، وأيضاً التكفير لا يكون بالظنيات، وقد أوضحت ذلك مع زيادة في شرحي التنبيه والمنهاج، أما براءة فليست البسملة آية منها بالاجماع.

فائدة:

ما أثبت في المصحف الآن من أسماء السور والأعشار شيء ابتدعه الحجاج في زمنه اهـ بحروفه.

وقوله: (الأعشار) جمع عشر بضم العين كقفل وأقفال بأن يكتب عند كل عشر من أعشار القرآن بإزائه في هامش المصحف عشر، أي: هذا المحل آخر العشر أو أول العشر، كما يكتب حزب أو ربع حزب أو نصف حزب أو سبع، فقد كانت مصاحف الصحابة مجردة عن هذا كله، ثم إن الحجاج باجتهاده رأى أن يكتب هذا في المصاحف فهو بدعة حسنة، والصحابة لم يثبتوا هذه المذكورات خوفاً أن تلتبس بالقرآن فتعتقد قرآنيتها، فلما رأى الحجاج أن القرآن قد تحرر وعلم وضبط وصار لا يلتبس بما سواه رأى إثباتها في المصاحف لمزيد توضيح القرآن وتقريره تأمل.

قوله: (ويقدر في أولها) أي في أول الفاتحة يعني قبل البسملة على القول بأنها منها أو بعدها، وقبل الحمد لله على القول بأنها ليست منها، وقوله ليكون ما قبل إياك نعبد وهو قوله بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله إلى آخر الآيات الأربع على القول بأنها منها، أو هو قوله الحمد لله ربّ العالمين إلى

نعبد﴾ مناسباً له، بكونها من مقول العباد. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾

آخر الآيات الثلاث على القول بأنها ليست منها، وقوله: مناسباً له أي لإياك نعبد، وقوله: بكونها الباء بمعنى في أي في كونها أي الفاتحة كلها من مقول العباد، وفي نسخة بكونه وهي أوضح، والضمير عائد على ما قبل إياك. وحاصل هذا أن إياك نعبد لما كان من مقول العباد احتيج إلى تقدير قولوا فيما قبله ليكون ما قبله من مقول العباد أيضاً، فتكون الفاتحة كلها من مقول العباد، ولو ترك هذا التقدير لاحتمل أن قوله الحمد لله ربّ العالمين إلى آخرها ثناء من الله على نفسه فيكون من مقوله هو كما في فاتحة الأنعام وفاتحة الكهف وغيرهما، فيكون بعضها الأول من مقول الله، وبعضها الثاني من مقول العباد وهو صحيح في حد ذاته، لكن سلوك التقدير يؤدي إلى التوافق في كون الكل من مقول العباد والتوافق أبلغ من التخالف. وفي الخطيب: والبسملة وما بعدها إلى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه وبحمده على نعمه ويسأل من فضله، ويقدر في أول الفاتحة قولوا كما قاله الجلال المحلي ليكون ما قبل إياك نعبد مناسباً له في كونه من مقول العباد.

قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لم يتكلم عليها الجلال المحلي ولا السيوطي وكأنهما اعتمدا على شهرة الكلام فيها، لكن نذكر جملة مما يتعلق بها على سبيل التبرك، وأحسن ما رأينا منه فيما يتعلق بها عبارة القرطبي ونصها: البسملة وفيها مسائل.

الأولى: قال العلماء: بسم الله الرحمن الرحيم قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة يقسم به لعباده أن هذا الذي وصفت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، فإني أوفي لكم جميع ما تضمنته هذه السورة من وعدي ولطفي وبري، وبسم الله الرحمن الرحيم مما أنزله الله تعالى في كتابنا وعلى هذه الأمة وخصوصاً بعد سليمان عليه السلام، وقال بعض العلماء: إن بسم الله الرحمن الرحيم تضمنت جميع الشرع لأنها تدل على الذات وعلى الصفات وهذا صحيح.

الثانية: قال سعيد بن أبي سكينة بلغني أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى رجل يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال له: جوّدها فإن رجلاً جودها فغفر له. قال سعيد: وبلغني أن رجلاً نظر إلى قرطاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقبّله ووضعه على عينيه فغفر له، ومن هذا المعنى قصة بشر الحافي فإنه لما رفع الرقعة التي فيها بسم الله الرحمن الرحيم وطيبها طيب اسمه ذكره القشيري. وروى النسائي عن أبي المليح عن ردف رسول الله ﷺ قال، إن رسول الله ﷺ قال: «إذا عثرت بك الدابة فلا تقل تعس الشيطان فإنه يتعاظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صرعته، ولكن قل بسم الله فإنه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب. وقال علي بن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً﴾ [الإسراء: ٤٦] إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم. وروى وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جنة من كل واحد، فالبسملة تسعة عشر حرفاً على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله فيهم: ﴿عليها تسعة عشر﴾ [المدثر: ٣٠] وهم يقولون في كل أفعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فمن هنالك قوتهم وببسم الله استعلوا.

الثالثة: روى الشعبي والأعمش أن رسول الله ﷺ كان يكتب باسمك اللهم، حتى أمر أن يكتب بسم الله فكتبها، فلما نزلت: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ [الإسراء: ١١٠] كتب بسم الله الرحمن، فلما نزلت: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل: ٣٠] كتبها. وفي مصنف أبي داود قال الشعبي، وأبو مالك، وقتادة، وثابت بن عمارة أن النبي ﷺ لم يكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم حتى نزلت سورة النمل.

الرابعة: اتفقت الأمة على جواز كتبها في أوائل كتب العلم والرسائل، فإن كان الكتاب ديوان شعر، فروى مجالد عن الشعبي قال: أجمعوا أن لا يكتبوا أمام الشعر بسم الله الرحمٰن الرحيم، وذهب إلى رسم التسمية في أول كتب الشعر سعيد بن جبير، وتابعه على ذلك كثير من المتأخرين. قال أبو بكر الخطيب: وهو الذي نختاره ونستحبه.

الخامسة: ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أول كل فعل كالأكل والشرب والنحر والجماع والطهارة وركوب البحر إلى غير ذلك من الأفعال، قال الله تعالى: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام: ١١٨] وقال: ﴿اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها﴾ [هود: ٤١] وقال ﷺ: «أغلق بابك واذكر اسم الله واطفىء مصباحك واذكر اسم الله وخمِّر إناءك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله» وقال: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً». وقال لعمر بن أبي سلمة: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك. وقال: إن الشيطان ليستحل الطعام إلا أن يذكر اسم الله عليه. وشكا إليه عثمان بن أبي العاص وجعاً يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر». هذا كله ثابت في الصحيح. وروى ابن ماجه، والترمذي عن النبي ﷺ قال: «ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول بسم الله» وروى الدارقطني عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مس طهوره سمى الله تعالى ثم يفرغ الماء على يديه.

السادسة: قال علماؤنا: وفيه رد على القدرية وغيرهم ممن يقول إن أفعالهم مقدورة لهم، وموضع الاحتجاج عليهم من ذلك أن الله سبحانه أمرنا عند الابتداء بكل فعل أن نفتتح بذلك كما ذكرنا، فمعنى بسم الله أي بالله ومعنى بالله أي بخلقه وبتقديره يوصل إلى ما يوصل إليه اهـ.

وقال بعضهم: معنى قوله بسم الله يعني بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته وهذا تعليم من الله عباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها حتى يكون الافتتاح ببركة اسمه جل وعز.

السابعة: بسم الله تكتب بغير ألف استغناء عنها بباء الالصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف قوله: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال، واختلفوا أيضاً في حذفها مع الرحمن والقاهر، فقال الكسائي، وسعيد، والأخفش: تحذف الألف، وقال يحيى بن وثاب: لا تحذف إلا مع بسم الله فقط لأن الاستعمال إنما كثر فيه.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها، من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق، أو مستحق لأن يحمدوه، والله علم على المعبود بحق ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

الثامنة: روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال في قوله تعالى: ﴿بسم الله﴾ إنه شفاء من كل داء وعون على كل دواء وأما الرحمن فهو عون لكل من آمن به وهو اسم لم يسم به غيره، وأما الرحيم فهو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً. وقد فسره بعضهم على الحروف، فروي عن كعب الأحبار أنه قال: الباء بهاؤه، والسين سناؤه فلا شيء أعلى منه، والميم ملكه وهو على كل شيء قدير فلا شيء يقادره، وقد قيل: إن كل حرف هو افتتاح اسم من أسمائه، فالباء مفتاح اسمه بصير، والسين مفتاح اسمه سميع، والميم مفتاح اسمه مليك، والألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والهاء مفتاح اسمه هادي، والراء مفتاح اسمه رزاق، والحاء مفتاح اسمه حليم، والنون مفتاح اسمه نافع ونور، ومعنى هذا كله دعاء الله تعالى عند افتتاح كل شيء.

التاسعة: قال الماوردي: ويقال لمن قال بسم الله مبسمل وهي لغة مولدة، وقد جاءت في الشعر. قال عمر ابن أبي ربيعة:

لقـد بسملـت ليلـى غـداة لقيتهـا ... فيـا حبـذا ذاك الحبيـب المبسمـل

قلت: المشهور عن أهل اللغة بسمل، قال يعقوب بن السكيت والمطرزي والثعالبي وغيرهم من أهل اللغة: بسمل الرجل إذا قال بسم الله، يقال: قد أكثرت من البسملة أي من قول بسم الله ومثله حوقل الرجل إذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله، وهيلل إذا قال لا إله إلا الله، وسبحل إذا قال سبحان الله، وحمدل إذا قال الحمد لله، وحيعل إذا قال حي على الفلاح، ولم يذكر المطرزي الحيصلة إذا قال حي على الصلاة، وجعفل إذا قال جعلت فداءك، وطبقل إذا قال أطال الله بقاءك، ودمعز إذا قال أدام الله عزك اهـ.

وفي السمين: فائدة: البسملة مصدر بسمل أي قال بسم الله نحو حوقل وهيلل وحمدل، أي قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ولا إله إلا الله والحمد الله، وهذا شبيه بباب النحت في النسب أي إنهم يأخذون اسمين فينحتون منهما لفظاً واحداً فينسبون إليه كقولهم: حضرمي وعبقسي وعبشمي نسبة إلى حضرموت وعبد القيس وعبد شمس، وقال بعضهم في بسمل وهيلل: إنها لغة مولدة. قال الماوردي: يقال لمن قال بسم الله مبسمل وهي لغة مولدة وغيره من أهل اللغة نقلها ولم يقل إنها مولدة اهـ.

قوله: (جملة) أي مركبة من مبتدأ وخبر، وقوله: خبرية أي لفظاً وإنشائية معنى لحصول الحمد بالتكلم بها مع الإذعان لمدلولها، كما قال: قصد بها الثناء أي قصد بها إنشاء الثناء اهـ كرخي.

قوله: (من أنه تعالى الخ) بيان للمضمون، وأشار به إلى أن اللام في لله للملك أو للاستحقاق وأولى منهما كونها للاختصاص، وأل في الحمد للجنس اهـ كرخي.

وفي صنيع الشارح تسمح لأن قوله من أنه مالك الخ مدلول الجملة المذكورة، وأما مضمونها فهو المصدر المأخوذ من الخبر المضاف للمبتدأ وهو هنا ثبوت الحمد لله كما قرر في محله تأمل.

قوله: (والله علم على المعبود بحق) وهو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال عربي مرتجل

. . . .

جامد أي غير مشتق وهو الصحيح، وعند الزمخشري إنه اسم جنس صار علماً بالغلبة من أله بمعنى تحير، والإله هو المعبود سواء عبد بحق أم باطل، ثم غلب في عرف الشرع على المعبود بحق وهو الذات الواجب الوجود اهـ كرخي.

وفي المناوي على الجامع الصغير ما نصه: وهو مشتق من أهل كعبد وزناً ومعنى، أو من أله بمعنى فزع وسكن، أو من وله أي تحير ودهش أو طرب، أو من لاه احتجب أو ارتفع أو استتار أو غير ذلك. والحاصل أن إلهاً مألوه أي معبود أو مألوه فيه أي متخير فيه وقس الباقي ومجموع الأقاويل هو المعبود للخواص والعوام المفزوع إليه في الأمور العظام المرتفع عن الأوهام المحتجب عن الافهام الظاهر بصفاته الفخام الذي سكنت إلى عبادته الأجسام، وولعت به نفوس الأنام، وطربت إليه قلوب الكرام وحذف ألفه لحن يبطل الصلاة لانتفاء المعنى بانتفاء بعض اللفظ الموضوع ولا ينعقد به اليمين مطلقاً لابتنائه على وجود الاسم ولم يوجد، والبلة إنما هي الرطوبة وما أفهمه كلام القاضي من قوله كناية وجه صحيح محرر مذهب النووي خلافه اهـ.

وفي القرطبي: اختلف العلماء أيما أفضل قول العبد الحمد لله رب العالمين، أو قوله لا إله إلا الله؟ فقالت طائفة: قول الحمد لله رب العالمين أفضل لأن في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا هو، ففي قوله: الحمد لله توحيد وحمد، وفي قوله لا إله إلا الله توحيد فقط، وقالت طائفة: لا إله إلا الله أفضل لأنها تدفع الكفر والإشراك وعليها تقاتل الخلق قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله». واختار هذا القول ابن عطية قال: والحاكم بذلك قول النبي ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له». وقال شقيق بن إبراهيم: في تفسير الحمد لله هو على ثلاثة أوجه، أولها: إذا أعطاك الله شيئاً تعرف من أعطاك. والثاني: أن ترضى بما أعطاك. والثالث: ما دامت قوته في جسدك أن لا تعصيه. فهذه شرائط الحمد. وقد أثنى الله سبحانه بالحمد على نفسه ولم يأذن في ذلك لغيره بل نهاهم عن ذلك في كتابه وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم: ٣٢] فمعنى الحمد لله رب العالمين أي سبق الحمد مني لنفسي قبل أن يحمدني أحد من العالمين، وحمدي نفسي لنفسي في الأزل لم يكن بعلة، وحمد الخلق مشوب بالعلل. وقيل: لما علم الله سبحانه عجز عباده عن حمده حمد نفسه بنفسه لنفسه في الأزل فاستفراغ طوق عباده هو محل العجز عن حمده. ألا ترى سيد المرسلين كيف أظهر العجز بقوله: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وقيل: حمد نفسه في الأزل لما علم من كثرة نعمه على عباده وعجزهم عن القيام بواجب حمده، فحمد نفسه عنهم لتكون النعمة أهدى لديهم حيث أسقط عنهم ثقل المنة اهـ.

قوله: ﴿ربّ العالمين﴾ الرب لغة السيد والمالك والثابت والمعبود والمصلح، والظاهر أنه هنا بمعنى المالك اهـ سمين.

وجمع العالمين جمع قلة مع أن المقام مستدع للإتيان بجمع الكثرة تنبيهاً على أنهم وإن كثروا فهم قليلون في جانب عظمته وكبريائه تعالى، فإن قلت: الجمع يقتضي اتفاق الأفراد في الحقيقة وهي

أي مالك جميع الخلق، من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يطلق عليه عالم، يقال: عالم الانس وعالم الجن، إلى غير ذلك، وغلب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم وهو من العلامة، لأنه علامة على موجده ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ أي الجزاء وهو يوم القيامة، وخص

هنا مختلفة؟ قلنا: بل هي متفقة من حيث إن كلاً منها علامة يعلم بها الخالق والاختلاف إنما عرض بواسطة أسمائها اهـ كرخي.

قوله: (يقال عالم الإنس الخ) الإضافة بيانية أي عالم هو الإنس أي مخلوق هو الإنس فالعالم هو المخلوقات مطلقاً ويتميز بعضها عن بعض بهذه الإضافة البيانية اهـ.

قوله: (أولو العلم) أي لشرفهم، وقوله: وهو أي العالم وهو ما سوى الله علامة على موجده أي لأنه حادث، وكل حادث يحتاج إلى محدث وموجد له حال حدوثه، وفيه تنبيه على أن قوله رب العالمين جرى مجرى الدليل على وجود الإله القديم اهـ كرخي.

وقوله: وهو من العلامة الخ عبارة البيضاوي، والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض، فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده، وإنما جمعه ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر أوصافهم، وقيل: اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع، وقيل: عنى به الناس ههنا فإن كل واحد منهم عالم من حيث أنه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما أبدعه في العالم، ولذلك سوّى بين النظر فيهما وقال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١].

قوله: (أي ذي الرحمة) أشار إلى أن الرحمن الرحيم بنيا للمبالغة من رحم أي ذي الرحمة الكثيرة، والرحمة في الأصل رقة في القلب تقتضي التفضل والخبر وهي بهذا الاعتبار تستحيل في حقه تعالى فتحمل على غايتها كما قال وهي إرادة الخير لأهله المؤمنين كنظائرها من الصفات، وذكر الرحمن الرحيم أولاً لتسكين هيبة اسم الله، وثانياً لترجية المخوفين بيوم الدين اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وصف نفسه تعالى بعد رب العالمين بأنه الرحمن الرحيم لأنه لما كان في اتصافه برب العالمين ترهيب قرنه بالرحمن الرحيم لما تضمنه من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع من معاصيه كما قال: ﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [الحجر: ٥٠] وقال: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول﴾ [غافر: ٣]. وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» وقد تقدم ما في هذين الاسمين من المعاني فلا معنى لإعادته اهـ.

قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ قرأ أهل الحرمين المحترمين ملك من الملك بالضم الذي هو عبارة عن

بالذكر لأنه لا ملك ظاهراً فيه لأحد إلا الله تعالى بدليل لمن الملك اليوم لله، ومن قرأ مالك فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة، أي هو موصوف بذلك دائماً كغافر الذنب، فصح وقوعه

السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في أمر العامة بالأمر والنهي وهو الأنسب بمقام الإضافة إلى يوم الدين، كما في قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: مالك يوم الدين بإثبات الألف قراءة عاصم والكسائي ويعقوب، ويعضدها قوله تعالى: ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾ [الانفطار: ١٩] قرأ الباقون ملك بحذف الألف وهي قراءة أهل الحرمين، ويعضدها قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] والمالك بالألف هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء من الملك بكسر الميم الملك بحذف الألف هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك بضم الميم اهـ.

قوله: (**أي الجزاء**) أي بالثواب للمؤمنين والعقاب للكفار. قوله: (**لا ملك ظاهراً فيه لأحد**) وأما في الدنيا ففيها الملك ظاهراً لكثير من الناس كالسلاطين، وأما في نفس الأمر فلا ملك لغيره تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة فقيد بالظاهر لأنه هو الذي يفترق فيه الحال بين الدنيا والآخرة تأمل. قوله: (**لمن الملك اليوم**) الملك مبتدأ مؤخر، ولمن خبر مقدم، واليوم ظرف للمبتدأ، وقوله: لله جواب منه تعالى عن السؤال فقد سأل نفسه وأجاب نفسه اهـ شيخنا.

قوله: (**ومن قرأ مالك**) أي بالألف كسامع اسم فاعل من ملك ملكاً بالكسر وهو الكسائي وعاصم فهي سبعية، وثوابها أكثر لزيادة عشر حسنات بالألف، وكلتا القراءتين متواترة فلا ترجيح بينهما اهـ كرخي.

وفي القرطبي: اختلف العلماء أيهما أبلغ ملك أو مالك، والقراءتان مرويتان عن النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر ذكرهما الترمذي، فقيل: ملك أعم وأبلغ من مالك إذ كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً، ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف المالك إلا عن تدبير الملك قاله أبو عبيدة والمبرد، وقيل: مالك أبلغ لأنه يكون مالكاً للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفاً وأعظم إذ إليه إجراء قوانين الشرع ثم عنده زيادة التملك اهـ.

قوله: (**أي هو موصوف بذلك**) أي بكونه مالكاً بالألف وهذا جواب ما يقال إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف، فكيف ساغ وقوعه وصفاً للمعرفة؟ وإيضاحه، كما في الكشاف: أنها إنما تكون غير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكانت إضافته في تقدير الانفصال كقولك: مالك الساعة أو غداً، فأما إذا قصد معنى الماضي كقوله: هو مالك عبده أمس أو زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الإضافة حقيقية كقولك مولى العبيد قال: وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين أي أنه غير مقيد بزمان كغافر الذنب، فإن المراد به العموم، والحاصل أنه من باب إضافة لفظ اسم الفاعل إلى زمان فعله كما تقول: إمام الجمعة الخطيب أي الإمام في ذلك اليوم فالإضافة محضة تفيد التعريف فصبح وقوعه صفة للمعرفة. قال السعد التفتازاني: فإن قيل: قد

صفة للمعرفة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ أي نخصك بالعبادة من توحيد وغيره،

ذكر في الكشاف في قوله تعالى: ﴿وجعل الليل سكناً﴾ [الأنعام: ٩٦] أنه إذا قصد باسم الفاعل زمان مستمر كانت الإضافة لفظية. قلنا: الاستمرار يحتوي على الأزمنة الماضية والآتية والحال، فتارة يعتبر جانب الماضي فتجعل الإضافة حقيقية، وتارة جانب الآتي والحال فتجعل لفظية والتعويل على القرائن والمقامات اهـ كرخي.

وفي القرطبي ما نصه: إن قال قائل كيف قال مالك يوم الدين ويوم الدين لم يوجد بعد، فكيف وصف نفسه بملك ما لم يوجده؟ قيل له: اعلم أن مالكاً اسم فاعل من ملك يملك، واسم الفاعل في كلام العرب قد يضاف إلى ما بعده وهو بمعنى الفعل المستقبل، ويكون ذلك عندهم كلام سديداً معقولاً صحيحاً كقولك: هذا ضارب زيد غداً أي سيضرب زيداً، وكذلك هذا حاج بيت الله في العام المستقبل تأويله سيحج في العام المستقبل، أفلا ترى أن الفعل قد ينسب إليه وهو لم يفعل بعد، وإنما أريد به الاستقبال، فكذلك قوله عز وجل: ﴿**مالك يوم الدين**﴾ على تأويل الاستقبال أي سيملك يوم الدين أو في يوم الدين إذا حضر. ووجه ثان أن يكون تأويل الملك راجعاً إلى القدرة أي أنه قادر في يوم الدين أو على يوم الدين وإحداثه، لأن المالك للشيء هو المتصرف في الشيء القادر عليه، والله عز وجل مالك الأشياء كلها ومصرفها على وفق إرادته لا يمتنع عليه منها شيء، والوجه الأول أمس بالعربية وأقعد في طريقها قاله أبو القاسم الزجاجي. ووجه ثالث يقال لم خصص يوم الدين وهو مالك يوم الدين وغيره؟ قيل له: لأن في الدنيا كانوا منازعين في الملك مثل فرعون ونمرود وغيرهما في ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه وكلهم خضعوا له كما قال تعالى: ﴿لمن الملك ليوم﴾ [غافر: ١٦]: فأجاب جميع الخلق بقوله: ﴿لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] فلذلك قال مالك يوم الدين أي في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز غيره سبحانه وتعالى لا إله إلا هو اهـ بحروفه.

ثم قال: إن وصف الله سبحانه وتعالى بأنه ملك كان ذلك من صفات ذاته لأنه يرجع لقدرته على التصرف على حسب ما يريد، وإن وصف بأنه مالك كان ذلك من صفات فعله لرجوعه للتصرف في الكائنات بالفعل اهـ.

وفي الخطيب ما نصه:

تنبيه:

إجراء هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه رباً للعالمين موجداً لهم منعماً عليهم بالنعم كلها ظاهر وباطنها عاجلها وآجلها مالكاً لأمورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على أنه تعالى الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه لا يستحقه على الحقيقة سواه، فإن ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له اهـ.

قوله: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ لما ذكر الحقيق بالحمد ووصفه بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات خوطب بإياك نعبد، والمعنى يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص والترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود، وكأن المعلوم صار عياناً والمفعول مشاهداً والغيبة حضوراً، فبنى أول الكلام على ما هو مبادىء حال العارف من الذكر والفكر

. . . .

والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه، ثم قفي بما هو منتهى أمره وهو أنه يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عياناً ويناجيه شفاهاً اللهم اجعلنا من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر، ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع، فيعدل من لفظ الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس كقوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ [يونس: ٢٢] وقوله: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه﴾ [فاطر: ٩] اهـ بيضاوي.

وعبارة التلخيص مع شرحها للسعد: وقد تختص مواقع الالتفات بلطائف ونكات كما في سورة الفاتحة، فإن العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد وهو الله تعالى عن قلب حاضر يجد ذلك العبد من نفسه محركاً للإقبال عليه أي: على ذلك الحقيق بالحمد، وكلما أجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك المحرك إلى أن يؤول ذلك الأمر إلى خاتمتها أي: خاتمة تلك الصفات. يعني: مالك يوم الدين المفيدة أنه أي: ذلك الحقيق بالحمد مالك للأمر كله في يوم الجزاء لأنه أضيف مالك إلى يوم الدين على طريق الاتساع، والمعنى على الظرفية أي: مالك في يوم الدين والمفعول دلالة على التعميم مع الاختصار، فحينئذ يوجب ذلك المحرك لتناهيه في القوة إقبال عليه أي: إقبال العبد على ذلك الحقيق بالحمد والخطاب بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فالباء في بتخصيصه متعلقة بالخطاب، ويقال: خاطبته بالدعاء إذا دعوته مواجهة وغاية الخضوع هو معنى العبادة وعموم المهمات مستفاد من حذف مفعول نستعين، والتخصيص مستفاد من تقديم المفعول وهو إياك، فاللطيفة المختص بها موقع هذا الالتفات هي أن فيه تنبيهاً على أن العبد إذا أخذ في القراءة يجب أن تكون قراءة على وجه يجد فيه من نفسه ذلك المحرك اهـ.

وإياك مفعول مقدم على نعبد قدم للاختصاص وهو واجب الانفصال، واختلفوا فيه هل هو من قبيل الأسماء الظاهرة أو المضمرة، فالجمهور على أنه مضمر، وقال الزجاج: هو اسم ظاهر، وترجيح القولين مذكور في كتب النحو. والقائلون بأنه ضمير اختلفوا فيه على أربعة أقوال، أحدها: أنه كله ضمير. الثاني: أن ايا وحده ضمير وما بعده اسم مضاف إليه يفسره ما يراد به من تكلم وغيبة وخطاب. الثالث: أن ايا وحده ضمير وما بعده حروف تفسر ما يراد منه. الرابع: أن ايا عماد وما بعده هو الضمير فإنه لما فصل عن العوامل تعذر النطق به مفرداً فضم إليه إيا ليستقل بالنطق والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الافضال وهو البارىء تعالى فهي أبلغ من العبودية لأن العبودية إظهار التذلل، ويقال: طريق معبد أي مذلل بالوطء ومنه العبد لذلته، وبعير معبد أي مذلل، وقيل: العبادة التجرد، ويقال: عبدت الله بالتخفيف فقط وعبدت الرجل بالتشديد فقط أي: ذللته أو اتخذته عبداً، وقرىء نستعين بكسر حرف المضارعة وهي لغة مطردة في حرف المضارعة وذلك بشرط أن لا يكون ما بعد حرف المضارعة مضموماً، فإن ضم كنقوم لم يكسر حرف المضارعة لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم، وبشرط أن يكون المضارع من ماض مكسور العين نحو نعلم من علم، أو في أوله همزة وصل نحو نستعين من استعان أو تاء مطاوعة نحو تتعلم من تعلم، فلا يجوز في يضرب ويقتل كسر حرف

ونطلب المعونة على العبادة وغيرها ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ أي أرشدنا إليه ويدل منه

المضارعة لعدم الشروط المذكورة والاستعانة في طلب العون وهو المظاهرة والنصرة، وقدم العبادة على الاستعانة لأنها وصلة لطلب الحاجة، وأطلق كلًّا من فعلي العبادة والاستعانة فلم يذكر لهما متعلقاً لتناول كل معبود به وكل مستعان عليه، أو يكون المراد وقوع الفعل من غير نظر إلى متعلق مخصوص نحو: ﴿كلوا واشربوا﴾ [البقرة: ٦٠] أي: أوقعوا هذين الفعلين اهـ سمين.

والضمير المستكن في نعبد ونستعين للقارىء ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عباداتهم، وخلط حاجته بحاجاتهم لعل عبادته تقبل ببركة عباداتهم وحاجته يجاب إليها ببركة حاجاتهم ولهذا شرعت الجماعة في الصلوات اهـ خطيب.

قوله: ﴿**وإياك نستعين**﴾ تكرير الضمير للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولإبراز الالتذاذ بالمناجاة والخطاب اهـ أبو السعود.

وأصل نستعين نستعون مثل نستخرج في الصحيح لأنه من العون، فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى الساكن قبلها فسكنت الواو بعد النقل وانكسر ما قبلها فقلبت ياء، وهذه قاعدة مطردة نحو: ميزان وميقات وهما من الوزن والوقت اهـ سمين.

وفي المصباح: واستعان به فأعانه وقد يتعدى بنفسه فيقال استعانة والاسم المعونة والمعانة بالفتح اهـ.

قوله: (**من توحيد**) أي: اعتقاد وحدانيته تعالى، وهذا إشارة إلى العبادات الأصلية أي: الاعتقادية، وقوله: وغيره إشارة إلى العبادات العملية أي: المتعلقة بالأعضاء والجوارح. **قوله:** (**وبطلب المعونة**) بالباء عطفاً على العبادة، ولا يجوز أن يكون بالنون عطفاً على نخصك لخروجه عن إفادة التخصيص اهـ قاري.

قوله: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ أي: زدنا هداية إليه أو دمنا مهديين إليه، وإلاَّ فنحن مهديون بحمد الله تعالى، وفي السمين: وأصل هدى أن يتعدى إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر وهو إما إلى أو اللام كقوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿يهدي للتي هي أقوم﴾ [الإسراء: ٩] ثم قد يتسع فيه فيحذف الحرف فيتعدى للثاني بنفسه كما هنا، فأصل اهدنا الصراط اهدنا للصراط أو إلى الصراط، ثم حذف الحرف ووصل الفعل إلى المفعول بنفسه ووزن اهد واقع حذفت لامه وهي الياء حملاً للأمر على المجزوم والمجزوم تحذف لامه إذا كانت حرف علة والهداية الإرشاد والدلالة والتبيين نحو: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ [فصلت: ١٧] أي: بينا لهم، والإلهام نحو: ﴿الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه: ٥٠] أي: ألهمه لمصالحه، والدعاء كقوله تعالى: ﴿ولكل قوم هاد﴾ [الرعد: ٧] أي: داع، وقال الراغب: الهداية دلالة بلطف ومنه الهدية لأنها تمال من مالك إلى مالك والصراط الطريق المستسهل، وبعضهم لا يقيده بالمستسهل، والمراد منه هنا دين الإسلام وأصله السين وقرأ بها قنبل حيث ورد، وإنما أبدلت صاداً لأجل حرف الاستعلاء وقد تشم الصاد في الصراط زاياً وبه قرأ خلف، وقرىء بالزاي المحضة ولم يرسم في المصحف إلا

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالهداية ويبدل من الذين بصلته ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهم

بالصاد مع اختلاف قراءتهم فيها كما تقدم، والصراط يذكر ويؤنث فالتذكير لغة تميم والتأنيث لغة الحجاز والمستقيم اسم فاعل من استقام ومعناه استوى من غير اعوجاج وأصله مستقوم ثم أعل كاعلال نستعين اهـ.

وفي أبي السعود: والصراط جمع صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي، والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط اهـ.

وعبارة البيضاوي: وهداية الله تتنوع أنواعاً لا يحصيها عد لكنها تنحصر في أجناس مترتبة، الأول: إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة. والثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد، وإليه أشار حيث قال: ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد: ١٠] وقال: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ [فصلت: ١٧]. والثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ [الأنبياء: ٧٣] وقوله: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ [الإسراء: ٩]. والرابع: أن يكشف لقلوبهم الأسرار ويريهم الأشياء كما هي بالوحي أو بالإلهام أو المنامات الصادقة، وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠] وقول: ﴿والذي جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المترتبة عليه، فإذا قاله العارف الواصل عنى به أرشدنا طريق السير فيك لنمحو عنا ظلمات أحوالنا، ونميط بها عنا غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك اهـ.

قوله: (ويبدل منه) أي: بدل كل من كل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة، وفائدته التوكيد والتنصيص على أن صراط المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه ونعم الله، وإن كانت لا تحصى كما قال: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤] تنحصر في جنسين دنيوي وأخروي، والأول: قسمان موهبي وكسبي، والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى بالفهم والفكر والنطق، وجسماني كتخلق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة من الصحة وكمال الأعضاء، والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال. والثاني: أن يغفر ما فرط منه ويبوئه أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين، والمراد هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر فإن ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ وهم المذكورون في سورة النساء بقوله: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ [النساء: ٦٩] فهم أربعة اهـ شيخنا.

. . . .

وعبارة القرطبي: واختلف الناس في المنعم عليهم، فقال الجمهور من المفسرين: إنه أراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وقيل: الذين أنعمت عليهم هم الأنبياء خاصة صلوات الله وسلامه عليهم، وقيل: المراد بهم أصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ اهـ.

وأشار الشارح إلى قول رابع، وهو أن المراد بهم مطلق المؤمنين حيث قال بالهداية يعني إلى الإيمان اهـ.

والإنعام إيصال الإحسان إلى الغير ولا يقال إلا إذا كان الموصل إليه الإحسان من العقلاء، فلا يقال أنعم فلان على فرسه ولا على حماره اهـ سمين.

قوله: ﴿عليهم﴾ لفظ عليهم الأولى في محل نصب على المفعولية، وعليهم الثانية في محل رفع نائب فاعل بالمغضوب اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وفي عليهم عشر لغات قرىء بعامتها عليهم بضم الهاء وإسكان الميم، وعليهم بكسر الهاء وإسكان الميم، وعليهمي بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسرة، وعليهم وبكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة، وعليهمو بضم الهاء والميم وزيادة واو بعد الميم، وعليهم بضم الهاء والميم من غير زيادة واو وهذه الأوجه الستة مأثورة عن الأئمة القراء. وأوجه أربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القراء عليهمي بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء بعد الميم حكاها الأخفش البصري عن العرب، وعليهم بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء، وعليهم بكسر الهاء وضم الميم من غير الحاق واو، وعليهم بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم وكلها صواب قاله ابن الأنباري اهـ.

قوله: (ويبدل من الذين بصلته الخ) أي: بدل كل من كل، وعبارة السمين: وغير بدل من الذين بدل نكرة من معرفة، وقيل: نعت للذين وهو مشكل لأن غير نكرة والذين معرفة. وأجابوا عنه بجوابين، أحدهما: أن غير إنما تكون نكرة إذا لم تقع بين ضدين، فأما إذا وقعت بين ضدين فقد انحصرت الغيرية فتتعرف حينئذ بالإضافة تتمول عليك بالحركة غير السكون والآية من هذا القبيل. والثاني: أن الموصول أشبه النكرات في الإبهام الذي فيه فعومل معاملة النكرات، واعلم أن لفظ غير مفرد مذكر أبداً إلا أنه إن أريد به مؤنث جاز تأنيث فعله المسند إليه تقول: قامت غير هند وأنت تعني امرأة وهي في الأصل صفة بمعنى اسم الفاعل وهو مغاير، ولذلك لا تتعرف بالإضافة وكذا اخواتها أعني نحو مثل وشبه وشبيه وخدن، يستثنى بها حملاً على إلاّ كما يوصف بإلاّ حملاً عليها وهي من الألفاظ اللازمة للإضافة لفظاً أو تقديراً، فإدخال الألف واللام عليها خطأ اهـ.

وفي القرطبي: قرأ عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب غير المغضوب عليهم وغير الضالين، وروي عنهما في الراء النصب والخفض في الحرفين فالخفض على البدل من الذين أو من الهاء، والميم في عليهم والنصب في الراء على وجهين على الحال من الذين أو من الهاء والميم في عليهم كأنك قلت: أنعمت عليهم لا مغضوباً عليهم، أو على الاستثناء كأنك قلت: إلا المغضوب عليهم، ويجوز النصب بأعني. وحكي عن الخليل اهـ.

اليهود ﴿وَلَا﴾ وغير ﴿ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ وهم النصارى، ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا

قوله: (وهم اليهود) عبارة الخطيب: غير المغضوب عليهم وهم اليهود لقوله تعالى: ﴿فيهم من لعنة الله وغضب عليه﴾ [المائدة: ٦] ولا الضالين وهم النصارى لقوله: ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً﴾ [المائدة: ٧٧] الآية. وقال ﷺ: «إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى» رواه ابن حبان وصححه، وإنما سمي كل من اليهود والنصارى بما ذكر مع أنه مغضوب عليه وضال لاختصاص كل منهما بما غلب عليه، انتهت.

والغضب ثوران دم القلب لإدارة الانتقام ومنه قوله ﷺ: «اتقوا الغضب فإنه جمرة تتوقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه» وإذا وصف به الباري تعالى فالمراد به الانتقام أو إرادة الانتقام فهو صفة فعل أو صفة ذات، والضلال الخفاء والغيبة، وقيل: الهلاك ومن الأول قولهم ضل الماء في اللبن، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ [السجدة: ١٠] وقيل: الضلال العدول عن الطريق المستقيم وقد يعبر به عن النسيان كقوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما﴾ [البقرة: ٢٨٢] بدليل قوله: فتذكر إحداهما الأخرى اهـ سمين.

وفي القرطبي: الغضب في اللغة الشدة ورجل غضوب شديد الخلق، والغضوب الحية الخبيثة لشدتها، والغضبة الدرقة من جلد البعير يطوى بعضها على بعض سميت بذلك لشدتها، والضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ومنه ضل اللبن في الماء أي: غاب، ومنه أئذا ضللنا في الأرض أي: غبنا بالموت وصرنا تراباً، والضلضلة حجر أملس يردده الماء في الوادي، وكذلك الغضبة صخرة في الجبل مخالفة لونه اهـ.

والعدول عن إسناد الغضب إليه تعالى كالإنعام على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات إليه عز وجل دون أضدادها كما في قوله تعالى: ﴿الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٧٩] وقوله تعالى: ﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ [الجن: ١٠] اهـ أبو السعود.

قوله: (وغير) ﴿الضالين﴾ أشار به إلى أن لا بمعنى غير فهي صفة ظهر إعرابها على ما بعدها لا صلة لتأكيد النفي المفاد من غير، وفي السمين: لا زائدة لتأكيد معنى النفي المفهوم من غير لئلا يتوهم عطف الضالين على الذين أنعمت عليهم، وقال الكوفيون: لا بمعنى غير وهذا قريب من كونها زائدة فإنه لو صرح بغير كانت للتأكد أيضاً اهـ.

وفي القرطبي: لا في ولا الضالين اختلف فيها، فقيل: هي زائدة قاله الطبري، ومنه قوله تعالى: ﴿ما منعك أن ألا تسجد﴾ [الأعراف: ١٢] وقيل: هي تأكيد دخلت لئلا يتوهم أن الضالين معطوف على الذين أنعمت عليهم حكاه مكي والمهدوي، وقال الكوفيون: لا بمعنى غير وهي قراءة عمر وأبي وقد تقدم، والأصل في الضالين الضاللين ثم أدغمت اللام في اللام فاجتمع ساكنان مدة الألف واللام المدغمة اهـ.

وفي الخطيب: وفي ولا الضالين مدان مد لازم ومد عارض، فاللازم هو الذي على الألف بعد الضاد، وقبل اللام المشددة والعارض هو الذي على الياء قبل النون اهـ.

. . . .

قوله: (إفادة أن المهتدين) أي: المذكورين بقوله: الذين أنعمت عليهم، فمصدوق الذين أنعمت عليهم هو مصدوق غير المغضوب عليهم ومصدوق ولا الضالين، فمصدوق العبارات الثلاث هو المؤمنون، لكن هذا فيه شيء من حيث إن الذين انعمت عليهم تقدم تفسيرهم بالأربعة المذكورين في آية النساء فلا يشمل بقية المؤمنين، ومن حيث أن غير اليهود والنصارى يصدق بسائر طوائف الكفار من المشركين وغيرهم، ومقتضى هذا أنهم داخلون في المهتدين لأنهم ليسوا يهوداً ولا نصارى فليتأمل، فعلى هذا كان ينبغي تفسير المهتدين بمطلق المؤمنين كما أشار إليه الشارح بقوله بالهداية ويعد ذلك يبقى في الكلام تدافع في طوائف الكفار غير اليهود والنصارى، فالمبدل منهم يخرجهم، والبدل يدخلهم في المبدل منه. ثم رأيت في القرطبي قولاً آخر في تفسير المغضوب عليه ولا الضالين يتطابق به الكلام ويلتئم ونصه: وقيل: المغضوب عليهم باتباع البدع والضالين عن سنن الهدى. قلت: وهذا حسن اهـ.

وكل من هذين الوصفين يشتمل سائر طوائف الكفار فنفيهما بغير مخرج لسائر أنواع الكفار عن المبدل منه، وفي الخطيب قول أوضح من هذا وهو أن المغضوب عليهم مطلق الكفار والضالين هم المنافقون اهـ.

فعلى هذا يشتمل الذين أنعمت عليهم جميع المؤمنين اهـ.

قوله أيضاً: (إفادة أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى) أي إفادة مدحهم بهذا المعنى وهو أنهم ليسوا يهوداً ولا نصارى، ولكن مدحهم بهذا المعنى فيه قصور ليس فيه كبير تمجيد بهم إذ من المعلوم المؤمنين غير اليهود والنصارى فليتأمل، ثم رأيت في الخطيب ما نصه، فإن قيل: ما فائدة غير المغضوب عليهم الخ بعد ذكر أنعمت عليهم؟

أجيب بأن الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف كما قال عليه الصلاة والسلام: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» فقوله صراط الذين أنعمت عليه يوجب الرجاء الكامل، وقوله غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل، وحينئذ يتقوى الإيمان بركنيه وطرفيه وينتهي إلى حد الكمال اهـ.

تنبيه:

آخر الفاتحة ولا الضالين، وأما لفظ آمين فليس منها ولا من القرآن مطلقاً، بل هو سنة يسن لقارىء الفاتحة في الصلاة وغيرها أن يختم به وهو اسم فعل بمعنى استجب وتقبل يا الله أي: تقبل هذا الدعاء وهو قوله اهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها، وهذا الاسم مبنى على الفتح ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها، وفي السمين: القول في آمين ليست من القرآن اجماعاً، ومعناها استجب فهي اسم فعل مبني على الفتح، وقيل: ليست اسم فعل بل هي من أسماء الله تعالى والتقدير يا آمين. وضعفه أبو البقاء بوجهين، أحدهما: أنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يبنى على الضم لأنه منادى مفرد معرفة. الثاني: أن أسماء الله تعالى توقيفية ووجه الفارسي قول من جعله اسماً لله تعالى على معنى أن فيه ضميراً يعود على الله تعالى فكأنه اسم فعل وهو توجيه حسن نقله صاحب المغرب، وفي آمين لغتان المد

يهوداً ولا نصارى، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد

والقصر، وقيل: المدود اسم أعجمي لأنه بزنة قابيل وهابيل، وهل يجوز تشديد الميم المشهور أنه خطأ نقله الجوهري ولكنه روى الحسن وجعفر الصادق التشديد وهو قول الحسن بن الفضل من أمّ إذا قصد أي نحن قاصدون خيرك يا الله، ومنه ولا آمين البيت الحرام اهـ.

وفي الخطيب: والسنة للقاري أن يقول بعد فراغه من الفاتحة آمين مفصولاً عن الضالين بسكتة ليتميز ما هو قرآن عما ليس بقرآن وهو اسم الفعل الذي هو استجب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: سألت رسول الله ﷺ عن معناه فقال رب أفعل وبني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين، ويجوز مد ألفه وقصرها، وليس آمين من القرآن اتفاقاً بدليل أنه لم يثبت في المصاحف كما مرت الإشارة إليه، ولكن يسن ختم السورة به لقوله ﷺ: «علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة» كما رواه البيهقي وغيره وقال ﷺ: « إنه كالختم على الكتاب» كما رواه أبو داود في سننه، وقال علي رضي الله عنه: آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عباده رواه الطبراني وغيره لكن بسند ضعيف اهـ.

فيسن ختم الدعاء بآمين سواء كان هو الدعاء الذي في الفاتحة أو غيرها، وفي القرطبي: ففي الخبر ان آمين كالطابع الذي يطبع به على الكتاب، قال الهروي: قال أبو بكر: معناه أنه طابع الله مع عباده لأنه يدفع الآفات والبلايا، فكان كخاتم الكتاب الذي يصونه ويمنع من إفساده وإظهاره ما فيه، وفي حديث آخر: «آمين درجة في الجنة» قال أبو بكر: معناه أنه حرف يكتسب به قائله درجة في الجنة، وقال وهب بن منبه: آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكاً يقول: اللهم اغفر لكل من قال آمين اهـ.

وكلمة آمين لم تكن قبلنا إلا لموسى وهارون عليهما السلام ذكر الترمذي الحكيم في نوادر الأصول عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «أن الله أعطي أمتي ثلاثاً لم تعط أحداً قبلهم السلام وهو تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة، وآمين إلا ما كان من موسى وهارون» قال أبو عبدالله: معناه أن موسى دعا على فرعون وأمن هارون فقال الله تبارك وتعالى عند ما ذكر دعاء موسى في تنزيله: قد أجيبت دعوتكما ولم يذكر مقالة هارون، وقال موسى: ربنا فكان من هارون التأمين فسماه داعياً في تنزيله إذ صير ذلك منه دعوة، وقد قيل: إن آمين خاص بهذه الأمة لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين» أخرجه ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن عائشة. وأخرج أيضاً من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على التأمين فأكثروا من قول آمين». قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنما حسدنا أهل الكتاب لأن أولها حمد الله وثناء عليه، ثم خضوع له واستكانة ثم دعاء لنا بالهداية إلى الصراط المستقيم، ثم الدعاء عليهم مع قولنا آمين اهـ.

قوله: (والله أعلم بالصواب) كأن هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي، أو من وضع السيوطي قصد بها ختم تفسير المحلي، والإشارة إلى فراغه وانقضائه، ويبعد جداً أنها من كلام المحلي لما عرفت سابقاً أنه كان قد شرع في تفسير النصف الأول، وأنه ابتدأه بالفاتحة، وإنه اخترمته المنية بعد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفراغ منها، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها، وإذا كان كذلك فيبعد منه أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء والاختتام واقعة أثناء تفسير النصف الأول فتأمل. وآخر هذه العبارة هو قوله والمآب كما في خط الإمام أحمد بن علي المعروف بابن أخت البلقيني نفعنا الله به، كما ذكره في نسخته التي رقمها بيده ونصه فيها بعد قوله والمآب. تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم على يد الفقير أحمد بن علي المعروف بابن أخت البلقيني عفا الله عنه آمين بتاريخ يوم الاثنين عاشر صفر الخير من شهور سنة اثنين وثمانين وتسعمائة اهـ.

فعلى هذا يكون ما في هذه النسخة من قوله: وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى آخره ليس من نسخة المحلي، وإنما هو من وضع بعض الناس ويدل عليه ثبوته في بعض النسخ دون بعض.

قوله: (والمآب) عطف مرادف وفي المختار آب رجع وبابه قال والمآب المرجع اهـ.

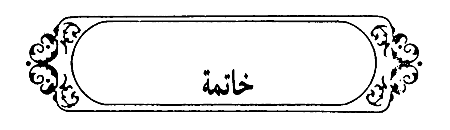
قوله: (وحسبنا الله) أي كافينا، وقوله: ونعم الوكيل أي المفوض إليه الأمر اهـ.

قوله: (الرحلة) أي الذي يرتحل إليه لأخذ العلم عنه وهو بضم الراء كما في المصباح والقاموس، ونص الأول الرحلة بالكسر والضم لغة اسم من الارتحال، وقال أبو زيد: الرحلة بالكسر اسم من الارتحال وبالضم الشيء الذي يرتحل إليه يقال: قربت رحلتنا بالكسر وأتت رحلتنا بالكسر أي المقصد الذي نقصده اهـ.

ونص الثاني وارتحل القوم عن المكان انتقلوا عنه فترحلوا والاسم الرحلة بالضم والكسر أو بالكسر الارتحال وبالضم الوجه الذي تقصده اهـ.

قوله: (تغمده الله برحمته) أي جعلها له كالغمد للسيف في الإحاطة والشمول، وفي المختار: غمد السيف من باب ضرب ونصر جعله في غمده فهو مغمود وأغمده أيضاً فهو مغمد وهما لغتان فصيحتان وتغمده الله برحمته غمره بها اهـ.

قوله: (وحشرنا في زمرته) أي جماعة الذين يحشر هو معهم، وقوله: بمحمد الباء تشبه باء القسم ويقال لها باء التوسل أي متوسلين في قبول هذا الدعاء بمحمد وآله.



خاتمة

قال القرطبي في مقدمة تفسيره باب ما يلزم قارىء القرآن وحامله من تعظيم القرآن واحترامه، قال الترمذي الحكيم في نوادر الأصول: فمن حرمته أن لا يمسه إلا طاهراً، ومن حرمته أن يقرأه وهو على طهارة، ومن حرمته أن يستاك ويتخلل فيطيب فاه إذ هو طريقه، قال يزيد بن أبي مالك: إن أفواهكم طرق من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم، ومن حرمته أن يستوي له قاعداً إن كان في غير صلاة ولا يكون متكئاً، ومن حرمته أن يلبس ثياب التجمل كما يلبسها للدخول على الأمير لأنه مناج ربه، ومن حرمته أن يستقبل القبلة لقراءته، وكان أبو العالية إذا قرأ اعتم ولبس وارتدى واستقبل القبلة، ومن حرمته أن يتمضمض كلما تنخع. وری شعبة عن أبي حمزة، عن ابن عباس أنه كان يكون بين يديه إناء فيه ماء إذا تنخع تمضمض ثم أخذ في الذكر، وكان كلما تنخع تمضمض، ومن حرمته أنه إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة لأنه إذا قرأ فهو يخاطب ربه ومناج له، والتثاؤب من الشيطان. قال مجاهد. إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فامسك عن القرآن تعظيماً حتى يذهب تثاؤبك وقاله عكرمة يريد أن في ذلك الفعل إجلالاً للقرآن، ومن حرمته أن يستعيذ بالله عند ابتدائه للقراءة من الشيطان الرجيم، ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إن كان ابتداء قراءته من أول السورة أو من حيث بلغ، ومن حرمته أنه إذا أخذ في سورة لم يشتغل بشيء حتى يفرغ منها إلا لضرورة، ومن حرمته إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الآدميين من غير ضرورة، ومن حرمته أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة التي أتى بها في البدء، ومن حرمته أن يقرؤه على تؤدة وترتيل، ومن حرمته أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به، ومن حرمته أن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله وأن يقف على آية الوعيد فيستجير بالله منه، ومن حرمته أن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً فإن له بكل حرف عشر حسنات، ومن حرمته إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه ويشهد بالبلاغ لرسول ﷺ، ويشهد على ذلك أنه حق فيقول: صدقت ربنا وبلغت رسلك ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهم اجعلنا من شهداء الحق

القائمين بالقسط، ثم يدعو بدعوات، ومن حرمته إذا قرأه أن لا يلتقط الآيات من كل سورة فيقرأها، فإنه روي لنا عن رسول الله ﷺ أنه مرّ ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئاً، فأمره أن يقرأ على ترتيب السور أو كما قال، ومن حرمته إذا وضع الصحيفة أن لا يتركها منشورة وأن لا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً لسائر الكتب علماً كان أو غيره، ومن حرمته أن يضعه أن حجره إذا قرأه أو على شيء بين يديه ولا يضعه بالأرض، ومن حرمته أن لا يمحوه من اللوح في حجره إذا قرأه أو على شيء بين يديه ولا يضعه بالأرض، ومن حرمته أن لا يمحوه من اللوح بالبزاق ولكنه يغسله بالماء، ومن حرمته إذا غسله بالماء أن يتوقى النجاسات من الواضع والمواضع التي توطأ فإن لتلك الغسالة حرمة، وكان من قبلنا من السلف منهم من يستشفي ولكن يمحوها بالماء، ومن حرمته أن لا يخلي يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة، وكان أبو موسى يقول: أني لأستحي أن لا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة، ومن حرمته أن يعطي عينيه حقهما منه، فإن العين تؤدي إلى النفس وبين النفس والصدر حجاب وبين النفس والصدر حجاب والقرآن في الصدر فإذا قرأه عن ظهر قلب فإنما يسمع أذنه فتؤدي إلى النفس، فإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء وذلك أوفر للأداء، وكان قد أخذت العين حظهما كالأذن. روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة. قالوا يا رسول الله: وما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه» وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال، قال رسول الله ﷺ: «أفضل عبادة أمتي قرأة القرآن نظراً» ومن حرمته أن لا يتأوله عندما يعرض له من أمر الدنيا. حدثنا عمرو بن زياد الحنظلي قال، حدثنا هشيم بن بشير، عن المغيرة عن إبراهيم قال: كان يكره أن يتأول شيء من القرآن عندما يعرض للقارىء شيء من أمر الدنيا، والتأويل مثل قولك للرجل إذا جاءت: ﴿جئت على قدر يا موس﴾ [طه: ٤٠] ومثل قوله: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة: ٢٤] عند حضور الطعام وأشباه هذا ومن حرمته أن لا يقال سورة كذا كقولك سورة النحل وسورة البقرة وسورة النساء، ولكن يقال التي يذكر فيها البقرة مثلاً، قلت: هذا يعارضه قوله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه» خرّجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود. ومن حرمته أن لا يتلى منكوساً كفعل معلمي الصبيان يتلمس أحدهم بذلك أن يرى الحذق من نفسه والمهارة، فإن ذلك عدم مبالاة وعدم تعظيم، ومن حرمته أن لا يقرأه بألحان الغناء كلحون أهل الفسق ولا بترجيع النصارى ولا نوح الرهبانية، فإن ذلك كله زيغ وقد تقدم، ومن حرمته أن يجوف خطه إذا كتبه وعن أبي حكيمة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة، فمرّ علي رضي الله عنه فنظر إلى كتابه فقال له: أجل قلمك فأخذت القلم فقططت من طرفه قطاً ثم كتبت وعلي قائم ينظر إلى كتابي، فقال: هكذا نوره كما نوره عز وجل، ومن حرمته أن لا يماري ولا يجادل

فيه في القراءات ولا يقول لصاحبه ليس هكذا هو، ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جائزة من القراءات فيكون قد جحد كتاب الله، ومن حرمته أن لا يقرأ في الأسواق ولا في مواطن اللغط ومجمع السفهاء، إلا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا مروا باللغوا مروا كراماً هذا لمروره بنفسه، فكيف إذا مرّ بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهراني أهل اللغو ومجمع السفهاء، ومن حرمته أن لا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه ولا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله، ومن حرمته أن لا يصغر المصحف. قلت: وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً في يد رجل، فقال: من كتبه؟ قال: أنا فضربه بالدرة، وقال: عظموا القرآن وروي عن النبي ﷺ أنه نهى أن يقال مسيجد أو مصيحف، ومن حرمته أن لا يخلط فيه ما ليس منه، ومن حرمته أن لا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فيخلط به زينة الدنيا، وروى مغيرة عن إبراهيم أنه كان يكره أن يحلى المصحف أو يكتب بالذهب أو يعلم عند رؤوس الآية أو يصغر، وروى أبو الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ: «إذا زخرفتم مساجدكم وأحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم» وقال ابن عباس ورأى مصحفاً قد زين بفضة تغرون به السارق وزينته في جوفه، ومن حرمته أن لا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل بهذه المساجد المحدثة. حدثنا محمد بن علي الشقيقي، عن أبيه عن عبدالله بن المبارك، عن سفيان عن محمد ابن الزبير قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يحدث قال: مرّ رسول الله ﷺ بكتاب في أرض فقال لشاب من هذيل: ما هذا؟ قال: من كتاب الله كتبه يهودي، فقال: لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه. قال محمد بن الزبير: رأى عمر بن عبد العزيز ابناً له يكتب القرآن على حائط فضربه. ومن حرمته أنه أذا اغتسل بكتابه مستشفياً من سقم أن لا يصبه على كناسة، ولا في موضع نجاسة أو موضع يوطأ، ولكن ناحية من الأرض في بقعة لا يطؤها الناس، أو يحفر حفيرة في موضع طاهر حتى يصب من جسده في تلك الحفيرة ثم يكبسها، أو في نهر كبير يختلط بمائه فيجري. ومن حرمته أن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور، وكذلك كان رسول الله ﷺ إذا ختم القرآن يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات لئلا يكون في هيئة الهجرة، وروى ابن عباس قال: جاء رجل فقال يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فقال: عليك بالحال المرتحل، قال: وما الحال المرتحل؟ قال: صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله كلما حلّ ارتحل.

قلت ويستحب إذا ختم القرآن أن يجمع أهله ذكره أبو بكر الأنباري أخبرنا إدريس، أخبرنا خلف أخبرنا وكيع عن مسعر، عن قتاده أن أنس بن مالك كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا، وأخبرنا إدريس أخبرنا خلف، أخبرنا جرير عن منصور عن الحكم قال: كان مجاهد وعبدة بن أبي لبابة وقوم يعرضون المصاحف، فإذا أرادوا أن يختموا وجهوا إلينا احضرونا فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن، وأخبرنا إدريس، أخبرنا خلف، أخبرنا هشيم عن العوام عن إبراهيم التيمي قال: من ختم القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي، ومن ختمه

أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح، قال: فكانوا يستحبون أن يختموا أول الليل وأول النهار. ومن حرمته أن لا تكتب التعاويذ منه ثم يدخل بها في الخلاء إلا أن يكون في غلاف من أدم أو فضة أو غيرهما، فيكون كأنه في صدرك، ومن حرمته إذا كتبه وشربه سمى الله على كل نفس وعظم النية فيه فإن الله يؤتيه على قدر نيته. روى ليث عن مجاهد قال: لا بأس أن اكتب القرآن ثم تسقيه المريض، وعن أبي جعفر قال: من وجد في قلبه قساوة فليكتب يس في جام بزعفران ثم يشربه.

قلت: ومن حرمته أن لا يقال سورة صغيرة، وكره أبو العالية أن يقال سورة صغيرة أو كبيرة، وقال: لمن سمعه قالها أنت أصغر منها، وأما القرآن فكله عظيم ذكره مكي رحمة الله.
قلت: وقد روى أبو داود ما يعارض هذا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال: ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم بها الناس في الصلاة اهـ.

فائدة

في صحيح البخاري ما نصه: عن أنس بن مالك قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة، أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد اهـ.

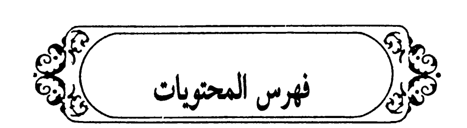
وفي القسطلاني عليه ما نصه: قوله: ولم يجمع القرآن أي على جميع وجوهه وقراءاته، أو لم يجمعه كله تلقياً من في النبي ﷺ بلا واسطة أو لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ أو جمع أحكامه والتفقه فيه أو كتابته وحفظه غير أربعة الخ، فلا ينافي أن غيرهم كان يجمعه، قال ابن كثير: أنا لا أشك أن الصديق رضي الله عنه قرأ القرآن وقد نصّ عليه الأشعري مستدلاً بأنه صح أنه ﷺ: «يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله تعالى وأكثرهم قرآناً» وتواتر عنه ﷺ أنه قدم للإمامة ولم يكن ﷺ يأمر بأمر ثم يخالفه بلا سبب، فلولا أن أبا بكر كان متصفاً بما يقدمه في الإمامة على سائر الصحابة وهو القراءة لما قدمه، فلا يسوغ نفي حفظ القرآن عنه بغير دليل، وقد صح في البخاري أنه بنى مسجداً بفناء داره، فكأن يقرأ القرآن أي ما نزل منه إذ ذاك وجمع على القرآن على ترتيب النزول، وقال ابن عمر فيما رواه النسائي بإسناد صحيح جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة الحديث، وعدّ أبو عبيدة القراء من الصحابة من المهاجرين الخلفاء الأربع، وطلحة، وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالماً، وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة، ومن النساء، عائشة وحفصة وأم سلمة ولكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعده ﷺ. وعد ابن أبي داود في كتاب الشريعة من المهاجرين أيضاً تميم بن أوس الداري، وعقبة بن عامر، ومن الأنصار عبادة بن الصامت، وأبا حليمة معاذاً، ومجمع بن حارثة، وفضاله بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وممن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعري فيما ذكره الداني، وعمرو بن العاص وسعد بن عبادة. وبالجملة فيتعذر ضبطهم على ما لا يخفى ولا يتمسك بما في الأحاديث لكثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد، وكيف يكون ذلك مع ما ورد من قتل القراء ببئر معونة ويوم اليمامة اهـ.

وهذا آخر ما قدر لي أن أكتبه من هذا التعليق الشريف ولم يكن في ظني أن يجيء على هذا المنوال المنيف بقصور باعي ودروس رباعي وعجزي الذي هو وصف لازم وفتوري الذي هو للذهن ملازم، وإنما هو نكتة سرّ قراءتي على الشيخ الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة شيخ الإفتاء والتدريس ومحل الفروع والتأسيس من شاع فضله وذاع وتوفرت لتتبع تحبيره وتعبيره الأسماع مولانا الشيخ عطية الأجهوري تغمده الله بغفرانه وأسكنه فراديس جنانه ولقد صدق القائل حيث قال:

وقل من جدّ في أمر يحاوله واستعمل الصبر إلا فاز بالظفر

اللهم يا مولى النعم ويا راحم الأمم ويا محيي الرمم أنت المعبود وأنت المستعان بكرمك ثبتنا على صراطك صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ووفقنا لما نرافقهم به في دار كرامتك في جنان النعيم، وجنبنا بشمول رأفتك عما نوافق به الزائغين مما يكلم الدين ويثلم اليقين آمين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده والصلاة والسلام الأتمان والأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد انتهى ما من الله تعالى به من المعاني المحررة والألفاظ المحبرة في الرابع والعشرين من شهر جمادى الثانية من شهور سنة ألف ومائة وثمانية وتسعين على يد جامعها الفقير إلى الله تعالى سليمان الجمل خادم الفقراء غفر الله له ولوالديه ولمن أعانه عليها ولجميع المحبين وإخوانه المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.



فهرس المحتويات

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثّر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبإ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة البلد

سورة الشمس

سورة الليل

سورة الضحى

سورة الشرح

سورة التين

سورة العلق

سورة القدر

سورة البينة

سورة الزلزلة

سورة العاديات

سورة القارعة

سورة التكاثر

سورة العصر

سورة الهمزة

سورة الفيل

سورة قريش

سورة الماعون

سورة الكوثر